



القبض

أكتوبر ١٩٢٨ اعرف نفسك بنفسك : فييناغورس العدد ١٤ مجلد ٣

هل نهضنا؟

خيل إلى الكثيرين أن مجرد وقوع ثورة دموية نهاحم بها سكك الحديد والأبنية العامة ، ونحرب فيها كل المنشآت التي يقوم عليها أكبر قسط من رفاهية المجتمع ، إن لم تكن في ذاتها نهضة ، على ما في الاصطلاح من إبهام وغموض ، فلها على الأقل تدل على أننا قد أخذنا بأسباب نهضة صحيحة ، سوف تؤدي بنا إلى أقصى ما نتطلع إليه من رقي ، أدبياً ومادياً . على أن ما خيل إلى الناس لم يكن في الواقع بلا مبررات كثيرة ، فان النهضة في فرنسا ، على ظاهر ما يدرك من أمرها ، قد ظهرت في أجلى مظاهرها عقب ثورات ثلاث تنقل فيها شكل الحكم من الملكية إلى الجمهورية مرات . وكذلك الحال في إنجلترا . فان تطور النظم الديمقراطية في بريطانيا كان نتاجاً لثورات تختلف آثارها باختلاف الأسباب التي أنتجتها ، وبتباين الأغراض التي رمت إليها . فان ثورة « المائنة كارتا » و ثورة كرومويل وغيرها من الحروب الأهلية كانت مظاهر تطورت في صورها من الرقي الأدبي والمادى . غير أن الحكم على حوادث الحاضر بمشاهدات تقتطع من الماضي ، حكماً مقطوعاً بصحته ، أمر لا يخلو من الشطط الكبير . فان الثورات لا يحكم في نتائجها أحكاماً

يقينية إلا بعد أن تنجلي غمرتها وبعد أن تثبت نتائجها علي صورة قاطعة .
ذلك لأن من الثورات ما أتج ذلاً واستكانة وانحطاطاً في النزعات وانحلالاً
في الروابط الأخلاقية والأدبية . إذن فالحكم علي ثورتنا الأخيرة حكماً ثابته ،
أمر يحتاج إلى عنصر ضروري ينقصنا في الوقت الحاضر . هو عنصر «الزمان»
ذلك لأنني أعتقد أن هذا العنصر لم يتم فعله التطوري الذي يمكننا من الحكم
في نتائج الثورة بصورة قاطعة .

ولدينا على صحة ماقول دلائل عديدة . فان الحزب السعدي مثلاً ، وهو
الحزب الذي يرمز لنفسه بأنه حزب النهضة ، لم يستطع حتى اليوم أن يثبت
بشكل قاطع أنه استطاع أن يحدد المرامي التي يرمى إليها في سياسته العامة
تحديداً تاماً . وكذلك لم يقنع المفكرون بأن هذا الحزب أمكنه أن يثبت
لنفسه وجوداً عملياً بعد فقدان زعيمه العظيم . ولا جرم أننا بجانب هذا
نضطر إلى التساؤل اضطراراً : هل يمكن أن يكون عجز الحزب السعدي عن
تحديد أغراضه ومراميه تحديداً تاماً ، راجع إلى عنصر انحلالى يعمل في
الخفاء علي تصديع الحزب وتصديع النهضة التي يدعى هذا الحزب أنه رمزها ؟
أم أن هذه الظواهر تدل علي أن النهضة التي تتطلع إليها قد تركزت في بورة
أخرى غير بورة السياسة ، فأخذت تتلمس طريقاً آخر غير الأحزاب السياسية
لتتخذها وسيلة إلى الظهور ؟ هذه مسائل لا نستطيع أن نجيب عليها جواباً
قاطعاً . ولهذا أتخيل أننا لم نستطع بعد أن نثبت أننا نهضنا بالفعل .

ولدينا مسألة أخرى هي مسألة الحكم النيابي . فان تطيل الحياة النيابية
ثلاث سنين ، وإخلاء الناس لهذا الحكم على قسوته ، دليل قاطع على أن
الناس قد شعروا ، ولو من طريق لا تنبهي ، إلى أن الحياة النيابية ليست وسيلة
أولية من وسائل النهضة ، أو أنها علي الأقل ليست حاجة من الحاجات التي
ترتكز عليها نظمتنا السياسية والإدارية . وعلى هذا نقول بأننا من هذه
الناحية قد أخفقنا أيضاً في أن نثبت أننا نهضنا بالفعل .

وإليك مسألة غير هذه وتلك . وهي عندي من أخطر الأشياء . تلك
هي مسألة المبادئ التي تقوم عليها الأحزاب . فليس من حزب من أحزاب

قد واجه الأمة بالواقع مواجهة صحيحة حتى اليوم . فالكمل انما يلوحون للأمة بمبادئ يتسابقون فيها مسابقة ليكون لكل منهم أكبر حظ من ثقة الجمهور به، بصرف النظر عما إذا كان زعماء هذه الأحزاب يعتقدون بمساحية هذه المبادئ لأن تكون قاعدة للاصلاح ولتوض الاشكال السياسى . فالحزب السعدى يقول « بالاستقلال التام أو الموت الزؤام » . فى حين أن زعماء الحزب جميعاً يعتقدون أن « الاستقلال التام » فى حكم المستحيل وأن « الموت الزؤام » فى حكم الامكان . وحزب الدستوريين يقولون باسترداد السودان لمصر وهم يعرفون أن ذلك فى حكم الخيال . والحزب الوطنى يقول بالملحقات، وزعماءه يعاسون أن هذه الملحقات أمتنع من عقاب الجو .

وإذا أردت من برهان على صحة ماذهب اليه من رأى فى الأحزاب، فارجم الى حوادث قريبة العهد منك لترى أن الأحزاب انما تهالك على التطرف فى المبادئ تصنعاً لا وطنية ، ليفوز كل منها بحظ أكبر عند الجماهير . خذ لهذا مثلاً من الحزب الوطنى الذى يعتبر أشد الأحزاب تطرفاً، وكيف ناصر الدستوريين ضمناً إن لم يكن فعلاً، عند ما عطل هذا الحزب الحياة النيابية . ومهما قلبت وجوه الرأى فانك ان تقف على مصلحة محققة النتائج ، لا للحزب ولا للأمة ، من موقف الوطنيين أزاء الأزمة الأخيرة ، مادام الغرض الذى يرمى اليه الحزب والمثل الأعلى الذى يعمل من أجله هو الحرية أولاً والاستقلال التام لوادى النيل بمحدوده الطبيعية والملحقات ثانياً :

وكذلك الحال فى الدستوريين . فان تعطيل الدستور على يدهم لم يجعل لهذا الحزب من حياة سياسية يحياها بمد الآن . على أن زعماءه لم يلجؤوا الى هذا الا تخلصاً بالذات من حكم الأغلبية . وليس علينا فى هذا الوطن أن نبحث فى حكم الاغلبية أكان صالحاً أم غير صالح ، بل يكفيننا أن نقول بأن هذه الظاهرة كافية لأن تثبت أننا لم ننهض يد ، بل هى كافية فى الدلالة على أن ثورتنا الأخيرة كانت سلسلة كبوات تلت إحداها الاخرى . وكانت آخر الكبوات تعطيل الحياة النيابية ، وقبول الناس لهذه الحال على

صورة تدل في أول ماتدل عليه، على أن الرأي العام سئم الصراع السياسي الذي دارت رحاه حول الاشخاص لاحول المبادئ .

ثم ارجع الى حزب الاغلبية ، أي الحزب السعدى . وانظر في موقفين اثنين من مواقفه السياسية لتعتقد أن هذا الحزب قد عمل زعماءؤه في أول ماعملوا له، على أن يحفظوا لانفسهم في الرأي العام ما كان لزعميهم سعد من قبلهم، من غير أن يجعلوا لاي اعتبار سياسى أقل قيمة عملية . أما الموقف الاول فنرض معاهدة (ثروت — شبرلين) والثانى تصرفهم أزاء تحفظ الانجليز أزاء قانون الاجتماعات .

أما موقفهم ازاء المعاهدة فكان موقف مجرد من كل مهارة سياسية بل كان مظاهره أريد بها الاحتفاظ بسمة الحزب وبمركزه ازاء الجماهير لمجرد السيادة عليها ، لا من ناحية المبدأ ولا من ناحية الاصلاح ، بل من ناحية التظاهر الاعمى من غير نظر أو تقدير للنتائج المنطقية أو العمالية التى تترتب على رفض مشروع معاهدة تقدم به وزير من وزرائنا الى بريطانيا واتفق عليه بعد مناقشات طويلة ومذكرات عديدة تبودات بين الطرفين . وكما أنه ليس من شأننا في هذا الوطن أن نبحث في حكم الاغلبية وهل كان صالحاً أو غير صالح ، كذلك ليس علينا أن نبحث في المعاهدة وهل هي صالحة أو غير صالحة . بل جل ما يعنيننا أن تقدر موقف حزب الاغلبية سياسياً ازاء أمر واقع . فان مناقشة المعاهدة وابداء تحفظات يمكن أن ترفضها انجلترا ، لم يكن أمراً مستحيلاً على أصغر فتى قروى فى أحقر كتاب من كتاتيب مجالس المديرىات . وهذا بالضرورة يعلمه زعماء الحزب السعدى جيداً ويفهمونه فهماً حسناً ، ولكن أثره في الجماهير أقل بكثير من أثر الرضى المطلق الذى يشعر بأن مصر أصبحت سيدة البحار وان الشمس لا تغرب عن ممتلكاتها ، وان انجلترا أصبحت بمثابة مديرية بسيطة من مديريات الصعيد الاقصى . إذن فنرض المعاهدة لم يكن الى ناحية السعي العملى الى المصلحة العامة أدنى منه الى ناحية التظاهر الاجوف ، خدمة لفكرة الحزبية . وفي هذا دليل على اننا لم ننهض ، بل على اننا نكبوا ونتعثر .

أما موقفهم ازاء قانون الاجتماعات وازاء التهديد البريطاني ، فإليك بيانه :
 اقترح على وزارة الاغلبية أن تعود بالامر الى ناحية دليا ، هي الناحية الدولية ،
 وأن تجعل لهذه الناحية الحكم الاعلى في الموضوع . فان انجلترا ما دامت تحتاج
 بان هذا القانون يؤثر في تحفظها الخاص بسلامة الاجانب ، فان العودة بالاشكال
 الى هؤلاء الاجانب بالذات فيه مخرج من حرج الموقف ، احصر ازاء انجلترا ،
 ولا انجلترا ازاء مصر . اقترح على وزارة الاغلبية أن تلتئ بالقانون بين يدي
 الجمعية العمومية للمحاكم المختاطة وهي التي تمثل المحافظة على مصالح الاجانب
 في مصر . وهي سلطة لا تنكر انجلترا حقوقها ، ولا تنكر نحن حقوقها .
 فاذا قبلت القانون كان ذلك أكبر حجة لنا نلوح بها في وجه انجلترا . واذا
 رفضته كان لنا من رفضها أكبر العذر في طي القانون وحفظه الى الابد .
 وكان لنا من ذلك مخرج شريف ، لا نحتمل فيه مسؤولية سياسية ، نظرية أم
 عملية . ولكن حزب الاغلبية رنض ، ورنض بازدراء هذا الماترح الساسي
 الرشيد ، وأعلن أن القانون سوف يمر في المجلسين وسوف ينفذ رغم أنف
 انجلترا ورغم أنف الدول جميعاً . فكانت النتيجة على ما يعرف القراء ، نقهر
 بغير انتظام وتسليم علي طول الخط وشكر على « الحل السعيد » الذي لم نصل
 اليه الا بعد تأهب الاساطيل لاحتلال مياهانا . وفي هذا دليل ساطع على اننا
 لم نهض ، بل على اننا نكبوا وتعثروا . لاننا نعدل للحزبية ، لا للمبادئ .

لم نشأ أن ندلي برأينا في صراحة قبل أن نمهد للتقاريء بهذه المقدمات
 الضرورية . أما وقد شرحناها بعض الشرح فانا نستطيع أن نقول ان السبب
 في كيوننا المرة بعد الاخرى ، انما يرجع الى التعصب للحزبية ، لا الى فكرة الحزبية
 ذاتها . ذلك لان التعصب في الحزبية ، لا يناظره من شيء الا التعصب في الدين .
 كلاهما يمنعك عن أن ترى حسنة واحدة من حسنات خصيك في السياسة أو
 نظيرك في الدين .

والحزبية على الرغم من هذا موجودة في كل الامم . غير أنه لم يسلم من

التعصب فيها الا ائماً لا يكاد يكمل عدداً أصابع اليد الواحدة وهي التي تحكم الدنيا وهي التي تستولي على موارد العالم . أما التعصب للحزبية فقد امتازت به كل الامم التي تخضع اليوم لحكم ائمة من الامم عرفت كيف تتجرر سياسياً وعرفت كيف تسود الدنيا .

إذن فالتعصب للحزبية هو الذي يعوق خطانا عن النهوض . وهو الذي يصدنا عن الانبعاث في سبيل الاصلاح الصحيح ، وهو الذي يملأ طريقنا بالعقبات تتعر فيها ونكبو لنحاول النهوض .

علي أن هذا هو الحال في أكثر بلاد الشرق . ففي الهند تعصب الطوائف ، وفي العراق الشيعة والسنة ، وفي سوريا تنازع الفئات الدينية ، وفي شمال افريقية تطاحن الاحزاب على من يحكمهم من الامم ، وفي مصر التقاتل على نيل رضا الجماهير ! ولا شيء في الشرق غير هذا أو ما يقاربه .

مثلنا في هذا كمثل رجلين ساق بهما الجاحظ في أول الجزء السابع من كتابه الحيوان عظة وجعلها ذكرى . فقد روى أنه رأى بصرياً بخاصم كوفياً في العنب الرازقي والعنب البغدادي أيهما أكرم ثمراً ، فتنازعا ثم نواثبا فوفقاً الكوفي عين البصري ، وخلع البصري رسع الكوفي . ثم رآهما بعد ذلك بقليل متصافيين متواددين ، لم يقعا قط على مقدار ما يغضب من مقدار ما يرضى . وهذا ولا شبهة مثلنا ومثل الامم الشرقية على اطلاق القول .

هذا في السياسة وفي الحالة الاجتماعية . أما اذا رجعنا الى الناحية الفكرية فانا نجد مع الاسف اننا لسنا فيها باحسن حالا منا في السياسة والاجتماع . لانريد أن نتكلم في حالتنا التفكيرية من حيث القدرة على اتنا تفكر ولا من حيث القدرة على اتنا تفهم ، ولا من حيث القدرة على اتنا نستوعب الحقائق والنظريات . فانا في جماع هذا نستوي وبقية النوع البشري على اختلاف في الكم والكيف . ولكننا نريد أن نتكلم في مقدرتنا على التفكير والنظر في حقائق الأشياء تفكيراً حراً بعيداً عن موحيات التقاليد وما تنزع

بنا إليه فطرتنا من حب القديم والعكوف علي ما بلى من ثرات الاقدمين .
 فاننا لا نزال ننظر في كثير من الاشياء التي لها أكبر العلاقات بمصالحنا
 الدنيوية نظرة تقديس لم تعد تتفق وما تتطلب مقتضيات العصر الحاضر من
 حرية في الفكر وتعديل في النظم والفكرات والمبادئ بما يلائم روح هذا
 العصر الحديث . وأكبر دليل علي ذلك اننا لا نزال نحاول أن نحاكم أساتذة
 الجامعة بأن نوقفهم امام القانون كمجرمين — هراطقة — كما فعل اليونان
 بإسقاط وكما فعل بابوات روما بجرردانو برونورده دومينيس وغاليانو
 وكوبرنيكوس وغيرهم ممن هم أقدر من سارت به قدم من أبناء الانسانية
 علماً وأدباً . وفي هذا أيضاً دليل كاف علي اننا لم نهبض بعد ، وفيه أيضاً
 سبب كاف لاكبو والتعثر .

أما اذا كنا قد نهضنا بالفعل ، كما ينجيل الى الكثيرين زوراً ووهماً ، فاننا لم
 نكن لنقع علي أمثال هذه الظاهرات ، بل كنا نواجه الامة بالواقع وبالحق كما
 نعتقد أنه قائم ، وكنا نحرر أفكارنا ونترك التعليم في المدارس والجامعة
 يتطور علي حسب ما يقتضي سير الفكر الانساني من تكوين النظريات والمذاهب
 ثم تقضها أو تعديلها .

وبعد كل هذا تتساءل هل نهضنا ؟

السيار الارضى

- ١ — الارض في الفضاء — ٢ — الارض كما ترى من القمر — ٣ — الارض كساعة سماوية
- ٤ — الارض كما ترى من الزهرة — ٥ — الارض في عالم السيارات — ٦ — الارض لا ترى من بعد
- زحل — ٧ — بعد الارض عن الشمس — ٨ — البرهنة على كروية الارض — ٩ — كيف نقيس الارض
- ١٠ — تسطح الارض — ١١ — وزن الارض — ١٢ — قوة اجاذبية — ١٣ — الجوف الملتهب — ١٤ —
- محور الارض — ١٥ — البرهنة على دوران الارض — ١٦ — تجربة فوكول — ١٧ — اتساق حركة
- الارض — ١٨ — المد والجزر

— ١ —

لا جرم أننا نبتسم ضاحكين كما تذكرنا أن أجدادنا الاولين قد اعتبروا أن سيارتنا الارضى الصغير هو « الكون » . غير أننا لا يجب أن ننسى بجانب هذا أن فكرة أن الارض بما عليها من الغابات والجبال والوديان والبحار والانهار والمخلائق ، بشرية وغير بشرية ، ليست الا السيار الثالث من بين السيارات التي تدور من حول الشمس ، هي بذاتها فكرة بعيدة عن العقل ، لانها لا توافق ظواهر الاشياء . فما أبعد هذه الفكرة عن العقول ! ولكن ما أقربها من الحقيقة .

أما اذا أردنا أن تفهمها فهما جيداً ، فانه يجب علينا أن نتحرر من شعور « الفوق » و « التحت » و « القمة » و « الحضيض » ، لانه ليس في الفضاء من شيء كهذا . فساكن نصف كرة الارض الجنوبي كالأستراليين مثلاً — و الذين نعتبرهم « تحت » ساكن أوروبا — يرون السماء بنجومها كما نراها نحن وكما يراها الاوروبيون ، ولو أنهم ، كما اعتقد القدماء الذين لم يدركوا أن الارض كرة ، معلقون فوق الكرة ، وارجلهم ، بالنسبة اليها ، تعلو رؤوسهم . وكما يضيء القمر على الارض ، كذلك تضيء الارض على القمر . فاذا نظرت الى الارض من المريخ أو الزهرة أو المشتري أو بقية السيارات ، ظهرت سياراً لامعاً مضيئاً ، كما تظهر هذه السيارات لنا من فوق الارض تماماً .

كيف تظهر الارض لراء من سطح جرم من الاجرام السماوية ؟ ليس من الصعب علينا أن نتصور ذلك إذا اعتبرنا المسافة التي تفصل بينها وبين ذلك الجرم ومقدار الضوء وحالاته وغدير ذلك من الاعتبارات الطبيعية ، وأنه من المستطاع إذا انتقلنا من جرم الى جرم من تلك الاجرام أن نتطلع من فوقه إلى الارض ، كما نتطلع الآن من فوق الارض إلى تلك الأكر السماوية

السابقة في الفضاء .



ولو كان القمر مأهولا ، لظهرت الارض لراء من سطحه على صورة تدعو إلى الاعجاب الشديد . فأنها تلوح له ككرة هائلة أو قرصاً يسبح في سماء القمر « السوداء » تحيط بها مجاميع من النجوم لا يمكننا أن نراها حتى في أصفى ليالى الشتاء من فوق سطح الارض . وبما أن القمر ليس له جواً - Atmosphere - فان اللون الازوردي

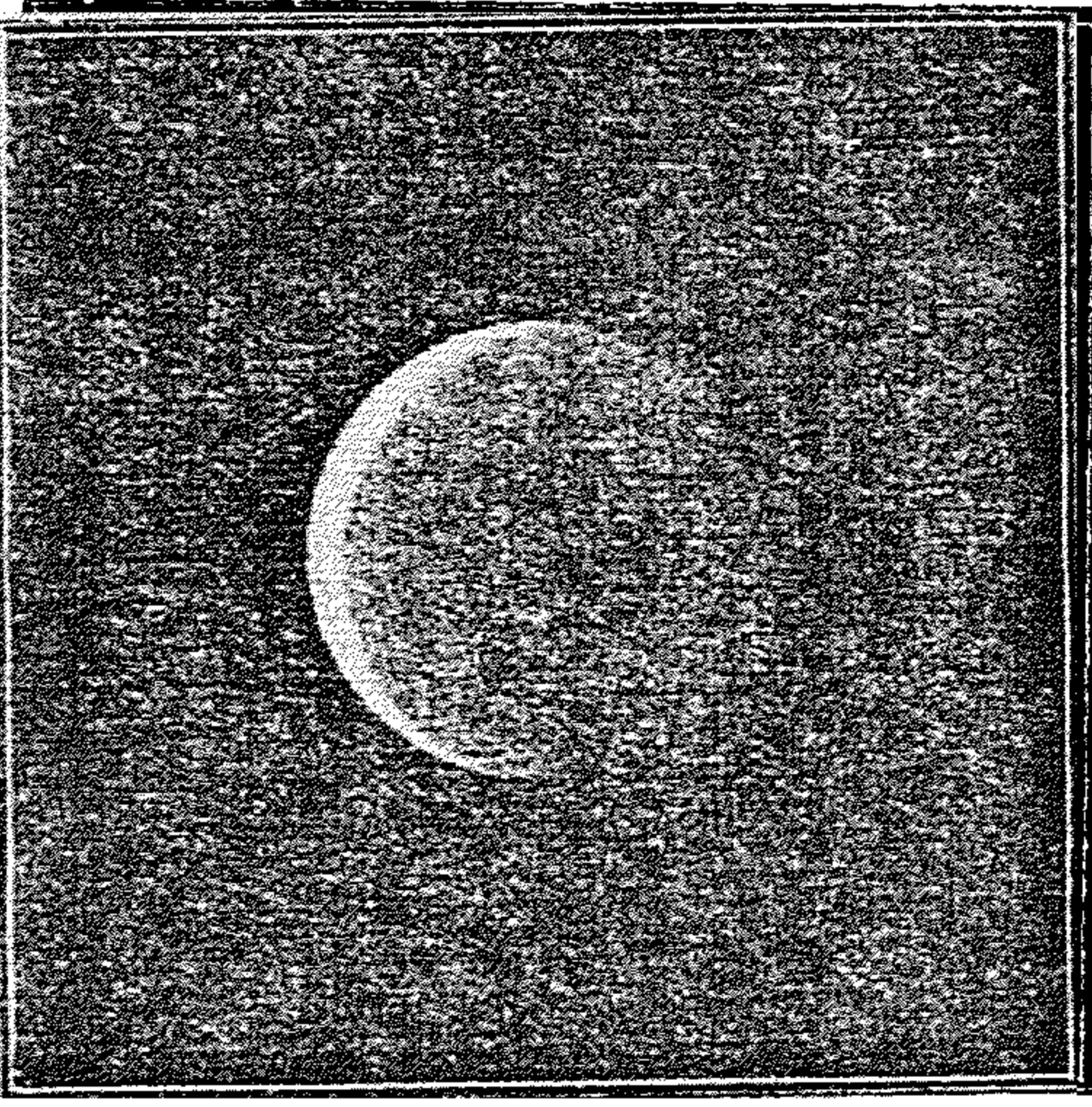
الذى يظهر للعين من صفاء الهواء وتراكمه يكون

منظر بري من القمر

تظهر النجوم من القمر في وضع النهار في سماء سوداء اللون لان القمر ليس له جوا كجوا الارض . والصورة من رسم العلامة هوغو بروغل الالماني

معدوما خلال النهار أيضاً . وعلى هذا لا ينعكس ضوء الشمس بواسطة الهواء والغبار وبخار الماء على سطح القمر . فتظل السماء « سوداء » اللون تماماً حتى بعد أن ترتفع الشمس من فوق الأفق ، وتظل النجوم متلألئة في أثوابها الفضية الناصعة .

أما « قرص » الأرض فأكبر من قرص القمر ثلاث عشر ضعفاً . فإذا لاح لنا القمر كأنه صحن من الفضة نراه على الحجم الطبيعي من بعد ١٠٠ قدم منا ، فإن الأرض تلوح لراء من سطح القمر في حجم عجلة من عجل العربات الكبيرة إذا نظر إليها من مثل هذا البعد . على أننا لانستطيع أن نرى من القمر ، الا تلك الاماكن التي تضيئها الشمس . وهكذا الحال في الأرض ، لانها كالقمر وبقية السيارات ، عبارة عن كرة مظلمة من الاحجار الصلبة . ولهذا نعتقد أن سكان القمر - لو كان مسكونا - يرون الأرض هلالاً سم في الربع الاول ثم بدرأ ثم في المحاق ، كما نرى أوجه القمر تماماً ، ولخرجوا يتنزهون في ضوء الأرض المسدل على سطح القمر ، ولتغزل فيها الشعراء ولعبدوا المحبون الواهلون ، كما يفعل أهل الأرض تماماً . وعند ما يلوح القمر لاهل الأرض هلالاً آخذاً في النداء ترى الأرض من القمر في المحاق الاخير ، وعند ما يكون القمر في أول ظهوره لادل الأرض ، تكون الأرض بدرأ لاهل القمر . وعند ما تكون الأرض « بدرأ » لادل القمر فنم ترسل اليهم من الاضواء ما يوازي اثنى عشر ضعف الاضواء التي يرسلها القمر لاهل الأرض عند ما يكون بدرأ . على أننا نستطيع أن نرى بأعيننا هذه الاضواء التي ترسلها أرضنا إلى القمر . فإن القمر عند ما يظهر لنا هلالاً دقيقاً ، فانا نستطيع أن نرى بقية القرص القدرى مشدأ في ضوء رمادي ضعيف . وهذا الضوء هو ضوء الأرض الذي ترسله على الجهة التي تكون ليلاً من القمر . ولا جرم أن الاضواء التي يرسلها الأرض إلى القمر تكون أشد لمعانا وقوة عندما تكون الصحاري الانريقية والاسيوية مواجهة للقمر ، وتكون غلي أقالها عند ما يكون المحيط الهادي مواجهاً له ، لأن مياهه المتسعة ترسل



أضواء أوهن من الأضواء التي
ترسلها الصحاري الكبيرة .
أما تقاطيع وجه الأرض
Configurations فلا يمكن أن
تري من القمر ، كما ترى
« تقاطيع » القمر من الأرض
لأن جو الأرض ياتي علي هذه
« التقاطيع » قسماً يغشاها ،
فيحجب هيكلها . أما البحار
فتظهر رمادية اللون ، في حين
أن اليابسة تظهر مشعة مضيئة .
وكذلك الاقطار القطبية فانها

الأضواء الرمادية

ضوء الأرض على القمر

تظهر بيضاء ، والغابات ترسل أضواء مخضرة في الصيف ، وسمراء في الخريف ،
ورمادية في الشتاء . وهذه الظاهرة تثبت لادل القمر حقيقة تزايد الدور في
جو الأرض . وقد تحجب السحب الكثيفة أحياناً بقايا برمتها من سطح
الأرض عن أن تظهر لراء من سطح القمر ، وهذه الظاهرة يهتم لها بالضرورة
علماء بالأرصاد يلاحظها من القمر . ليحتمل تكون السحب وتفرقها في
جو الأرض .

إن اقاليم في حجم إيزلاندا أو ايقوسيا أو ايسريمكن أن ترى ظاهراً بالعين
المجردة من سطح القمر . أما إذا تساهلت العين بالمناظير القوية - تلك كوبات -
في قوة تلك التي تستعمل في مرصد « ليك » أو « مرصد يركس » فيمكن لنا ان نلاحظ
أن بري هرم خوفو في طرف الصحراء المصرية كبقعة سوداء . وكذلك يمكن
أن يرى فيلماً من جيش يطوي صحراء منبسطة . أما مدينة عظمى كباريس أو
لندن فانها تكون من أجلى الأشياء ظهوراً . في حين أن أضواءها تظهر
لفلكي من القمر كبقعة مضيئة في سطح الأرض .

— ٣ —

كذلك يمكن لاهل القمر أن يستخدموا الأرض « كساعة » جوية لن

تقف ولن يتولاها الخلل . ذلك لأن دورتها الليلية يمكن أن تعرفهم الاوقات على صورة كاملة من التعبط بملاحظة البقع السوداء التي تظهر على سطحها . فان دورتها على سطح القرص الارضى يكون بمثابة ضابط للوقت لا يخل أبداً . غير أن هذه الساعة لا يتقعر بها الا سكان ناحية واحدة من نواحي القمر . ذلك لان القمر لا يظهر لنا الا وجهاً واحداً من وجهيه . أما سكان القمر الذين يكونون في النصف الآخر من جرمه الكروي - أى النصف الذي لا يرى من الارض - فهم يحتاجون إلى سياحة طويلة ليتمكنهم أن يروا النجم العظيم - الارض - الذى يكون مرئياً على الدوام لآخوانهم الذين يسكنون الجهة المقابلة للأرض . ومن أجل أن تصور غرابة هذا الامر ، تخيل أن القمر لا يرى من الارض الا فى أمريكا وحدها .

- ٤ -

الارض قريبة جداً من القمر إذا قمنا بلمسها عنه أو بمددنا عنها ، ببقية الابعاد التى تفصلنا عن بقية الاجرام . فان القمر ذو جارتنا الاقرب ، بل يمكننا أن نعتبره قطعة من الارض . أما إذا خرجنا من فلك القمر وابتعدنا عنه موغلين فى جوف الفضاء حتى نصل إلى أقرب السيارات منا وهي الزهرة ، فان الارض تكون مختلفة اختلافاً تاماً عما هى إذا نظرت من فوق القمر . إن الزهرة قد تكون فى أقرب نقطتها من الارض على بعد ٢٤٠٠٠٠٠٠٠ ميل فقط ! . وعلى هذا ترى الارض لراء من سطح الزهرة نجواً كبيراً مضيئاً لا ترى له مثيلاً فيما يحيط بنا من نجوم الفضاء . بل من الممكن أن يتبين ذلك الرأى قرص الارض بدلاً ظاهراً ، بل من المستطاع أن تلتقى الارض بنوء ضئيل على سطح الزهرة يحدث لاشباحها ظلاً خفيفاً فى ليله صافية الاديم . وكذلك قد يلاحظ هذا الرأى تغايراً يطرأ على قوة اللعنان الذى ترسله الارض . فان قاراتها العظمى عند ماتواجه الزهرة ترسل اليها شعاعاً أقوى لمعاناً من الشعاع الذى ترسله المحيطات الكبرى . أما العين المجردة فى مستطاعها أن تتبين القمر بهزمترواحاً حول الارض من ناحية إلى أخرى ،

فاذا تسلحت بتلسكوب قوى تبينت القارات والبحار وقطعاً شديدة البياض في القطبين الجنوبي والشمالي . أما بقية الاشياء الصغيرة فانها تظل محجوبة عن النظر . وربما أمكن تبين شيء من الجبال الشاهقة . أما البقاع المخضوضرة التي تظهر تحت قوة كبيرة من الكشف . فتوحى لاهل الزهرة بأن الارض غير قاحلة ولا مجربة . أما الخلائق البشرية ومصنوعاتها ومنتوجات قرائحها فلا يتبين منها أهل الزهرة شيئاً .

— ٥ —

وما يراه أهل المريخ أقل مما يراه أهل الزهرة . (١) فان المريخ في أقرب ابعداء عن الارض يكون على بعد ٣٧,٠٠٠,٠٠٠ ميل منها ، وعلى الرغم من أن الارض على هذا البعد لاتزال تظهر كنجم مضى غير أن ضوءها يكون أضعف بكثير مما هو لاهل الزهرة . أما أقوى النظارات المقربة فانها تظهر الارض من المريخ كقرص صغير مرقط محاط بسحاب ودلي سطحه تلوج وجليد .

ولتباعد عن المريخ خطوة فلكية أخرى لنصل الى المشتري ، جبار النظام الشمسى . أما اذا بلغناه فان الارض لاترى الا كبقعة صغيرة مضيئة بحيث لاتستطيع أقوى التلسكوبات أن تبين منها شيئاً ، اللهم الا نقطة أو اثنتين تظهران على سطحها . أما اذا احترقت كل الغابات التي تكسو أوروبا دفعة واحدة فان هذه الحريقة المزعجة لا تظهر في عدسة نظارة من فوق المشتري الا كقبس ضئيل من النور لا يعيرده اهل المشتري اقل اهتمام .

ثم نصل الى زحل . وهنالك لا ترى الارض من سطحه الا بمساعدة التلسكوبات الكبيرة لان البعد بينهما يبلغ ٨٨٥ ٠٠٠ ٠٠٠ ميل . فاذا تطلع راء الى الارض من سطح زحل فانها تلوح له قريبة جهد القرب من الشمس حتى لقد تظهر ثم تختفى في تموج الاشعة التي ترسلها الشمس من حولها .

(١) هذا الشرح مجازى صرف لان القمر والزهرة وبقية السيارات غير ماهولة ما عدا المريخ فانه يظن فقط ان به خلائق واسيا اذا كانت موجودة فانها أقل بكثير من الانسان من حيث المؤهلات العقلية .

ولو فرض وكان زحل مأهولاً ، ولم يكن لاهله من قوة الاختراع ما يمكنهم من استكشاف العدسات المقربة ، فإنهم يظنون جاهلين بذلك السيار الذي نسميه الارض . أما اذا كان لديهم هذه العدسات وتدرعوا بالكثير من الصبر والقدرة على البحث ، فإنهم يرون الارض نقطة مضيئة لماعة متلألئة ، لا غير . في حين أن هذه الارض تعمرها الخلائق البشرية وغير البشرية من صور الحياة ، وفيها من الآلام الكثيرة المزوجة بالوان عديدة من المسرات ، ما يكفي لان يجعل أهلها يحسدون العوالم الصامتة على هودها المهيب .

— ٦ —

اذا تطلع راء من طرف زحل الآخر الى الارض فانه لا يستطيع أن يراها . فإنها تكون قد غرقت في غمر الاضواء الشمسية . وليس لنا من قدرة على تصور عدسة معظمة يمكن أن تتم عن الارض لراء في سطح أورانوس او نبتون . ومن قبل أن نصل الى تخوم النظام الشمسي الذي ينتهي عند فلك نبتون ، فانا نكون قد غبنا في جوف الانهاية ، كما يغيب عنا في جوفها السحيق كثير من الشمس والارضين التي لا يعلم أمرها الا علام الغيوب .

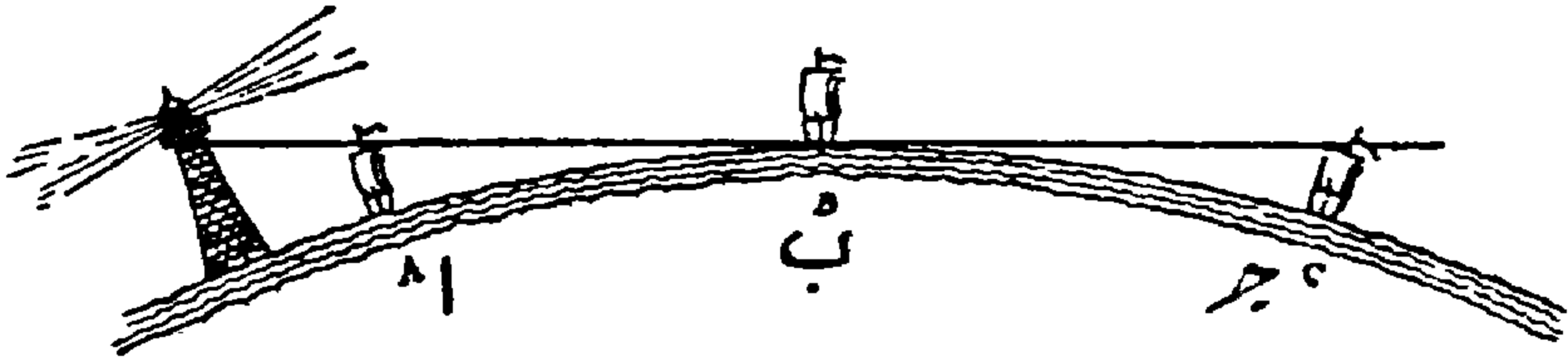
— ٧ —

تدور الارض من حول الشمس باعتبارها السيار الثالث من سياراتها ويقع فلكها بين فلكي الزهرة والمريخ . أما أوسط بعد تقع فيه الارض عن الشمس فيبلغ ٩٢٠٨٠٠٠٠٠٠ ميل . أما في « نقطة الرأس » - Perihelion - — أي أقرب نقطة يكون فيها سيار من الشمس — فإنها تكون على بعد ٩١٦٣٠٠٠٠٠٠ ميل . ويقع ذلك في يوم ٣١ ديسمبر من كل سنة . كما أنها تقع في « نقطة الذنب » - Aphelion - — أبعد نقطة يكون فيها سيار من الشمس — في يوم أول يولييه من كل سنة ، ويكون بعدها اذ ذاك ٩٤٦٣٠٠٠٠٠٠ ميل . وتكمل الارض دورتها حول الشمس في ٣٦٥ يوماً و ٥ ساعات و ٤٨ دقيقة و ٤٦ ثانية ، بسرعة ١٨٦٥ ميل في الثانية الواحدة .

- ٨ -

لقد احتاج العقل البشرى الى آلاف من السنين ليصل الى معرفة مركز الارض في الكون ، واحتاج لمثلها ليعرف مقدار سعتها وصورتها . ولقد بذل الناس كثيراً من الجهد العقلي قبل أن يعرفوا أنهم انما تأهل بهم كرة صماء تطير بهم في فضاء اللانهاية . وحتى أواسط القرن الثامن عشر لم يستطع الناس ان يتصوروا كيف يمكن أن يكونوا عائشين فوق كرة عظيمة تدور دائماً على محورها .

ولدينا براهين كثيرة على كروية الارض . فان تقعرها من ناحية ما ، يظهر جلياً خلال سياحة بحرية عندما تظهر في أول الامر صواري السفن وقمم الجبال ورؤوس المنارات البحرية في مدى الافق ، ولا تظهر الاجزاء السفلى الا اذا قربنا من هذه الاشياء تبعاً لانحناء سطح الارض وتقرده . كذلك تظهر صورة



(شكل يبين كروية الارض)

النور الذي ينبعث من المنارة يمثل أفق الراى ، والسفينة في (أ) تكون محجوبة تماماً عن نظره لانها لم تكن قد وقعت تحت النظر تبعاً للانحناء . فاذا وصلت الى (ب) ظهرت تماماً ثم تختفى اذا بلغت (ج) تبعاً للانحناء أيضاً .

الارض على سطح القمر عند حدوث الخسوف اذ تلقى عليه بظلمها ، كرة تامة . فاهيك بالسياحة حول الارض والخروج من نقطة منها ثم العودة اليها سيراً في خط يتجه في ناحية واحدة دائماً . وماذا نذهب بعيداً فالشمس تراها كرة والقمر كرة وكذلك بنية السيارات والنجوم ، فاماذا تشذ الارض عن القاعدة ؟

- ٩ -

استطاع كثير من الامم أن يعرفوا مقدار حجم الارض . على وجه التقريب الدقيق . اما أول من عرفنا انه قاس حجم الارض في التاريخ فكان

« إراتوستينيس » - Eratosthenes - الاسكندري في القرن الثالث قبل الميلاد، فقال بان محيط كرة الأرض يبلغ ٢٨'٨٣٣ ميلا . وقاسها العرب في زمن المأمون بن هرون الرشيد إذ أمر فخرج جماعة من العلماء الى بركة سنجار وعلى رأسهم سناد بن علي وقاسوا درجة الهاجرة فكان محيط الأرض على مقاسهم ٢٥'٦٠٠ ميل تقريبا . ويكفي لتعرف محيط الأرض أن تقيس مسافة الى الشمال وأخرى الى الجنوب اذا استطعنا أن نحدد مقدار ما تقيسه بالنسبة إلى المجموع . فاذا عرقتا مثلا ان المسافة التي قسناها تبلغ $\frac{1}{1}$ من مقدار محيط الأرض وكانت هذه المسافة ٢٥٠ ميلا مثلا، فيكون محيط الأرض ٢٥٠٠٠ . ولقد كشف أحد الرياضيين الفرنسيين ، مسيو « فرنل » - Fernel - طريقة جديدة لمقاس محيط الأرض بان ذهب من باريس الى مدينة أميزر وهي المسافة التي اختارها للقياس ، وعد عدد دورات عجلة العربة التي دارتها علي طول السياحة ، وقاس بعد ذلك اتساع محيط العجلة فكانت النتيجة أن محيط الأرض يبلغ ٢٤'٨٨١ ميلا ، فكان الرقم صحيحا تبعا لصحة القاعدة التي اتخذها وسيلة للقياس .

أما العلم الحديث فله وسائل غير هذه أشد ضبطا وأكثر دقة . فان العلماء اليوم يتبعون قواعد حساب المثلثات - Trigonometrics - وكان أول من اتبع هذه القواعد العالم الفرنسي « بيكار » - Picard - الذي قاس محيط الأرض سنة ١٦٦٩ فكان عنده ٢٤'٨٧٨ ميلا . وفي سنة ١٧٣٥ أرسلت الحكومة الفرنسية بعثة لتقيس محيط الأرض الى بلاد لابلاند وبيرو ثم شفعتها ببعثتين أخريين سنة ١٧٩٢ وسنة ١٨٠٨ أما البعثة الانجليزية فظلت عاكفة على عملها هذا خمس سنوات ولم تنمه الا سنة ١٨٥٤ . وفي ذلك الوقت عينه كانت بعثة أخرى تزاوّل هذا العمل في جزائر الهند الشرقية ، بينما كان الفلكي « ستروف » - Strove - عاكفا علي هذا العمل في بلاد روسيا واسوج وزوج من سنة ١٨١٦ الى سنة ١٨٥٠ ، أما الأرض التي قاسها البعث الاخير . فقد كانت شاسعة مترامية الاطراف تبلغ $\frac{1}{4}$ من مجموع محيط الكرة

الأرضية ، من هامرست في شمال بلاد نرويج ، الى البحر الاسود . اما
البحاث « بيسيل » Bessel . فقد كان ميدانها في شرق بلاد روسيا من
سنة ١٨٣١ الى ١٨٣٤ وبجهدده تمت مساحة الأرض ، وقد انترنت بنتائج
البحاث « جمعية المساحة الدولية » International Geodetic Association



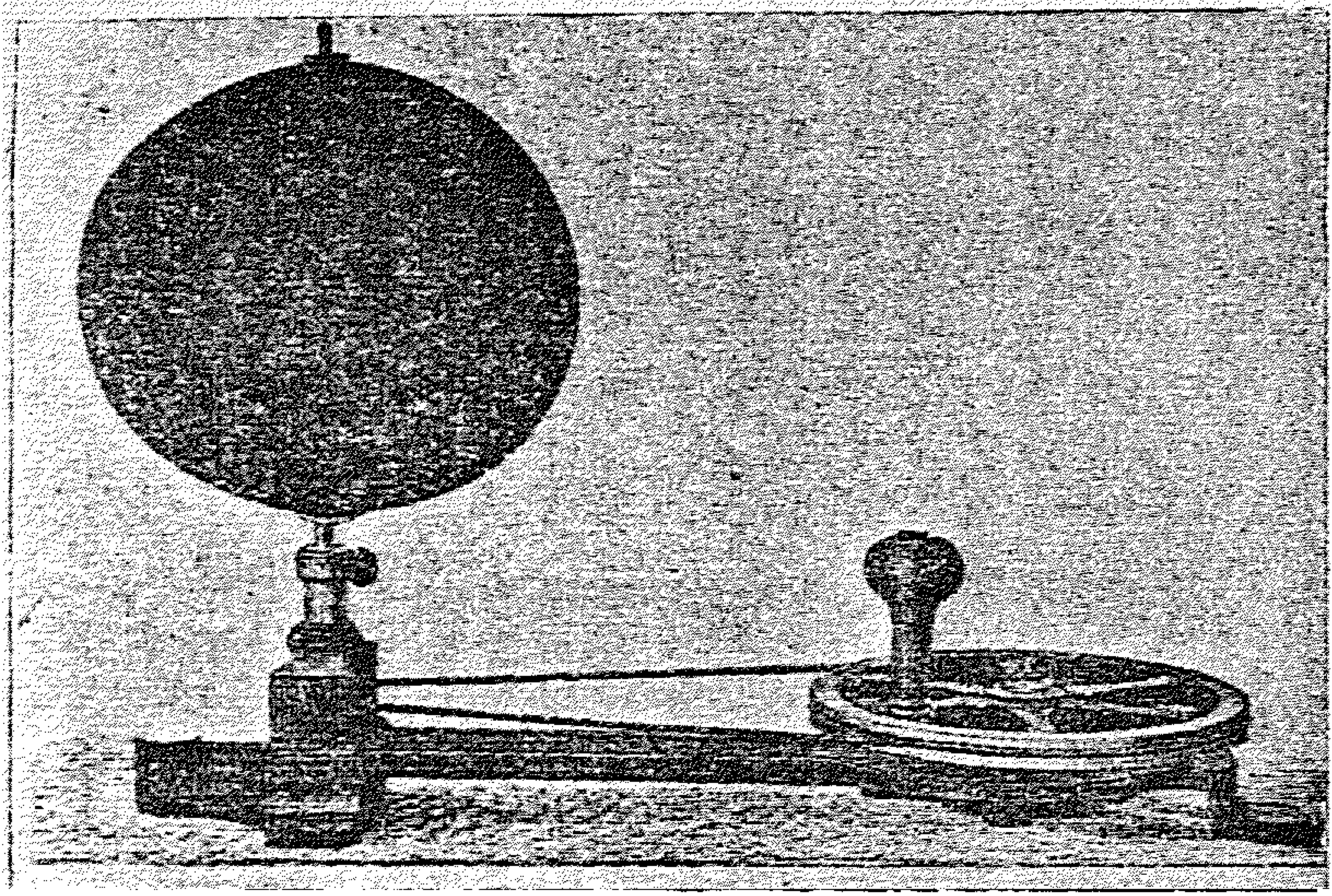
وكانت نتيجة
أعماله التي
أسسها على عشر
مساحات مختلفة
أن قطر الأرض
يبلغ ٧٩٢٦٠٦
ميلا عند خط
الاستواء وان
محيطها يبلغ
٢٤٦٩٠٣ ميلا .

فردريك وليم بيسيل

— ١٠ —

وقد دلت هذه الابحاث على ان الأرض ليست كرة تامة الصورة
لأن المقاسات الميلية المختلفة قد أظهرت أن الأرض تنقص مقدار درجة في
جزء من محيطها باعتبار مقاسات خطوط الطول . واتضح بهذا ان الأرض
أقل انحناء في الاقطار الشمالية منها عند خط الاستواء . وبذلك تكون
مسطحة قليلا عند القطبين . ووجد أن محيطها من القطب الى القطب يبلغ
٧٨٩٩٦٦ أميال اي اقل من محيطها الاستوائى بما يوازي ٢٧ ميلا .

إذا أخذت كرة من الصلصال وادرتها حول محورها دورات سريعة متوالية، فإنها تأخذ شكل الأرض سريعاً إذ تنبسط لدي القطبين وتنبعج لدى خط الاستواء، أي من الوسط، وبذلك يرجع شكلها الكروي التام إلى شكل شبيه بالكرة ولكنها ليست كرة كاملة.



(كرة من الصلصال تدور حول محورها وفيها التسطح والانبعاج)

إن المادة تحاول دائماً أن تبتعد عن مركز الدورة. ولهذا أخذت الأرض شكلها المنبعج من الوسط عندما كانت مادتها في حالة من الدوبان تسبح لها بذلك. إذن فالأرض ليست كرة تامة الشكل، بل هي شبيهة بالكرة. أي بيضية مستديرة.

على أن كثيراً من السيارات ترى على مثل هذه الصورة. ويمكن أن نلاحظ هذه الظاهرة بينة في المشتري. أما نظرياً فنقول بأنها ظاهرة تلازم كل الكرات التي تدور من حول محورها. أما الانبعاج الأرضي بالنسبة لحجمها فقليل. على أننا ندعو الأرض كرة لأن تسطح قطبيها وانبعاج وسطها بالنسبة لحجمها لا يكاد يذكر.

لم يقنع العلماء بمقاس حجم الارض بل عرفوا مقدار ثقلها . وعلي الرغم مما في هذا القول من الغرابة فان ثقل الارض قد عرف كما لو كنت قد وضعتها على ميزان ووازنها بما يوازها ثقلاً .

وكيف يمكن أن نعرف مقدار ثقل شيء من غير أن نزنه؟ فلي ان هذا يكون أمراً سهلاً اذا عرفنا مقدار الحجم أولاً أو كما يقولون السعة التكميلية وعرفنا مقدار الثقل النوعى - Density - ثانياً .

لنفرض ان لدينا كتلة كبيرة من الجرانيت نريد أن نعرف مقدار وزنها . فاذا كانت عشرة أقدام طولاً وعرضاً وارتفاعاً اي ١٠ في ١٠ في ١٠ فان سعتها التكميلية تبلغ ١٠٠٠ قدم مكعب . فاذا عرفنا ان كل قدم مكعب من الجرانيت يزن ١٦٢ ليبرة ، على حسب وحدة المقاييس المتداولة - Avoir - dupois عرفنا أن وزنها يبلغ ١٦٢٠٠٠ ليبرة أو ٧٢ طناً ونصف .

من غير أن نلمس هذه الكتلة الجرانيتية استطعنا أن نعرف مقدار وزنها . اذن نعود الى الارض . عرفنا ان محيط الارض الاستوائى يبلغ ٧٩٢٦٠٦ ميلاً وان محيطها ٢٤٦٩٠٣ ميلاً وان مقدار سعتها بالرقم التقريبي ٢٥٩٦٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ ميلاً مكعباً . فاذا كانت الارض مكونة من حديد صرف أو من حجارة غرانيتية ، كان من مستطاعنا أن نعرف مقدار وزنها بسهولة تامة . غير ان الارض لا تتكون من مادة واحدة متجانسة ، بل من مواد كثيرة ، من معادن واحجار ، وجزء كبير من الماء . ومعرفتنا بالمواد التى يتضمنها جوف الارض اقل من معرفتنا بالمواد التى هى في ظاهر سطحها . أما اكثر المناجم غوراً في سطح الارض فليست الا بمثابة خدوش بسيطة في قشرتها . فكيف يمكننا ان نعرف مقدار وزن الارض من هذه المواد المختلفة التى لا يمكننا أن نعرف مقدار كل منها ؟ اذن يجب علينا ان نعود الى طريقة أخرى .

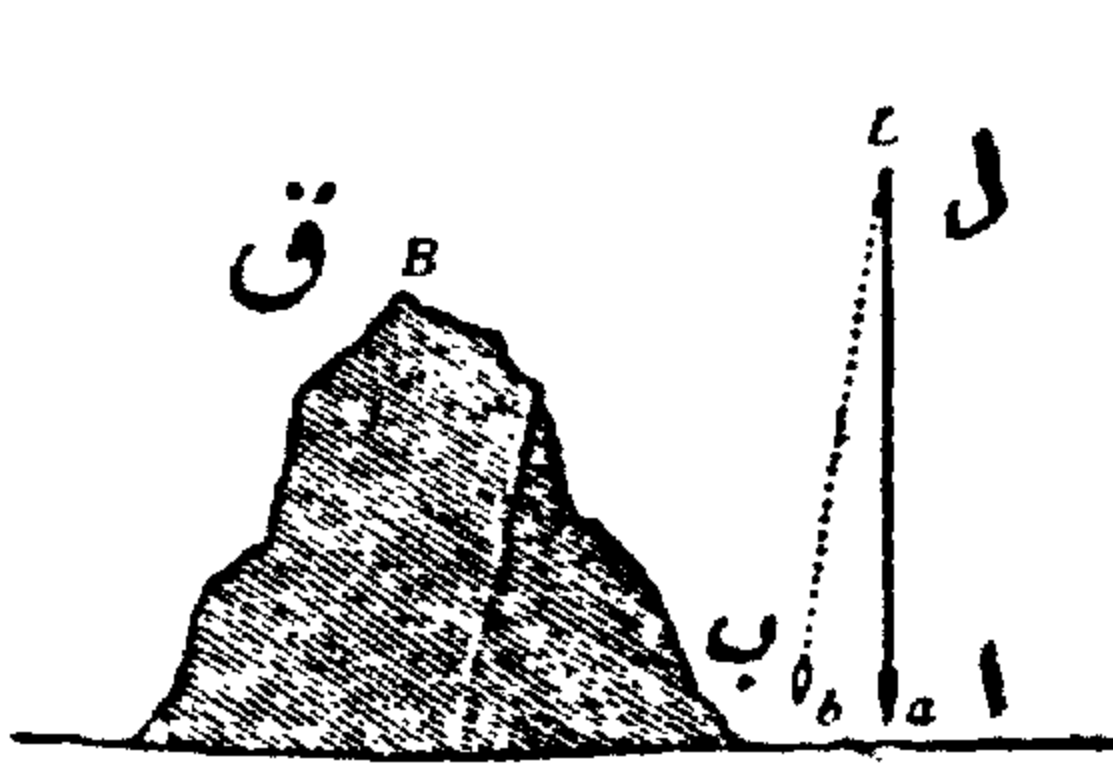
نعرف ان كل المواد يجب ان تعود هابطة الى الارض تبعاً لقوة الجاذبية التي ترساها على المواد المحيطة بها والتي فوق سطحها . وهذه القوة الجاذبة ليست من خصائص الارض وحدها . بل تختص بها الشمس والقمر والسيارات وكل الاجرام السماوية . والحقيقة ان كل الاشياء المادية فيها جزء من قوة الجذب مناسب لمقدار حجمها ، سواء اكان ذلك الشيء جبلاً او تلاً او بيتاً او قطعة من الحجر او قلماً نخط به على الورق . وكلما كان الجرم اكبر حجماً او اكثر ثقلاً كانت جاذبيته اكبر على الكائنات المحيطة به . فاذا قذفت بحجر من سطح بيت وهوى الى الارض ، فالواقع ان البناء يجذبه اليه ، ولكن لما كانت جاذبية الارض اكبر ، استقوت على جاذبية البيت وجذبت الحجر اليها دونه . فاذا تخيلنا البيت طائراً في الفضاء بعيداً عن الارض بمسافة كافية فان الحجر اذا قذف يقع على البيت ولا يخرج عن طوق جاذبيته . ولكن يكون هبوطه ببطء كبير . مقيماً بمقدار جاذبية البيت بالنسبة الى جاذبية الارض . وعلى هذا يترتب انى اذا اثرت على جسم يحتوى على مقدار من قوة الجذب اقل الف ضعف من جاذبية الارض فأنى احكم بانه جرم لا بد من أن يكون اقل من جرم الارض ، بعد ان اعتبر مقدار المسافة التي تفصل بينهما . اما الكرات فتجذب الاجرام كما لو كانت كميتها قد تراكزت في مراكزها ، في حين ان جاذبيتها تقل بنسبة مربع البعد عن الجرم المجذوب .

اذا عرفنا هذا استطعنا ان نعرف من طريقه كيف يمكن ان وزن الارض وتقف على مقدار كتلتها . فالاستطعنا ان نعرف مقدار قوة الجذب التي تكون في كتلة كبيرة وهي تجذب جرمها صغيراً ، وكما تكون مقدار جاذبية الارض عليها فانا نعرف بذلك مقدار ثقل الارض . فاذا فرضنا ان ثقل الكتلة الصخرية يبلغ ٥٠ طناً . واذا كان جذبها للجرم الصغير يعادل ١٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠ ضعف اقل من جذب الارض له . اذن يترتب على هذا أن تحوى الارض من الجاذبية مقدار ١٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠ ضعف من الجاذبية

أزيد ما تحوى الكتلة الصخرية ، مضروباً في مربع البعد بين مركز الأرض ومركز الكتلة نفسها .

على أنه من الصعب أن تقارن بين جاذبية أى جرم أرضى وبين جاذبية الأرض نفسها ، لأن أكبر جبالها العظيمة لا يظهر إلا كحبة من الرمل الكبيرة فى الصحراء بالنسبة إلى حجمها العظيم . غير أن هذه المقاسات قد كررت مرات عديدة واستعملت فى سبيلها أدق الآلات .

فى سنة ١٧٧٥ استخدم العالمان البريطانىان « هاتون » و « ماسكلين » قوة الجذب التى يرساها جبل « شيهاليون » فى ايقوسيا لقياس مقدار ثقل الأرض بقياس قوة جذبه لقطعة الرصاص التى تكون فى طرف « الشاغول » وهو حبل فى طرفه قطعة من الرصاص يزن به البناءون استقامة الحوائط . فإذا هبط « الشاغول » فى الحالات العادية من ارتفاع ما فإنه يهبط فى خط مستقيم تماماً مشيراً بطرئه الرصاصى المديب الى مركز الأرض . أما الطريقة التى استخدمها هاتون وزميله فقد اثبتت أن الجبل قد جذب طرف « الشاغول » الى ناحيته قليلاً بحيث لم يجمل حبله فى خط رأسى تماماً . وفى الشكل المقابل



جذب الجبل لـ الشاغول .

لهذا الكلام تجد أن (ب) تمثل قمة الجبل و (ل) حبل « الشاغول » . فإذا كان الجبل ليس له جاذبية بقى الحبل مدلى فى خط رأسى فى اتجاه (ل أ) . أما إذا وقع تحت تأثير جذب الجبل فإنه يميل الى خط (ل ب)

وقيس مقدار الفرق أى المسافة التى تفصل بين (أ) وبين (ب) وقيس مقدار حجم الجبل وكان من الممكن قياسها - فكانت نتيجة هذا البحث أن عرف ثقل الأرض النوعى بأنه يبلغ ٧ رء ومعنى هذا أن الأرض يجب أن تكون ٧ رء مرات أثقل من كرة فى حجمها من الماء .

غير أن الابحاث التى أجراها هذان العالمان لم تكن من الضبط بمقدار ما تتطلب الابحاث العلمية الحديثة . لهذا استخدمت فى العصر الحديث وسائل

ليتمكنهم أن يدركوا كرة تسبح في الفضاء من غير محور حديدي على الأقل .

— ١٥ —

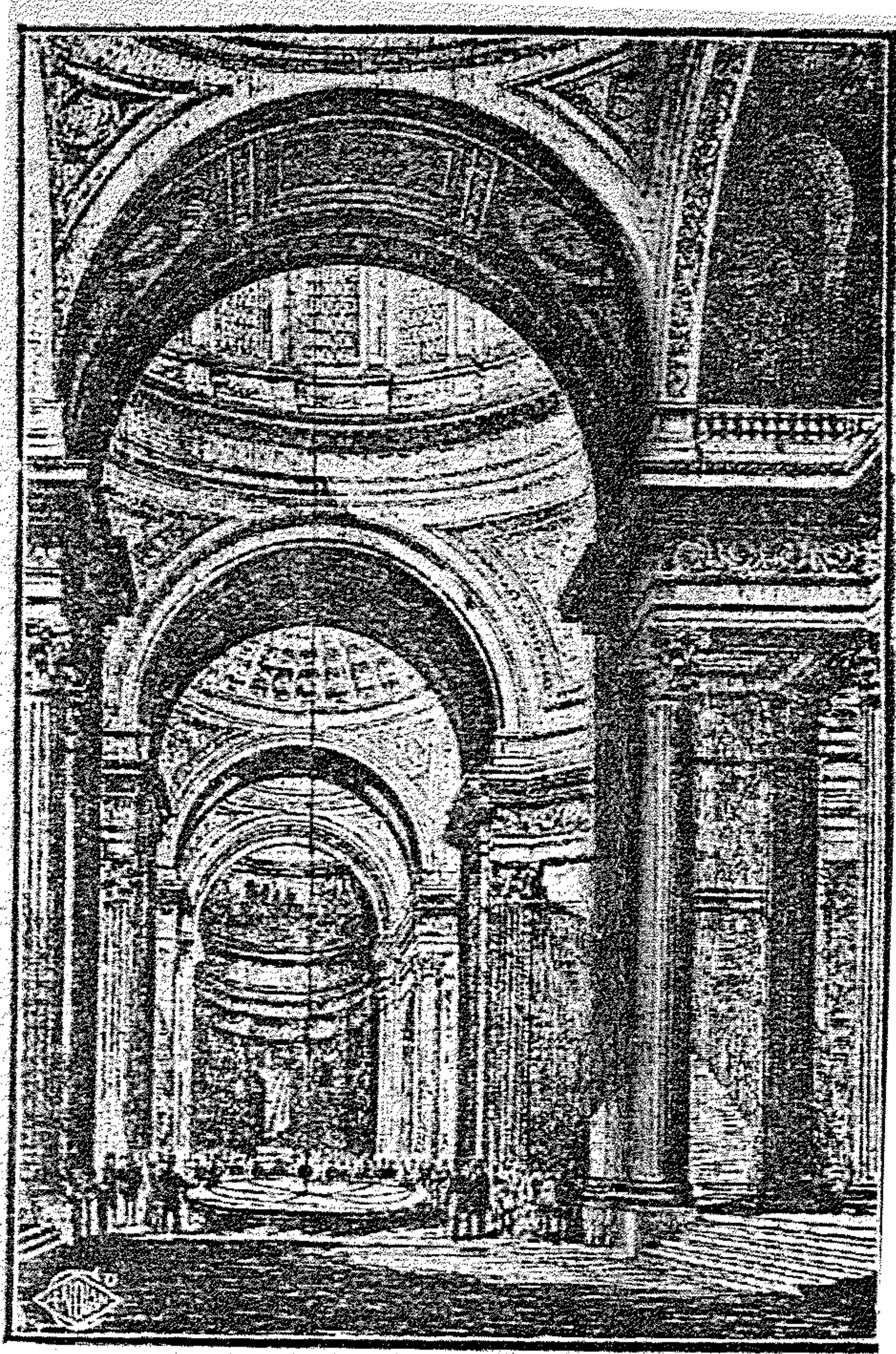
وكذلك نجد الحال في دورة الأرض حول محورها . فان كثيرين لا يستطيعون أن يتصوروا أنها تدور . غير ان لدينا كثيراً من البراهين العملية التي تثبت دورتها هذه . بل نستطيع بتجربة « فوكول » أن نراها تدور رأى العين .

« ليون فوكول » عالم فرنسى أثبت بواسطة الرقاص دورة الأرض . والرقاص عبارة عن قطعة ثقيلة من المادة معلقة في خيط طويل . فاذا علقت رقاصاً وجعلته يأخذ حركة من الشمال الى الجنوب فانه يستمر متخذاً هذا الاتجاه في حركته على الدوام أي من الشمال الى الجنوب . ولكن لما كانت الأرض تدور حول محورها ، ظهرت الأرض التي تكون تحت حركة الرقاص كأنها تمر من تحته ، ويلوح كأنه يغير اتجاهه ويختلف عنه رويداً رويداً . وكلما ابتعدنا عن القطب قلت حركة تغير اتجاه الرقاص شيئاً فشيئاً حتى اذا بلغنا خط الاستواء فنيت هذه الحركة كلية .

في سنة ١٨٥١ جرب « فوكول » تجربته هذه بان علق رقاصاً في قبة « البانتيون » بباريس . وقد صنعه من حبل طويل من المعدن وعلق في طرفه كرة من الحديد ثقلها ٥٥٥ ليبرة . ووضع تحت الرقاص « مزولة » مقسمة حتى يستبين الراؤون حركة الرقاص جلية واضحة . على أن رقاصاً كبيراً كهذا يحتاج الى ثمانى ثوان ليم اهتزازة من اهتزازاته .

واجتمع من حول هذا الرقاص عدد من العلماء وغيرهم من محبي الاطلاع . وأخذ الرقاص حركته ، فلم تنض بضع ثوان حتى أخذ الرقاص يميل في حركته نحو الغرب بعيداً عن الاتجاه الذي حرك فيه أولاً ، مثبتاً ان الارض تدور من حول محورها من الغرب الى الشرق . وكان « فوكول » قد عين على المزولة النقطة التي سوف يبلغ اليها الرقاص في حركته بعدمضى زمن ما على مقتضى نظرية دوران الارض من الغرب الى

الشرق ، بل عين الزمن التي سيبلى فيها الرقاص هذه النقطة ، فلم يخطئ



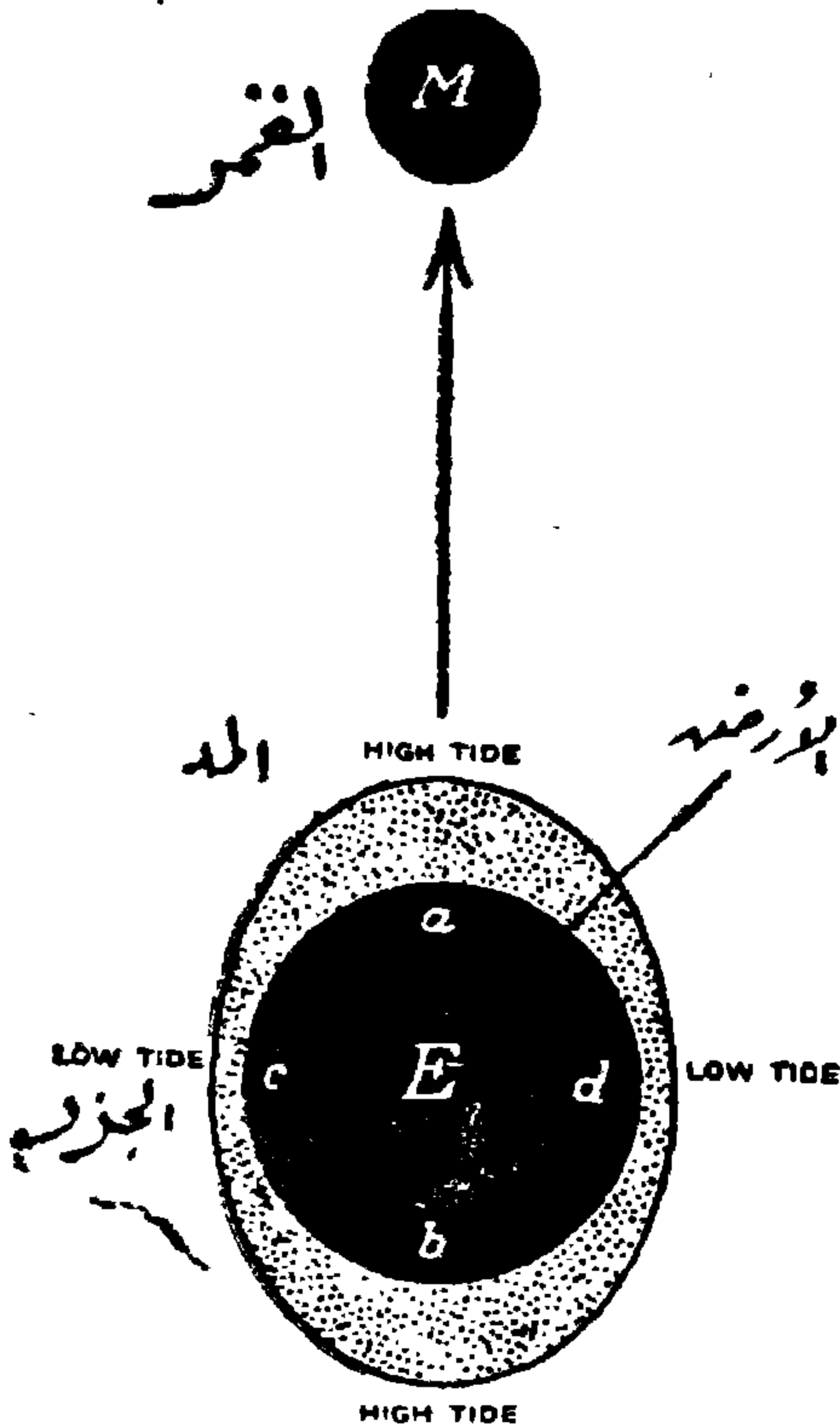
رقاص فوكيل وتجربته في قبة البانتيون بباريس

نظره قيد أعلة ، لا من ناحية تعيين النقطة ولا من ناحية تعيين الوقت . ولقد تكررت هذه التجربة مرات عديدة ، حتى لم يبق للذين يشكون في حركة الأرض حول محورها أقل شك يمكن أن يبدوه في حقيقة حركتها هذه.

— ١٦ —

لو أردنا أن نمضي في بحث كامل للسيار الأرضي إذن وجب علينا أن نبين عن الاوقات وعند ملء المحور على الفلك وغير ذلك من الاشياء العميقة التي لا تعنى القارئ . لهذا تختم البحث بكلام في المد والجزر لان لهذه الظاهرة أثر كبير في الحياة اليومية

يلاحظ الملاحون والذين يعيشون على الشواطئ البحرية أن ماء البحر ترتفع وينخفض عن مستواه كل يوم . وكثيراً ما تسترعي هذه الظاهرة انتباه



الذين يعيشون الشواطئ البحرية .
أما السبب في هذا فهو فعل الشمس والقمر ، والقمر ، والقمر على الأرض ، في المياه التي على سطح الأرض لنفرض أن الأرض هي الدائرة السوداء التي في وسط الشكل والقمر هو الدائرة السوداء التي في أعلاه . ومن أجل أن تقرب المسألة للاذهان نفرض أن كرة الأرض محاطة من جميع أطرافها بالماء . والقمر بطبيعة أنه جرم له قوة جاذبة يرسلها إلى الأرض يجذب إليه جرمها فلا يطاوعه في جذبه هذا إلا الماء لسيولته دون موادها الجامدة .

كيف يحدث المد والمجزر

ولما كان مركز الأرض اذ تكون على الوضع الذي تراه في الشكل أقرب إلى القمر في الشمال من ناحيتها التي تكون في الجنوب ، فإن الجذب عليه من القمر يكون أشد ، وبذلك ترتفع المياه من الناحية المقابلة أيضاً . كما هي الحال في وسادة هشة من الريش تضغطها من الوسط . وبذلك يحدث المد في الناحية المقابلة للقمر وفي الناحية التي تقابلها في نصف الكرة الأخرى . وبذلك تنحسر المياه قليلاً من الوسط ويكون الجزر . هذه هي الكرة السماوية التي نعيش فوقها وهذا وصف تقريبي لها . وهذا بعض ما عرف من أمرها . أما ما عرف من خصائصها فكثير . وأما ما لم

يعرف بعد - فذلك ما نعتقد ان الكشف عنه يحتاج الى الآف من السنين يكبد
فيها العقل البشري وينصب ليضل الى الحقائق الغامضة في طبيعة
الوجود .



القمر في تمامه

رباعيات الخيام

مترجمة بقلم فيلسوف العراق

السيد جميل صدقي الزدجاني

— ٢ —

في الكوز

— ٤٦ —

قم وسارع الى الطلا واسقنيها ان صبري عن الطلا من مجوزا
هات لي كوزة لاشرب منها قبلما يصنعون مني كوزاً

— ٤٧ —

لم تكن في قديمها هذه الكوزة غير المقيم المعمود
كانت العروة التي هي فيها يد صب في جيد حسناء رود

— ٤٨ —

هوجام قد اكبر العقل مافيه من الحسن مطرباً والتمام
ثم ان المقيم للجوام صنعاً يضرب الارض كاسراً بالجوام

— ٤٩ —

ابصرت فوق الارض بالامر عيني كوزة قد تقادمت في الزمان
كأن لي حالها يقول لهيفاً اين من باعني ومن قد شراني

في التمر

— ٥٠ —

ياسماء العمداء فيك قديم كم علينا تدور منك الدوائر
أيها الأرض كم بصدرك اما فتحوه قد اختفت في جواهر

— ٥١ —

يوم أبدي فينا الحياة الباري لم يكن عنه فعلنا في توارى
شاء انا نجىء ذنباً فجئنا فلماذا يلتقي بنا في النار

- ٥٢ -

قلت هذه السماء كثيرا وانت من بعد التبيح بأقبح
لا يفرنك الشباب نكم من برعم رث قبل أن يفتح

- ٥٣ -

ان يكن رب الامر جاء مليحاً فلهذا يبيد تلك الملاحه
واذا كان ما أتاه قبيحاً فعلى من شنار تلك القباحه

- ٥٤ -

باضطرار جئنا وبالرغم منا قد ذهبنا والموت شرسبيل
ليت شعري ماذا هو القصد من إتياننا واتدهاب بعد قليل

- ٥٥ -

أخذتنا المنون أخذاً وبيلاً أي انسان لا يذوق المنونا
لم يجئنا من تلكم الدار من نسأله عن مغبة الراحلين

- ٥٦ -

قد ذهبنا وفي الحشاشه منا حشرات خبيثه الآمال
وألوف من المعاني دقاق لم تقل بعد خيفه الجهال

- ٥٧ -

لا حياتي فيها غناء ولا مو تي واني لذهبا في ارتياب
لم يقل لي امرؤ لماذا مجيئ ولماذا بعد المجيء ذهابي

- ٥٨ -

كان جهلا ما خطه أقلامى فانا لائق بكل سلام
ليت لي زناراً . أتدرى لماذا ؟ لحياء في النفس من اسلامى

- ٥٩ -

كثرت في صحوي وسكرى الظنون ودموني بالكفر والكفر دين
لا ابالى بظنهم بي فاني ملك نفسي كما أشاء أكون

— ٦٠ —

انا لو كنت كدلاله قديراً لهدمت السماء ركناً فركناً
ولأنشأت من جديد سماء هي تعطى الإنسان ما يمتنى

— ٦١ —

انما الدنيا دارهم وبؤس ليس فيها غير التعاسة يوجد
سعد المرء قد ترحل عنها واستراح الذي بها ماتولد

— ٦٢ —

أيها الورد أنت تشبه حسناً ويا خمر أنت كالياقوت
أيها الحظ أنت تعدو وتبدى خلة كالمنافق المذقون

— ٦٣ —

أيها الدهر عشت فيك كثيراً منع الظلم منك لى أن أطيباً
أن تكن لا تميل الا الى الحمى حتى فنى كذاك لست لبيباً

— ٦٤ —

زعم القوم اننى فلسفى طال فى استقراء الطبيعة درسى
أأسى كما ادعوا فلسفياً ان تنكرت فى حقيقة تقسى

— ٦٥ —

لى وجه يبدو جميلاً كورد وقوام يبدى اعتدالاً كغصن
لست أدري وكيف ادري لماذا هكذا قد زان المصور حسنى

— ٦٦ —

ليتنا فى مكاننا نستقر ليتنا فى المسير لا نستمر
ليتنا كالأعشاب ننبث أخرى بعد ألف من السنين تمر

— ٦٧ —

لم تضعنا الافلاك فى الارض الا نهتينا بقسوة كالهبزاة
نودرى من يأت بعد وكيداً ماتقاسى فى هذه لاياتى

— ٦٨ —

قال لي الورد كنت شيئاً جميلاً فاقنوا مأني وهو ليس جماءاً
انني قد بسمت في الارض يوماً ثم اني بكيت في الدار عاماً

— ٦٩ —

لهف تقسى على شباب نولي وربيع من السرور تداري
انما الطائر المعنى شاباً بعد مأقام يهتف طاراً

— ٧٠ —

عبرة خذ بقصر جمشيد فهو اليوم من بعد الخمر والطاس قدر
وبهراة الصائد الوحش اذ قد صاده في نهاية الأمر قبر

— ٧١ —

ليست الدنيا غير دار شقاء وأسى كل ساعة يتجدد
فهيئنا لكل من لم يعثر فيه -ها وطوبى لكل من لم يولد

— ٧٢ —

قد اتخذنا عند انجى الانا وتبدلنا بالوافق الشتات
ليت هذى الحياة تؤذن فينا بانتهاء فقد سئنا الحيات

— ٧٣ —

نأمل الطول في الزمان حراماً أي تمنع في ان يطول الزمان
كم رؤوس وارجل لسان تملطى وما هناك دخان

— ٧٤ —

ايها الدهر قد املت بتاني فاني كم تسوم قاي عذاباً
تجمل الريح بي تمر شواظاً يتلظى وماء شربي نراباً

حول الالحاد

كتب الينا البندلى افندى البيلونى ردأ على ملاحظة ابراهيم افندى حداد وبما أن ما حواه الرد لا يخالف ماسبق وكتبه ط . ه . حنين افندى اكتفين بما كتبه الاخير وكلام بيلونى افندى يدور حول

(١) ان الالحاد هو أقرب الى المعرفة منه الى الاعتقاد فالالحاد استنكار قائم على تسفيه رأى لا مبرر منطقي أو مجريبي على التسليم به فهو يستعين من هذه الجهة بما توصلت اليه مختلف العلوم من الحقائق لنفى ما يقول به الناس تخطيطاً

(٢) ليس هنالك صلة بين الاعتقاد والالحاد لان الاول مشيد والثانى هادم لما يظن انه مشاد على خطأ وليس من عمله الاشادة بل الاختيار والنبد فهو اذن غير منسق

(٣) ان رغبة الكاتب في ابداء أفكاره تسببت عن التحذر مستوى المتدينين العقلي وتشابههم بأوهام وخرافات هى الدافعة لهم على الاستسلام التام على عدم النشاط الامر ان اللذان يتبعان دائماً وأد حرية الفكر باجبار المتقدمين على التسليم لصحة سلسلة من المعتقدات أغابها ان لم يكن كلها غير معقولة وأتتنا أيضاً كلمة أخرى من ط . ه . افندى حنين بالخرطوم ردأ على ما كتبه الينا حداد افندى ونحن ننشره على علاته بامل اطلاع حداد افندى عليه : —

ان رد حداد افندى المنشور فى عدد سبتمبر فيه دوران اكثر مما يجب. فمن ذا الذى يزعم ان المعرفة والبحث أمران غير مختلفين حتى يحاول حضرته أن يشرح هذه البديهية « للمبتدئين بالبحث » وأما ما نقله عن لويون فهو ليس كما يظن حضرته كافياً « لتبيين نسبة الاختلاف لأولئك المبتدئين بين المعرفة والمعتقد » - حتى لو كان هذا التبيين داخل فى الموضوع - لان « قال فلان كذا » ليس كافياً لاثبات صحة هذا الكذا

يقول حضرته ان المعتقد وليد العاطفة، فهلا يكون أيضاً وليد التخيل؟ وهل التخيل أصبح في هذا الزمن إحدى العواطف؟ ويقول حضرته « لو شئنا أن نصيرهم ذوي اعتقاد لما اقتضى علينا سوى التأثير على عاطفتهم بال تلقين والتكرار » فهل هذين هما الطريقتين الوحيدتين أم هناك الارهاب وتوجيه الفكر الى ممر مخصوص واقصد من النقطة الاخيرة تعليم الانسان تعالماً دينياً والدين هو اعتقاد . فهلا يستنتج بعض الناس أن الشمس هي التي تدور حول الارض لا لشيء الا لأن هذا هو الذي يبرهن المعلم لتلاميذه على صحته دون غيره من النظريات! ودلا يصدق بعض الناس أن التوراة هبطت من السماء وذلك نتيجة لدرس عدة سنين؟ ودلا يقول البعض بأن المسيح ولد من غير أب مع ان المشاهد ينفي ذلك تماماً؟ يقول حضرته ان المعرفة وليدة الفكر الحاضر فهل يسلم حضرته بهذا القول فينفي بذلك تجارب الغابرين واستنتاجاتهم التي لا زلنا نبني عليها علومنا ويقول ان العاطفة قادت الانسان ملايين السنين في ظلمة الطبيعة ووحشتها فهل يريدنا أن نقهر من قوله هذا ان العاطفة لا تقود الناس في الوقت الحاضر أيضاً؟

يقول انه لو قال ان الالحاد يرجع الى المعرفة لكذبته وقائع الحال لانه رأى والآراء تنضم تحت لواء العاطفة تلك المعروفة في هدفها ومرامها فما الذي يقصده حضرته بهذا القول؟ أليس القول بأن الشمس تدور حول الارض رأى من الآراء له براهينه (بصرف النظر عن أننا لا نسلم بوجهتها) كما وان القول بدوران الارض حول الشمس هو رأى أيضاً له براهينه (التي نسلم بصحتها)

ويدخل حضرته بعد ذلك في الجدل فاسمعه يقول « انت ماحد - ولا (تعتقد) بصوابية هذه الاديان - حسن - ولكنك (تعتقد) ان هذه الاديان غير صحيحة و (اعتقادك) هذا لم ينش السنن والنواميس التي لهذه الاديان » وأظن أنه من السهل على القارئ ملاحظة التخبيط القبيح في استعمال حداد افندي لاصطلاح (اعتقاد) وحتى لا أرجع الى تشبيهي الغليظ عن القول سأتكلم في موضوع آخر فمثلاً احياء المسيح للموتى هذا ادعاء اطالبك

ببرهانه فتفتح فكيف مندهشا ونقول: وهل يعجز المسيح عن فعل ذلك؟ ولما أسألك عن السبب في ظنك بأن في امكانه فعل ذلك تدعى دعوة أخرى قائلاً لانه ابن الله فترسم الحيره على وجهي. وأسألك كيف تثبت ذلك فتصبح وتولول ثم تقول اعلم سيدى ان هذا موجود في الانجيل المقدس فاذا قات لك كيف تدعى انه مقدس فتقول لانه يحوي اقوال المسيح وهو لا يكذب فحضرتك تناقشنى في دائره مفرغه وهذا اعتقادك لانه ناتج عن تعلمك هذا القول ثم قبول عقلك لهضمه وكيف لا يفكر عقلك بهذه الطريقه وقد وجه هذا الاتجاه دون غيره وكذلك طريقه تصورك تسمح لك بهذا الاعتقاد. وأما انا الذى سمعت هذا الادعاءات أقول انه لم يثبت تجريبيا احياء الموتى فالانسان اما حي أو غير حي فكيف يمكن تفخ الحياة في ماهو غير حي؟ حقيقة تجرى الآن تجارب لايقاف الاضمحلال مؤقتا وربما يمكن ان يحى الناس الصخور في المستقبل، ولكن هذا ما لم نصل اليه في الوقت الحاضر واذا اردت ان اسلم معك جدلاً بأن هذا قد كان ممكناً في الماضى فلا يمكننى ان أفعل لانه لم يقدم اثبات على صحته. فاقول بأن هذا ذكر في كتاب كذا وكذا ليس فيه حتى ولا رائحة الاثبات وكذلك أقول عن فكرة نشوء جنين من دون لقاح، ما قد قلته سابقاً، لان الاختبار يثبت عكس ذلك وكذلك المنطق لا يستسيغه فهل مجرد تنفيذى لما تدعيه يدل على اننى اعتقد عكس ما تعتقده أنت؟ انا انى ما تدعيه على أساسين التجربة والاستنتاج معا

أما قوله بأن الناس لو الحدوا (وبالطبع يقصد ما يفهمه هو من أن الاتحاد اعتقاد) لما تغير مظهرهم الاجتماعى وحضرته لم يبين لنا ما يقصد من « مظهرهم الاجتماعى » فهل يقصد ثيابهم؟ بالطبع لو نبذ الناس الخرافات لما ملأوا الدنيا صياحاً معترضين على ابدال الطرايش بالقبعات ولو كان يقصد عقليتهم لحدث ان كل مؤمن يفترض امكان وجود خطأ فيما يراه كما يفعل العلماء الغربيون وبذلك يخرج من الايمان ويصبح شاكا. ولو كان يقصد مستواهم الاجتماعى فموضوع تحرير المرأة وموضوع الربا من أحسن الامثال على فساد قوله .

وما المقصود من قوله بعد ذلك « ولا (تغير) مقامهم في الطبيعة »
 فحمل يريد أنهم يكونون غير آدميين أم انه كلام وكلام فقط
 ان عمق وعمق وعمق هذه المسألة التي « وقف امامها اعظم رجال العلم
 والفلسفة وقفة المتردد » ينحصر في ميل هؤلاء (الاعظم) الى الفضول فهم
 اولاً لم يتفقوا بعد على تفسير معنى الدين ولا معنى الله ولا معنى أى من هذه
 الاصطلاحات ، فمنهم من يقول ان الدين العبادة أى الشعور بالضعف ومنهم
 من يقول الدين المعاملة أى الاخلاق ومنهم من يقول ان الله هو الخالق
 الذى اوجد الاشياء من لا شيء وبعضهم يقول انه المسبب الاعظم (؟)
 وبعضهم يقول خلق الانسان الله على صورته بعكس القائلين بان الله هو الذى
 خلق الانسان على صورته ، فكل هذه التخبطات ليست من العلم فى شيء
 وليست من الفلسفة النظامية فى شيء ، بل هى تقع تحت ما يسمونه بحث
 ما وراء الطبيعة . والفيلسوف أو العالم ليس « مجرد نظريات » بل هو انسان له
 تصورات وله عواطف وبه ميل الى الفضول وربما ايضا يخاف العالم من أن
 يصير جسده قطعة « بفتيك » يوم القيامة ومن الغريب ان الخوف يمنعه من بحث
 كيف يكون شغل « الموقد » وكيف تكون هيئة « الاسياخ » التى تستعمل
 فى شواء الاجسام . اليس هذا عجيبيآ ؟
 ورجع حداد افندي الى الضرب على وتيرة ان الاحاد لن يبطل الحروب .
 وانى اضيف الى مايقوله أيضا ان الاحاد لن يشفى الرمد ولن يطهى الطعام
 ولن يكتشف نجوما جديدة ولن يلعب كرة القدم لانه لا يقدر على ذلك ولم
 يدع انه يقدر . فهل هذا البيان كاف ؟

الانتخاب البشرى

تشاد القوانين عادة على أسس فلسفية بصورة تنجح معها نحو التعميم. في حين أن أيا كان يلاحظ بملء السهولة تنوع أمزجة الافراد وتنافرها. وقد حدثت هذه الحقيقة ببعض الناس الى الانتقاص من عدالة القانون اعتماداً على عدم امكان تطبيقه على الناس المختلفى المشارب دون أن ينتج عن تطبيقه ظلم ولكن يقول المشترعون أنه لا يغرب عن البال أن من صالح الجماعة أن لا يرجح الفرد على حسابها. والاعتداء على مصالح الفرد لا يتنافى مع العدل مطلقاً إذا كان في هذا الاعتداء فائدة تعود على المجموع، فمن واجب الفرد التطوع بالتنازل عن بعض حقوقه للجماعة دون أن ينتظر الاستفادة على حسابها. فاذا لم يتطوع الفرد، فللجماعة مطلق الحق في أن تمنعه قسراً، ولكن يجب أن لا يكون هذا المنع لفائدة جماعة مخصوصة.

ولكن يقول آخرون إن الجماعة ليست الا فكرة وهمية وبالضبح صالحها ليس الا ماتخيله فكيف يمكن أن يكون للشئ الوهيد صالح بل كيف يمكن للمجموع أن يسعد في حين أننا نحرم الفرد من حقه في السعادة؟ وكيف ندعى أن هناك عدلاً والبعض يهضم حقه باسم صالح الجماعة في حين يرفل البعض الآخر فيما له من حق؟ وهل في هذا تعميم للعدالة؟ فيجيبهم الاولون بأن الاطلاق لا وجود له، ليس في المساواة فقط، بل في كل شئ، والمقصود من هذه الاصطلاحات هو معناها النسبي ذلك لان الطواريء والظروف والامزجة تختلف في بعض الحوادث عن القاعدة فمثلا في الناس أفراد مثلهم كمثل الهوام لا يريدون الا أن يكونوا عالة على غيرهم في طعامهم وفي تفكيرهم. فكيف يتيسر ردع هؤلاء عن سلوك هذا المسلك غير السوى؟ حقيقة يجوز أن للبعض منهم رغبة في العدل ولكن تنقصهم الارادة. ولكن

ليس من المسلم به ان هؤلاء النثر لا يعملون مع غيرهم لاجل الصالح العام حتى يطالبوا بنصيب مماثل لنصيب العاملين؟

فالناس يختلفون عن بعضهم طبيعياً واكتسابياً دون أن يكون لهم حق الخيار. فتأثير الانتخاب الطبيعي كبير وللوراثة تأثير عظيم. كذلك يجب أن لا تغاضى عن تأثير البيئة اذ ماذا ينتظر من شخص شب ودرج في وسط اعتمادى صرف أن يفعل غير ما يفعله كل من يحويه وسطه؟ فقبل أن نطالب بالمساواة المطلقة يجب علينا العمل على توحيد أمة زجة الناس - هذا اذا كان في امكاننا ذلك - ولو لدرجة ما، ولا يتيسر لنا ذلك الا بمساعدة نظام الانتخاب الطبيعى واصلاح البيئة. فبالتين الوسيلتين فقط يمكننا التقرب من الكمال

ففي الاوساط المنحطة تدفع الشهوة الجنسية المخلوقات الى التكاثر دون أن ترمى الى مثل أعلى، والله ماذا تنتظر الهيئة الاجتماعية من أبناء هؤلاء الصغار اذا ما شبوا وهم يولدون من والدين اعتماديين في وسط بيئة اعتمادية، ليس لدى افرادها أية فكرة عن وجوب التفكير والاستقلال؟

بل لماذا تمنع الحيوانات غير الصالحة للعدل من التوالد مثلاً ونقصر عملية التكاثر على ما نعتقد انه للأصاح ولا ننبع هذه الطريقة مع الادميين؟ فالمثل يذبح دائماً ما هو قريب الشبه به. فلم لا تسن الحكومات مثلاً قانوناً يساعد على المزج بين الجنسين كأتم لا يصرح مثلاً باجتماع فردين من مزاج واحد كي يكتسب الطفل أحسن خصائص الفردين المختلفين؟ ففي هذا شيء من المساعدة لرفع مستوى البشر لأن ترك الحالة على ما هي عليه معناه المساعدة على إفساد الجنس البشرى

نسلم بانه في حالة ما اذا كان أحد الابوين راقياً والآخر منحطاً يكون النسل بينين، بعكس ما اذا كان كلاهما راقياً أو كلاهما منحطاً (وهو الاغلبية) فيكون الناج اما راقياً كوالديه واما منحطاً وهذا هو الحاصل في الوقت الحاضر. فطريقة المزج هي افضل من محاولة منع المنحطين عن التناسل الامر الذي لا يسلم به احد الآن. فال المطلوب هو اجراء عملية استكثار تتبع سنة التطور

كذلك من السهل علينا تغيير بيئة الأوساط المهيمنة وذلك بمجاد
مؤثرات تدفع للعديل والتفكير وقد نتجح قليلا أيضا من هذه الوجهة

وليس ما يترشح لنا بلامر الغريب فبالإضافة لاحظ أن من يطالع على صور جون
بول انكاريكييريه - وهي رمزنا كتر - أن الشخص المرسوم متوسط الطول
منفتح البطن . وهما صفتان لا نجد لهما شيئا بالرجل الانكليزي في الرقعة الحاضرة .
مع أن المسلم به - هو أن هذه الصورة لم توجد عبثا بل كانت تعبر عن حقيقة
الانكليزي في العصر الذي وضعت فيها فانار (جون بول) تدفنت من الجزائر
البريطانية واذا راموا ان يستبدلوا صورته ارسموا شخصا نحيف انضاليا يميل الى
الطول . ولم يحدث هذا التغير إلا بمسببات أهمها دخول دم جديد في سكان بريطانيا
أثر في الوراثه وكذلك كان لا حركة الدائمة والريضة دخل مذكور في هذا التحول
ويقسم العلماء المهتمون بهذا الموضوع سكان أوروبا السابقين الى فئتين
شاليون وجنوبيون فالاولون من مميزاتهم الطول وجمال المنظر واستطالة
الرأس وامتداد الأطراف فهم مرده لدرجة ما واما الآخرون فهم اقصر قامه
واقبل جمالا مع استدارة في الرأس وقصر في الأطراف ويرجعون أصل
الفئتين الى الحبش والمغول اما اذا لاحظنا مثلا الشعب السوداء فنجد فيها
عدم تناسق مع ميل للانحناء وكبر وحوههم اذا قورنت بحجم رؤوسهم
فاذا وجد من الاوروبيين من يقرب من الوصف الأخير يكون قد اختلط
دم اسلافه لدرجة ما بدم الزنوج

اما التطور فقد اوجد في أوروبا اناسا من نموذجات خاصة اليك بعضها منها
(١) النموذج العامي وهو غير حساس سريع الملاحظة يحب الاستقصاء منظم في اعماله
(٢) النموذج الفني وهو أيضا غير حساس دؤوب على العمل محدود
المطالب اميل الى الطاعة عظيم الصور

(٣) النموذج العواطفى صغير القدر سريع التأثير كثير الحساسية سريع الالتقاط
(٤) النموذج النسائي جميل المنظر مبال للمساعدة عواطفى مسالم يبحث الدقائق
ويترك العموميات ثم يهتمك في الفرعيات . شهوانى تماما او معدوم الشهوة تماما
(٥) النموذج الرجالى قوى البنية قوى الارادة يكبح عواطفه انانى مبال لسيادة انوف

عمر غنايت

عمانوئيل كانت

أعظم فلاسفة القرن الثامن عشر

قبل ان ابدأ البحث في مرمى فلسفة هذا الفيلسوف احثى رأسى باحترام
أمام عظمة الفكرة التى ظهرت في أعماله وأقول كما قال « ميشلية Micheler »
المورخ المشهور

« كان على شاطئ بحر البلطيق مخلوق غريب قادر على
عمل كل شئ فهو انسان ومدرسة ومذهب جدلى.
وكل فلسفة حاولت الدنومنه ارتطمت به واضمحلت
وبقى زهاء الستين عاما بدون رابطة بشرية
يخرج في ساعات معلومة ليعمل عمله ومن ثم
يرجع من حيث خرج ».

ولد « عمانوئيل كانت Emmanuel Kant » في « كنجسبرج
Koenigsberg في الثانى والعشرين من ابريل سنة ١٧٢٤ وتلقى دروسه في
جامعة تلك المدينة حيث تعلم فلسفة « لينتز Leibniz » كما شرحها « ولف
Wolf » ثم تعين مدرسا فيها زهاء الستين عاما فكان يدرس الفلك والرياضيات
والفلسفة ومات سنة ١٨٠٤ .

لا يقدر الباحث ان يعرف تمام المعرفة آدابه ما لم يطلع بآدىء بدء على أهم
مؤلفاته وهى « أساس غيبيات الاخلاق » و « عناصر غيبيات الحق » و
« الديانة في أوساط العقل المجرد » و « غيبيات الاخلاق » و « عناصر
غيبيات الفضيلة » و « تقد العقل المجرد » و « تقد العقل العملى » وعرف
ماترمى اليه وماتتكم فيه كتب اللاهوتيين، فادرك العوامل المختلفة التى مهدت
لها تربيته السبل لتتأصل في نفسه تأصلا متينا وفي حال معرفته محتويات
هذه الكتب يسهل عليه فهم اعتقاده وما هو عليه من التركيب، ليس بما حقق

بل بما عرف من نتائج قيمة في الذكاء والبراعة من حيث الفنون كالعلم والآداب كالفلسفة .

يظهر « كانت » المعاصر « هيوم Hume » و « لمتولير Voltaire » و « لروسو Rousseau » والانكلوبيديست والثلاسفة، كمنخر من مفاخر عصر النور باعطائه أهمية كبرى للعقل كما يتبين في أعظم مؤلفاته « نقد العقل المجرد » و « نقد العقل العملي » بقوله - انا افكر فاذا انا موجود - ومن أجل هذا عارضه « هيوم » فكتب رادا عليه - والعقل المجرد لا يبدع فقط شريعة شاملة للموجودات الكاملة والغير الكاملة القريبة من حياة الادراك ، بل يوجد الادراكات التي تحدث عندنا المقدرة الكافية لنوال مشتبهاتنا . هذه المشتبهات التي هي على التحقيق ، الطريق المؤدية بنا الى العلل والامراض - وهو يطلب من المباديء ايجاد مقدرة الرغبة ومقدرة المعرفة كأساس لا ينزعزع كما في العلوم . وقد بين بوضوح بطلان عامل الشعور بالخير بوجود العقل متسلطاً على نواحي الانسان المتعددة مشيراً الى أكثر مفاصله من الفلاسفة . وقد نفى التعصب الديني والادبي بقوله - ان فردوس محمد او الاتحاد التام في نظرية اتباع آلهة الحكمة « Theosophes » والمتصوفين « Mystiques » هم نصيب من احكام العقل - وقد قلل بهذا من نفوذ « هيوم » وجعل قيمة أصلية لاحكام الآداب السائدة . ولكي يؤيد أصل هذه القيمة اعتقد أن قوة الادراك والنظر الدقيق المادي اللذين يعملان في الولد البالغ العاشرة من سنه ، يبيحان ما توحى به الشريعة الادبية ، أو الصوت السماوي الجلي السمي العقل الذي لا يفسد ابداً عند « هيوم » و « شفتسبري Shaftesbury » و « هيتشسون Hutcheson » وروسو وفولتير .

وكان قد اعتقد ان « فولتير » قد أحسن في احترامه بعض أشياء مهمة . ولهذا فقد احتذى مثاله في بعض احكامه ، وعاد ثانية الى ما وجدته موافقا لتدعيم ابحائه كقوله - ماذا يجب ان أرغب فيه وماذا يجب ان عمل ؟ ماذا يجب ان أأمل ؟ لدى نظره في الله والنفس . ولكن بعد ان بعد عن « فولتير » في آرائه

قال عنه انه كان يقر بالله بإيمان تهكمي . وقد فسر الاشعار الآتية - ان يوما سيكون مفرحاً هو كل املنا ، أما املنا في أن يكون الكل حسن فهذا هو الغرور بعينه - وقد قرأ بحمية و إعجاب مؤلفات « روسو » ولكي يهضمها حالاً تجاوز حد معناها الاصلي ، وأولها كما كان قد أولها « هردير Herder » وحفظ ما قيل عن « نيوتن Newton » وعلوم الآداب وذهب في التفتيش عن الحقيقة بعيداً عما يتطلبه أسلوب المقارنة كيما يصل الى معرفة حقيقة قيمة الانسان . « فروسو » تركله علم طبيعة القوي المحركة « Physiques Mecaniques » وظهرت له تحت ستار المسيحية نظرية آداب « فولتير » فنبهه الى آراء أولية ، وليس هذا فقط ، بل أثبت له انه لا يمكن ان يكون ذا فضيلة بدون ديانة وقد حثه هذا الاعتقاد على ازدراء المذهب الارتياحي « Sceptisme » والمذهب المادي « Materialisme » وشجعه على استشارة ضميره في كل أمر ، وان يحامي عن الحرية .

وقد كان في حبه الحقيقة وابحاثه في العلوم الرياضية والفلك والعلوم الطبيعية من اعظم فلاسفة القرن الثامن عشر ، كما قال المسيو « فرنسوا بيكافو » F Picavot وقد بين المسيو « نولن Nolen » ما كتبه عن « نيوتن » وكيف انه اراد ان يتبع « كوبرنيكوس Copernic » في ثورته الفلسفية ولهذا نعتة ابناء بلده بموجد الافتراض بتكوين عوالم السديم التي ينسب الفرنسيون افتراضها الى « لابلاس Laplace » أما في الآداب فقد الح بايجاد قاعدة لها تكون غير قابلة للشك ويكون مظهرها مظهر العلوم الطبيعية التي يحققها العالم الرياضي كيما يقدر الانسان ان يفصل في المسائل الصعبة حالاً . وقد ختم كتابه « نقد العقد العملي » ليس بايجاد شهرة عظيمة لنفسه من حيث الآداب ، بل من حيث الرياضيات ، حيث يقول - ان السماء المشعة بالنجوم الناشرة لهذا الاقتران والموجدة هذا المظهر غير المتناهي ، حيث العوالم تضاف الى عوالم والقوانين تضم الى قوانين الى ما لا يحمد من الازمان ، بدون تعبير شيء في حركة الفصول إن في الابتداء او في الانتهاء ، لمن اعجب الاشياء و اخطرها .



في الوقت الذي ظهر فيه كتاب « نقد العقل المجرد » كان « كانت » قد اعتقد بوجود صلة بين المذهب التصوفي، Mystiques ، اثنى كان يكرهه جدا وبين الشريعة المجردة للأدب . ولكن هذا الاعتقاد لم يمنعه عن ازدياد المذهب الارتيازي والمذهب التجريبي السطحي الذي اقتلع الآداب من جذورها والمذهب المادي ومذهب القضاء والتقدير والمذهب المثالي ومذهب « سبينوزا » والاحقاد . فاللاسفة الذين عاصروه كانوا كلهم خصوم الكاثوليكية وقد جربوا ان يظهروا العالم والانسان بطريقة غريبة فلسفية استخلصوا منها قاعدة لارشاد الفرد والجماعة . اما هو فبقى ضمن حدود التعاليم الدينية لانه مسيحي ولا نه من اتباع لوثر Luther ومن فرقة « الإصلاح الكهنوتي Pietisme » واستاذيه ، شولتز Schulz ، و « كونتز Kuntzen » اللذين لقناه تعاليم هذه الفئة عندما درس عليهما اللغات والتاريخ والعلوم والفلسفة ، قد غرسا في ذهنه أن الله موجود في كل مكان واليهما يعزى السبب في إيجاد الفرقة المعروفة باتباع لوثر المستقيمي الرأي Marcho lox e Lutheriana وكنوا يعلقون أهمية كبرى علي اقوال الانجيل وتقاوة القاب والتوبة والجد الشخصي والصراع المؤلم لاقوال النعمة . ويميلون كما لمعديانين الى التمسك حيث لا نظام بغير الواقع . وقد رجع « كانت » في اواخر ايامه يردد صدى ما تعلمه في صغره بتمسكك بأقوال الانجيل و سرده البراهين العديدة التي تؤيد رجوع الله كعامة موجوده . ومحبته الاصفاء الى تكرار الكلمة العبرانية التي هي اسم — يمانوئيل — اي الله معنا وقد ذل « ميالير Maier » قاعا عن « رينولد Reinhold » ان المذهب « الكانتي Kantisme » دعم الآداب والدين حيث ان « كانت » كل ما كان قد ابتدأ المسيح بعمله ، وأظهر ان روح الله ظهرت في شخصية يسوع . وقد كشف المسمو « بينوار دمان Benno Erdmann » في شخصيته مبالغ تأثير معاليه عليه وقال الدكتور « ارنولد Erdoldt » ان المذهب الكانتي اعظم سور اقيم حول الحياة الدينية فصد هجمات التعاليم الفلسفية التي لا طائل تحتها

في الديانة يثبت « كانت » ما رمى اليه المسيحية من القصاص العادل والخطيئة الاصلية وفي وجودنا على نموذج مثل أعلى وفي اباداة الخطيئة لأرجاع السعادة وقد جمع بين السياسة والتعبيات ، والديانة والآداب بقوله — ان الآداب تثبت لنا حقيقة وجود الله والحياة الاخرى — وهو في اعتقاده هذا مرتبط بتفكيره الديني، ويخاف الله إذا نفى وجود الله يضطر بحكم المقارنة الى انكار الحياة الاخرى، والعكس بالعكس. وقد امل اقتلاع جذور الاحاد من النفوس الكبيرة وضم هذه النفوس الى حظيرة الآداب والدين بقوله — ان ما انتهى اليه اخيراً هو اسى ما يتطلى وجودنا بمشاركة المعقولات التالية — الله — الحرية — الخلود . وفي الوقت الذي كانت الناس تردد فيه مجادلة « باسكال Pascal » للمسيو « دى ساسى De Sa » علي « ابقطاط Eqictete » و « مونتاني Montaigne » نادى « كانت » بأنحطاط المدارس اليونانية باقتلاله من قيمة اتباع ابيقور واتباع زينو « الرواقين Stoiciens » لان اتباع ابيقور لم يروا غير السعادة، واتباع زينو لم يروا غير هدف الآداب. وقد خالفهم بجمعه الاحكام الصارمة لباسكال وبوسويه ونيكول وديكارت حيث قال — فهم ، اى اتباع ابيقور واتباع زينو، وجدوا في النضيلة شجاعة الحكمة وانما طرحوها تحت اقدام بعض الرجال واختلسوا لارضاء شهواتهم شريعة الآداب. وبدلاً من أن يقبلوا تهذيبها من ناحية القناعة واتساهل أوجدوا لذواتهم منها تعصباً قويا وادعوا الحكمة — وهذه الانتقادات جاءت من حيث تقريرته المسيحية حيث يقول — فنظرية الآداب في الانجيل اخضعت أولاً كل الميول الحسنة في الانسان تهذيباً ضرورياً، هو كل ما يقع تحت بصره فلا يتركه يتيه في كمال الآداب الخيالية. فاتباع زينو لا يقدر على اظهار الشريعة الادبية في كل تقاوتها فيما لو طرحوها تحت اقدام الرجال ، ونظرية الآداب في الانجيل هي التي تعضى الانسان الثقة التي توافقته من حيث التقص في هذه الحياة . لكن في المجيء الثاني سترفعه لانه يأمل ان عمل حسناً، فهذا الحسن من رغبته وليس من

رغبته فقط ، بل لانه وعد به ، فكل أحكام آداب الانجيل تبين المراد من الشريعة الأدبية. فالوصية القائلة حب آهلك من كل قلبك هي مثال القداسة التامة — « فكانت » مغال في مدح آداب الانجيل وسريع العجب بها. وقد فضلها على الفرقة التي ينتمى اليها من حيث ان آداب اتباع « لوثر » « وميلانكتون Melancthon » خليط من تعاليم المسيح وفلسفة أرسطو. وقد تفرد باظهار المسائل الصعبة كالآلام في حياته. فآله والنفس والاعمال الحسنة التي ظهرت في عصر المسيحية الاول كانت شغل فكره الدائم، والسعادة التي هي عنوان الحرية المتصلة بالله والنفس كانت هدفه الاسي في الحياة. وقد اعتقد ان من وجود الله والنفس حدث ما نراه من النظمات الكاملة خصوصاً الصلاح والسيادة والعدل والحكمة وسابق معرفة الله والاختيار منذ الازل والمجد. وقال — لهذا حارب القديس اوغسطين الزنادقة وعبدة البحار، واشتغل لا يجناد اعتقاد مستقيم سوي كما عمل بعده أيضاً « كوتشالك Gutschalk » ومعاصروه ولوثر وكالفن وجنسانيوس وبايك وخصوصاً « ليبنتز » في كتابه — تجربة عدل الله — الذي بين فيه الصلاح الآلهي وحرية الانسان وأصل الخطيئة —

ويظهر « كانت » من ناحية أخرى كديكارت في قبوله واظهاره آله المسيحية في ابجائه عن المبدع الاول واننا منه نأخذ المثل العليا والقداسة، وان مقاصده تظهر منذ البدء. ليس فقط في الطبيعيات أوقيما فوق الطبيعيات، بل في الآداب، من حيث وجود الشر الذي منع فلاسفة اليونان من تعيين علة صحيحة معقولة واحد قله. وقد أظهر المسيحية بصور متعددة في تهكمه على المتحزبين للديانات الطبيعية اذ قال — ان الاستاذ في الآداب لا يقدر أن يلخص هذه الديانات أو يفهمها، والفيلسوف في حالة معرفته الله كنتيجة للعلم اليقيني ، يكون من أشقى الناس فيما لو صار طبيعياً وضل في محاولته لمعرفة حدود معرفته، غير ملتفت الى ما يتطليه منه الوجدان من قوة

الادراك والارادة، اللذين اذا لم يعرفهما اهتمامه لا يقدر ان يعمل عملا صالحا. فالانسان تسلط على هذه الارض وسيتسلط على غيرها بواسطة الله كما قالت المسيحية لانه مخلوق منحط بحكم الخطيئة الاصلية ولانه يشعر بهبوطه من عالم اسنى، وسيكون بغير احتياج لتخصيص نفسه بصلاح غريزي لانها ستكون بغير احتياج لمنبه. ينبهها لعمل الخير أو لرادع يردعها عن عمل الشر، أو لوصية، فيجب الآن حفظه من أوهام الكبرياء الفارغة كما يصل الى التسامح والرحمة لانه لا يوجد مخلوق يقدر ان يحقق مثل القداسة التي تصلح لنا حياتنا - فهو هنا كبقية المسيحيين الاتقياء يجزم بصحة ما قيل في حرية الاختيار من انها الصلة بين الله والخلود، وانها هي التي اوجدتنا في حالة الشهور وعدم الكمال لنشعر بالكمال والمعرفة وانها ليست بعامل فيسيكولوجي بل هي مندر سماوي من علة أولية موجودة تامة مسيطرة على كل العالم .

لأقصد بهذا أن أئين آداب « كانت » من كل نواحيها بل هي عاصفة فكرية مرت امام مخيلتي فانتقطها ودوتها وانا اعتذر عن الاسهاب بما لمقام « كانت » من الاحترام

ابراهيم حداد

بيروت

نيتشه وأوروبا

لأستاذ هنري ليوختنبرجيه

من بين الأخطاء التي لا يزال يقع فيها الذين يكتبون عن نيتشه . أنهم يذكرونه كلما ذكرت وجوه الكفاح السياسي الحاضرة . بل يزعمون أنه رسول إلى أحد الأحزاب السياسية أو الاجتماعية في عصرنا . وليس أسهل من هذا الزعم . فتننا إذا نظرنا في آراء « نيتشه » المعروفة في العراق القائم بين « السادة » و « العبيد » أي بين « الوحش الاشتقر » (١) و « المتطوع » (٢) وحصرنا أقواله ضد الديمقراطية والاشتراكية وأضفنا إليها مديحنا للاريسوقراطية وهذه السبيل وحقيقته في أن يسود العالم ملك مستبد يكون « سيد الأرض » وثمة على كبار الفاتحين من « قيصر » إلى نابليون ، لاستطاعتنا أن ندخله - سواء امتدحناه أم ذمناه - في عداد خصوم الحكم الشعبي واعداء النظام البرلماني والنشال الأعلى الديمقراطية ونصيراً كبيراً لسياسة القوة أو رسولاً داعياً إلى الشهادة .

وحسبنا أن نلقى بنظرة عجي على أدب نيتشه لكي نوقن بأن الحكم عليه بهذه الطريقة إنما هو حكم سطحي . فله يكن نيتشه مجرد مفكر من حزب النبين . ولقد صادف أشد المعارضة من المحافظين والمستعصمين بالسقلايد من كل نوع . وأما أنصار مذهب السيطرة الذين أخذوا على عتقهم السعي في تسمية قوة الدولة الحربية والاقتصادية فيرون في نيتشه خصماً لا يجب أن يكافح تأثيره . وكذلك أنصار النظام الذين يدفعون غارة الشك عن عقيدتهم الدينية أو الأدبية أو السياسية ويعدون النيهليسم مذهباً تنفر منه النفس الانسانية فتهمهم ينظرون في نيتشه على أنه عدو

(١) يعني الرجل الأبيض المتمدين

(٢) سواد الشعب

للمسيحية ،تأثر على القانون الادبي المؤلف،ومثل المبادئ السيئة.

ومن الممكن أن يثنى المفكر العدمي (نبلست) على شجاعة نيتشه الفكرية ؛ الا انه مع هذا يستنكر فيه نموذج المفكر التأثر على كل نظام ، الهدام لكل حضارة . وفي الوسع أن يقال أن امام نيتشه من الخصوم بوجه عام فئة الراضين عن النظام الموجود وانصار السلطة ؛ أى أولئك الذين كانوا يشعرون بالامس بالرضى في مجتمعنا الرأسمالى وأصبحوا اليوم لا يطمحون الى أبعد من تجديد نظام اوربا المادى واستثناءات الجهود المبذولة فى سبيل حياة أرغدوا أكثر رفاهية . هذا من جهة . ومن جهة أخرى بخاصمه أولئك الذين يدعون الى مثل أعلى فى النظام والتقييد والطاعة والذين ينظرون بكثير من الحذر الى هادم الاسنام الذى يضرب فى الفلسفة ضربات الحداد بالمطرقة والسندان . عدو الحكومة والكنيسة . عدو القانون الخلقى المعترف به . عدو الجماهير .

واذا كان من الجلى أن الديموقراطيين لا يستطيعون أن يعتبروه واحداً منهم دون أن يكونوا مغالين ،واذا كان من الممكن الا يكون ثمة ما يدهش في أن بعضهم قد عددهم اريستوقراطيا متطرفا غنياً مداحاً للرق والعبودية ومن المحبذين لفكرة استغلال الانسان للانسان ولو من طريق نظرى — فذلك لان نيتشه قد أثار اهتماماً عظيماً ، لا بين المفكرين من حزب اليسار وحدهم بل فى دوائر العمال نفسها . لان من الواضح أن نيتشه ينتمى الى الثوريين على اختلاف مشاربيهم . إما من ناحية مغالاته فى مهاجمة المجتمع الحديث ، وإما من ناحية الشدة التى ناء بها على الارستوقراطيين أنفسهم الذين تكلمهم الاشتراكية وهم أنصار السيطرة من الوطنيين والملكيين المحافظين على التقاليد والرأسماليين ذلك « الاريستوقراطى » — كما ينعته — يستنكر كل رجعى الى الماضى ويعلم فى صراحة عدم مبالاته بالأمراء والقساوسة الذين يبعثون

الحياة بخديعة بعضهم البعض . فلا عجب اذا شعر الثوريون بأنهم ميالين بالغريزة الى ذلك الشئ على النظام الرأسمالى ونظام الحكم الحديث . وينبغى أن يضيف الى ذلك أن البسطاء قد لاحظوا نبل قلب ذلك المفكر الفذ . وشعروا بديا أنه ليس فى صف الكبراء ضد السواد من عامة الناس ، ولا هو على الأخص نصير للأغنياء ضد الفقراء

وليس يكفى فى هذه الاحوال أن نوضح فى صيغ بسيطة موقف نيتشة حيال المسألة السياسية، لأنه اذا أريد انصافه فلا بد من النظر عن قرب فى المعنى الحقيقى العميق الذى تحمله صيغته وتعابيره .

ولا جدال فى ان العداء للمثل الديمقراطى الأعلى أو بالحرى نظام الحكم الديمقراطى الحديث ، انما هو عنصر جوهرى فى مذهب نيتشة

ولا يخفى أنه نظر فى التطور التاريخى على اعتبار أنه يهبط بالانسانية الى الحالة التى يصير بها الناس قطيعا منظما . وهو حين عرف الديمقراطية قل إن الديمقراطى باعتباره خلفا لذلك المسيح العظيم الذى جعل الناس جميعا متساوين أمام الله ووعدهم بالنعيم الكامل من بعد الموت . يجب أن ينشده مساواة الجميع أمام القانون ويحفظهم على تحقيق ما يحلمون به من السعادة القصوى على الأرض والطموح الى خلق مجتمع ينتفى فيه كل تفاوت وكل مفاضلة بين الاشخاص حيث يكون الناس ذوو حقوق واحدة وواجبات واحدة ونصيب واحد من السعادة . وحيث لا يكون ثمة نظام للطبقات ولا يكون حاكم ومحكوم ولا سيد ومسود ولا غنى ولا فقير ، ولكن تكون الجمعية المتساوية المتآخية مكونة من وطنيين انعدمت الفوارق بينهم . ذلك لعمري هو المثل الاعلى الذى يطمح اليه جميع الديمقراطيين من أى مذهب كانوا جمهوريين أو اشتراكيين أو فوضويين . والكل متفقون على نبذ كل سلطة عليا واستنكارها . فهم لا يريدون « آخا ولا ملكا » ويتمتعون الى محو كل امتياز

وينشدون الاخاء الذي يجعل من الناس جميعاً خصوماً للعدالة التي يعد التقصاص أداتها ، ويميلون الى عد كل عقوبة كحيف وظلم . وتناف قلوبهم على عبادة الرحمة والارتياح من الالم والاعتقاد بأنه يلزم محو كل الآلام من العالم ويؤمنون بحق « الجماعة » في ذاته ويعتقدون أن في وسع كل فرد ومن واجبه أن يجد سعادته الخاصة في سعادة الجسم الاجتماعي كله وان من الممكن الوصول الى تلك السعادة بان يعطف كل على أخيه وبالأخاء العام .

هذه الغريزة نفسها — غريزة جعل الناس جميعاً في مستوى واحد ومتساوين كل المساواة — تتضح أيضاً في ادراك نيتشة للعلاقات بين الرجل والمرأة . فان مذهب النسوية يكمل عمل الديموقراطية ، وكلاهما ممقت من نيتشة . فانه لم يسلم بان المرأة معبودة وثارضد الرأي القائل بان المرأة مخلوق سام ذو غرائز أكثر تهذيباً من غرائز الرجل وأحاساس أدبي أرق وأصدق من احساسه ، وأنها قادرة على قيادة الانسانية الى أرفع المنصائر وأسعدها . ولقد خص بسخرياته القاسية المرأة المتحررة التي نفت عنها الخوف من الرجل وفقدت احترامه والتي لم تعد ترضى بالتسليم له إنما تريد أن تعامل منه معاملة الندلند . وكان يرى أن ما يبديه الجنس الخشن نحو الجنس الضعيف من الاحترام والمراعاة إنما هو سبة وإهانة ، وأراد أن تكافح المرأة مع الرجل في معترك الحياة . ولقد أظهر مقملاً شديداً لذلك الصنف من النساء الذي يطلق عليه الفرنسيون اسم « بابلو » (أي الجورب الازرق) ويريد بذلك النساء اللواتي يدعين المعرفة ويشغلن بالآداب والعلوم والسياسة سفهاً وادعاء . وقد عنى المرأة الكاتبة في المحال التجارية وأوفى الادارات والتي تقوم في المجتمع الحديث الذي تغلب فيه الروح الصناعي على الروح الارستوقراطية واخرى بضجة كبيرة في سبيل مكافحة تمييز المرأة واستعبادها وتوليها تنظيم الحركات الصاخبة للحصول على مثل ما للرجل من حقوق .

ثم ماذا يمكن أن تكون نهاية ذلك التطور ؟ هو ألا يكون في العالم تباين ولا

جمال . وأن يستحيل الى شبه محجر واسع يحتشد فيه ملائمة المتساوين في عادية الادراك، وفي العجز . ملائمة يكابد الآلام البليغة ولا ينعم أيضا بالأسرار العظيمة؛ ملائمة يعالج حياة صامتة بالإغاية ، وهو ما يعد في نظر نيتشة خطراً جسيماً . وإذا كان الرجل المتمدين المرفه الخفيف ، اذا كان هذا « الأخير زمانه » الذي تكاثرت عدده وانتشر في الأرض هو المثل الذي صارت له الأرجحية نهائياً في عالمنا الحاضر، فذلك لعمري نهاية المغامرة العظيمة للعنصر الأبيض . نهاية ذلك المجهود الهائل للمخلوق الذي لا يزال يتجاوز طاقته بتوليد أشكال وقوالب جديدة سامية وبمتمتضي ذلك الارتقاء العجيب الذي يبدأ من دودة الأرض الى القرد، ومن القرد الى الانسان، ما فتى ذلك الانسان يتراجع الى الحيوانية أكثر مما يرتفع الى درجة الانسان

وننا كن نيتشة يرى أن اسمى وظائف الانسانية ينحصر في نشأة العبقرى وسيادة السبرمان . وان الشعب إنما هو المهمل الذي تتخذ الطبيعة لاجراجه بعض الرجال العضاء ، فلم يكن في وسعه إلا أن يكون عدواً لكل نظرية تقول بأن الفرد مقيّد بالجماعة . كان من اعداء « هيجل » الذي يرى الحكومة بمنزلة « الآله الحق » وأنها « الآخر المطلق في ذاته » وينفى الفرد في الدولة ويقول بأن الافراد لم يخلقوا إلا من أجل الدولة التي تتمثل فيها وحدها الحرية والحق المطلقين . وبناء عليه فقد كفح بقوة مذهب « هيجل » العملي والايمان بالدولة الذي كان شائعاً في ألمانيا الامبراطورية عندما سنة ١٨٧١ سواء كان عند الافراد الذين يحتفظون الى حد لا مثيل له باحترام النظام والملكية وتقليد الحكم المطلق أو عند الرؤساء الذين كانوا يتصورون في دين الدولة والسلطة « معبوداً جديداً » وهو ما قضى عليه نيتشة في فصل مأثور من فصول كتابه « زار اتوسترا » . قال على لسان زار اتوسترا إن العالم الحديث لم يعد يعرف الشعوب وإنما يعرف الدول لا غيراً إنما الدولة هي الاسد الذي يزأر ويبتلع . على انه ليس في الأرض اعظم منى . انا بنان

الله الأمر . أن الدولة تجتذب اليها جمهور السخفاء والسطحيين وتقنيهم فيها وتمضغهم ثم تمضغهم . غير انها وآسفاً تسحربا كاذبيها النفوس الكبيرة والتلوب النبيلة التي تطمح الى الاسراف ؛ وتستعملها وتتخذ من عظمتها وبسالتها وفضائلها وحكمتها زينة لها . كذلك تعظم قوة الدولة وهي تلك القرة المشؤمة التي يسمونها « حياة » وماهى الانتحار بطى للجميع حيث تتقاتل شرذمه من القردة تقاتلا وحشيا على الثروة والسلطة . وليس لدى الفكر الحر من مناص غير أن يطرد ذلك السفه الفاحش . « هناك حيث لا تكون نعمة دولة . هناك فقط يكون الانسان غير السطحى . الإنسان الكامل . أنشودة الضرورة واللحن الوحيد الذى لا يعادله أى لحن آخر — هناك حيث لا تكون نعمة دولة . هناك انظروا أيها الاخوان : ألا ترون قوس قزح وقنطرة السبرمان ؟ » (من كلام زاراتوسترا) كذلك كان نيتشه يمتد الدولة لانها تستعبد الفرد ذى المواهب الساميه للمجموع ولانها تجعل غايتها الاستحواز على السلطة السياسية أو الاقتصادية دون أن توجه مجهودها نحو المثل الانسانى السامى ولانها لا تجعل على رأس الدولاب الادارى « خالق القيم الجديدة » وإنما تجعل على رأسها « عاهلاً » يدين بمركزه الى مولده والى اريستوقراطية النبلاء والدماء ومحدثى النعمة وذوى اليسار من كل نوع

على ان عباد الدولة لا يقتصرون على جعل الفرد مقيداً بالجماعه ، إنما يرغبون عدا ذلك صيغ الدولة بصيغة وطنية وان تكون صاحبة الفوز المبين والشأن العظيم . يريدون عظمة وفوز دولة وطنية . فيخلطون الدولة بالوطن . ولقد ثار نيتشه على هذا المذهب ثورة كانت ذات صدى بعيد . فقد عده البعض ممن لاوطن لهم . وفى الحقيقة أن نيتشه لم يكن عدوا لمذهب الوطنية ولا فوضوياً أما من يؤيد أن نيتشه كان ينقصه الشعور الوطنى استناداً على حملاته المشهورة ضد المانيا . فاعلم يدل على أنه لم يدرك الطريقة التى فهم بها نيتشه حب الوطن

ولا جدال في ان نيتشة لم يكن بأية حال وطنياً وانه كفح على الاخص ذلك الضرب من الوطنية الذي راج من حوله في المانيا ونعني به مذهب الجامعة الجرمانية . فانه في الوقت الذي اشتدت فيه وطنية الالمان غداة الحرب السبعينية وقاضت حماستهم ، كان قد اعتنق وجهة نظر فوق مستوى الوطنية الشائعه عند مواطينه فلم يرغب في فوز العنصر الجرمانى وانما اراد نهضة « الالينسم » (الثقافة الاغريقية) وسيادة نوع من الثقافة لاهو بالاغريقى البحت ولا بالالمانى الصرف ، وانما ثقافة اوروبية أو إنسانية عامة .

لقد سلم نيتشه في البدء بأن المانيا هي المهد الذى تنهيا فيه الثقافة الجديدة وتستحيل العبقرية الالمانية الى عبقرية اوروبية الا أنه لم يلبث أن تخلى عن ذلك الرجاء . وسرعان ما صارت المهمة التى اصطفى الله المانيا من اجلها في نظره محتملة فلقد استطاع أن يحتفظ فى صميمه بالامل الغض فى أن يقوم وطنه فى القريب بدور مجيد فى تطور الانسانية ، غير أنه لم يلبث ان احس احساساً قويا بالتفارق العظيم الاليم الذى لا يطاق بين امثل الاعلى للعبقرية الجرمانية التى تصطبغ فى نهاية الامر بصبغة انسانية ، والعبقرية الالمانية الحاضرة التى كرهها نيتشة وازدراها وكفحها بشدة

وقد عارض بصراحة تامة وطنية الدولة بمذهب الاختلاط ، على اعتبار أنه قاعدة لازمة للمستقبل القريب فى أوروبا الى مباشرة مهمة التوحيد العظيمة التى لم تستطع مدن الاغريق القديمة أن تحققها فى الوقت المناسب . فان جعل أوروبا ولايات متحدة ضرورة بسيكولوجية وتاريخية واقتصادية

وفي هذه الحالة عارض نيتشة وطنية الدولة بمذهب اللاوطن « كوسموبوليتسم » فاعتبر ذلك مبدأ مسالماً ، به ولا بد منه للمستقبل القريب . وان على اوروبا اليوم ان تبشر مهمة الاتحاد العظيمة التى لم تعرف مدن اليونان القديمة ان تحققها فى الوقت المناسب . وان تأليف ولايات متحدة من اوروبا انما هو ضرورة بسيكولوجية

وتاريخية واقتصادية يتهماً حدوثها بتأثير حالات التقسيم والبت الذي تكاد به الأمم بؤ بنأليف عنصر مؤتلف ينشأ من تصاهر العناصر المختلفة ونعني به عنصر الرجال الأوروبيين. ولا بد من أن يتحقق آجلاً أو عاجلاً حلم نابليون في خلق قوة أوربية متحدة وسيدة العالم .

ويقوم اليوم ضد ذلك المذهب الداعي الى توحيد أوربا حركة رجعية وطنية ذات صبغ وضجيج ولكنها عاجزة في صميمها لأنها حركة مصطنعة . والوطنية في جوهرها حالة ارغام تفرضها اقلية صغيرة ذات نفوذ على السواد . ولا تعيش إلا بالخداع والكذب والعنف . وليس لها أصل راسخ في روح الجماهير وإنما تتصل بمصلحة بعض الأسر أو بعض الطبقات الاجتماعية . ومن واجب الفيلسوف اذا تعرف هذه الحالة أن يصير أوروبياً صادقاً أو يعمل بنشاط على توحيد الأمم والثقافات . ويرى « نيتشة » ان ذلك المثل الاعلى لما فوق الوطنية « سوبرناسيونل » والعنصر الأوربي الاسمي الذي يتهماً في كل مكان لا يثبت أن يتحقق .

ولقد كافح نيتشة بحري الوطنية المعاكس الذي يمترض قيام أوربا المتحدة وكفحه بتلك الشدة وعدم التساهل اللذين هما من صفاته الطبيعية . وبازاء الحافزين من اعداء الخاضع أبي ان يتعصب للاحقاد التي تفرق العالم المتدين . ولم يمتد شيئاً اشد من ممتة لتلك الحالة الدائمة من عدم الثقة واحقاد التلذين تعيش فيهما الأمم اليوم وذات المكر الشنيع الذي ينحصر في انكار كل ميل الى الفتح وكل غرض للاغتصاب مع اساءة الظن دائماً بالجار واتهامه بأسوأ الاغراض وقبح المقاصد . وقد وصف هذه الحالة بأنها تجرد من الانسانية اسوأ من الحرب . لأنها تستثير الحرب وتحض عليها بافتراض النيات السوداء في الجار . وحسب ذلك باعناً على الاعمال العدائية . وليس باحكام توازن القوى او بتخفيض التسليح المطرد يمكن الوصول الى سلام دائم، وإنما بان يكون هناك دولة واحدة اقوى من الجميع

تفرض السلم على سائر الدول . قال « من الممكن ان يأتى يوم ينادى فيه شعب بلغ القمة في النظام العسكرى وتعود ان يبدل اعظم التضحيات في سبيل جيشه . ينادى عن اختيار : اننى اكسر سيفى . ويهدم كل ما وضعه من النظم العسكرية فان السلم لا يأتى إلا بتهدئة النفوس . لا يمكن ان يكون الا في اليوم الذى ترى فيه الجمعيات البشرية » ان الموت خير من الراحة رسوء الظن . وانه خير للمرء ان يلقى شر مصير دون ان يباث الكراهة بين الجماعات ويبغضهم في بعضهم البعض . وهو قول حكيم لم تعرف اوربا لسوء الحظ ان تصفى اليه وتعمل به .

وبلغ نيتشة في الحملة على وطنية « الحيوان ذى القرون » (يريد الرجل السياسى) وشنع بها ولم يترك صيغة مهيمنة لم يستعملها في وصف تلك الوطنية التى تحض كل شعب فى اوربا على اقامة المتاريس من حوله واحاطة نفسه بسد منيع . واما ذلك الضرب الالماني البحت من مرض الوطنية فانه ينحصر في مذهب الجماعة الجرمانية الذى كان يستنكره وعلى الاخص لانه المانى . ولقد ثار ضد تلك السياسة التى تجعل الروح الالماني عقيا جامداً بادخال الغرور عليه . تلك السياسة الخفية التى تديم الاحقاد وتستبقى اوربا في نظام الدول الصغيرة . وازدري النشيد الوطنى الذى يقول بان المانيا فوق الجميع .

الا ان نيتشة لم يقتصر على هذا الموقف السلبي البحت بازاء الدولة . حقاً انه دل على كراحتة للديموقراطية وللقطيع المنظم الذى يعرض على انه غاية في ذاته . ولم يرغب عنه أن الدولة طبقاً للنظام الذى يبنده عند الذاتيات الكبيرة . وانه لا ينبغي للبرلمان أن يستسلم لنظامها مهما كلفه ذلك . وانما يتكون ويعظم شأنه خارج دائرة الدولة ، بل غالباً ضد الدولة — ويقال من جهة أخرى أن نيتشة لم يكن الا قوضواً بولكنه كفتح الفوضى والحكم المطلق . وأخص ما اهتم له نيتشة تكوين العبقرية والنخبة ذات المواهب المتفوقة . لقد شغف بتأليف « اريستوقراطية جديدة » ينتخب أعضاؤها بمنتهى التدقيق . وأدرك ان الانسان لا يستغنى عن

حياة المجتمع، وبناء عليه، فليس في وسع الفيلسوف ألا يبالى بالمسألة الرئيسية : مسألة نظام القطيع (سواد الشعب). ولما تناول بحث الجماعات البشرية من هذه الوجهة اتخذت أحكامه على الدولة صبغة أخرى، مختلفة جد الاختلاف عن صبغة أحكامه السابقة.

لقد فكر نيتشه تفكيراً طويلاً وعلى الاخص في السنوات الاخيرة من حياته — في الوقت الذي كان يعد فيه عناصر مذهبه في عبادة القوة — فكر في مسألة الدولة، وانتهى الى اعتبارات شطت به عن تلك «الفردية الفوضوية» التي زعم بعض النقاد انه استطاع أن يحلها في تأليفه.

أدرك نيتشه في مبدأ الامر الخطر الجسيم الذي تجلبه للانسانية السيادة الحاضرة للانسان «المنحط» فان ظاهرة الانحطاط مهما كانت طبيعية ولازمة تقضى الى نتائج سيئة ما دام ترقى الحضارة يؤدي الى تكاثر العناصر الضارة من بنى الانسان إذ نشهد ازدياد المجانين والمجرمين وذوى الهوس من أرباب الفنون ومن اليهم. ولقد تفاقم الانحطاط وعم بتأثير الاضطراب الذي يعترى الاحوال الاجتماعية وينجم من الثورة ومن أوهام المساواة. فان الطبقات الدنيا — من المنحطين والمضطهدين والارقاء — من كل نوع — قد اختلطت بالطبقات العالية بحيث لم يعد في العالم عنصر خالص، وتلاشت أريستوقراطية الدم والغرائز الموروثة. وبالاختصار انحطت العناصر الاوربية. وازدادت في كل مكان كراهة ذوى الامتياز ومن رفهم الحظ الى مركز استثنائي. بل لقد خضع الممتازون أنفسهم للوهم الديموقراطى وصار على الذين يبغون القوة أن يملكوا الشعب ويملقونه. أما العباقرة — أمثال «فيكتور هيجو» و«ريشارد فجنر» — فانهم يكونون السنة تعبر عن العواطف الكبيرة التي تستثير حماسة الجماهير: الرحمة والايان بالالم الانسانى وتمجيد الضعفاء والمضطهدين. وجلى أن سيادة الشعب بالائتلاف مع المنحطين من الطبقة العالية يقضى الى خطر الفوضى أو على الأقل الى حالة عدم الثبات.

ولاحظ « نيتشة » في وجوب تأليف مثل أوسط من الانسان سليم ومتين نسبياً ، كعلاج ضد النتائج المدمرة للاضطراب الاجتماعى . ومن شأن هذه الحالة الوسط المتصفة بالفضيلة والجديرة بالاحترام ، انها لطبائع النخبة الممتازة خطر وقتنة . أما من حيث كونها فتنة . فان من الممكن أن ينقاد العبقري للتأثر بالمثل الاعلى الذى يؤمن به الاناسى الوسط وينزل الى مستواهم ويتغنى بمديح « الاجتدال » وتمجيد العامل المجتهد النافع المتواضع . وأما من حيث كونها خطراً فان العبقري ليس بوضع ريبة في نظر الانسان الوسط أكثر منه في نظر المنحط . كلاهما يسيء الظن به . وإنما يسعى الاناسى الوسط في ازعاج ضمير العبقري بان يفرضوا عليه عقائدهم الخلقية ويقنعونه بانه ليس هناك واجب أسقى من الاخلاص خيرهم وخير القطيع (سواد العامة) . ومن شأن الاناسى الوسط أن يراقبوا العبقري بحذر كما لو كان قذيفة خطيرة لا بد من جعل انفجارها بلا خطر أو بالحري منع ذلك الانفجار . وليس هذا الفوز للمثل الانسانى الوسط بمجرد حادث لا مريية فيه . بل هو الى ذلك عنصر لازمة ضرورية لترقى النوع البشرى .

وفى الحق ان الانسال يبغي القوة لا مجرد كونه انساناً بل إنه يبغيها ويتطلبها على أنه نوع بشرى . وتجاهد الانسانية في سبيل الظفر بالحد الاقصى من القوى وان تبسط باشد ما يمكن سيطرتها على الاشياء . ويبدو أنها ان تبلغ ذلك الحد اذا لم تنجب غير شخصيات قوية أو كان أكثر ما تنجبه من تلك الشخصيات . لان التاريخ قد دل على ان العناصر انراقية لا تعمر طويلاً . بل تضمحل على عجل باستنفاد قواها في الحروب . وتتلشى بسرعة من جراء مطامعها وتمعضها الدائم للمخاطر العنيفة . ومن شأن الاقوياء أنهم يسرفون في قواهم ولا يدخرونها . ويسرفون بلا حساب . وليس للمدة في نظرهم أية قيمة . أنهم يؤثرون للنوع حياة قصيرة ولكن موفورة النشاط والعمل وهم عند ما يبذلون ما ادخروا من قوى يرون أنفسهم أشد من الضعفاء هزلاً ونفاداً في الارادة واختلالاً في التوازن .

فان عصر العظمة الانسانية انما هو زينة تكافها ثمننا غاليا
 وظاهر أنه ينبغي للانسانية اذا أرادت الحصول على الحد الاقصى من ثمار
 نشاطها وقوتها ألا تقتصر على انشاء عناصر قوية ومسرقة تنالشى بسرعة وتحترق
 بالشعلة الداخلية التي تلتهمها، وانما يجب أن تخالق في الوقت، نفسه مثال الانسان
 الوسط القابل للنظام المتبع والاطول بقاء، وان تجدد أدنى عناصر النشاط
 الانسانى وظيفتها النافعة اذن يكون من المناسب بناء الاداة الاجتماعية العظيمة
 بحيث يتاح لجميع القوى الفردية، حتى الحقيرة منها، ان تنتج الحد الاقصى من
 اثمرة النافعة التي تستطيع انتاجها . وتلك هي الغاية التي نسعى اليها اليوم
 انما نحن نتقرب من حالة الحضارة التي تستغل فيها الارض صناعيا في دوائر
 واسعة وفي المجموع .

وفي هذه الحالة يكون الانسان اوسط عنصر الازمان للاقتصاد العالمى . وجدير بالفيلسوف
 الا يحتقره والا يزدري تقائمه — الجبن والسفاهة وانصغار والاستجداء —
 وثا كان الفيلسوف هو المثل الشاذ فمن واجبه أن يشمل بحمايته القاعدة المتبعة وان
 يؤيد عند الانسان الوسط، الرضا بما هو فيه وبما قسم له

كذلك تتضح لنا فكرة نيتشة فقد كان يعتقد في كل وقت ان الحضارة غير
 ممكنة بلا ارقاء . وتناول هذا المبدأ المبني على القدر المحتوم في البدء بنوع من
 التشاؤم الميئس . ولكنه عاد فقباه على انه حادث طبيعى لا ينبغي ان يستثير
 الحكم . هل الانسان الوسط المتواضع العامل المعتدل . ذلك الانسان الذى
 يسرنا أن نصفه « بالطيب » هل هو فى الحقيقة سوى « المثل الا على للرقيق :
 رقيق المستقبل » ؟ ولقد مهدت الديمقراطية والاشتراكية السبيل الفعلى لذلك
 الاستعباد الذى تكابده الجماهير حين نزلت بالثرد الى حد الحالة الوسط
 بل الى حد الآلة الصامتة . وورضي نيتشة بقبول هذا المبدأ دون أن يستسلم للشعور
 الكاذب . قال « يلزم أن نتعلم التفكير فى حال الجماهير دون أن نكون أكثر عطفاً عليها

من الطبيعة . فثما لم توجد فى تلك الحالة الإلفظ النوع . فإذا كانت هناك مسألة خاصة بالعامل الأوروبى فأن منشأها يرجع الى شعورنا الكاذب والى بلاهتنا : فثنا اذا اردنا ان نخلق عنصرًا من الأرقاء الصالحين وجب علينا أن نخلق الوسائل المؤدية الى ذلك الغرض وان نطبع ابن الشعب على الطاعة والخضوع والرضا بصبر بما قسم له . وان من الخطأ ارغامه على الخدمة العسكرية ومنحه حق الاعتصاب وحق ابداء الرأى وتسميم ذهنه بأقوال الصحف . ومن الخلل بل ومن الهوس تربيته على أن من حقه أن يفكر ويعمل بنفسه وان يأمر ويسود فى حين ان وظيفته الطبيعية هى ان يكون آلة فعالة مطوعة بن ايدي « الطغاة وجماعة السبر مان » الذين يتنافسون فى السيطرة على العالم

وفى هذه الحالة يتضح ان الدولة تبهم النخبة الممنازة الى الحسد الاقصى باعتبارها أداة للسيطرة على الجماهير وقد لاحظ نيتشه عدا ذلك ان من الممكن ان تكون الدولة حتى فى نظامها العسكرى والوطنى مدرسة صالحة ومفيدة لمن يسود العالم فى المستقبل

وتبين له أن العسكرية هى العلاج الفعال للانحطاط . ولم يحجم نيتشه عن التصريح بأنه يسر لترقى العسكرية فى أوروبا . ورأى ان الجمعية التى تنقاد لغرائزها الكينة فتستنكر الحرب والفتح تصير قابلة للانحطاط والديمقراطية وسيطرة جماعة التجار وان المحافظة على الدول الحربية هى الوسيلة الوحيدة التى تتيح بقاء الانسان « القوى » فى أوروبا . ورسم نيتشه برنامجا للمستقبل يشمل التربية الفنية القوية ثم الخدمة العسكرية بحيث يصير كل فرد من الطبقات العالية ضابطا مهما كانت استعداداته .

ومهما كانت الوطنية ضيقة ومحدودة ، فمن الممكن أن يكون لها نفعها وتأثيرها الحسن من حيث أنها تبقى على التنافس بين الدول وتجعل الحروب لازمة وتستحث على نشأة العبقريّة الحربية .

وأخيراً قال نيتشه ان الدولة لا تراعى أى قانون أدبى فى أفعالها ولا تشعر بالمسؤوليات ولا تبالى أن تفعل مالا يبيحه الرأى لانيفسهم وإن الجماعات أشد «طيبة» وإخلاصاً من الافراد الذين يبلغ من صغارهم أن ينادوا فى شهواتهم الى الحد الاقصى. والجمعية لا تتصف بمحبة الآخرين إنما يعد من مهارة الفرد أن يكون أرحمياً محباً للآخرين . والجمعية لا تعتبر «الفضيلة» الا وسيلة للقوة وللنظام . وأحكامها الهامة إنما هى أحكام مطابقة للواقع وللحقيقة كل المطابقة. لا تتقيد بأية قاعدة خلقية وتقصده الى تقديس الشهوات النافعة لحفظ النوع وتمجيد القوة وتدخل عليها الطمأنينة . وعلى النقيض من ذلك نزعج ضماث أولئك الذين يعرضون المجتمع للخطر . أنها تجعلهم فى عزلة . اذ تحيطهم بجو من الريبة وعدم التساهل والقسوة وتعاملهم معاملة الاشرار فتجعلهم مرضى اذ تشعرهم بأنهم شواذ فى المجتمع . وخلاصة القول أن الدولة لا تسعى الا لجرد المحافظة على بقائها بأن تحط من شأن الفرد الى درك العبودية او العجز . وهى بهذا الاعتبار نموذج للبرمان بل هى الاداة الهائلة التى ينبغى أن يستعين بها هذا الاخير على تأييد سيطرته الدائمة على الجماهير . هذا ما يستخلص من روح الفلسفة الاخيرة لنيتشه .

ومما تقدم يتبين أن نيتشه تراوح فى الرأى بين مذهبين كل منهما اسمى قيمة من الآخرة : الحرية والدوام . فهو من جهة كان المحرر الكبير والمفكر المستقل الرأى وصاحب مذهب الفردية الشديد التعصب لمذهبه الذى يريد ألا يقف امام العبقرية أى عائق او قيد وأن تكون طليقة حتى من القانون الأدبى وان يخولها الاستقلال الذاتى التام . وبناء على هذا المذهب صار عدوا للدولة التى لا تعتقد بظهور العبقرى الذى يهدد على الدوام استقلالها والذى يبغي إخضاعها لغاياته المنطوية على الكبر والانانية والذى يريد ان يفرض عليها قانونه . فأعلن ان البرمان يكون حيث لا تكون الدولة .

ولكنه من جهة أخرى كان ذلك الخالق العظيم الذى طالب قبل كل شىء بالدوام

لأعماله وشمل بهذا المذهب المنظور على الاعجاب، الآثار التي تغلبت على الزمن مثل الامبراطورية الرومانية والكنيسة الكاثوليكية ودعا الى ظهور حاكم يسود الارض . حاكم مستبد يحصل به قطع الارقاء على الرضا اللازم وعلى سبب بقائهم . ورغب في قيام « طاغية » . مهيب ينظم استغلال العالم طبقا لمبادئ العقل ويحقق الحلم الذي طالما شغل اذهان كبار الفاتحين بوضع حد لفوضى « الدول الصغيرة » في اوروبا والسيطرة على العالم كافة — ويقال بعبارة أخرى ان نيتشة حرر السبرمان من سيطرة الدولة ، وفي الوقت نفسه رأى أن الدولة أداة لازمة لسيادة السبرمان . وعظم شأن هذا المذهب عندوهو المذهب الذي يمكن أن نسميه امبرياليا كاثوليكيًا، وقوى على حسابه مذهب الحرية في غضون السنوات الاخيرة من حياته

نرى من الميسور التوفيق بين وجهة نظر الدوام ووجهة نظر الحرية . وهل نتج نيتشة نفسه في التوفيق بينهما توفيقا تاما ؟ هذا مالا نستطيع ان نؤكدده . ويوضح مانحن بصدده ان نيتشة بقي في آخر الامر موضع ريبة من الاحزاب الوطنية والاشتراكية ومن المحافظين الذين يرتاعون من مذهبه انفسد في السبرمان ومن أنصار الحرية الذين ينظرون الى رأيه في أن تحكم اقلية صغيرة من السبرمان قطعيا عظميا من الارقاء كحكم ايتوبي خبيث . وميزة نيتشة الجوهرية انه نظر بجلاء الى مسائل العصر الحاضر التي حيرت الازهان — مسألة « المكانيزم » حسب تعبير « راتناو » ومسألة توحيد أوروبا ومسألة تكوين نخبة ممتازة وشكل من حكومة السبرمان — وبسط ذلك بأتم الاخلاص دون أن يحاول تضليلنا بحلول سهل فيها التناول أو ان يلطف من خطورة تلك المسائل باستعمال التعبيرات المتفق عليها . وأضيف الى ما تقدم أن من الواضح ان المسألة الاقتصادية لم تكن في نظر نيتشة ذات أهمية أولية كما يتصور اغلب معاصريه فقد جعلها نيتشه متيدة بالمسألة الفلسفية . فانه يستدل من تحليل فكرة نيتشة ان القوه التي تطمح اليها الارادة والتي ينبغيها السبرمان ليست في الواقع خيرا محسوسا وليست بسيادة الملك على رعاياه ولا

القائد على جنوده بل هي أدنى بكثير من الساحة التي تفتجها حيازة الذهب .
وهي لا ترمى الى تكوين امبراطورية واسعة ولا في جمع ارزاق وثروات في ازدياد
مضرد ولا في الحصول على حالة آتم دفاعية واعظم رغدا وزينة . انما القوة
باسمى اشكلها شيء غير مادي بل هو بعيد كل البعد عن المادية . قل « زارتوسترا »
في تعاليمه إنها « أفكار تأتي محمولة على الكف الطير فتحرك العالم . فمناصب القوة
والعظمة في صورته السامية ، اذن ليس الرجل العسكري ولا رجل الاعمال ، كلا ولا
« سيد العالم » . انما هو الفيلسوف والمفكر الذي تكون لا أفكاره قوة انتشار كفية
تسبحر الارواح وترسخ في النفوس . هو ذلك الكاهن الذي يعلم الغيب والذي
يصيغ قبل غيره الاحكام الاساسية القيمة . هو المعلم الذي يوحى الى الاخلاف
المتقبلة بالتجارب التي ترقى الجنس البشرى . هو العبثية الدينية التي تملئ
على الناس سيادة المبادئ التي يدبرون بها أفعالهم »

فلسبرمان الذي عناه نيتشة هو من الوجهة الجوهرية أحد أولئك المعلمين
الكبار الذين سيطروا على الارواح أمثال المسيح ومحمد وبوذا . وكذلك الحرب
التي اهم لها ليست تلك الحرب التي تدور في ميادين القتال والتي تبعد في عنفها
وعماها الارزاق والكنوز الفنية وحياة الناس والسعادة البشرية . انما هي الكفاح
الصامت غير المنظور . الكفاح الخفي الذي يجري في أعماق النفوس بين المبادئ
العظيمة الكفيلة بتدبير حياة البشر والتي تقدر في آخر الامر مصير التطور العام .
فان الغرض من الحرب المادية المنظورة انما هو سيطره شعب أو عنصر وتحكمه .
ولكن الحرب الروحية تحدد ما يمكن ان نسميه بالمصير الديني للانسانية . فلانسان
الذي يطمح بكل قوى نفسه الى سيادة فكرة مدبرة للانسانية وفوز مثل ديني اعلى ،
قدما كان أو حديثا ، هو المتشيع الخالص لمذهب نيتشة : أما من يتحمس لفوز
الوطن أو العنصر أو الحرب فلا يحق له ان يدعى الانتماء لنييتشة

لذلك لأنمحي اليوم من انصار نيتشة غير فئة قليلة. أولئك الذين أطلق عليهم اسم الباحثين الذين كانوا بالأمس غارقين في مادية حضارتنا المولعة بالبذخ ووسائل النعمة والذين ينشدون السلامة اليوم في التجديد الروحي للإنسانية. على هذا بقي نيتشة، وهو أحد كبار المحررين لروح البشرية، بل أحد الذين استدلوا بأشد الاخلاص والشجاعة على السبيل الذي يخرجنا من ظلمات العدمية.

مقطوعة غنائية

حنها وغناها الأستاذ النابغة الموسيقار محمد عبد الوهاب

ونظمها أمين عزت المحجوب

يراني الناس مبتسما وقابلي	تروق نية آلام الجفء
ويرضيني رضاؤك عن عذابي	ويطربني ابتسامك من بكائي
خيالك شغلي عن كل فكر	وحبك مبرتي من كل داء
تنامين الليالي في هناء	وأسهر راعيا نجم السماء
فهل شاهدت في الأحلام طيفي	فتقص عليك أوجاعي ودائي
وإني قد تلفت فليست أرجى	وصرت كائن شبح الفناء
صمت وقد يكون الصمت شعرا	يردد في الواري لحن الشقاء

* *

ألد الحب ما قسيت منه	وخالط وصله مر الجفاء
تعلل فيه صيحك بالأمانى	وتختم فيه ليالك يابكاء
ويشجيك انضني فتظل تبكي	وتشعر في بكائك بالهناء

سر ليلة

قبلتها شغفا ووبرا وضممتها للصدر عشرا
 هيفاء ، يذرى بالغصو ن قوامها، وبكيت قسرا
 تفتت عن درر بدت كثر الشقاء لها وفرا
 لم تدر معنى للبكا فالوجه يندى منها بشرا
 ترنو بلحظ ناعس فتخلف الاكباد حرى
 الليل يحرس حبنا ونرى الرقيب علينا بدرا
 واذا مالت رأسها ؟ نرم الوسادة ، تلف صدرا
 كالطفل النائم نقرها بسداجة وأمس شعرا
 فتضم وجهي راحتا ها تودع الاذنين سرا
 « أنى أحبك ». لاعدمتك أنت ذا تبدين جهورا
 فالشمس تعرف اننا الفنان مملوآن طهورا
 والذسم يحمل بيننا كتب الغرام وليس نشرنا
 حتى النجوم تعلمت صحف الحبة كيف تقرا
 أو تذكرين وقد مشيت ما يخفنا « الصبير » (١) فجرا
 نخفي اللواعج تارة ونخالس النظرات أخرى
 خوف العوازل والوشاة ومن يرون الحب نكرا ؟
 كنا نشد أ كفنا باكفنا نعصرها عصرا
 وتتمم الشفتان أف والاهل يراها البعض نكرا
 ليس الغرام نقيصة ليزل صاحبه ويذرى

* * *

أحسن أنت آلهه وتلطف فيك قد استقرا
 واعرت للورد الذكي شذاه حين مررت مرا
 نور الجبين اذا بديت يخاله الفلكي بدرا
 واذا ذرفت الدمع حذوا اطرق الثقلان قسرا
 ولو ابتسمت لدى الموم م يرى ليل اليأس فجرا

باطيفرها

سبيت القلوب بوجه سفر فضل العباد وذل القمر
 ولا بدع انت فريد الجا ل وحيد الكمال منار البشر
 قبل في السماء اذا ما تبدى شببيك قالوا منير ظهر
 اعينك ربى - فلست شبيه المنير ولكن شببيه القدر
 تعز، تذل ، تميت وتمحي، فمنك الهناء ومنك الكدر

* * *

ذكرت لك لما رددت على ال حياة وكنت اسير السهر
 أناجى الهلالي بقلب كبير عساه - الهلال - يزيل الضجر
 حسبك رب الجلال تبدى فكنت كموسى بعصر غبر
 اهبت تحيى ، ومن ذا تحيى أسير الغرام ولا من مفر
 فاحنيت رأسى خضوعا لعا. ياك ان الخضوع رهبن الظفر
 بسمت قيمت ، دنوت فجدت بقلب كايم عليك انفطر
 وضعت يديك باخرى عرا ها ارتعاء وقلت لقاء ندر
 بمحك قل لى ، قرأت ضميرى يربك أنى اليك الخبر ؟
 أردت الجواب ولكن .. ولكن . عصانى اللسان ودمعى انهمر
 سألت ، علام البكاء اجبنى؟ بماذا اجيب وامرى اشهر

هو الحب يذرى بكل الوجوه د يذل النفوس اذا ما استعر
هو الحب ينمو كزهرة الربيع وينمى الزهور غزير المطر

* * *

وسرنا الهوينى نجوب الرياض وضوء المنير علينا انتشر
عليل النسيم اثار الشجون فصغت القريض يابن الحجر
لطيفك (ميه) سهدت الورود بلطف تخر اذا ما عبر
وكانت عروس السماء تبديت تنير الطريق وتقفو الاثر
ولورمت وصف خفوق القلوب عليك عجزت وقلبي انفطر
هنيئاً لنسم بحيطك دوماً وسقيا لضوء المسا والسحر

* * *

تركت يدي بلطف ورحت بعيداً سريعا وغاب القمر
فصحت جزوعا ولما اقلت خيالك مثلك منى نذر
قصصت لقومي المنام فقالوا «جننت» وقلوا «فلان كفر»
حبیب الیاس

في الازهر

لست أريد من هذه الكلمة أن يتقبلها أسيادنا الاشياخ قبولاً حسناً ويتفهموها، لأنى يئس منهم جداً ولا أمل لى فى (حرية) فكركم ولا أريد بها مخاطبة الرأى العام وإيضاح مركز هؤلاء (العلماء) من الدين ومنا، وأول ما أريد أن يفهمه الناس خصوصاً فى مصر أن هناك فرقاً كبيراً بين (علماء الدين) وبين الدين نفسه !

نعم لا نزال نسمع فى كل حين أنهم يقفون عن انفسهم (حماة الدين) و (رجال الدين) وأمثال هذه الألقاب ولكن يجب أن لا نصدق مثل هذا خصوصاً ونحن نرى بل نلمس أنهم لم يفهموا هذا الدين فهمه الحق وانهم يخلطون بينه وبين الأساطير والخرافات (ولو أنهم طبعاً لم يخترعوها ، بل قد اختلطت بالدين فى تاريخه. وهذا بحث تاريخى طويل جداً لوعنى به الاستاذ الباحث صاحب (المصور) فنحن انما نؤاخذهم على عدم فهمهم وتمحيصهم ثم ادعائهم فوق ذلك أن هذا هو الذى يجب أن يكون (ولنضرب بالعقل عرض (العامود) لا الحائط) هناك أذن فرق بين الذين ينتحلون لأنفسهم وصف حماة الدين ورجاله، وبين الدين نفسه ، وأنا أجاهر بكل قوتى أنهم لا يفهمون روح الدين ، وأن محصولهم من الخرافات التى التصقت بالدين فى عصوره الطويلة ، أوفر جداً من محصولهم من الدين نفسه ؛

وهنا أريد أن أعرض صورة واحدة نفهم منها مقدرة حضرات (العلماء) على التفكير وتقبلهم لما يقال ! لست أذكر الآن بالضبط فيم كان الشيخ يفسر (وهو شيخ مدرس لطالبة على وشك التخرج فى القسم الثانوى) وجاء ان الله يخلق الأشياء حيث يشاء . فقال الشيخ ان من المشاهد أنه اذا رويت

الأرض (الشراقي) وغمرت بالماء فإنه تكثر بها (الفيران) وهذه الفيران تمخاق من (الطين مباشرة) ! . . . قلنا وكيف يأمولانا الشيخ؟ فقال أن الله يخلقه هكذا من الطين ؛ وأنه رأى بنفسه حيوانا في طور التكوين نصفه الأعلى قد تم وكسى بالشعرو به العينان والوجه الكامل للفأر ، ونصفه الأسفل لما يكمل بعد ؛ بل لا يزال من طين لازب !

(ياسيدى اسماعيل ؛ ولا تقل لى مذهب النشوء ولا (غيره) فقد جاء الشيخ بالقول الفصل !) ثم ذهب يقيم الدليل على صحة قوله ، وأنه شاهده بنفسه ! . . والله على كل شيء قدير ! . . !

فتصور معى ياسيدى القارىء كيف يحترم الشيخ عقلاه ، وإما أن أقبل هذا أو أكون رقيق الايمان ! ! . . أأست ترى معى أذن أنه يجب أن نفصل بين هؤلاء وبين الدين ؟ وإنى ما أريد من هذه الكلمة ألا أن ألفت نظر الرأى العام الى أن مركز هؤلاء القوم باعتبار أنهم رجال الدين ؛ ليس فى محله ، وأنه يجب أن لا نجعل لهم مثل هذا الخطر ، وكل هذا التقدير ، بل نجعلهم حيث هم وحيث جعلوا أنفسهم ! ! . .

فإذا فعلنا ذلك لم يجدوا هم بابا باسم الدين لمعارضة كل تحرير فى الفكر ، وأصلاح فى الحياة التى وقفنا بها . حيث يعدو القوم لا (خيبا ولا بالقلاص) ! ! . وإن أعجب فلقوم فى الازهر عندهم بعض حرية فى الفكر ولكنهم (يخافون) . وإنى لألقى عليهم تبعة ثقيلة هى كتمان العلم الذى لم يخلقوا ألا ليكونوا له حماة ، وعنه زادة ، وأست أفهمهم مخافون مادام الرأى العام المثقف يعضد كل حر خصوصا فى بيئة مثل هذه مليئة بالجود ! ولعل تنقيب شيخ حر كالشيخ الحالى يجعل من خوفهم هذا بعض الصراحة فيما يروونه الحق ، فيظهر والناس أراءهم ! !
وشىء آخر أريد أن أوجهه إلى الذين يبحثون فى كتب الدين الاسلامى من الذين يريدون المعرفة الصحيحة ذلك هو (الثقة ! !) فهما يكن الشيخ المؤلف

(الشيخ الآ كبر . والكبريت الاحمر) فلا تنخدع به . فأنتك لا شك واجد له زلة ان لم يكن كل كتابه (تخريف) فلا تقبل منه هذا على أنه من الدين فنتهم الدين بما هو منه برىء : بل اتهم عقلية الشيخ قبل كل شيء ! !... والحلال بين والحرام بين

ثم لا تفزع ان وجدت من يقول لك أن (حبة) القمح كانت كبيضة النعامة قدرا ثم صارت هكذا من ذنوب البشر ! ؟ . . بل لا تفزع أن أخبرك من جادل فخلا (من فحولهم) في أن الروح مادة تخرج من الجسم عند الوفاة ولا قيمة لاعتراضك بأشكال المادة الثلاث . حيث يقول (هذا كلام النصارى . ولا يعتمد به عندنا لأنه تخريف ! ؟ . .) ولا تأخذك الدهشة أن أخبرك أنه كفر من يقول بأن المادة لا تفنى ، ودليله أن الماء اذا سخن يتطاير وينعدم ، وأن الماء الذى يقع على الأرض تبتله وتغنيه ، وأن هذه اعتراضات النصارى يدسونها لكم لتفكروا !!) ؟ وربما كان من التسلية أن أقص عليك ما قص الشيخ قال (كان مرة سيدى . . . رضى الله عنه ماش مع سيدى . . . رضى الله عنه فأوصى الأول صاحبه أن لا يؤذى أحدا أبدا إلا اذا كان هوى المعتدى ! وفيما هما فى الطريق لحقا تاجرا كان يمر على مهل فضغط سيدى . . . ؟ على كعب حذاء التاجر فانفتق ! ، قلت التاجر ورفخ يده فى الهواء ، وفيما هو يهوى بهاعلى صدغ سيدى . . ؟ تطايرت ذراعه فى الهواء منفصلة عن كتفه !! . فانظروا يا اولادى كيف يكون مقام اولياء الله جعلنا الله فى بركتهم . . . !) فامتنعك العناية على تحمل الكثير من مثل هذا ، ولا سيادنا (العلماء) طول البقاء ! . . ما

م . ع . ش

ازهرى حر

هرطقة ، والعيان بالله

بمناسبة ما كتبه الاستاذ حسين محمود في العدد ١٢ من العصور وأورد فيه بعض (الحكم) التي تمتلئ بها كتب (العلم الشريف) أريد أن أحدث القراء عن حكاية ليست (هرطقة) ولا شيئاً بل هي كرامة بسيطة لأحد أولياء الله (ولا اعتراض!) كان لسيدى (كذا) (وأطنه سيدى ابراهيم الدسوقي أبو الرفاعى) تابع. وكان سيدى يحبه كثيراً ثم حدث أن قبيب التابع عن سيدى الولى زهنا، حتى اشتاقه ورغب في لقائه - فسأل عنه فقالوا انه كان به مرض، وقد قضى الآن!، فانتفض الشيخ وقال (كيف!؟:.) ثم لم يروا الا نوراً يملو ويملو حتى ركب سحابة ولحق بها عزرائيل وهو يحمل (الوارد) الذى قبضه من أرواح العباد في ذلك اليوم، وقد زر عليهم كيسان من الجلد، فقال له الولى (كيف قبضت فلانا تابعى وأنا في حاجة اليه!؟...) فقال عزرائيل أن الله أمرنى بذلك، فتطاولا على بعضهما (وكلمة من هنا وكلمة من هنا) فما كان من سيدى الولى الا ان (خطف) منه كيس الارواح، وبعثه في الهواء، فذهبت كل روح بقدرة الله تسعى الى جسدها الذى فارقت وشيكاً فعادوا الى الحياة باذن الله ومنهم طبعاً تابع سيدى الذى عاش معه طول حياته بخدمة الى أن قضيا معا!؟.. وهذه الحكاية (وأمثالها كثير جداً) مثبتة في كتاب مناقب لست أذكر أن كانت مناقب سيدى ابراهيم الدسوقي أو غيره، وفي هذه العجالة لا أريد أن أبحث، ومن شاء أمثال هذه فليقرأ كتب المناقب. فلا تعترض ياسيدى حسين (حسن أنت شايف!؟...) وبعد أليس من العار حقاً ان تهمل هذه الدرر فلا تدرس في الجامعة المصرية لتفاخر بها أمم الغرب. فلا تعود تفخر علينا بأصل الانواع وأمثاله من كتب (النصارى) السخيفة!؟...

ولا تستبعد اذا نشرت كنوز هذه العلوم (الربانية) أن تقرر دراستها في كمبريدج أو كسفورد. ويكن لنا فخر الاشتراك في تثقيف العالم!؟....

أليس كذلك يا أستاذ حسين!؟...

مقتل دوق غانديا

جيوفاني بورجيا

في يوم ١٤ يونيو سنة ١٤٩٧ ، وهي الليلة التي أزمع فيها سيزار وجيوفاني بورجيا السفر الى نابولي ، أعدت والديهما « فانوزا » Vanozza ولية وداع لهما في حديقة الكرم الجميلة في « تراستيفير » . ولقد حضر الوليمة مع الاميرين عدد كبير من أقاربهما وأصدقائهما ، وكان من بينهم الكردينال « مونريال » « وغفريدو بورجيا » الصغير . ولقد ظل المدعوون حول الوليمة إلى ساعة متأخرة من الليل استأذن عندها سيزار بورجيا وأخوه جيوفاني في الانصراف ، ومعهما قليل من الحاشية والخدم ، وبينهم رجل مقنع محوط بالاسرار ، ظل شهراً من الزمان ملازماً لـ جيوفاني بورجيا ملازمة الظل . وفي تلك الليلة ذاتها بينما كان جيوفاني في الوليمة أسر اليه ذلك الرجل بضعة كلمات لم يسمعها أحد غيرها ، فضلاً عن أن هذا الرجل كان من زوار جيوفاني الذين يغشون قصر الفاتيكان كل يوم (١)

وترافق الاخوان وحاشيتهما معاً بـخترقان شوارع « روما » حتى بلغا قصر « أسكانيوسفورزا » في حي « بونت » . وهناك أخبر « جيوفاني » اخاه « سيزار » أنه لا يريد العودة إلى قصر الفاتيكان في تلك الساعة « لانه يريد أن يلهو قليلاً » . وودع أخاه ، وصرف خدمه وحاشيته جميعاً ، ولم يرافقه إلا خادم واحد وذلك الرجل المقنع الغريب الاطوار . وتابع الخدم السير إلى قصر الفاتيكان ومعهم الكردينال « مونريال » . أما « الدوق » فركب الرجل المقنع على كفل جواده ، ثم قفل ميمماً شطر الحى اليهودى .

(١) اعتمدنا في هذا المقال على أصح المصادر التاريخية ، فليس المقصود منه مجرد التسلية بل هو درس تاريخي كامل .

وأصبح الصباح ولم يعد الدوق الى قصر الفاتيكان . وقلق خدمه وحاشيته عليه ، فأخبروا البابا (١) عن غيبته وسردوا له الظروف التي حوطت هذا الحادث . على أن البابا لم يفرغ لهذا النبأ . وفسر غيابه بما ذكر الدوق لأخيه سيزار بأنه ياهو قليلا مع احدى السيدات ، وأنه سوف يعود سريعا

وبعد قليل ، وصلت الانباء الى الفاتيكان بان حصانه قد وجد ضالا في شوارع روما بالقرب من قصر الكرديال « بارما » وبالسرج احدى الركابين ، أما الركاب الآخر فقد قطع بألة حادة . ثم توالى الحوادث فوصلت الى الفاتيكان انباء الخادم الذى رافق الدوق عند افتراقه عن أخيه اذ عثر به لدى الفجر في « البيازادلاغيوديككا » مجروحا جرحا قاتلا وهو عاجز عن الكلام ، وأنه مات بعد أن نقل الى بيت مجاور للمكان الذى وجد فيه .

وتولى الهلع جميع من كان فى الفاتيكان ، وأمر البابا فى اشتاق وخوف أن يدور البحث فى كل الامكنة التى يمكن أن يعثر فيها على شيء يدل على مصير الدوق . ولقد انتهت هذه المباحث بان ملاحا فى « الشيافونى » واسمه جيورجيو قد زود الباحثين بما رأى وسمع ليلة « الأربعاء » وكان قد أمضى الليل على ظهر سفينة بحرس حمولة من الأخشاب . وكان مرسى سفينته على الشاطئ الواقع بين جسر « سانت انجيلو » وكنيسة « سانتا ماريا نونا »

رأى هذا الملاح فى الساعة الخامسة من الليل ، وقبيل أن يتنفس الصبح ، رجلا ن خرجا من الزقاق الضيق المار بجانب مستشفى « سان غيرولامو » ووقفاعى شاطئ النهر فى الموضع الذى اعتاد فيه « الحمالون » أن يفرغوا عنده صناديق الفضلات فى النهر . وظل الرجلان يتطلمان بامعان وتؤدة ليكونا على يقين من أن المكان آمن وأنه لا يراها أحد . ولما عرفا أن المكان خال ، أرسلتا إشارة خاصة ؛

(١) رودريجو بورجيا والدوق غاندا وصار البابا الاسكندر السادس

فأقدم عليهما رجل يمتطى جواداً كريماً أبيض اللون تتدلى من فوقه قطع الديباج الموشاة بالذهب ، وخرج من نفس الزقاق الذى خرج منه الرجلان . وكان يحمل فوق كفله الجواد ، على مقدار ما استطاع « جيورجيو » أن يميز في ظلام الليل ؛ جثة بشرية رأسها يتدلى من ناحية ، وأقدمان من ناحية أخرى ، ولما وصل الجواد وراكبه الى النهر ، كان من ورائه رجلان يحفظان توازن الجثة على ظهر الجواد . ثم تقدم الجميع حتى صاروا على حافة النهر ، وعندها أداروا ظهر الجواد الى ناحية الماء . وحمل الرجال الجثة ثم أخذوا يراوحونها بينهم ، وقذفوا بها الى الغمر . وسمع « جيورجيو » الرجل الراكب يسأل زملاءه عما اذا كانوا قد قذفوا بالجثة الى بعد كاف . فاجيب « نعم يا سيد » — « Signori Si » وظل الرجل الراكب يلاحظ سطح الماء هنيهة ، وأشار الى شيء طاف ، تبينوا بعد ذلك أنه عباءة فريستهم فأخذ الرجال يقذفونها بالاحجار حتى غابت عن النظر وعادوا من حيث أتوا وعدتهم خمسة رجال .

هذه هي القصة التى رواها الملاح ، كما سطرها المؤرخ « بوركارد » في مذكراته . ولما سمع البابا هذه الرواية سأل الملاح : لماذا لم يبلغ السلطات عما رأى ، فاجابه الملاح ! انه رأى فى حياته التى قضاها على ظهر سفينته أكثر من مائة جثة يلقي بها فى نهر « التيبر » من غير أنه يهتم انسان بالسؤال عن مصيرها :

غير أن هذه الحادثة التى رواها هذا الملاح وغياب « الدوق غانديا » (١) قد أوقعت البابا فى شكوك ممضة . فأمر بان يبحث الغواصون قاع النهر قدما بقدم وهرع الملاحون وصيادو الاسماك ينفذون الارادة القدسية ، فكانوا مئات عديدة . ولم يمض أصيل ذلك اليوم حتى خرجت جثة الدوق غانديا فى احدى الشباك . وكانت الجثة بكامل لباسها ، كما توقع الناس من رواية جيورجيو الملاح ، بل كان القفاز باليدىن وكيس النقود فى المنطقة وبه ثلاثون من الدوقات

الذهبية ، وكذلك الخنجر وهو السلاح الوحيد الذى كان مع الدوق . وكذلك
الجواهر التى كان يتحلى بها فلما وجدت بتمامها . وكل هذه الظروف قد أثبتت
أن القتل لم يكن من يد لصوص ارادوا السرقة ؛ بل من أيد أرضت فى أنفـس
أصحابها شهوة الانتقام .

وكانت يدا الدوق لا تزالان موثوقتان ، وفى جسمه عشرة أو أربع عشر جرحا
فضلا عن حز قتل فى عنقه .

ونقلت الجثة فى قارب إلى قصر « سانت انجيلو » حيث خاضعت عنها الملابس
وغسلت بعناية ودرجت فى ملابس الرتبة الكنسية التى يستحقها الدوق . وفى
الليل نقلت الجثة تمحوطها المشاعل من قصر « سانت انجيلو » إلى كنيسة



البابا الاسكندر السادس (رودريجو بورجيا)

« سانتا ماريا دل بولو » لتدفن فيها ، من غير أن يقام للدفن احتفال يليق بمركز الدوق ومقام البابوية .

وكان حزن البابا عميقا . وروى « سانوتو » — Sanuto — عن شاهد عيان ، أن الجنازة عندما اجتازت جسر « سانت انجايو » سمع الذين كانوا واقفين هنالك صيحات الحزن والالم التي انبعثت من صدر البابا فحركت أشجانه وأثارت أحزانه . وحبس الاسكندر السادس نفسه في الجناح الخاص به من قصر الفاتيكان ليخلص الى آلامه الشديدة وشجونه العميقة ، رافضا أن يرى أحداً من أصدقائه أو مريديه أو من ذوى الحاجات . لولا الحاج الكاردينال « سيجوفيا » وقليل من أخصائه ، لما استطاع أحد أن يراه . وقد ظل البابا ، حتى بعد أن نجح « سيجوفيا » في المنول بين يديه ، ثلاثة أيام لا يذوق طعاماً ولا يهنا بسنة من نوم .

ورجع الى نفسه بعد قليل ، ثم ثاب اليه رشده ، بعد أن بذل الكاردينال « سيجوفيا » كثيراً من جهده في سبيل أن يجمع البابا شجاعته ، ويلم أطراف نفسه . وهنا أمر بان تفتش « روما » وأن يحاط بها للعثور على القتلة ، انتقاما لابنه : وظلت « روما » تحت رحمة الفاتيكان شهرين كاملين ، والعيون ساهرة لاتمام ، والقلوب واجفة لا تهدأ . ومع كل هذا فقد ضاع كل سعى يبدى ، ولم يقف أحد للقتلة على أثر .



الى هنا أنتهى دور الجريمة ، وبدأ دور الاتهام . على أن رواية الملاح « جيورجيو » هى كل ما عرف عن مقتل الدوق خانديا وهى كل ماجرى على اللسان من وقائع هذه الجريمة الفذة . أما مابقى بعد ذلك من الروايات والاقتصاص ، وتعتب ذلك الرجل المقنع ، وعلاقته ببعض عظماء روما فى ذلك العصر ، فاخباريات وتأملات وفروض ليست من الحق الثابت فى شىء . على أن هذه الاخباريات ،

فضلا عن هذا ، لم يبلغ عشرونها الوصول الى الحق ولم يتورعوا فيها عن الاختلاق والكذب ، فكانت الى تلحية الرذيلة أدنى ، وعن الحق ابعد وأقصي .
توجهت الانظار في أول الأمر الى « جيوفاني سفورزا » . فقد ظهر بانه انتقم لنفسه من البابا الاسكندر السادس تلقاء مالتى من سوء ماملة على يديه وبعيد . ولا شبهة في أن الدوافع التي كانت تدفع جيوفاني سفورزا للانتقام من البابا كانت كثيرة ولها فوق تلك مبررات مستمدة من روح ذلك العصر ونظامه ، ولكن لم يقم بجانب هذه القروض شيء من الشواهد التي تدل على أنه ضلعا في ارتكاب هذه الجريمة .

ثم رجع الناس الى القول بأن الكردينال اسكانيو سفورزا هو الذي أوصى بقتل بورجيا وظلت روما تردد هذه الاشاعة اشهرأ طويلة . فقد قيل بانه تخاصم مراراً مع دوق غانديا وثق احد حاشية الكردينال اسكانيو قد أهانه وسبه علناً وأن غانديا لم يرجع عن الرجل حتى قبض عليه وشنق .

ولقد استند المؤرخ « سانونو » على خطاب مؤرخ في ٢١ يولييه سنة ١٤٩٧ جاء فيه هذه الكلمات « من المحقق أن الكردينال اسكانيو هو الذي قتل دوق غانديا . » هذا ليعزز التهمة ضده . على أن الكردينال اسكانيو سفورزا كان رجلاً كثير الاعداء .

فعملوا جميعاً على أن يثبتوا صدى اتهامه في مقتل غانديا داوياً في جنبات روما وفي الفاتيكان على الاخص ، حتى لقد اضطر الى أن يترك المدينة ضناً بحياته ، ليلجأ الى « جيروتافراتا » . ولما استدعى الى روما رفض العودة ما لم يمنح عهداً بالأمان . على أن الظاهر أن مخاوفه لم تكن على اساس ، لان البابا لم يعلق اية اهمية على التهمة التي وجهت ضده ، وانه كان مقتنعاً ببراءة ذمته من دم ابنه كما اخبره شخصياً بذلك فيما بعد .

ولقد اتجه الناس بعد ذلك الى اتهام غيره ، لان الجريمة ما دامت قد

وقمت فلا بد لها من فاعل . ومن الغريب أن تتجه الشبهة نحو « غفريدو بورجيا » اخاء الأصغر . على أن التهمة في هذه المرة لم تكن أيضا بلا اساس . فقد كان ليغفريدو زوجة « نيا بوليتانية » تدعى « دوناساشيا » ، فتانة الجمال كثيرة التهتك خليعة مشبوبة الشهوات وكان الدوق غانديا ممن اتخذتهم وسيلة لارضاء شهواتها السفلى . وليس من شك في أن هذه الواقعة صحيحة تاريخيا والأدلة عليها قنينة بينة . إذن فلا بد من أن تكون الغيرة الآكدة في صدر غفريدو هي التي دفعته على قتل أخيه . على أن بعض المؤرخين ينكرون توجيه التهمة الى غفريدو بورجيا . ولكن الظروف تدل على عكس ذلك . إذ أن التهمة لو لم توجه اليه لما اضطر البابا (أباء) الى ان يعلن براءة من دم الدوق .

على هذه الصورة انتهى البحث في مقتل غانديا ، عند ما أعلن البابا في شهر اغسطس ان يقف كل بحث في قضية الدوق ، وأن ينصرف كل الى عمله وأن لا يوجه انسان اقل اهتمام بموضوع القتل . على أن « برا كشي » ، السفير الفلورنتيني في قصر الفاتيكان ، قد حاول ان يعال السبب في أن يعلن البابا رغبته في ترك البحث عن قتلة غانديا . فقد كتب يقول ان قداسته كان يعرف من هم الذين قتلوا الدوق ، وانه اراد التضليل بهم بأن يعلن رغبته هذه ، لعلهم يشعرون بانهم في امان ، فيكون من الممكن ان ينموا على جريمتهم بالفعل . أنه لم يكن بالكلام .

على أن « برا كشي » قد رجع في خطابات اخرى الى القول بانه انما يقول هذا القول استنتاجاً ، لاعن يقين ومعرفة صحيحة . ولقد كان يقول في بعض الأحيان أن رغبة البابا في أن يقف البحث عن القتلة كانت تعمل حيناً بما كتب ؛ كما كان ينكر هذه المسألة كثير من المطاعين على خفايا الفاتيكان في ذلك العصر ، عصر الاسرار . على أن حقيقة ما خفي من الدوافع وراء هذه الرغبة التي ابداهها البابا ، لم تعرف وان تعرف .

على أن الأمر لم يقف عند ما أبدى البابا من رغبة، فن « بارتولوميو دلفيانو » وأسرة « أورسيني » كلاهما قد ناله شيء من الشك والاثهام . ففي شهر أغسطس كتب سفير « فرارا » - Ferrara - في الفاتيكان يقول بأن « بارتولوميو دلفيانو » له يد في مقتل المدوق ، وفي شهر ديسمبر كتب « سانوتو » من روما خطابا يقول فيه بأن أسرة « أورسيني » مسؤولة عن دم « جيوفاني بورجيا » .

وليس لهذه الاتهامات التي كانت تلقى ذات اليمين وذات الشمال من قيمة تاريخية . غير أنها كافية للدلالة على أن الرأي العام كان في ثورة واضطراب جلاءه يوجه التهم لكل انسان يمكن أن يحوم من حوله شك في ارتكاب الجريمة . هذا من ناحية . أما الناحية الأخرى التي أريد استخدام هذه الطريقة في سبيلها وتسخيرها لها ، طريقة كيّل التهم جزافا ، فكانت محاولة ذفي التهمة عن « سيزار بورجيا » وكان اتهام « سيزار » في رؤوس الناس أثبت من اتهام غيره تلقاء هذه الجريمة .

لم يذكر اسم « سيزار بورجيا » متبعا بقتل أخيه إلا في شهر فبراير سنة ١٤٩٨ وكان أول من سمع بهذا الأمر سفير « فرارا » في مدينة البندقية في ١٢ فبراير من تلك السنة .

تجد تفاصيل هذا الاتهام فيما كتب المؤرخ « غريغوروففوس » صاحب الكتاب التاريخي المعروف ، « تاريخ روما في العصور الوسطى » . فقد ذكر أن البابا « رودريجو بورجيا » لديه أدلة يقينية على أن سيزار هو قاتل اخاه ، دوق غانديا، لأنه كان لديه شعورا ، بل اقتناع الهامى ، يوحى إليه بهذا .

يقول « غريغوروففوس » : « ان الناس في ذلك العصر كانوا يعتقدون بأن سيزار بورجيا هو قاتل أخيه » . على أن المؤرخ « رنابل سباتيني » وهو آخر من كتب في هذا الموضوع ينفي بحرارة كل التهم التي يوجهها المؤرخ غريغوروففوس الى سيزار نورجيا ، ويكثير من الحق وقوة النقد، نكاد نتقدم مع سباتيني بأن كل ما قرأنا

ونحن لا نزال في طور الطفولة عن مقتل دوق غاندي بيد أخيه سيزار بوجيا اختلاق محض فقد
قرأت مرة بان سيزار طعن اخاه بمنجبر والتي به من نافذة على نهر « التمبر » لانه



سيزار بوجيا

عثر به يغازل شقيقته، « لو كيزيا بوجيا » وكان سيزار على علاقة غير شرعية
بها . على أن امثال هذه الروايات المختلفة تترك في الذهن اثرها الباقي ، ومن
الصعب ، على ما أرى ، أن تستقوى البراهين التاريخية على الروايات التي تنمق في
القصاص التي توضع على قواعد تاريخية ، فيشود فيها التاريخ ، ويؤخذ تلك الوقع
على انها حقائق ، وما أرى يديها إلا استفزاز النفوس وإغرائها بصوغ الحوادث في صورة ما .

أما إذا تركنا الروايات التي تقرأها في القصص التاريخية جانباً، ورجعنا إلى التاريخ الصحيح، رأينا « غريغوروفس » وهو أكثر المؤرخين اقتناعاً بأن سيزار غير بريء من دم أخيه دوق غانديا، يعزو ارتكاب سيزار للجريمة إلى عاملين. العامل الأول حقد سيزار على أخيه جيوفاني لأن بقاءه كان يمنع على سيزار أن يكون أميراً زمانياً، وأن ذهاب أخيه يفتح له هذا الباب الذي لا يسه طامعه غيره. أما العامل الثاني فكان اشتراك سيزار وجيوفاني في حب اختبهما « لو كريزيا » حباً غير بريء، وأن هذا الحب كان سبباً في قيام المشاحنات بينهما. وفي هذا يقول المؤرخ المعروف ماسيو « ليبينوا »، « من أجل أن يرمى سيزار بوجيا بتهمة لم يقد دليل واحد على اشتراكه فيها ولا يمكن أن يبرهن على صحتها، كان من الضروري أن يرمى بتهمة أخرى أشد من الأولى شناعة وأكثر اسفافاً، في حين أن إثباتها عليه أكثر صعوبة وأحوج إلى البرهان والدليل من الأولى »

ولقد أثبت المؤرخ الكبير رنثيل سباتيني بكثير من الوقائع التاريخية الصحيحة أن التهمة بعيدة عن أن يؤخذ بها سيزار بوجيا وتقص كل الأدلة التي أقامها المؤرخ « غريغوروفس » وهو الذي استجمع كل أدلة الذين سبقوه من المؤرخين ورمى بها سيزار جملة واحدة

هذه هي رواية مقتل دوق غانديا. على أن ما يصح من مجمل ما قرأنا في الموضوع ينحصر في أن القتل كان انتقاماً لا بقصد آخر. هذا ما يصح لدى كل المؤرخين. أما الظروف التي حوطت هذه القضية، فلا يعرف التاريخ من أمرها إلا ظنونا وتأملات لا تغني عن الحق شيئاً

ياربتي !!

ما النجم يبعث ضوءه يطوى الظلام
ما البدر يبسم بعد تبديد الغمام
ما الشمس تغري العالمين بالابتسام
في أوجها العالى وقد قشع القتام

مثل ابتسامك في فؤاد الصب ... !

والزهر عند تساقط الطل الندى
كالعود يزهو بين أيدي المنشد
والطير في صدحاتها بتردد
ليست بأجلى منك لما تنشدى

فيردد الانغام عن مفنك قاي

الحسن معبد ربتي قدسته
والنور من عينيك ثم قبسته
ياليت شعري لو ملكت دخلته !
متخفياً في ركنه ... ياليتته !!

هل أستطيع أراك ، أو تأبين قربي ؟

أنا مذ عرفتك قد اتخذتك ... ربتي
سبحت باسمك في الصباح وفي دجى أمسيتي
ورأيت عالمك الجميل يفيض طهراً كلتي
أنسقتني الدنيا ... فما أمنيقي

الا قبواك ؛ اننى أخلصت حبي

حسن كميل الصيرفي

سر الحياة في النبات

تلخيص خطاب سيربوز العالم النباتي الهندي

استهل سيربوز كلامه بذكر الحضارتين القديمتين اللتين قامتا على ضفاف النيل والكنج وأشار الى ارتباط الهند بمصر بروابط الود وصلات الثقافة العقلية منذ اثنين وعشرين قرناً لما أرسل الملك انزوكا ملك الهندوسيين العظيم رساله الى مصر وكانهم أن ينقلوا اليها المعرفة كعربون ود وتقدمة وفاء وان يقيموا بين المصريين كأنهم منهم وكأخوة وأخوات فلما جاءتنى دعوتكم لا تقل اليكم ما جمعت على ضفاف الكنج من المعرفة انارت في هذه الدعوى قبساً من ذكرى الماضي وان ما لقيته من الترحيب الشرقى الحميم على يد وزراء الدولة والشعب المصرى جعلنى أشعر اننى واحد منكم

والعلم ليس وقتاً على الشرق ولا هو محصور في الغرب بل هو مشاع بين الامم في مجموعه ومع ذلك فان الشرق مؤهل خصوصاً بما فطر عليه من المزاج العقلى والمواهب التى توارثها من جيل الى جيل أن يخدم العلم خدمات عظيمة وان يكون له نصيب كبير في توسيع المعارف . والخيال الشرقى المتأجج بالذكاء والذى يستطيع أيضاً أن يضبط نفسه بعادة حصر الفكر في موضوع واحد وهذا الضابط ، هو الذى يحبو الانسان القوة على معالجة الشئ الذى يسعى لمعرفة حقيقته بصبر لا ينمى والعالم كله يعتمد بعضه على بعض وقد أغنى تراث العالم المشترك في جميع العصور تيار دائم من التفكير وادراك هذا التعاون المتبادل هو الذى حفظ كيان البشرية العظيم مرتبطاً ببعضه ببعض وضمن استمرار تقدم الحضارة وبقاءها

وانتقل المحاضر من هذه المقدمة الى الخوض في موضوع محاضرتة وهو « سر حياة النبات » فبحث أولاً في مقابلة النبات بالاحياء الحيوانية فقال :- ان النظرية المقررة عموماً هو ان جهاز الحياة مختلف جداً في الحيوان عنه في النبات فالحيوان يجيب عن الصدمة بحركة انتفاض سريعة أما النباتات

العادية فلا تشعر اذا ضربت ضرباً متوالياً وان للحيوان نسيجاً نابضاً لتوزيع الدم المغذى في أجزاء الجسم وانه ليس للنبات مثل هذا النسيج وأن أعضاء الحس في الحيوان تتأثر بمؤثرات الحوادث الخارجية فتنتقل هزة التأثير على الاعصاب فتحدث رد الفعل غير الاختياري عن بعد في حين انه ليس للنبات مثل هذا النسيج لنقل المؤثرات بل كان الاعتقاد ان هناك تيارين من الحياة يسيران جنباً الى جنب من غير أن يكونا مرتبطين بصلة ما. غير ان هذه النظرية قائمة على خطأ تام وقد وقف تأثير النظريات غير الصحيحة حائلاً في سبيل المعرفة ان العثرة الحقيقية التي تعترض سبيل البحث في حياة النبات هي ان عمل الحياة فيها يجري في باطن النبات فلا تستطيع ان تنفذ عيوننا الى داخله. فإذ كان من الضروري أن تخترع آلات ذات دقة متناهية وحس يستطيع ان ينفذ الى أصغر وحدات الحياة وان يسجل نبضها . وكان اختراع «الميكروسكوب» انتهى يكبر الأشياء ألفى مرة فأتحت عهد جديد في تقدم المباحث البيولوجية ولكن جهازى «الكركوجراف» المغنطيسى الذي يكبر المراتب خمسين مليون مرة يكشف اليوم عجائب حياة باطنية جديدة . ويقوم بصنع هذه الاجهزة مهندسون من الهندود دربوا في معهدى . ويتوقف التقدم الاقتصادى فى بلد ما على تقدمه فى الاكتشاف والاختراع وعقل الشرقى من هذه الناحية قادر على التدليل على قوته العظيمة . وقد اعتبرت النتائج الجديدة التى عثر عليها فى معهدى عن التأثير المشترك الذى تحدثه العقاقير المختلفة فى النبات والحيوان ذات شأن لها أهمية عظيمة جداً فى تقدم علم الطب . ويعرض جهازى الذى يكبر النمو فى الحال تكبيراً هائلاً سير النمو وقد تيسر بواسطته أن يقرر قانون النمو ومعرفة جوهرية لتقدم الزراعة العملية التى يتوقف عليها قوت العالم

وبرهن المحاضر على ان للنبات حساً بواسطة اختراعه العظيم بان أرسل تياراً كهربائياً ضعيفاً جداً فى النبات وفى أحد الحاضرين وقف فى نفس الدائرة فلم يشعر الانسان بشئ ما ولكن لو حظ ان النبات يهتز من اثر

٦٢ — ١٤ ع

الصدمة . فالنباتات العادية ليست ذات حس فقط بل في وسعها أيضاً أن تسجل من التأثيرات مالا يستطيعه الانسان فالنبات أشد حساً والحالة هذه من الانسان .

وثبت النبات في الكرسي الكهربائي على أسفنج مبلل ليسهل سريان التيار اليه فد النبات بعد فترة كما دل على ذلك سكون الخط الضوئي المنبعث من الجهاز الكبير على اللوحة فلما أرسل تيار قوى في الجهاز تلا ذلك ارتجاف في النبات دل عليه انحراف الخط الضوئي الى اليسار بعنف غير ان النبات لم يكن قد مات بعد بل عاد يرتجف من تأثير القوة الكهربائية القاتلة فيه وبعد ذلك اهتز الخط الضوئي وانحرف الى اليمين الى موت لا عود منه وكرر هذه التجربة فلم يبد النبات حراكا لانه سكن سكون الموت

وجريان الدم في الحيوان يحدثه عمل ضاغط يقوم به نسيج نابض يتخذ في الحيوانات الدنيا شكل قناة طويلة ويحدث الدفع الى وجهة معينة عمل دوري . كذلك اكتشف في النبات عمل دوري يجري بواسطته عصير النبات . وادهش المحاضر الحاضرين بالتأثير الذي تحدثه العقاقير في نبض النبات والحيوان على السواء

واشتدت دهشة الحاضرين واعجابهم لما عرض المحاضر عليهم تأثير السم والترياق في نبض النبات فان سريان السم جعل النبض يضعف شيئاً فشيئاً وكانت الحياة عندئذ تهتز وتترنح ولم يبق لها سوى انحراف بسيط حتى تموت ثم جرب بعد ذلك تأثير جرعة معتدلة من خلاصة نبات هندي قام من جرائها صراع بين الحياة والموت وأخيراً ظهر الترياق واستطاع النبات ان ينزع نفسه من قبضة الموت . وبهذه الطريقة اكتشف عدد عظيم من النباتات الهندية لم تكن تعرف خواصها الطبية ولبعض هذه النباتات في عالم الطب فعل أنجح مما عرف حتى اليوم بل انه رد باستعمال احداها قلب ضفدعة الى الحياة بعد ما كان قد سكن . وسيؤدي البحث الى مكتشفات جديدة في علم الصيدلة تفيد في غوث الانسانية

ونستطيع ان نرقب تدرج الحياة في النبات والحيوان ولكنه تدرج طويل المدى والنبات أقرب إلينا جداً مما تتصور وقد وجدنا انه ليس كلمة من انمو النباتي ولكن أنسجته تفيض بالحس فهو يجيب عن الهزة الخارجية بالارتجاج وكل رجة تقع في مكان منه تسرى إليه كله وقد استطعنا ان نسجل سير حياته النابضة وان ثبت ان نبضه ينخفض ويرتفع ابتداءً لقوة الحياة التي تسرى فيه وان النبض ينقطع بموت الوظائف الرئيسية وفي ذلك وكثير غيره تشابه أسباب التفاعل في النبات والانسان معاً وهكذا يندو في وسعنا بالتجارب النباتية ان نخفف من ويلات البشرية (١)

حرية الفكر

وقساوسة الاسلام

حرية الفكر عندى	فى معبد التقديس
وانما الفكر نورا ال	آله عند الرءوس
فيجتلى كل غيب	بضوئه المعكوس
وتستشف خبايا ال	اكوان والناموس
لا تحجبوه بوم	من عالم التدليس
وبالتقاليد تترى	وطائشات الطقوس
الى الأمام حثيثا	لا تعبأوا بالرموس
مامات قات واكن	مايات رهن النفوس
العقل شمس جانا	بها آله الشموس
وان مما يسى ال	ججود فى القاموس
ستر الصنيع وشوب ال	انعام بالتغليس
اتكفرون بربى ؟ !	فما جزاء المجوس ؟ !
ولم حكتم على ذا	بالكفر والتنجيس ؟ !
كفرتم ونشطم	للغى والتابيس
لبستم لبنى ال	سلام ثوب القسوس
ورحتم تدخلون ال	مقول شتى الحبوس
وتلصقون بدين ال	اسلام شتى الرجوس
دعوه والعقل يزهو	وادعوا الى ابليس ..

« الحاجرى »

فرساوس

من أساطير روما واليونان

١ — بحث فرساوس عن رأي مديوسا

منذ ان ولد «فرساوس» نطاع اليه الالهة والالهات وحوطوه بالعناية، ولما سألهم «ميركري» أن يساعدوا النبي وأن يمدوا اليه يد العون، لبوا لطلبته بارتياح



فاعاره « بلوتو » خوذته العجيبة التي تخفى عن الانظار كل من يضعها على رأسه . وأعطته « مينرفا » درعها الذي يرسل ضياء كضياء الذهب ، فضلاً عن لمعانه الذي كان يعكس عليه الاشباح كما تنعكس على المرآة الصافية . ومنحه « ميركري » سيفه المحدود ، وحذاءه ذا الاجنحة الذي استطاع به « فرساوس » أن يطير في السماء ويخلق في الجو ، وأت يسابق به أشد الطيور سرعة في قطع المسافات البعيدة .

وبعد أن تمت عدة « فرساوس » حصر كل همه في أن يعثر على الجزيرة التي تسكنها « مديوسا » . ولم يكن في العالم كله من يعرف هذه الجزيرة سوى أخوات ثلاث كن يعشن معا في جوف كهف بعيد

أما الاخوات الثلاث فكن خلقاً عجيباً ، واعجب شيء فيهن انه لم يكن لهن عينان كما لبقية الذوات البشرية ، بل كان لهن عيناً واحدة لا غير . وكن يتبادلن استعمال هذه العين . فاذا كانت العين مع احدهن عجز الاثنتان الاخريان عن أن يريا شيئاً وأخذتا تتخبطان في ظلام دامس . وعند ما كانت تنقل العين من احدهن الاخرى ، كان يظل ثلاثهن برهة وجيزة لا يرين شيئاً . غير أن هذه العين كان فيها من قوة الابصار ما في ستة أعين من عيوننا مجتمعات . فكانت الواحدة منهن اذا لبستها استطاعت أن ترى ما يقع من الحوادث في أقصى بقاع الارض ، ومن هنا كانت معرفتهن بمكان الجزيرة التي تقطن فيها « مديوسا » .

وأخذ « ميركري » بيد « فرساوس » ودله على مكان الكهف الذي تعيش فيه الاخوات الثلاث . وبعد ان ودعه وزوده ببضع نصائح ثمينة تركه ، ولكنه اختفى في دغل قريب يلاحظ ما يحدث عن كشب ، ولبت في انتظار . وبعد قليل ظهرت احدى الاخوات ، والعين في مقدم جبهتها ، ووقفت على باب الكهف . واذا كانت تأخذ بيدي اختيها ، أخبرتهم عن كل ما كانت تري أمامها ، وأخذت تنص عليهم عجائب ما يقع في بلاد الارض النائية ولقد أصغيتا اليها باهتمام هنيئة ، غير ان الضجر تملك احدها فسألت قائلة — « يا اختاه : لقد جاء دوري في أن أستعمل العين الآن . فاعطينيها » .

فقلت الثالثة : « كلا . هذا ليس بحق . إن هذا دورى أنا » . أما وسطا من
والتي كانت تحمل العين فقلت فى فزع — « امت اليكما ياختى أن تسبحا الى
بان أحمل العين برهة أخرى . فاني اتخيل انى أرى شعباً مختفياً وراء هذا
الدغل القريب » .

فلما سمع « فرساوس » هذا الكلام اضطرب وتمايل فى جذائنه المجنج



فرساوس و غرايى (الاخوات الثلاث)

غير ان خوفه كان بلا باعث ، لان الاخوات أحذن يتخاصمن علي العين ،
وتوائبن حتى اضطرت التي كانت تلبس العين الى ان تخلعها عن جبهتها .

وفي هذه اللحظة كان الاخوات الثلاث غير مبصرات ، فانتهر « فرساوس »
هذه الفرصة ، فاقدم عليهن والتقط العين . ووقع هرج شديد اذ اتهمت كل
واحدة أختها بأن هي التي خبأت العين من أختيها . غير ان « فرساوس »
لم يتكلم ولم يفهم بينت شفه . حتى اذا هدأ روعهن وكذبت الخصومة أن تنتهى ،
كلمهن « فرساوس » قائلاً : « اخواتي الطيبات : لا تحفن ولا تنزعجن .
ان العين في أمان . وانها الآن في يدي » .

ولم يكدن يسمعن هذه الكلمات حتى تملكهن الغضب والامسى فهجمن
ثلاثتهن في الاتجاه الذي صدر منه الصوت . غير أن « فرساوس » كان
أسرع منهن حركة وأخف انتقالاً ، اذ حلق في الجو بحذائه المجنح ، ولما
صار على بعد كاف منهن فاداهن قائلاً « انى لن ارد اليكن عينكن
يا صديقاتى حتى تخبرننى بدقة كيف استطيع أن أعثر على الجزيرة التي
تعيش فيها مديوسا »

وكان المكان سراً بين الاخوات الثلاث لا يبحن به ولو كان ذلك في
مستطاعهن . غير أن فقدانهن العين التي يربن بها كذاً أمراً عظيماً لا يصبرن
عليه ، بل كان شيئاً مزعجاً لا قبل لهن به . وبعد بردات وجيزة ، اضطرن
أن يخبرن فرساوس عن كل مأسأل . وظان ينتظرن في دلمع ، ولم يهدأ لهن
روع حتى وضع « فرساوس » العين في جبهة اقربهن اليه
ورجع مسرعاً الى حيث اختبأ « ميركرى » وشكره على ما اسدي اليه من
مساعدة . وبعد أن ودعه دار في الجو قاصداً طلبته .

وطار « فرساوس » في الجو فقطع ودياً وبحاراً ، واجتاز قارات
وجزائر كانت تعيش فيها « الجرجونات » (١) المزعجات . ولم يستطع

(١) الجرجونات : في الميثولوجيا القديمة ثلاث نساء هن « شتينو » و « بوريال » و « مديوسا »
كن يعشن في جزائر وراء البحار الغربية وكن يقابن كل من رآدن الى نماثيل من حجر .
وكانت مديوسا من بينهن قابلة للفناء ، فقتلها فرساوس .

« فرساوس » أن يتطلع الى أسفل وهو محلق فوق تلك البقاع . غير أن درع « منيرفا » المضيء كان بمثابة مرآة استطاع بها أن يرى المسوخ الثلاثة (شتينو وابوريال ومديوسا) على الشاطئ مستغرقات في نوم عميق .

فاستل « فرساوس » سيفه المحدود . وبعد أن عين مكان مديوسا بالضبط بان جعلها هدفاً منظوراً على درعه اللامع . هوى الى الحضيض بسرعة فائقة . ومن غير أن يخطيء قصده فصل رأس مديوسا وهي نائمة عن جسمها ، ثم حلق في الجو ثانية حاملاً الرأس وراءه

ولقد أزعج ازيز الثعابين الملفقة حول رأس مديوسا اختيها ، فاستيقظا من نومهما وهمتا بان يتبعها « فرساوس » لينتقما منه . غير أن خوذة « بلوتو » قد حجبتة عن نظرها ، واستطاع فرساوس أنه يفر برأس « مديوسا » الثعباني قافلاً الى حيث كان .

وظل ينهب الفضاء ماراً على أرضين كثيرة وبحاراً عميقة . وصادف من المخاطر مانجا منها باعاجيب عديدة . فلما قارب الجزيرة التي كانت تعيش فيها أمه ، هبط نواً الى كوخها الذي كانت تعيش فيه فرمى بالدرع والخوذة ، والتقى بالسيف جانباً ، وخلع حذاء « ميركري » المجنح . وبعد أن لف رأس « مديوسا » في خرقة ، ذهب ليلقى أمه ويحيتها .

ولم تكدر تراه حتى أخذها الفرح وداخلها السرور بمراي ولدها ، لأنها كانت قد يئست من أن تراه مرة أخرى ، على ظن أنه مات . وفي ذلك دلالة على أن المسافة التي قطعها فرساوس ليصل الى الجزيرة التي كانت تعيش فيها « مديوسا » واختيها كانت كبيرة شاقة ، ولم يكن ليعرفها الا الاخوات الثلاث ذوات العين الواحدة .

وتص « فرساوس » على أمه كل قصته وما حدث له من المخاطر والمغامرات المنزعجة ، وكيف أنه قابل « أندروميذا » الجميلة — المرأة السلسلة (١) . وقصت عليه أمه كيف قسى الملك في معاملتها — وكانت تدعى « دانا » وكيف هزأ بها وسخر منها عندما كان فرساوس غائباً عنها . فصمم « فرساوس »

(١) الاسم الذي أطلقه العرب على كوكبة من كواكب السماء .

علي أن ينتقم لأمه منه .

وذهب « فرساوس » صبيحة اليوم الثاني الى القصر . ولما عرف الملك أن « فرساوس » لا يزال حياً أخذ الرعب والوجل وداخله الالاسى ، لانه كان يظن أنه مات .

« هانت يا فرساوس قد عدت من غير أن تفعل ما وعدتنا به . إن شجاعتك ليست بقدر ما فهمنا ولا بقدر ما فهمت في نفسك » . فأجاب فرساوس : « كلا يا صاحب الجلالة : لقد قلت « مديوسا » واحضرت اليك رأسها معي . »

« هذا ما يجب عليك أن تبرهن عليه بأن ترىنا الرأس رأى العين . — ذلك لان الملك لم يكن يعتقد بصحة ما قال فرساوس .

« ما دمت يا صاحب الجلالة مصمماً على هذا ، فإليك الرأس » — وأخرجها من الحقيبة التي كان يحماها تحت ابطه ، ورفعها اليه . فنظر اليها الملك هنيهة ، وكانت لا تزال ابتسامة السخرية منطبعة على سيماه ، ثم جلس من غير أن يبدى حراكاً — ثم انقلب الى تمثال من الصخر الجامد .

ولما سمع الناس بما حدث خرجوا في فرح ومرح ، لانهم كانوا يخافون الملك ويخشون بطشه وظلمه . وانتخب « فرساوس » حاكماً آخر أمردهم فعاشوا في سلام وسعادة .

وعرف « فرساوس » انه انما نجح في مهمته بمساعدة « ميركرى » وغيره من الالهة بما أعطوا له من وسائل ومعدات ، فلم ينس أبداً ذلك الدين الذي هو مدين به لهم . فاعطى رأس « مديوسا » لمنيرفا ، وفرحت بالهبة ، ووضعتها في وسط درعها اللامع . ومنذ ذلك الحين ، تظهر رأس مديوسا في درع مينرفا اللامع كلما اشتبكت في حرب ، فتقلب كل من رآها الى صخر جامد ، اذا ما رأى الخلائق جمالها المفزع المخيف .

٢ - كيف تزوج فرساوس

عرفنا أن «فرساوس» قد قص على أمه لدى عودته من جزيرة «مديوسا» وأختيها أنه رأى «أندروميديا» الجميلة . رأدا بعد أن قتل المسخة المنزعة، بينما كان عائداً الى بلاده .

في جزيرة من الجزر القريبة من شواطئ بلاد اليونان ، وكانت تعيش امرأة جميلة تدعى «كاسيوبيا» (١) . وبعد ان مضى وقت طويل على وقوع هذه القصة التي نقصها عليك وضعت هذه المرأة بين النجوم المتألقة السماء، ويمكنك أن تراها حتى اليوم مستوية على «كرسيها» الأبدى ، مضيئة براقه بين نجوم السماء .

أما في خلال الزمان الذي وقعت فيه هذه القصة ، فكانت لاتزال تعيش على الارض كما ذكرنا ، وكانت فتاة الجمال . وكانت فوق ذلك مغرورة بجمالها فوقفت ذات يوم تباهى بمحاسنها وتقول بأنها أجمل من أية من «حوريات» - Nymphs - البحار . في حين أن «حوريات» البحار كن جميلات جهدا ما يحمل الجمال من معنى، ففضبن من «كاسيوبيا» وحنقن عايبها ، كيف تقارن جمالها بجمالهن ، وكيف تختال عليهن بمحاسنها .

والظاهر أن الناس في تلك الازمان كانوا يتبعون في اظهار غضبهم طرائق قاسية عتية . فأرسل «الحوريات» ثعباناً بحرياً عظيماً الى الجزيرة التي كانت تعيش فيها «كاسيوبيا» فخرب ودمر وزرع الخوف والفرع في قلوب أهل الجزيرة . حتى لقد اضطر الناس أن يذهبوا الى هيكلمهم ليستوحوا آلهتهم . وكان استيحاء الآلهة في تلك الأزمان أمراً مألوفاً . فكنت ترى في المدن العظيمة هياكل شيدت للآلهة والآلهات . وكان يعيش في هذه الهياكل كهنة ، كان يظن الناس أنهم الوسيلة - Oricle - بين الناس والآلهة أى أنه بوساطتهم يمكن للناس أن يخاطبوا الآلهة . فاذا ارتج الأمر على أحد من الناس أو حار فيما يتبع من سبيل ازاء أمر واقع أو أراد أن يعرف شيئاً سوف يقع في المستقبل ، ذهب الى الهيكل ، وقدم «ضحية» أو «تقدمة»

(١) كاسيوبيا هي ذات الكرسي عند العرب

للالآه ، وفي نظير ذلك يرسل الآله بكلمات التحذير أو النصيح .

فلما ذهب أدل جزيرة « كاسيوبيا » الى هيكلهم ليتوحدوا آلهتهم ،
وليسألوا لماذا غشى جزيرتهم ذلك الشعبان المزعج كان الجواب : « إنه غرور
كاسيوبيا وانها إذا اعطت ابنتها « أندروميديا » الى الشعبان ، اكتمنى بهذه
التضحية « حوريات » البحار ، وكف الشعبان عن أذاهم » .

وكان حزن الناس عميقاً ممضاً عندما سمعوا كلام الوحي . فان وداعة
« أندروميديا » وطيبة قلبها ، حببت الناس فيها . حتي لقد قال كثيرون بانها
أكثر من أمها جمالا وأشد فتنة ، وانه من الظلم أن يكون غرور كاسيوبيا
سبباً في أن نموت أندروميديا .

وماذا تقول في كاسيوبيا ؟ انها لم تصدق كلام الوحي . بل فزعت الى
الهيكل وركعت على ركبتها متوسلة بأن تقدم ضحية كبيرة إذا استرد الوحي
تلك الرسالة المزعجة . رسالة أن « أندروميديا » لابد من أن تلتقى بين أنياب
الشعبان المزعج المخيف .

غير أن الوحي قد كرر ما قال من قبل وقال لها ! « إنك إذا أردت أن
تنقذي مدينتك وأهلها من الخراب الساحل ، وجب عليك أن تضحي
بابنتك » .

فرجعت كاسيوبيا الى قصرها حزينة كئيبة ، وسجنت نفسها في حجرها
لتستسل الى أشجانها . لانها لم تعد تستطيع أن تنظر الى وجه ابنتها . وكم
تقت على غرورها الذي أودي بها الى هذا المصير المزعج والذي سبب لها
هذا الالم الصارخ ، حتى لقد كرهت أن ترى وجهها الجميل الذي كان سبباً
في أن تعثر بنفسها ، والذي كان من قبل سبباً في فرحها وحبورها .

وبعد قليل قاد أهل الجزيرة أندروميديا الجميلة الى شاطئ البحر ،
وأوثقوها الى صخرة معلقة في الفضاء . ووقفوا من حولها محزونين مكروبين
ينتظرون قدوم الشعبان العظيم الذي كان سوف ياتهم أجمل شابات الجزيرة
وأكثرهن وداعة وأشدهن لاخير حياً .

وأظهرت « أندروميذا » كثيراً من الشجاعة والصبر ، لتخفف عن أمها ويلات ما تجود من الحزن والاشفاق عليها . غير أنها كانت في الحقيقة فائزة أشد الفزع ، بل كانت تفتنض خوفاً ، كلما تخيلت مرأى الثعبان فاعراً فاء ليلتهمها بين أفكاكه المريعة .

وكان الجميع ينتظرون في فزع ورعب ، عند مارأوا شبحاً أسوداً يتقلب فوق الامواج عن بعد قصي ، وعرفوا أنه ذلك المخلوق الهائل آتياً ليأخذ من بينهم « أندروميذا » الحسناء . وأخذ الثعبان يقترب شيئاً فشيئاً ، وهو يضرب مياه البحر بذنبه القوي ، مرسلأ أزيزاً قوياً تهلع له القلوب وتنخلع له الافئدة . وأخذ الثعبان يتقدم نحو الصخرة التي علقت أندروميذا فوقها فانتفضت الفتاة بقوة وأرسلت صرخات مزعجة أليمة ، وغطى الناس وجوههم بأيديهم ليخفوا عن أنظارهم هول الموقف ، لأنهم لم يقولوا على أن يروا اندروميذا الجميلة يبتلعها ثعبان مخيف .

في تلك الآونة ظهرت في السماء بقعة سوداء كأنها غيامة كثيفة ، وظهر حسام لامع ممشوق شق بضياؤه أشعة الشمس القوية ، وهوى على الحيوان الهائل فغاب في ظهره حتى النصاب .

وكان « فرساوس » طائراً فوق هذه البقعة ، فرأى بنظرة واحدة تلك الفتاة الجميلة معلقة فوق الصخرة ، والثعبان يتقدم نحوها ، وقد رفع نصف جسمه لابتلعها . وبسرعة فائقة انتقض « فرساوس » على المسخ الهائل واشتبك معه في معركة حامية الوطيس .

وأخذ الناس يتطلعون الى المعركة بقلوب والهة . حتى اذا ما تمكن « فرساوس » من طعنة نجلاء سددها الى قاب الثعبان ، انقلب على ظهره في الماء ميتاً تتلاعب به أمواج اليم المتلاطمة ، ثم تجاوزت التلال القريبة برنات كررت بها أصداء المعركة العظمى .

وحل « فرساوس » وثاق « اندروميذا » ورمى عنها سلالها وأغلالها ، وأعادها الى أهلها . ولقد ذرف الناس دموع الفرح وأرسلوا صيحات المرح

والانشراح وعبروا لفرساوس عن شكر انهم على ما اسدى اليهم من يد
لا ينسونها أبد الدهر .

وأضافت «كاسيوبيا» البطل الكبير في قصرها ، وبدا أيام طلب منها
يد اندروميذا لتكون له زوجة ، بعد أن فتن بحمالها وآدابها وحناء نفسها .
أما اندروميذا فكانت قد أحبت فرساوس منذ أن رآته لأول وهلة عند
مارأته يهوى بسيفه الباتر على رأس المسخ العظيم ، فقبلت زواجها بفرساوس
وملء قلبها سرور لا يوصف .

وبدأ أهل اندروميذا يعدون معدات العرس وقد اشترك فيه كل أهل
المدينة ليحيوا فاتنتهم ويطلبوا المنقذ . وكان في المدينة رجل عجوز كانت
تخشاه كاسيوبيا وزوجها كل خشية ، ويخافون منه كل خوف وكان قد
سألهم من قبل أن يعطوه ابنتهم زوجة فلم يرفضوا جهاراً ، ولم يردوه علناً
حذر بطشه بهم

وكانت « اندروميذا » تحقت هذا الرجل العجوز ، وكان بغضها له سبباً
في ان تحب « فرساوس » الذي أنقذها من ثعبان البحر الهائل ومن الرجل
الذي تبغضه بغضاً شديداً .

وأتى يوم العرس وسطعت أنوار البهية التي زادت شمس النهار بهاء .
وعقد قران فرساوس باندروميذا باحتفال شائق . وازدحم الناس حول
الموائد يأكلون ويشربون مالد وطاب من فاخر المأكول ومعتق الشراب .
وكان الناس في أتم حفااء ، اذ فتحت الابواب على مصاريعها فجاءة ،
ورأى الناس خائمين فزعين ، رجلاً قبيح المنظر قصير القامة ، وببده سيف
مسلول ، ومن ورائه ثلة من الجنود مدججين بالسلاح .

وخيم السكون الرهيب ، حتى تكلم الرجل قائلاً : « فرساوس . لقد
أتيت لأخذ عروسي اندروميذا التي وعدت بها . اعطنيها في سلام ، والا
قتلتكم وجندي هؤلاء جميعاً »

ولقد تملك اندروميذا الخوف واخذت باثواب فرساوس متشبثة به .

وهنا وضع فرساوس يده على حقيبة كان يحملها تحت إبطه وقال - « ان من تدعوها زوجتك هي لي وحدي وليس في الدنيا من قوة تستطيع أن تأخذها من بين يدي ». فاجابه الرجل العجوز قائلاً - « سري » وتقدم يريد فرساوس .

غير انه لم يكذ يتقدم الى وسط الحجرة حتى وقف فجاءة من غير أن يبدي حراكاً ، وسيفه مسلول في يده كما لو كان يتحفز للضرب . ذلك لان فرساوس كان قد رفع رأس « الجرجونة » - مديوسا - فاقاب الشبح الى تمثال في صخر حيث كان .

ولما رأى اتباعه ما حدث لقائدهم رجعوا مذعورين ونكصوا فراراً من القصر . واخذت الوليمة بعد ذلك زخرفها كأن لم يكن شيء مما كان . وأخذ فرساوس عروسه الى جزيرته الاصلية ، فقضوا عيشاً رغداً في ذلك الكوخ الصغير الذي ظلت والدته فرساوس تنتظر فيه عودة ابنها مشفقة والهة .

الصين

عن كارلوس فورزا

يكثر الناس في الوقت الحاضر من الكتابة عن الصين ولكن ليس هناك قراء كافين . وفي ذلك اثبات على أن رجل الطريق له نصيب من الذوق أكبر من نصيب المفكرين . فليس هناك أية فائدة من محاولة التفريق بين شائع تسولين وشائع كاي شك وبقية الشائعات الذين يقودون عصابات تتقاتل في الشرق الاقصى .

ان حالة الصين في الآن الحاضر تشابه لدرجة كبيرة حالة ايطاليا في القرن الخامس عشر .

وقد تحزب الكتاب للصين تحزبا كبيرا أفضى الى التعارض التام غالبض يدعى أن في الصين نهضة وأن شمس الديمقراطية لاشك قد أشرقت عليها وأن وأن . أما معارضوهم فيهزون أكتافهم استهزاء وإذا نطقوا فهم يقولون ان فرقتين من الجنود كافيتان لاختضاع الصين بأسرها وهكذا تجملان حداً لمهازل الجنود الصينية الخشبية .

ولكن أليس الرأي الاخير هو نفس رأي البعض عن الحركات التاريخية السابقة، وهل للمجازر البشرية نتائج حاسمة أم أن الضغط مهما قوي لا يكون الا كمثل محاولة ضغط كرة من المطاط لتبقي دائماً غير كروية في حين أن النتيجة دائماً تؤدي الى ازالة آثار ضغط الاصبع ؟

ومن أغرب الاشياء أن الاصطلاحات المألوفة لنا لاتدل في الصين على المعنى الذي تفهمه منها بل تدل على معنى منقادض تماماً. مثلاً « الشرف السياسي » فهو غير مفهوم في الصين كما تفهمه . لانه اذا أخذ أحد الزعماء رشوة من أحد البيوتات المالية هناك لا يعد عمله قبيصة بل على العكس يعد سجية خصوصاً اذا استعمل في تنشيط دعوة سياسية . وكذلك لا يعبر

الصينيون أدنى التفتات الى من يحتفظ بمثل هذه الرشوة الى تأسيس ثروة لاعتقابه لان التفكير في صالح العائلة من الامور المشرفة . فالبيت أرقى منزلة في نظر الصينيين من الدولة . ومن الغريب أنه ليس في لغتنا ألفاظ تدبر عن بعض الصناعات الخلقية الصينية فمثلا ليس في العربية اصطلاح أوفى من كلمة صدغ (بفتح وسكون) للتعبير عن صفة التظاهر بالكبرياء التي يقدرها الصينيون أعظم تقدير، سواء كانوا من الاشراف أم من العامة . فالتصديغ هو مصدر كل المصائب (حسب اعتقادنا) التي تحمل بالصين . ولكنه عندهم من أجل الخصال .

الظاهر أن عهد الملكية في الصين قد مضى واتقضى وهذا معناه عند الغربيين انه لن تقوم للملكية قائمة بمد ولكن هل هذا هو المقصود من هذا الاصطلاح في الصين ؟ سل ايا كان من رجال الصين الازكياء عن رأيه في الحالة الاقتصادية الحاضرة، تراه يهز رأسه اسفانم يقول وكيف تنتظر للحالة صلاحا وليس لنا ملك يطلب من السماء لها الصلاح ؟ ويجب ان لاتنسى ان شقة البعد بين الملك والسماء اقصر بكثير مما يتصوره أى مفكر غير صيني . ويجب أن تفهم أوروبا تمام الفهم ان ازالة ذلك الصنم المسمى ملك الصين معناه هدم هيكل تصوراتهم العالمية والاخروية . ومن العبث محاولة ملء الفضاء القائم بينهما لان آثار الهيكل القديم تأصلت في الارض منذ القرن السابع للميلاد . هذا اذا نبشنا أصل العائلة المالكة الاخيرة فقط . فالملك ليس حاكما بل هو معبد يري الصينيون العالم من خلاله . وبالطبع كان يحيط بالملك ملوك ثانويون هم الامراء الاقطاعيون الموزعون في أنحاء الاقطار الصينية . ومن الخطأ ان يقارن الانسان مملكة الصين بالامبراطورية الرومانية المقدسة، فان الاخيرة هكذا سميت لانها لم تكن رومانية تماما كما وانها لم تكن مقدسة تماما بعكس المملكة الصينية فكانت مقدسة بكل ما في معنى الكلمة من قوة . فالنظام الصينى يجب ان يتخيل على شكل هرمى اذ كما توغل المؤرخ في ماضيها وجد أن القاعدة تزداد سمكا عن ذى مثل

حقيقة كانت العائلات المالكة تعزل ومحل محلها عائلات اخرى ولكن لا يشعر بهذا التغيير والتبديل الا تفر قليل . وإذا فرض وتطرق هذا الحادث الى اذهان بعض العامة فيكون على أي حال مشوبا بمسببات دينية . وماذا يهم شخص الجالس على العرش مادام هو الملك ؟ وهذا هو بالضبط الواقع منذ ١٩١١ فاعلم الناس حتى المحاربين لم يدر بخلافهم تصديق اشاعة خلع آخر ملوك عائلة سنج على اساس انه لو حدث مايشاع لكنت الارض غير الارض والسماء غير السماء . فاذا قارنا هذا بحال الامبراطورية الرومانية نجد فرقا ظاهرا يتلخص في ان الامبراطور كان قائدا لا يمت بصلة الى الآلهة ولا صلة له بالسماء . ولم يكن قصر الملك الصيني بالصرح كما يتبادر الى الذهن ، بل كان أقرب الى معبد منه الى غيرة ، وليس هذا فقط بل كل قاعة من قاعات القصر الملكي كانت معبدا قائما بذاته لها اسم مستقل مكون من اكثر من لفظة احداها لا بد وان تدل على معنى معبد ، حتى قاعة نوم ملك الصين فقد اطلق عليها اسم معبد السماء

والآن يجب علينا ان نتساءل هل من الممكن ان تكون الصين جمهورية قابا وقابا ؟

وسوسة الخناس

الفلسفة هي محاولة الوصول الى الحقيقة المطلقة ولكن هل هذه الحقيقة هي التجلية لحواسنا أم هي أمر مجهول منا تماماً . يقولون ان ما نحس به ليس أكثر من مظاهر يختلف وصفها باختلاف الحس . فاللون غير ثابت لانه يتغير بتغير الاضواء المنعكسة عليه كذلك الشكل يتغير بتغير نقطة الرؤية والصلابة تتغير بتغير قوة الضغط، وكذلك قل عن الذوق والسمع والشم فاذا كان أمامك ثلاث أوان تحوى احداها ماء مثلاً والثاني ماء عادياً والثالث ماء ساخناً فانك لو وضعت احدى يديك في الماء الساخن والاخرى في الماء المثلج تشعر بتأثيرين متضادين، ماء بارد جداً وماء حار جداً . أما اذا رفعت احدى يديك ووضعتها في الماء العادي فتشعر بأن الماء الآخر أقل برودة أو أقل حرارة مما شعرت به أولاً . كذلك اذا تطلعت الى الحائط تراه أملساً مع انك تراه تحت المجهر غير أملس . فالمظاهر تبدو لنا متفاوتة باختلاف الظروف والبيئة . والآن يجب أن نتساءل هل نحن نشعر بالشيء الا بواسطة حواسنا وهل هذه الحواس ترى من الشيء غير مظهره ؟ فما دامت المظاهر تختلف باختلاف الحالات فكيف يمكننا أن نجزم بان حقيقة هذا الشيء هو كذا وكذا في حين ان المظهر الذي يبدو لحواسنا معرض دائماً للتغير ؟

لنتحول الآن الى تلك الحقيقة المطلقة ولنتساءل هل هناك شيء (مادة) وراء هذه المظاهر الغير ثابتة ؟ فكل ما يمكننا أن نقوله هو لاشك في وجود محسوس وراء هذه الظواهر، ولكن ما هو ؟ فلنفرض ان أمامي انسان يكلمني فهل هناك ما يثبت وجود هذا الانسان ؟ وهل يجوز أن أكون حالماً بوجود شيء أسميه انسان ؟ طالما نحن نحلم بأشياء رأيناها وأخرى لم نرها، بل تجسمت لنا في الحلم

جالت هذه الافكار في فكر ديكارت فعول أن لا يعتقد بما لم تقم بينة على وجوده فأخذ يتابع شكوكه الى النهاية الى أن شك في كل شيء وأصبح

يتساءل عما إذا كان ذو بذاته موجوداً أم لا ، أما كل ما خلا شخصه فقد سلم جدلاً بأنه لا أكثر من خداع . ولكن إذا لم يكن ديكارت موجوداً فكيف يتاح لديكارت أن يخدع بل كيف يتاح له أن يشك ؟ هنا قال جملة الشهيرة « انا أفكر فاذن انا موجود » ولكن هل هذا «الأنا» غير متغير ؟ وبمعنى آخر هل «أنا» الذى افترض وجوده منذ عام هو نفس «أنا» المفترض وجوده فى الوقت الحاضر، وهل هو أيضاً «أنا» الذى سيكون فى المستقبل ؟ أليس هذا «الأنا» قد تغير فى القدم وتغيرت تجاربه وتغيرت وجهة نظره كاتغير اهتمامه وقوته ومجموعة حواسه ؟ فهذا «الأنا» يتغير كل يوم بل كل دقيقة وكل ثانية «فانا» لم يحس بان الحائط أملس وكل ما هنالك أن (مجهولاً) قد أحس بذلك

ما هو الذى يمكننا الحكم بوجوده خلف المظاهر ؟ وكيف نعرفه ؟ فلنسلم أن هناك جسماً له هذه المظاهر فهل هذا الجسم يكون دائماً موجوداً سواء أشعرت حواسنا بوجوده أم لم تحس بها ؟ فهل الكرسي موجود حتى إذا لم يكن أحد فى الغرفة ؟ لنجتهد أن نغطى الكرسي تماماً بقماش فهل يظل الكرسي موجوداً إذا اختفت ظواهره عنا أم لا يكون موجوداً ؟ وإذا لم يوجد فكيف احتفظ القماش بشكل الكرسي ؟ انم ذلك بمعجزة ومن هو الذى أوجدها ؟ فاذن هناك سبب لما نحس به

لنرجع الى الحائط مرة ثانية فإنه بالرغم من ملاسة الحائط نسبياً فان كل شخص يراها يكاد يحزم بانها ملساء فالحكم الاجماعي فى هذه الحالة تعميمي وليس تقدي . كذلك الرجل الواقف أمامك يراه كل شخص آخر - حقيقة ليس كما تراه أنت بالضبط - ويحكم بأنه موجود . ولو انك كنت حاملاً لكنت رؤياك غير معززة . لانه على فرض انك حلمت بتشريفى لبتيك العامر فليس من المنتظر ان يحلم الحاج محمد بأنه حلم انه كان موجوداً عندك لما انترت المنطرة بحضورى . وكذلك عم سلامه لم يحلم انه قدم لى القهوة كما قدمها لك وكما قدمها للحاج محمد وكذلك صديقى على افندى لم يحلم باننى اجبته بما يفيد

اننى قاصد منزلك ولكن قد يوجد لدى اختلافات فى التفاصيل كنتيجة
 لوجهات النظر المختلفة التى اتيح اكل منهم الاستئثار بوجهة منها
 ملخص ماسبق هو انه من الواجب علينا التسليم بوجود « أشياء »
 أخرى غير ذواتنا، ولكن ليس فى حيز الامكان اثبات ذلك. وكذلك من
 المستحيل علينا الوقوف على ماهية الاشياء وكل ما هنا لك اننا نحس فيجب
 ان يكون هناك سبب لهذه الظواهر التى تجمنا نحس
 تأليف

حسين محمود

بكلوريوس فى الترجمة من كليات أمريكا

(ملحوظة) بعد ارتكاب جريمة الكذب السابقة وبخني ضميرى ولذلك
 اعترف بملء الخشوع اننى لم أوّلف كلمة واحدة مما سبق وانما قد خلصت
 بضع صفحات من كتاب لبرتراند رسل تلخيصا سخيفا لاثبت للقراء اننى
 عالم ومفكر وفيلسوف وأيضا لى أقدم نفسى لهم كخريج لكليات أمريكا،
 يعنى اننى مررت عليها كلها واحدة بعد الأخرى حتى تحصات على باقة بكلوريوسات

هل الادب العربي قديمه وحديثه يكفي لتكوين الأديب ؟

هذا هو موضوع المناظرة التي تناقش فيها الدكتور هيكل والشاعر خليل مطران ، فالاول يقول سلباً ، والثاني يقول ايجاباً ، وقد فاز الثاني على الأول في نظر المستمعين الذين حضروا المناظرة وأعطى لهم حق ابداء الرأي كتابة فكانت النتيجة أن المطران قد فاز بأكثرية الاصوات ، ولقد أتانا نبأ هذه المناظرة قبل وقوعها فانتظرنا وقوعها لننظر بالنتيجة وكما أخذ منا العجب مأخذه عند ما تلقينا تلك النتيجة التي تثير في المرء دواعي الهزء والسخرية . ونحن اولاء مدينون بالشكر للدكتور طه حسين الذي اطلعنا بمحدثه على ما خفي علينا من أمر هذه المناظرة والظروف التي دعت اليها والغاية التي من أجلها وضعت . فمن طه حسين علمنا ان هذه المناظرة وتلك المناظرات كانت ضرباً من العبث البريء الذي يقصد به الى التمرين والتدريب على الخطابة دون أن يقصد به الى اثبات حقيقة من الحقائق فاتحاد الجامعة الذي يهيء هذه المناظرات ويختار أفراداً من الأدباء للمباراة فيها ترقية لأبواب الجدل والخطابة والاخذ والرد ما يشاء في وضع هذه المناظرات وتوخي الفائدة التي يبتغيها منها ، ولكن كم كنا نود لو يترك الحكم للمستمعين في أنفسهم دون أن يدعوهم داع لاعطاء الاصوات كتابة لتفرز ثم تعلن على الملأ جهاراً وعلانية لا سيما في مواضيع دقيقة كهذه ، يحتاج الحكم فيها الى روية وامعان وتدقيق وتمحيص ودرس واختبار من ذوى المقدرة والباع الطويل في الأدب وفنونه ، ولعمر الحق انها المهزلة أن يظن ان الحق كل الحق لا يكون الا فيما تنطق به الاكثرية ، فكم خدعت الاكثرية فمالت الى الضلال ، وكم أصابت الحق أقلية ، ، في مواقف كهذه فنطقت صواباً ، وقد يمكن في مواقف كهذه أن تحيد الاكثرية الساحقة عن جادة الصواب وتظل أقلية ضئيلة على جادة الهدى ، فكم نجنى على الحق ان نلتزمه فيما تنطق به هذه الاكثرية ، ومن

هنا كان التصويت غير مجد في هذا الباب وضرره أكثر من نفعه ، وكما كنا نود لو ان اتحاد الجامعة فكر في هذا ولم يلتجئ الى هذا السبيل المعوج ، وله مندوحة من تحذير غوستاف لوبون وغيره من علماء الاجتماع الذين حذروا ونهروا ان الجمهور ، العالم فيه والغبي ، كثيراً ما يخدع عن سبيل العاطفة ، وكثيراً ما يلعب بتلك العاطفة خطيب قدير ، أو مفوه ساحر ، ، كيف شاء وأننى يشاء ، فيقلب ببراغته الحق باطلا والباطل حقاً وان العالم كثيراً ما ينحط في سلك الاجتماع الى طبقة الجاهل فينطق عن عاطفته دون عقله ويلتبس عليه الضلال ويعمى عن الحق ويضل سبيلاً

فلا تحماد الجامعة أن يفكر في شؤون ترقية الخطابة بالطرق التي يرثيها مجدية امام التصويت ، اما أخذ الأصوات لاسيما في البت في مواضيع كهذه فهذا ما نحذره عنه للحق في ذاته وللفضيلة في ذاتها

والآن فلنرجع الى روح الموضوع ولنعمن النظر كثيراً في هذا السؤال الملقى وهو « هل الأدب العربي قديمه وحديثه يكفي لتكوين الأديب » ولنتنبه الى ان الذي أجاب عليه سلباً كان هيكل والذي أجاب إيجاباً كان الطران

فانظر كيف ان هيكل الذي قال الحق انهزم في التصويت ولم يزل الا اقلية والذي أخطأ كيف ظفر بالاكثرية فاتصر ، وما سبب ذلك ألا التصويت الذي اتبع ، وما كان أجدره أن لا يتبع ، فموقف طران في المناظرة كان ضيقاً ومجاله غير واسع ولكنه كان داهية ليس في المنطق ولا في الاستنتاج ولا في الحكم ولا في القياس ولا في الأدب بل كان داهية في الخطابة وحسبه مع ضيق حدود موضوعه أن عرف كيف يستل من غمد الكلام حساماً ومن فنونه درعاً وما كان حسامه الا « القرآن » الذي أتى بذكره في مناظرته فكان لذلك السيف حكه وكان له وقعه على آذان المستمعين وقلوبهم فغزروا خاشعين ونطقوا بالحكم غير متبهرين فقال الفوز من حيث كان نصيبه الانهزام واصاب خصمه الاندحار من حيث كان مقدر له الانتصار فالخطابة فن عماده الاقناع أن تصل اليه في قلوب المستمعين حتى ولو أدى بك الامر الى الخداع والمواربة والتدليس والبهتان أيضاً ...

فكم من ذى حجة قوية أصابه القشل في ميادين الخطابة لى في النطق وقلة براعته في فنون الخطابة والالقاء وفاز عليه ذو حجة واهية بارز في مضمار الالقاء. ومن هنا كثيراً ما يكون المهزوم صاحب الحق والفائز أخطا الضلال ومن هنا كان التحذير لازماً وتحكيم العقل مطلباً والحكم عن الهوى غير محبوب. والآن دعنا ندخل في حدود المناظرة لنقول في ذات الموضوع ما يملية علينا الحق وما يهدينا اليه الواقع والدليل ولكننا نرى أن لا مندوحة من أن نجبل الطرف فيما جاء به المتناظران لتمييز بين الطيب منه والخبيث.

والحق أن المطران كان أقرب الى الصواب من هيكل في تعريفه الجامع المانع في الأدب والأديب ومن هنا يحق له أن يتباهى أنه مع ضيق مجاله وفساحة مجال خصمه قد تمكن من أن يطعنه من جعبة الخطابة بسهم ومن جعبة الادب بسهم آخر كلاهما كان صائباً قاتلاً...

والحق أنه لمن العيب أن يقصر أديب كبير ذو شهرة واسعة ورئيس تحرير جريدتين كبيرتين عن أن يعرف الأدب والأديب تعريفاً جامعاً مانعاً كما يقولون..

لئن كان له العذر في تقصيره وهو خطيب عن ايفاء هذا التعريف حقه خاف عذر له بعد أن يرجع الى نفسه ويخط خطابه الذي نشره على صفحات سياسته الاسبوعية ألم يقرأ هذا الخطاب قبل نشره ألم يصححه ألم يوقع عليه امضاءه فكيف لم يتسن له ان يأتى بتعريف يكون محكماً صائباً، أم هي الحبسة قد فعلت فعلها في موقف الخطابة أم هو القشل في اكتساب الاكثرية الذي كان ضغناً على أباله لم يمكنه من الاهتداء إلى هذا التعريف الجامع المانع؟؟ اللهم لا أدري وأشهد أنى لا أدري كما أشهد أن تعريف هيكل عن الادب والاديب لم يكن جامعاً ولا مانعاً أبداً وهما نحن أولاء ثبت تعريف هيكل بنفسه ونصه سائلين المولى ان ينفعنا بأدبه ، فقد قال حفظه الله :-

« ان الادب فن جميل غايته تبليغ الناس رسالة ما في الوجود من حق وجميل بواسطة « الكلام » . والاديب هو الذى يؤدي هذه الرسالة . فكل

ما يقع عليه من أدب أى لغة من اللغات لا غاية له غير هذه الغاية وكل أديب يكتب في أى باب من الابواب انما يريد بلوغها كلها أو بلوغ جانب منها ، والادب العربى لا يخرج عن أدب سائر اللغات فى هذا التعريف «
ونحن نسجل هذا التعريف ساخرين هازئين ونأسف كل الاسف ان
تندفع اندفاعاً للهزء والسخرية فى موقف الجد والادب ولكن ما العدل ، فكم
فى مواقف الجد ما يدعو للهزء والسخرية .

ونحن لنثبت لحضرة دكتورنا تفادة تعريفه نريد أن نسأله سؤالاً بسيطاً قائلاً
ما قولك بأولئك الذين تدعوهم أدباء ويدعوهم الملأ أدباء ونلاسفة وعلماء
بأن احد أولئك الذين كتبوا فى الأدب شيئاً كثيراً خلد لهم ذكراً ومجداً
تليداً لا تزال تحتفظ به أجيال الامم المتمدينة كشيء خالد حرى به أن يرفع
ويخلد صاحبه ، نسأله قائلاً ما قولك بهؤلاء الادباء وبأدب هؤلاء الادباء ،
هؤلاء الادباء ياسيدى ، لا أريد أن أحصيهم لك عدأ فهم فوق الحصر ، ولكن
حسبى أن انعتهم بفئة المتشائمين ، هؤلاء ياسيدى ، لم يؤدوا فى أدبهم « رسالة
ما فى الوجود من حق وجميل » وهم كما تعلم وأخالك لا تعلم لم يقرأوا « بجمال »
هذا الوجود كما أنهم لم يقرأوا « بالخير » الذى فيه وهم قد سخروا منه وسخروا
من الحياة جميعاً ، من قوانينها ومصيرها وشؤونها ومتناقضاتها ومن مفرياتها
ومن نظامها ، سخروا من ذلك كله ومن أنفسهم ومما فى أنفسهم من دوافع
وشهوات ونوازع وآمال أيضاً فما قولك بهؤلاء ياسيدى « الدكتور » أريد
أن أتبعك وتقول معك بناء على تفريعك أنهم ليسوا أدباء : أريد أن تعلن الى
العالم المتمدن رأيك ونتيجة واسع اطلائك فى الادب ليقال انك قد فتحت
فيه فتحاً مبيناً ???

هؤلاء لم يقرأوا ان هذا كله شئ عيى (رسالة) كما تقول ويقول صاحبك
العقاد وتردد هذه الكلمة معه . بل حسبهم أنهم شعروا وانهم دونوا ما املاه
عليهم العقل والشعور فكان فى نظرهم أدبا وكان فى نظر المدركين أدباً عالياً
منحوه عن تقدير وطيبة خاطر درجة السمو والخلود لانه كان صورة صادقة
نقلت لهم نفسيات أولئك الذين لا يشعرونهم تعريفك عن الادب والاديب .

والآن فاما أن تعرفه «بأدكتور» ان في تعريفك عن الادب والاديب قصوراً عظيماً او تعلن ان هؤلاء لم يكونوا في نظرك أدباء ولا أدبيهم أدبا واننا لكلا الامرين منتظرون

فالادب عند المدرسين ليس هو الفلسفة والعلم كما يقول الدكتور بل هو شيء آخر قد يكون وقد لا يكون فيه فلسفة وعلم. ذلك لأن الادب هو كل شيء يملئه الاحساس وتجود به النفس ويلقنه الضمير وتصوغه العواطف بصيغة الكلام أو الكتابة أجمع كل ذلك أدب والأديب هو ذو النفس المزود بالشعور والعقل والاحساس والتي بحسن الصياغة ويجود بما يملئه عليه شعوره واحساسه وعقله اما كتابة أو كلاماً، أجل هذا هو الأدب وهذا هو الاديب في نظرنا ونظر المدرسين أيضاً ...

على أننا للآن لم ننه رأينا في جوهر الموضوع ولئن طال بنا الحديث وحال دون ابداء الرأي هذا التطويل فما الذنب يذنبنا بل ذنب من خطؤه الفادح يحتم علينا ان نصح معياره الذي اتخذ قياساً في تعريفه للأدب والأديب، وها نحن قهري رأينا بلا خوف ولا وجل، هذا الرأي الذي يتفق مع رأى هيكل وهو ان الأدب العربي قديمه وحديثه لا يكفي لتكوين الأديب. أجل لا يكفي ولن يكفي أبداً

وقبل أن نقول كلمتنا نريد أن نثبت أمراً آخر وهو اطلاع المرء على الأدب القديم منه والحديث لا يخلق منه أديباً ما لم يكن بمواهبه قد خلق ليكون أديباً وعندئذ لا اطلاع يفيد ولا يضره اذ يصقل من جوهره ويشير من مواهبه ... والآن أين هو الأدب القديم؟ وأين هو الأدب الحديث عندنا؟ : أفى الكتب؟ ليس كذلك؟ فأين هي هذه الكتب التي يمكننا أن نقول أنها تكفي لتكوين الأديب؟؟

وأنا أقول بهذه المناسبة ان الكتب العربية الموضوعة في الادب حديثا هي أفيد للأديب وللتأديب من تلك الكتب القديمة جميعها على الاطلاق، وما فازت هذه الكتب الحديثة، الا لأن مؤلفيها، ومنهم من لا يزال على قيد الحياة ومنهم من فارقتنا الى رحمة الله قد نهلوا من مورد أدب الامم

الراقية وجنوا من ثمراته الناضجة واطلعوا على ترتيبه المحكم. أجل تقول ترتيبه ونعني ما تقول ... اروني أيها القوم الذين لا يريدون النطق بالحق والذين تخالفون سنة الوجود، اروني أي كتاب قديم في الادب العربي مرتب يسيفه عقل الأديب والمتأدب العصري، اروني أين هو ذلك الكتاب وما اسمه لأقوم بطبعه وتوزيعه مجاناً على حسابي ان لم اجد من ذوي الأريحية وعشاق الادب من يمد الي يدا ... ستشيرون طبعاً الى :

الكامل للمبرد أو أدب الكاتب لابن قتيبة

أو البيان والتبيين للجاحظ

والنوادر لأبي القالي

و و و و

كما قال ابن خلدون ومشايخ بن خلدون وتلامذة ابن خلدون وكما لازلم تقولون، هذه ليست كتب أدب بالمعنى المفهوم من الأدب في العصر الحديث، ذلك لأن العصر الحاضر قد وسع باب الأدب توسيعاً شمل الحياة بأسرها وكتبكم هذه ونوابعها لا تمثل هذا الحياة ولا تحمل شيئاً من زهورها ولا من زوابعها، ولا من شؤمها ولا من بؤسها ولا من غدرها ولا من آلامها ولا من متناقضاتها ولا من افراحها ولا من عبوسها ولا من غرورها، ولا شيئاً من نفس الانسان ومن متناقضاته ومكنونات شعوره وميوله وعواطفه إن هي الا كتب حملت من « القال والقليل » والشيء التافه والصبيانى والمتناقض والمنقوض في صيغة المداعبات الكلامية نثراً ونظماً شيئاً كثيراً هذه الكتب لا تغني الاديب عن الادب شيئاً، فالأديب العربي الذي برز في حديثاً في الأدب ليس مديناً لهذه الكتب بشيء بل انى لأخاله ناقماً عايراً لتشويش فكره وضياح وقته سدى . انما هو مدين لما زودته به الفطرة من شعور واحساس ورقة عواطف . لهذا هو مدين وليس لغير هذا هو مدين وليس لهذه الكتب التي لا تزال فئة تتخذها المثل الاعلى لها والتي آن الاوان لان تقول الحق في شأنها بلا موارد ولا تعصب. والآن أي كتاب من كتب الادب القديم التي يحلونها ويقدمونها يكفي؟ أهو الاغانى أم كتاب الحيوان

أوصيخ الاعشى؟ أو أين هو ذلك الكتاب الذي لا يحتاج للتنقيح ولا ترتيب وللطبع مرة ثانية لكي يقرأ وتقبل النفس على قراءته بشيء من الرغبة .
ل أين هو ذلك الكتاب العربي الذي يمكننا ان نقول فيه انه كتاب أدب كما هو مفهوم الادب في العصر الحديث عند الامم التي تفهم الادب.

على ان ذكر القرآن الكريم ما كان الا « حجة خطابية » وما ذكره بمتعلق في حدود هذا الموضوع فهو كتاب منزل من آله حكيم وما هو بكتاب أدب صاغه أوجاد به انسان . انه كتاب معجز ، وكتاب دين ودنيا وآخرة وما دام كذلك ، فليبق متبعاً محترماً مبجلاً في الحدود المنزلة !!

أما موضوعنا فهو الادب الانساني الذي جادت به النفس الانسانية بصورته وأساليبه المتباينة المختلفة، هذا هو الادب الذي لا يزال ربوعنا مفتقرة اليه وستظل بحاجة اليه ما لم يتطور ابتاؤها للاندماج في الادب العالمي لينهلوا من موارد العذب والاحاج ليحملوا الى ادبهم من عذبه ومن احاجه أيضا الواناً شتاتاً ...

فكما سبق وبينت في مقالاتي ان الأدب المجدي لم يعد محدوداً في حواجز من زخرف الألفاظ بل ان حدوده قد وسعت حتى شملت الآفاق كلها بل هو اصبح واسعاً لا يحده الا بما يحده به وسع النفس الانسانية ان كان لوسع اعماقها من حد

والادب اصبح عالمياً بالمعنى المفهوم من هذا الاسم الواسع ومن هنا كان الاقبال ولا يزال عند الامم المتقدمة المتطورة المتقدمة الراغبة في الرقي على الادب الخالد عظيم ، فلا يظهر كتاب ادبي يحكم له بالتفوق الا وترجم ولو كان مؤلفه في شمال الارض والمترجم لهم في جنوبها ، ولا ينظر الى مافي هذا السفر الخالد كشيء صادر من أجنبي مهما كان دينه ومذهبه ودمه وجنسه وملته بل ينظر اليه كشيء صادر من انسان وكفى ...

والنفس الانسانية كما قلت كانت ولم تزل واحدة في الانبياء الشرق منه والغربي والشمالي منه والجنوبي وان كنا تقديس الادب لشيء فانما تقديسه لانه بدأ يعمل عمله في سبيل هذه الوحدة العامة في « الروح الانسانية » فان كنا

نريد أن نعمل في سبيل هذه الوحدة الانسانية ، وحدة الروح والنفس ،
فلنقبل على الادب الخالد أيا كان مصدره وأيا كان منشؤه مادام أنه ناشئ من
إنسان ، نندم عليه لنستفيد منه وتفيد أدبنا الذي انما بهذا نخدمه ان كنا
حقاً نغار عليه ونبغى له التقدم والنجاح . أما أن نغال في عزلة فسيظل أدبنا
في وحدته متقهقراً ، وفي زاوية الفساد منزوياً ، يعدل فيه الفساد دون أن
يتزود بلقاحات تقيه شر ناشزات الفساد .

والآن فقد أتى على الادب العربي حين من الدهر أجذبت فيه العبقرية
وأجذب فيه الاتاج ، أفلا يجدر بالذين يغارون عليه أن يشدوا الهمم لتقوية
عنصره وتزويده بالنافع المفيد من رياض الادب النض الذي أثمر عند الغير
ونضج ، لأن الزمان والمناخ جادا عليهم في أوقات مختلفة بالغيث الطامي الذي
أنبت العبقرية وأنبت الادب الناضج ، أفلا يجدر بنا ان كنا نبغى الغرس
النافع أن نأتي الى دوحاتهم الخالدة ، فنأخذ منها أغصاناً لنأتي فنزرعها لنبت
في أرضنا القاحلة ؟ أفلا يجدر بنا أن نتخذ من لقاح دوحاتهم لقاحاً فنأتي
به الى دوحاتنا التي تغاب عليها الدهر فأذبابها فنطعمها ونلقحها لتزودنا بقوة
تدفع هذا الذبول وتبعث فيها الحياة ؟ أجيئوا يا أعداء التطور ، وان لم تجيئوا
فدعوا الذين يحسنون الغرس ويغارون على الغرس يعملون ماينفع ويفيد
واتركوهم أحراراً يلتجئون الى أى أدب يجدون كان ليتزودوا منه بما يفيد
الغرس ويزيد الادب العربي قوة ، دعوه ولا تشوشوا في التشويش جرم كبير .

في الامس مات عظيم من عظماء البيان وهو نوماس هاردي فمجدوده بنو
قومه ورفعوه الى مرتبة العظماء ومانال مرتبة الخلود الا بأدبه ، وأدبه قد
ترجم الى جميع اللغات الحية ، أوليس من العيب بل من العار أن لا يكون
من كتبه ورواياته وأسفاره كتاب واحد في العربية مترجماً ، فإن كتب
شوبنهاور ، ونيتشة ، وهين ، وأديسن ، ورسكن ، وديكنز ، وماتيو أرنولد
وبكين ، وثاكري ، وهيوم ، وكانت ، وبلاتو ، وباسكال ، وكونت ، وتيز ،
وسانت بوف ، وبوزويل ، وجونسون ، ونديار ، وسكوت ، وستفنسن
وفولتير ، وروسو ، ولام ، وهازلت ، وبليك ، وديكارت ، وماكولي

وغيرهم؟ أين هي أين؟؟ والآن مالنا تتعب أنفسنا بإحصاء الذين رحلوا ولا نحصى المعاصرين ومنهم برنارد شو، وولز، وغوركي، وكبلنج، وسنكار، وثيت، ودنزيو، ولدويج وغيرهم من الاعلام الذين لا تحصىهم الذاكرة .
 أجل أليس من العار أن يكون من كتبهم التي أكثرها ترجم إلى اللغات الحية كتاباً مترجماً إلى لغتنا العربية التي ندعى أننا نفار عليها فنسعي لمونها باكتفائنا بما لدينا من كتب، ولعمري لقد ترجمت لنا كتب من كتب أناتول فرانس، وغوته، وشاتوبريان، والفونس دوديه، وهيغو، وكارليل، ودستوفسكي، وتولستوي، وتاغور، فهل أضرت هذه الكتب بأدبنا؟
 ألم زده ثروة وحياة؟ ألا فاقوا الله يامن تعلمون الحق فتذكروه أو ترونه عياناً فتعاموا عنه. اتقوه واعلموا أن تعصبكم هذا ليس بتعصب مجد أبداً، ان هو الا تعصب ذميم، الضرر كل الضرر فيه، فاعرضوا عنه ان كنتم على الحق تغارون، واسعوا لتزويد ادبكم بالنافع المفيد ان كنتم بفيض الادب المجدي الغني تهيمون .

وبعد فانا نقول ايجازاً ان الادب العربي قديمه وحديثه لا يكفي لتكوين الاديب وان أدبنا لن يتقدم مالم يندمج في الادب العالمي، وان على الاديب الغيور ان لا يتوانى عن اتقان لغة من اللغات الاجنبية الراقية ليحرف بنفسه على نهضة الادب العالمي، وان على الادباء الذين يحسنون احدي اللغات الاجنبية الراقية واجباً نحو الجمهور وهو أن لا يتوانوا عن نقل الشيء المشعر من أدب القوم إلى لغتهم ليزيدوا في ثروتها الادبية كما وان على الامم الناطقة بالضاد ان تفكر في تشكيل كتلة من الادباء المطلعين فتقدم لهم مطالبهم ليتخصصوا لنقل الرائع المفيد من الادب العالمي إلى الادب العربي . انا ان فعلنا ذلك أو شيئاً من ذلك فاذ ذاك يحق لنا ان نقول إننا نفار على أدبنا ونسعى للاخذ بنصره من كبوته، اما ان نكتفي بما عندنا، وتقتنع بوجدتنا، فسيظل ادبنا متأخراً وسيظل يصيب كل فرد منا نصيبه من اللوم والتبعية... والسلام على من سمع القول فاتبع أحسنه : أو بالحرى أصدقه !!

عكا توفيق حابي « أبو النجا »

توقيع ميثاق السلام

في يوم ٢٧ أغسطس الماضي اجتمع مندوبو الدول ليوقعوا عن دولهم ميثاق السلام الذي ينص على تحريم الحرب بين الأمم أو اتخاذها وسيلة لفض المنازعات السياسية. وجرى الاحتفال ببساطة بعد ظهر ذلك اليوم، غير أنه كان مؤثراً لما يحمل في ثناياه من المعاني الإنسانية العميقة، التي لم تجتمع الدول منذ أن كان للسياسة شأن في تصريف حالات المجتمع، لتقرر مثله على طول العصور.

وبعد أن انتصف نهار ذلك اليوم بقليل بدأ المدعوون الذين ندبوا للاحتفال بمشاهدة توقيع الميثاق يتوافدون على قصر وزارة الخارجية الفرنسية، ويأخذون أماكنهم في قاعة الساعة المشهورة. وكان أول القادمين مستر ميرون هريك سفير الولايات المتحدة في باريس، وكان يصحب مستر كيلوج وزير خارجية الولايات المتحدة وصاحب الاقتراح الأصلي في تقرير الميثاق، وأخذ مكانه في الصف الأول من الأماكن التي أعدت للمدعوون.



لورد كوشندن مستر سميت كونت مانزوني
عن بريطانيا العظمى عن اتحاد جنوب افريقية عن ايطاليا
وعندما اخذت الساعة تدق الثالثة تماماً ساد سكون رهيب، اذ فتح باب

القاعة وطفق المندوبون المفوضون عن الدول يأخذون مقاعدهم حول مائدة على صورة حدوة . وعندها ارسلت العاكسات الضوئية انوارها فانارت القاعة العظيمة بضوء يخطف البصر .

وجلس مسيو بريان وزير خارجية فرنسا في وسط المائدة . وعن يمين هرشترزمان جلس مستر كيلوج . واخذ بقية المندوبين مقاعدهم . وبعد أن مضى على هذا المنظر بضع دقائق تمكن خلالها المصورون وعمال الصور المتحركة من ان يتموا عملهم ، وقف مسيو بريان والقي خطبته المعروفة ، ولم يكدها حتى صفق الحاضرون تصفيقاً حاداً .



مستر مكغزي كننج

عن كندا

مسيو هيمايز

عن بلجيكا

مستر كوز جريف

عن دولة إيرلاندا الحرة

ثم اخذ مسيو بريان يقرأ نص مواد الميثاق واسماء الدول التي حضر مندوبوها لتوقيعه . وقرأ مستر كامراك بعد ذلك ترجمة الميثاق بالانجليزية ، وهنا انتهت مقدمات الاحتفال ، وقد استغرقت اربعين دقيقة تماماً .

وعندها نهض هرشترزمان ومشى بتؤدة حول المائدة الكبيرة حتى وصل الى طاولة صغيرة وضعت بين جناحي الحدوة وقد وضع عليها متن الميثاق . وهنا نذوله احد السكرتيريين قلماً ذهبياً كان اهل مدينة الهافر قد اهدوه للمستر كيلوج

لدى قدومه الى فرنسا ، ووقع به امضاء بالنيابة عن الجمهورية الالمانية . وبعد أن رجع هرشترزمان الى مقعده ، تقدم مستر كيلوج ووقع الميثاق بالنيابة عن جمهورية الولايات المتحدة . ثم تناوب مندوبون في التوقيع على حسب الحروف الابجدية لاسمائهم

نص الميثاق

«رئيس جمهورية الولايات المتحدة ، ورئيس الجمهورية الفرنسية ، وجلالة ملك البلجيكيين ، ورئيس جمهورية تشيكوسلوفاكيا ، وجلالة ملك بريطانيا العظمى وارلاندا والدومينيون عبر البحار وامبراطور الهند ، ورئيس الجمهورية الالمانية وجلالة ملك إيطاليا ، وجلالة امبراطور اليابان ، ورئيس جمهورية بولاندا .



مسيو بنيش
عن شيكوسلوفاكيا

هرشترزمان
عن ألمانيا

السناطور مكلاشلان
عن أستراليا

« إذ يشعرون شعوراً عميقاً بما عليهم من واجب مقدس يحفزهم إلى العمل على هضاء النوع الانساني ، بعد أن اقتنعوا بان الوقت قد آن لنبذ الحروب طواعية واختياراً باعتبارها وسيلة من وسائل السياسة القومية ، ليفوزوا ببقاء العلاقات الودية والسلام السائدين الآن بين اممهم على الدوام

» وبعد أن اعتقدوا بان التغييرات التي قد تقع في علاقات بعضهم ازاء بعض

يجب أن تتم بالوسائل السلمية ، وأن يكون الوصول الى نتائجها تبعاً لطرق سلمية منتظمة ؛ وأن الدولة التي توقع على هذا الميثاق ؛ اذا عمدت الى الحرب ابتغاء الوصول الى منافعها القومية ، تكون عرضة للمحرمان من المزايا التي يخولها هذا الميثاق « وهم يؤملون ، ان دول الارض قاطبة ، إذ تتشجع بما تعطى الدول الموقعة من مثل لمن ؛ على أن يشتركن في هذا العمل الانساني ؛ بان ينضممن الى الميثاق بمجرد تنفيذه ، وأن يضمن اممهم في حيز المنافع الخيرية التي ينتجها ، وبذلك تتحدد كل الامم المتمدينة في العالم على نبد الحرب وتحريمها كدادة للسياسة القومية



مسيوزالسكي

عن بولاندا

سيرج بار

عن زيلاندا

كونت يوشندا

عن اليابان

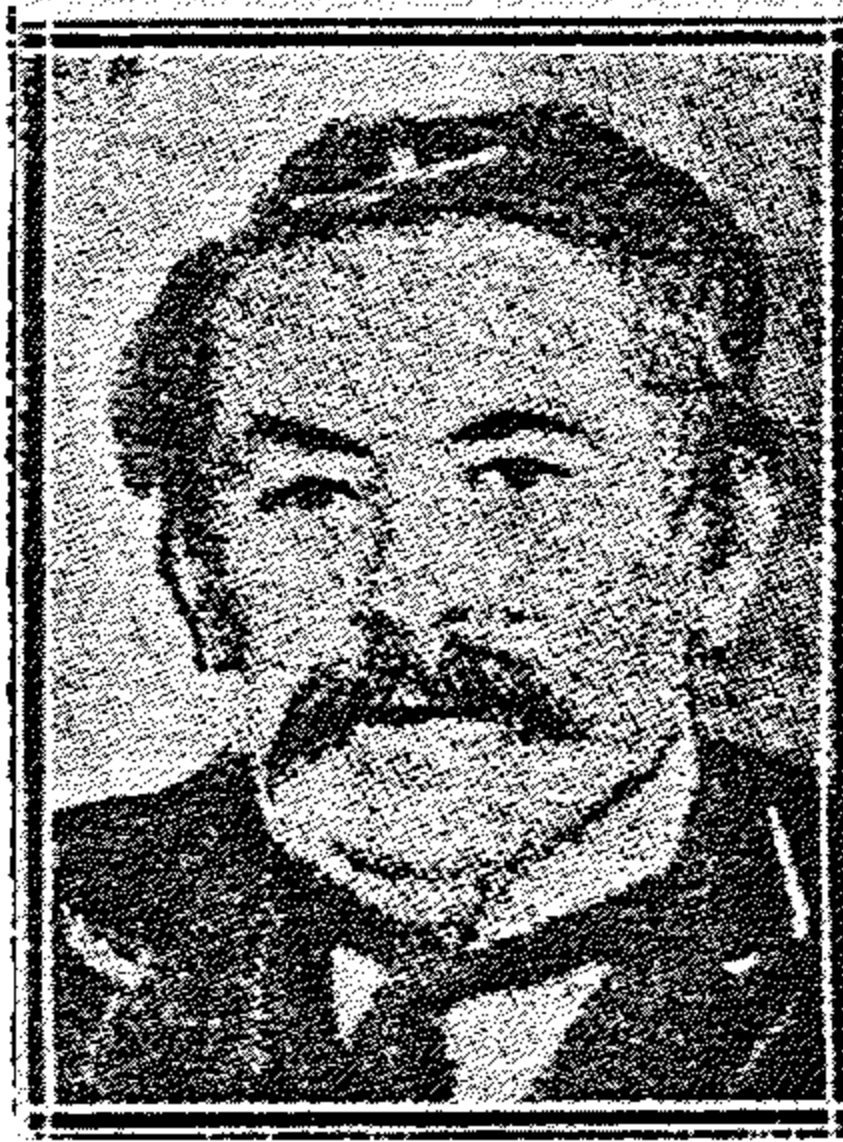
« قد قرروا أن يرقعوا معاهدة ، ولهذا الغرض قد انتدبوا مفوضيهم الذين اطلع كل منهم زملاءه على ما خول له من الحقوق ؛ وقد وجدت كلها حائزة للصيغ الكافية ، قد اتفقتوا على المواد الآتية :

« أولا — تعان الدول الموقعة عن اعتقاد ؛ باسم الامم التي يمثلونها ، تحريم العودة الى الحرب كوسيلة لفض المشا كل الدولية ، والاقلاع عنها كدادة للسياسة القومية التي تقوم من اشتباك علاقات بعضهم اراء بعض.

« ثانياً — تقرر الدول الموقعة أن تسوية المنازعات والخلافات أوحلها ، مها

كانت طبيعتها ومنشؤها ، والتي يمكن ان تقوم بين الدول ، سوف لا يكون
الا بالطرق السلمية

« ثالثا — هذه المعاهدة سوف تصادق عليها الدول الموقعة والتي ذكرت
في الديباجة على مقتضى ما تتطلب نظمات كل منها ، وينفذ مفعولها بين
جميع الدول الموقعة بمجرد أن تودع صورها المصدق عليها في



مسيو بريان

مستر كيلوج

عن فرنسا

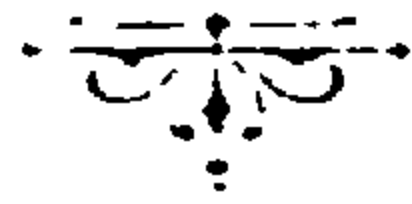
عن الولايات المتحدة وصاحب المشروع

« وستظل هذه المعاهدة ، بعد أن يتم التصديق عليها بالصورة التي ذكرت
قبلا ، مفتوحة لقبول من ينضم اليها من الدول ما اقتضت الضرورة ذلك ؛
حتى يتم انضمام دول الارض اليها . وكل الصور التي تدل على انضمام اية من
الدول يجب أن تودع في والمعاهدة بعد كل ايداع شيء من هذه
الصور ؛ تصبح نافذة بين الدولة التي تودع الصورة الخاصة بها وبين الدول التي
تكون صادقت على المعاهدة .

« وسوف يكون من واجب حكومة بان تزود كل حكومة
ذكرت في الديباجة ؛ وكل حكومة سوف تنضم الى المعاهدة في المستقبل ، بصورة

مصدق عليها من المعاهدة ، وكل صورة مصادقة على قبولها . وكذلك من واجب
حكومة أن تعان هذه الحكومات تلغرافياً بإيداعها صور التصديق
على المعاهدة تقريراً للانضمام النهائي إليها . »

ويتلو ذلك أن المعاهدة قد وقع على صورتين منها ، أحدهما باللغة الفرنسية
والأخرى باللغة الانجليزية ، وإن كانتا الصورتين لما ذات القوة التي للأخرى



الحرب والسلام

بين العلم والخيال

بدأ محرر جريدة التيمس تعليقه على توقيع ميثاق السلام باعتبارات علمية هي أسمى ما يمكن أن يصل اليه العلم الحديث من تفسير لحقيقة تلك الصيحة العالية التي بثها مستر كيلوج من سماء الدنيا الجديدة ، صيحة تحريم الحروب كأداة لفض المشا كل السياسية . قل :

« كانت الحرب منذ أن بزغ فجر التاريخ الانساني عادة ، بل نظاماً اجتماعياً ، وباعثاً من أقوى البواعث التي أدت الى تكوين الامم والى انحلالها ، ومؤثراً أقوى في تطورها من نظام التبعية الى نظام الشعبية ، ومن الشعبية الى نظام الامبراطوريات . فان أقوى الدول التي ظهرت على سطح الارض وأعظمها ثروة وعزة ، وأنفذها أنراً في تحريك النزعات التي أدت الى الكشف عن فنون الحياة العليا ، قد تكونت من طريق الحروب المتتالية ؛ وبالحروب تحررت الامم المستعبدة . وفي كل عصر من عصور التاريخ نجد أن الحرب كانت عاملاً من أقوى العوامل التي كونت تاريخ الانسانية . فهل يمكن أن يقلع الانسان عن هذه العادة الموروثة منذ أبعد الأزمان ؟ » .

ولو أكتفى محرر التيمس من مقاله الطويل بهذه الاسطر لكان فيه عن الحقيقة غنى وعن الواقع عوضاً . فغير أن مباحكات السياسة ، وظروف السياسة ، وموقف الامبراطورية الانجليزية ازاء أمم الارض ؛ جعلته يرجع الى فروض وتصورات توافق المزاج السياسي ، وكان مقاله مثلاً لتعطيل السياسة لحقائق العلم ، ولتقييد العقول الكبيرة بصغائرها وسفاسفها .

أما الحقيقة التي تقوم في رأس محرر التيمس ؛ والتي لا يمكن أن يكون لديباجة مقاله هذا دافع غيرها ؛ فحقيقة أن الحرب والجلاد غريزة انسانية

لازمت عصور التطور الاجتماعى منذ أزمان موعلة في القدم ، وأن هذه الغريزة اقوى في شعوب المدينة منها في جماعات الانسان الفطرية . لهذا ننقل تمهيداً لهذا البحث فقرة أثبتتها الاستاذ « وليم مكدوغال » فيما كتب في غريزة القتال في كتابه المعروف « علم نفسية الجماعات » . وليس لنا أن نعرف الاستاذ مكدوغال للقراء ؛ فهو علم من اعلام الاجتماعيين وعلماء النفس في العصر الحاضر ؛ وكتابه الذى ننقل عنه هذه الفقرة يكاد يكون احدى العمد الاول التى يقوم عليها البحث في العلوم : قال

« لقد لعبت غريزة القتال والجلاد في نشوء النظمات الاجتماعية دوراً لم تبرزها فيه غريزة أخرى . وهي الآن في خلق مظاهر الانفعالات الاجتماعية والافعال التى تبني عليها ، أئين أثراً منها في الازمان الأولى . على أن الأمم تختلف اختلافاً كبيراً في هذه الغريزة من حيث قوة أثرها في تحريك الانفعالات . غير أنه لا يقوم لدينا دليل واحد على أنها قد أصبحت في امم الزمان الحاضر التى تأثرت بعصور المدينة اضعف منها في جماعات العصور الأولى . ويغلب أن تكون هذه الغريزة اذرع فعلا واثبت أثراً في الامم الاوروية الحديثة مما كانت في اسلاف هذه الامم الاولين . غير أن طرق التعبير عنها قد تغيرت بتقدم المدنية وارتقاء الحضارة . ذلك لأن تطور القانون والعادات قد كف الافراد عن التنافر والتجالد ، بل جعل تجالدهم جسمانياً أمراً غير ضرورى ، ففسح ذلك الامر المجال للتنافر الضامى بين الجماعات . ومن المشاهد أنه عندما تخضع أمة تمكنت فيها غريزة التنافر قسراً لنظام مدنى تشريعى ، فإن أفرادها ينزعون الى صور من الخصومات يلوح لنا فيها كثير من التطرف ؛ بل تظهر منافية للعقل » .

وكان العلامة الكبير « وولتر بيجهوت » أول من نبه الازدهان الى هذا الموضوع اذ تكلم فيه بأسلوب علمى في كتابه المعروف « الطبيعيات والسياسة »

اذ خص بها بحثاً كاملاً في كتابه هذا . واقد تبع « وولتر بيجهوت » في كتابه نظرية علمية لا تزال حتى اليوم محتاجة الى اثبات اذ بنى كل نظرياته على نظرية توارث الصفات المكتسبة التي قال بها لامارك الفرنسي وتابعه فيها داروين وسبينسر . خير أن العلامة « مكيدوغال » ينقض « بيجهوت » في الاسباب التي تقوم عليها نزعة الجماعات الى الجلاذ والصرع ، فيقول بانها « غريزة » لا « صفة مكتسبة » بل ان خلال حياة الفرد . وليس هنا موطن استعراض النظريات العلمية أو الحقائق التي يعزو اليها كل من الباحثين السبب الذي تعود اليه هذه الظاهرة ، بل يكفي هنا أن نقرر أن علماء الاجتماع وعلم النفس على اختلاف مذاهبهم ونظرياتهم في هذه الاسباب مجمعون على حقيقة أن الحرب والصرع عامل من أكبر العوامل التي كونت الجماعات الانسانية ، وأنه لا يزال لها الاثر الاكبر في منازع الجماعات في العصر الحاضر ، بل أن أكثرية الباحثين يكادون يجمعون على أن هذه الصفة على قول لامارك وداروين ، أو الغريزة ، على قول مكيدوغال وشيخته ، هي الآن أكبر أثراً وأذرع فعلاً في نفسية الجماعات منها في العصور الأولى . فهل يمكن أن تستقوى على هذه الغريزة معاهدة توقيع أو ميثاق يمضي بين دول الارض ليمحى أثرها من عالم الاجتماع وهل يمكن أن تخضع الاوضاع الانسانية لتوانين الطبيعة لاغراضها أو نظرياتها أو شهواتها ، أو ما شئت فقل من منازع الرغبات البشرية ؟

ولقد أشرنا من قبل في مقالنا الذي نشرناه في العدد الماضي من العصور بعنوان « فكرة السلام » الى أشياء ليس من شيء يؤيد وجهة نظرنا فيها بمقدار ما يؤيده ما سوف تقع عليه من الحقائق في هذا البحث . فقد كان من رأينا أن نبوءة « افلاطون » التي فاد بها منذ خمس وعشرين قرناً من الزمان اذ قال « بأن الامم يجب ان يعهد بها في أمر سياستها الى « الفلاسفة » ستتحقق . وما شغل الفلاسفة من مكانة في العصور القديمة ، شغلها اليوم العلماء الجربون في هذا العصر . ولقد

ذهبنا الى القول بان الناس قد شعروا بحاجة ماسة الى سياسيين من طراز جديد يعرفون أدواء الامم بطرق عملية ويأخذون في معالجتها بأساليب قائمة على التجارب العلمية المحققة النتائج . لهذا قال الكثيرون من كتاب هذا العصر المعروفين أن فشل الديمقراطية ليس له من سبب إلا فشل السياسة الانتهازية التي اتبعها سياسيو القرن التاسع عشر ، وسار على أثرهم فيها سياسيو القرن العشرين .

وانك ان تكون بهذا الرأي أكثر اقتناعاً منك اذا قرأت نص الميثاق الذي نشرناه في موضع غير هذا من العصور ؟ وقارنت خياليته ، بما نفع عليه من حقائق العلم في هذا البحث الذي نعتمد فيه على أوثق المصادر العلمية.



ولو أردنا أن نمضي في هذا البحث لنستعرض مجمل النظريات العلمية التي تقول بها كل شيعة من العلماء ، لاحتجنا الى عدد كبير من الصفحات نمثلها بالابحاث العلمية التي لا حاجة لنا بها في اثبات ما نريد اثباته . بل نكتفي هنا أن نقول بأن العلامة « مكدوغال » وهو أكبر ثقة في هذا الموضوع يعزو السبب في غريزة القتال الى مجموعة غرائز أخرى تنتجها منها غريزة الغيرة وغريزة الخوف وغريزة التسود في الحياة . أما الصور التي ظهرت جليلة على صفحات التاريخ الانساني وكانت هذه الغريزة سبباً في تصويرها فذلك ما نكتب به اثباتاً لما نذهب اليه .

ظهرت غريزة الصراع في النوع الانساني لابس الثوب الفردي . منذ أقدم العصور التي ظهر الانسان فيها فوق الارض . فقتصرت إذ ذاك على صراع او تناحر بين فردين من أفراد النوع يتغلب فيه فرد على آخر ، من غير ان يكون لا تنصارع أحدهما وانتهزام الآخر أي أثر في حياة الاسرة اللذين هما تابعين لها . ومن ثم انتقلت الظاهرة من صراع فردي الى صراع ضامى يقع بين القبائل الهمجية التي كانت تعيش في ظلال نظام مدني فيه خشونة وقسوة . وقد يمكن أن نجد أن الصراع الفردي بين أفراد كل قبيلة من هذه القبائل قمة بدائنها قد فنى تماماً ، في حين

أن روح الصراع والجلاد ازاء القبائل الاخرى قد قوى وتشعبت وجهاته ، حتى لتجد أن هذه القبائل تكاد تكون في حالة حرب دائمة . على انك فوق هذا لا تستطيع أن تقع على أية فائدة مادية أو نفع محقق يـمـكـن أن يجنى من وراء هذه الحروب الدائمة بين القبائل الفطرية ، تلك الحروب التي غاب ما تنتهى بافناء قرى أو قبائل برمتها فناء تاماً ، في حين أن نتيجتها المحققة هي أضعاف طرفي الحرب ضعفاً ظاهراً . ففى « بورنيو » الوسطى بقاع صغيرة لم يسط عليها النفوذ الأوروبى بسطاً تاماً حتى الآن ؛ وفيها تجد هذه الظاهرة على أشد ما تكون فعلا بين قبائلها . وأفراد هذه القبائل على الرغم من توقد ذكائهم وعطفهم على أفراد قبيلتهم ، تجدهم شديدى العدا لغيرهم من القبائل التي تجاورهم ؛ فهم يعيشون في خوف مستمر من أن يهاجموا في أية ساعة أو يؤخذوا على غرة وهم ساهون ، وقد تنفى قبائل برمتها في حرب لا تعرف لماذا نشبت ولا لأى سبب كانت . ولهذا تجد أن عدد أفراد هذه القبائل أقل بكثير مما يجب أن يكون اذا اعتبرت وفرة حاجات الحياة في البلاد التي تسكنها فيما لو ساد بينها السلام . ولن تجد للفايز بعد كل حرب من هذه الحروب من مغنم مادي يذكر ، فلما بضعة رؤوس تطيح بها السيوف الباترة أو عبد أو اثنين يؤخذان أسراً !!!

أما اذا اعتبرنا ان الانسان كائن « عاقل » صرف وان ليس لغرائزه في حياته الاجتماعية من أثر فائنا ولا شك نـعـجـز عن أن نعال مثل هذه الظاهرات . ومما يزيدنا اقتناعاً بهذه الحقيقة أن ظاهرة الجلاد الاجتماعى ظاهرة لا يقتصر أثرها على الجماعات البربرية في العصور الاولى ، فان تاريخ النصرانية ، وتاريخ العرب قبل الاسلام وبعده ، ليس الا مجموعة وقائع من التخريب والهدم لم تجن من ورائها أية جماعة من الجماعات أقل نفع مباشر ، في حين انك ان أردت أن تبحث في أساليبها لما وجدت لغير غريزة القتال والصراع مشبوبة في صدور الحكام أو صدور الجماهير من مسبب لها . على انك اذا نظرت بعد ذلك في أطراف العالم

كما هو اليوم لما وجدت القارات الخمس الا عبارة عن معسكر مدجج بالسلاح تقوم الملايين العديدة من أفراد في ثكنات عسكرية وهي على قدم الاستعداد لترضى في الجماعات شهوة القتال والحرب والتخريب ، اذا حرك تلك الشهوة سبب من أنفه الاسباب كهانة توجه الى راية احدى الدول أو مقالة تسب فيها احدى الجرائد السيارة أمة من الامم .

على أنه لابد من أن يكون لهذه الغريزة ، أو بالأحرى كما يقول مكندوغال ، لمجموع الغرائز التي تحدث ظاهرة النزعة الى الصراع ، من صورة أولية تطورت على مر الازمان حتى وصلت في العصر الحاضر الى الحرب النظامية كما نعهدها الآن . أما اتكنسون واندرو لانج فيصوران هذه الصورة في كتابهما « القانون الفطري » كما يأتى :

الاسرة هي أول الصور الاجتماعية وجوداً بحكم الضرورة . وكانت الاسرة في العصور الاول مكونة من « بطريق » أو سيد كبير متعدد الأزواج ، اذ كان لبطشه وقوته التي يتسود بهما على غيره من أصحاب الأسر يستطيع أن يسبي كثيراً من النساء يتخذهم زوجات . فكانت الاسرة عبارة عن « بطريق » وزوجات وأولاد . فإذا بلغ الأولاد الذكور سن الحلم طردهم « البطريق » من الاسرة غيرة على كل ما يتعلق بمصالحه الزوجية أو سلطته في داخل الاسرة . فكان الذكور يكونون شبه عصابات مستقلة تعيش من حول الاسرة الاصلية وفي داخل دائرة نفوذها بعد أن يطردوا غيرة من مركزها الذي نشؤوا فيه . اذن فلا بد من أن يقع في بعض الاحيان بين الذكور المطرودين مدفوعين بغرائزهم الجنسية صراع شديد مع بطريق الاسرة ، فإذا انتهت بانتصار احدهم عليه احتل مكانه من الاسرة وأخذ سلطته . ولهذه الظاهرة الاجتماعية بدايات في كثير من أنواع الحيوان يمكن الاستدلال عليها واقتصاص أثرها . على أن هذا النظام الاجتماعى لا يكون الا حيث تتسود غريزة الغيرة الجنسية في جماعة اصبحت فيها سيادة

البطريق الاكبر للأسرة « ومنعه » تزوج الذكور باناثه قاعدة أو قانوناً فطرياً
 يبدأ عن أن يتطور على مقتضى تقاليد موروثه من ازمان بعيدة. ولا جرم ان هذا
 « المنع » أو الحظر فيما يتعلق بالاختلاط الجنسي كان أول ما فرضت القوانين
 الفطرية من نظام على الافراد .

ولقد أيد الأستاذ مكدوغال هذه النظرية ؛ بعد أن عزاها الى غريزة الغيرة
 الجنسية فقال بان نظرية « القانون الفطري » وهو أول قانون يفرضه البطريق
 غيرة على ذكور اسرة بعينها - يظهر لنا اولى الخطا التي تخطوها الجماعة نحو نظام
 مفروض ، من المستطاع الاستدال عليه بقواعد بيولوجية أقرها العلم في العصر
 الحاضر . ذلك لان كسر « القانون الفطري » كان معناه الموت لمن يقدم عليه ،
 ما لم يستطع التغلب على « البطريق » ويحتل مكانه من الاسرة . اذن فلا بد
 من ان تكون قدرة البطريق على الجلاذ والصراع قد استقوى عليها فرد من اولاده
 الذكور الذين لم يقدروا على كبح جماح غريزتهم الجنسية فاقدموا على الجلاذ
 والصراع على الرغم مما كانوا مهددين به من بطشه وقوته .

وهنا يبدأ قانون الانتخاب الطبيعي الذي كشف عنه داروين العظيم في اظهار
 آثاره الاولى في الاجتماع . فان « الخوف » تلك الغريزة الحيوية الغريبة ، لا بد
 من أن يكون قد منع الكثيرين من الذكور عن أن يرموا بانفسهم في غمرات
 جلاذ مميت في سبيل التسود على الاسرة . أما المتقدمون فهم الذين يفوزون
 باخلاف النسل ، في حين ان المحجمون يموتون بلا عقب . وهنا يبدأ قانون
 الانتخاب يفعل فعله ويظهر اثره . ومن هنا يمكن التدرج الى صور الجماعات
 العليا التي تطورت على ازمان موعلة في القدم حتى تصل الى العصور الاجتماعية
 التي هي عنوان المدنية الحديثة . على ان هذه الصور الاجتماعية مهما اختلفت
 وتباينت فلا شبهة في ان غريزة القتال كانت السبب الاقوى في اظهارها وخلقها .
 على أن الانسان لا يزال حتى اليوم عبد غرائره للفطرية ، وهو أكثر ما يكون

حرية اذا احتكم العقل في تضريف حالاته ، واشد ما يكون عبودية اذا تسلطت عليه غرائزه . فهل يمكن ان يقال بان الانسان قد تخلص من غرائزه أو على الاقل هل يمكن أن يقال بان الانسان قد استطاع ان يخضع غرائزه لقوة عقله وميوله الانسانية !!!

اما وأن الانسان لا يزال كما كان في عصوره الأولى ، خاضعاً لغريزة حب الصراع والقتال ؛ فإن العلم لابد من أن ينظر الى مشروع كيلوج والى ميثاق السلام نظرة ملؤها الشك والارتياب .

فصول في التاريخ الطبيعي

نشوء الانسان في عصوره الاولى

بعد أن نشر العلامة شارلز داروين كتابه « أصل الأنواع » في سنة ١٨٥٩ دثب على التأمل العلمي العميق ليطبق مذهبه في تباير الأنواع ونشوءها على الانسان وما زال يعالج الموضوع حتى سنة ١٨٧٤ إذ استطاع أن يطبع كتابه « أصل الانسان » فقال في مقدمة الكتاب :

« ان الغرض الأول من تأليف هذا الكتاب ينحصر في النظر - أولاً - فيما اذا كان الانسان كبقية الأنواع الحية قد تسلسل من صورة كانت موجودة من قبل ثم انقرضت - ثانياً - في المتجه الذي اتجه فيه الانسان ماضياً في النشوء والتحول - ثالثاً - في قيمة الفروق الحقيقية الكائنة بين ما يدعوه الباحثون بالسلالات البشرية » .

ولقد جاء هذا البحث بعد أن أثبت العلامة الفرنسي « بوشيه دي پرت » و « ليل » وسيرجون لوبوك والعلامة هكسلي قدم النوع البشري ، وبعد ان قضى هكسلي من طريق تشرح المقابلة - « بان مباينة الانسان للقرود العليا ، أقل من مباينة القرود العليا لمراتب الريمات الدنيا » .

استكشف في جزيرة جاوه هيكل بشري هو في الواقع حلقة بين أحط السلالات البشرية وأرقى أنواع القرود العليا . ولقد عاش هذا النوع في تلك البقاع في العصر « البليوسيني » ، فاستطاع الباحثون بعد العثور على آثاره العظمية أن يضعوا قاعدة للبحث في البقعة التي شهدت نشوء الانسان فوق الكرة الارضية . فان الحفريات التي عثر عليها ، مطبورة في طبقات العصرين الثالث والرابع من العصور الجيولوجية في أواسط أفريقيا ، اما ناقصة تقصاً كبيراً واما هي في حكم العدم الصرف ، تبعاً لتاريخ تكوين القارة الافريقية

جيوولوجيا ، حتى انه يتمذر على العلماء أن يحكموا حكماً قاطعاً فيما اذا كانت إفريقية قد عمرها نوع من الاحياء يقارب الصورة البشرية ، أحط تكويناً من البوشمان وأقزام الكونتغو . اما في شمال افريقية فقد عثر على آثار تدل على سابق وجود النوع الذي يسمى اصطلاحاً « هوموبريميغنيوس » وهو عين النوع الذي عاش في نياندرتال وكوريز وجبل طارق بأوروبا. (ويلاحظ هنا أن البوشمان وأقزام الكونتغو والسود من نوع آخر يقال له هوموسابينز (Homo Sapiens)

أما اذا انتقلنا الى أوروبا فانا نعثر على بقايا قرد راق يدعى اصطلاحاً دريبوتكوس Dryopithecus بل نمثر على صورة قريبة جهد القرب من انسان جاوة الذي يدعى بشكاتروبوس ethicanthropus ، اصطلاحاً ، هي من أحط الصور البشرية . مع انها تابعة للجنس - هومو - Homo اي انسان - اصطلاحاً . وهذه الصورة ولو انها قد اعتبرت نوعاً قائماً برأسه هو نفس النوع الذي نعثر على بقاياه في أوروبا (هوموبريميغنيوس) الا انها قريبة جداً من النوع الذي يعيش في أواسط افريقية (هوموسابينز)

ان حجم الجمجمة في هذا النوع وتفاصيلها تشابه في ظاهرها جمجمة الغوريلا في تدلى حاجب الجبهة وبروزه وتسطح الجبهة ذاتها وكبر الانف وصغر الذقن . أما الاسنان فايست أقل شياً بأسنان الغوريلا من أسنان سكان أستراليا الاصلين في العصر الحاضر . والظاهر أن سكان أستراليا السود هم أعقاب نوع الهوموبريميغنيوس ، واذا أردنا أن نعرف الصورة التي كان عليها هذا النوع في أوروبا فعلينا أن ننظر في السلالات الشبيهة بالأسترالية والتي تهذبت قليلاً بحكم التطور عن أصولها الاولى .

أما السود الافريقيون الذين يعمرون أفريقية من جوف الصحارى الى بلاد الكاب — لأن البوشمان تنوع من السود — ففيهم كثير من صفات

رسم تخيلي لانسان الكهوف الذي عثر بجمهجمته في مقاطعة كوريز بفرنسا



القردة العليا ومظاهرها ، غير أنهم أخذوا يتميزون كسلالة بشرية قائمة بذاتها منذ أزمان بعيدة ، في حين أنه لا يشك أحد من الباحثين في أنهم متسلسلون عن نوع الهومو بريمينوس ، ويرجح أنهم نشؤا أصلا في بلاد الهند .

والعبيد ليسوا بأكثر من نواع متفرع من نوع « الهومو ساپينز »
ويجمعهم بالاوروبيين والمغوليين أصل واحد عنه تفرع الجميع .



« هوموبريميغينيوس - Homo primigenius - » أى الانسان الاول . وهو
النوع الانسانى الذى عاش فى العصر البليوستيينى فى أوروبا أو الانسان النياندرتالى .
على أن كل الدلائل العلمية تدل على أن الانسان قد تسلسل عن صورة
« أتروبودية » - أى قردشبيه بالانسان - فى بقعة من بقاع الهند أو

ما يقاربها . فقد استكشف مستر « ليديكار » جمجمة حفرية لصورة من صور القروود العليا أطلق عليها اصطلاحاً اسم « باليوبشكوس Palaeopithecus » في أسنانه من المشابهة لاسنان الانسان ما ليس في غيره من الصور الانثروبودية . وهذه الصورة تتصل من جهة بالشمبانزى ومن جهة أخرى بالاوران أوتان ويرجح أنها هاجرت شرقاً إلى « جاوة » وهناك نشأ عنها نوع « البشكانتروبوس »

ان صفار الاوران أوتان تكون جماجمها مشابهة للجماجم البشرية مشابهة عجيبة . ولكن جماجم الافراد البالغة منها تكون بعيدة عن الجماجم البشرية ، مما يدل على أن النوع أخذ في الانحطاط منذ عصر قريب . وهذه الحقيقة تصدق على نوع الغوريلا في أفريقيا ، صدقها على الاوران أوتان في آسيا . فلا يبعد مطلقاً أن يكون قد نشأ من نوع البشكانتروبوس في شبه جزيرة الملايو أو في الهند أو في جاوة نوع آخر هو نوع الهومو أى الانسان . وكان ظهور هذا النوع في مبدأ الامر كمثال شائع بين نوعه الاصلى ، فسماه الباحثون في العصر الحاضر « هومو بريميغنيوس » . والظاهر أن بلاد الهند وهى أغنى بتماع العالم بصور الاحياء وفيها تأصلت نصف أنواع الحيوانات التى تعيش في الدنيا القديمة . قد كانت أيضاً المهيد الاول الذى نشأ فيه الانسان من الاسرة السميانية - Simian Family - وفوق ثراها وقعت التغيرات الطبيعية التى طرأت على نوع الهومو بريميغنيوس فكان منه نوع الهومو ساينز ، وكذلك التغيرات التى وقعت على النوع البشرى الاخير ، فكان منه تنوعات النوع البشرى الاولى ، التى تأصل منها السود والنوع القوقاسى الاول - وكان يشابه الاوستراليين السود - وسلالات المغول ، ومن هناك هاجرت السلالات منتشرة في سطح الكرة الارضية ، الى الغرب والشرق وإلى الشمال الغربى وإلى الشمال .

ولقد اعتبر الباحثون نوعى الهومو بريميغنيوس والهومو ساينز تنوعين من النوع الانسانى لان لهما كثافة حجمية تبلغ ٩٠٠ سنتى متر مكعب
٩٠٠ - ١٤٠ ع

وكانت أفرادهما منتصبتي القامة ، مع إبرام القدمين أقل أو أكثر انقراجاً عن أصابع القدمين ، كيفما اقتضت الظروف . هذا عدا المشابهة في الاسنان ، وفي الأنياب والأضراس ، وكذلك في الأنف وكثير من بقية الأوصاف في المخ



٣ - اسرة في جزيرة تيرا دلفويجو في العصر الحاضر ومن شكل معيشتها تدرك كيف عاش الانسان في العصر الحجري .

والعضلات والوظائف النفسية ولوجية والتناسلية. كما كانت اجسامهم أقل اكتساء بالشعر من غيرهم من السلالات ، ولو أنهم أغزر شعراً من انساظم الذين نثر عليهم في العصور الحديثة . وكذلك الحال في الشوارب واللحي ، فأنها تنبت في وجوه ذكورة هذين النوعين لدي البلوغ ، وعندها يخف الشعر الذي يكسو الظهر من مؤخر العنق الى العقبين بصورة ظاهرة .

ويرجح الباحثون أن البشكات تروبوس قد استعمل الادوات الطبيعية كقطع الاحجار يقذف بها دفاعاً عن نفسه ، والاصداق يتخذها وسيلة

للقطع ، والعصى للضرب والجلاد . غير أن نوع الهومو سابينز قد حسن في هذه الادوات كثيراً بالصناعة وجعل منها أدوات تؤدي اغراضاً كثيرة كان يحتاج الى تأديتها . فصنع أنواع السلاح ومختلف العدد التي أخرجته من حظيرة الحياة الحيوانية الى حظيرة أرقى ، وهيأته بظروف تميزت فيها حياته بميزات جديدة .



فلما بلغ نوع الهومو سابينز هذا المبلغ من الرقي في استعمال الادوات اضطرت الانواع الاخرى أن تخلى له الطريق لأنها كانت عاجزة عن مقاومته فتركت له موطنه الاسيوى وهاجرت الى أستراليا وأروبا وشمال أفريقيا ، وعلى الأرجح الى شمال آسيا الشرقى ، ولم يصد هذه الانواع لدى هجرتها الأولى عن أن تبلغ أقصى حد ممكن من شمال الكرة الأرضية الا البرد القارس الذي كان يغشى شمال الارض في العصر البليوستيسيني .

أما نوع « الهومو سابينز » فلم يصده عن الارتقاء صاد ولا وقف دونه مانع مهما كان أثره . فقد كانت العوامل الطبيعية دافعة له على التفكير فاستكشف النار وارتدى بفراء الحيوانات السمكية ، وابتنى الاكواخ التي تحميه من هجمات الطبيعة

٤ - عبد من عبيد افريقية في فصولها المتغايرة . على أن الانسان عندما نشأ وهو مثل السلاله التي تعمر هذه الذشاة الاولى قدواجهته الطبيعة باعداء كثيرة الكب

العدد متباينة الصور . أما شد هذه الاعداء لدادة فكانت صور الحياة الدنيا ، الميكروبات والديدان والهوام . أما اعداؤه الاقوياء فاستقوى عليهم بالتعاون الضامى وبالعقل وبالآلات التي اخترعها . وأما الاعداء « الصغيرة » فقد زودته الطبيعة بقانونها الانتخابى يفنى ما طاح ويبقى على ما صلح ، حتى اكتسب حصانة ضد الامراض التي تحدثها أكثر هذه الاعداء ، ولم

يخرج من هذه المعركة الاثافراً وليكون سيد الارض والبحار والهواء
في العصر الحديث



معركة حامية الوطيس بين الانسان في عصوره الاولى وبين عموت مأسور

التداوى بأشعة الشمس

مؤتمر لوزان

عقد في لوزان مؤتمر علمي طبي للتداوى بأشعة الشمس حضره مندوبون عن كل دول أوروبا وقد اقتنع العالم الآن بفضل أبحاث هؤلاء المبتكرين أن في أشعة الشمس قوى شفاءية لا حد لها وهذه العقيدة هي أساس علم العلاج بأشعة الشمس كما أبان عن ذلك الاستاذ شاموريل عميد كلية لوزان وهذا ما أوحى الى الاستاذين برنارد (من مصحة سان موريتز) وروليه (من مصحة ليزن) بفائدة هذا العلاج التي تضاعفت بمجهوداتها حتى تغيرت وسائل علاج السل بالوسائل الجراحية تغيراً كلياً بفضل الاصلاحات التي ابتكرها هذان العالمان والتي أثرت بدورها في أبحاث علماء فينا وأدت الى علاج الكساح بوسائل مستحدثة فأشعة الشمس كما أبان خطباء عديدون ناجعة في انماء قوى قاتلة للجراثيم في جلد الانسان ودمه وهذه القوى تمده بالوقاية ضد الامراض وقادرة كذلك على تغذية الوظائف الحيوية بطريقة غير محسوسة بحيث تبعث فيها النشاط والقدرة على العمل وفي الوقت نفسه تقيها وتنقذها من الاخطار التي تنمبها.

وهذه الاستكشافات أدت كما هو محتوم الى أبحاث عويصة في طبيعة الخاصية الشفائية الكامنة في ضوء الشمس . وقد وصل العلماء الى الجزم دون أى شك بأن هذه القوة كامنة في « الاشعة الاكتينية » هذه الاشعة البنفسجية وما وراء البنفسجية التي تقطرها السحب والضباب والدخان من ضوء الشمس . فجبال الالب العالية التي كثيراً ماتعلو السحب هي بطبيعتها حمامات بديعة للاستنقاع بأشعة الشمس .

وسويسرا ظلت دائماً مهد العلاج بأشعة الشمس لأن كل وسائل التداوى والشفاء الاساسية متوفرة بحالتها الطبيعية

ضرورة العناية — وما زلنا بحاجة الى معلومات أو في مما وصلنا اليه في هذا الشأن ويؤكد الاطباء السويسريون ضرورة العناية والاحتراس في التداوى باشعة الشمس واستخدامها ويحذرون من ضرر التعريض لها وتعريض الجلد بالقدر الزائد عن الحاجة خصوصا في بدء العلاج. ففي ليزن التي سيزورها أعضاء المؤتمر لتكريم عمل رولين يبدو بالعلاج يحذر تحوطه العناية الكبيرة بدرجة تدهش دعاة « حمامات الضوء » في بلادنا فالمرضى في ليزن تحوطهم وسائل الوقاية من ضوء الشمس في مراحل العلاج الاولى فوق مرتفعات الألب وحين يتضح للأخصائيين ان لا ضرر من تعريضهم لأشعة الشمس يمحصر هذا التعريض أو الاستنقاع في جزء صغير جداً من مسطح الجسم (قد لا يزيد على قدم) وذلك بضع دقائق محدوده . وهذا الاحتراس يصحب العلاج في كل أدواره . حقاً أنه متى تغير لون الجلد تحت تأثير الاستنقاع يمكن تحمل « جرعات » من ضوء الشمس وحقاً ان الأطفال العراة متى تحول لون الجلد عندهم الى اللون الأسمر البندقي يسمح لهم باللعب في الشمس تحت سماء الألب الصافية ، غير أن هناك مراقبون بعيون يقظة ساهرة يحولون دون النتائج السيئة التي قد تنجم عن أخطاء الافراط في التعريض لضوء الشمس الذي يستخدم في ليزن لاحداث رد فعل طبيعي ضد الامراض دون درجة الطغيان والمغالاة . والنتيجة تقدم مطرد نحو الشفاء في أغلب الاحايين

وهذه الطريقة تختلف اختلافا جوهريا عن تلك الطرق السائدة في انحاء أوروبا حيث أسست « حمامات » للاستنقاع بالضوء الصناعي يباشرها اشخاص غير متعلمين أو غير مدر بين التدريب الكافي . ومن المحتم ان ستترزع عقيدة الناس في فوائد الاستنقاع بضوء الشمس مالم تفرض الرقابة الشديدة على مباشرة هذا العلاج . ولم تخف على المؤتمر وجود حملات على هذه المعالجة المستحدثة موجهة من بعض الجهات . ومن المؤكد ان ستقوى هذه الحملات وسيحدث رد فعل في

الحماس الذى قوبلت به مبتكرات الشفاء بضوء الشمس ولذلك فالخذر والعناية ضروريان للنجاح .

وفي الواقع أن أكثر الحاجة الى الرقابة راجع الى الضوء الصناعى والأغذية التى يستعاض بها عن ضوء الشمس وفي مصحات الألب التى نهجوا على منهاجها فى البلاد الأخرى لا يباشر هذا العلاج إلا الأطباء ذوى الخبرة والدربة بيد أنه مما يؤسف له أن هناك رجالا ونساء تنقصهم الخبرة ومع ذلك يصفون الدواء ويشخصون الأدوية ويقومون بتقديم « جرعات » من الضوء البنفسجى والمواد الكيميائية التى تحتوى على عناصر من قوة ضوء الشمس وهناك حوادث يرجع منشأ الضرر فيها الى التداوى غير الموفق باشعة الشمس بسبب اخطاء مباشرة

بيد أنه لا مرأى فى ان مستقبل التداوى بالأشعة عظيم باهر . وقد أثبت البحث الحديث ان فى مقدور الانسان تحديد كميات « الجرعات » التى تقدم للمريض تحديد ادق مما يوافق حاجة المريض الفردية ثم ان اكتشاف « الارجوستيرول » الذى يرجع الفضل فيه اليهنا معشر الانجائز وهو المادة التى تمتص الضوء قد مهد لنا الطريق الى منهج فى العلاج آية فى البساطة يلائم حاجتنا وحاجات الشعوب الشمالية ملائمة صالحة بشكل خاص ويمكن تقديم أشعة الشمس للمريض كبقية الأدوية بفضل هذا الاستكشاف فتأثير الارجوستيرول على العظام والدم مما يدرس الآن دراسة عميقة وهنا يتضح لنا ثانية ان نجاح التداوى يتوقف على العناية فى القيام به وتقديمه للمريض وعلى المعرفة الواسعة بالنتائج التى تحدث عن المواد التى توصف له وشيكون هذا المؤتمر الدولى قد قام بأجل الخدمات للإنسانية اذ نتج عن مداولاته ايقاظ الشعور بالحاجة الى فرض نوع من الرقابة على القيام بالعلاج الضوئى وهذه الحاجة ماسة فى كل بلد .

(عن التيمس)

أموندسن

أكبر رواد العصر

إن أموندسن الذي يجب علينا الآن مع الأسف والأسى أن نفترض وقته قد توج حياة حافلة بعظيم الأعمال والمشروعات بعمل ينطوي على البطولة وتضحية النفس في السعي لا تقاذ زميل رائد اشتبك معه من زمن ليس بالبعيد في جدال حاد مرير. وإن سجل أعماله لا يدانيه سجل آخر في مدى تفق أعماله وسعة ميدانها والنجاح الهائل الذي حازه والذي يربيه معاصريه فله الشرف الثلاثي أنه أول من اجتاز الممر الشمالي الغربي من طرف لآخر وأول من وصل إلى القطب الجنوبي كما كان القائد الذي اشترك في عبور المنطقة القطبية الشمالية فوق متن الهواء. فهذه أعمال ليست بالصغار وما هي إلا الأعمال البارزة في حياة حافلة بالعظام، حياة ثلاثين سنة أوقفت على ارتياد القطبين الشمالي والجنوبي مع بعض المحاولات التي قدر لها فشل لا يقل مجداً عن النصر، ولذلك فقد كانت له مكانة فذة بين رواد القطبين وإذا لم يكن الابتكار صنعته السامية الفذة فمقدرته على الاتيان بجلائل أعمال الجسارة والاقدام لا تداني. وكان فوق ذلك قائداً موهوباً للرجال. حتى لقد ولدت معه هذه الصفة.

ولد أموندسن في بورج من أعمال الزوج بح في بوليه سنة ١٨٧٢ ولم يعد العشرين سنة حينما رجع نانسن منتصراً من عبوره الموفق لجزر ينلاندا (الارض الخضراء) ثم كان ان جذبه سحر القطب الشمالي وبعد محاولة لم يوفق فيها إلى الانتظام في سلك بعثة نانسن في السفينة « فرام » هجر دراسته الطبية وبدأ تدريبيه على الارتياح القطبي بصفة بحار عادي على مركب نرويجي تقوم باصطياد كلاب البحر لفرائها في المنطقة القطبية وقد كانت بنيته مساعدة له اذ كان مقتول العضلات طويل القامة حديدي الأعصاب غير هباب ولا وجل وكان مبرزاً في الانزلاق على المزالق

الزومجية المعروفة « بالشي Ski- » ومنحت له أول فرصة حينما التحق كبشار في سن الخامسة والعشرين في البعثة البلجيكية سنة ١٨٩٧ - ٩٩ التي كان يقودها البارون جرلاش وفي أثناء هذه الرحلة نضجت عنده فكرة القيام بمشروع مزدوج وهو عبور الممر الشمالي الشرقي وإعادة تحديد مركز القطب الشمالي المغناطيسي الذي حدده لأول مرة السرجيمس روس سنة ١٨٣١ - والمشروع الآخر عمل على جايل . وقد وافق نانسن على هذا المشروع وفي يونيه سنة ١٩٠٣ غادر اموندسن كريستيانيا للقيام بأولى مخاطراته ولم تكن هذه خطوة عمياء بل كانت في حيز الممكن والعمل المستطاع مع توفر الظروف الموقفة والسفينة الملائمة والمؤونة الوفيرة ونجح اموندسن ورفاقه الستة بعد سفر ثلاث سنين على ظهر سفينة من سفن صيد الرنجة ظلت قبل ذلك تجوب متن البحار ثلاثين سنة للوصول الى القطب الجنوبي

ان العمل الثاني الذي قام به الكبتن اموندسن لا يدانيه من الاعمال الا القليل في صفحات الارتياد بل قد لا يدانيه شيء . فبعد نجاحه في القطب الشمالي كان مطمئنه ان يجارى نانسن في رحلته فوق ظهر « الفرام » ويدخل تحسينات لم تخطر لهذا الاخير ببال

وكان موطن النفس على ان حركة الثلوج وذوبانها قد تتدافعه وتتجاذبه اربع سنين ونيف وقدر انه بتسيير سفينته ابعده شرقا وشمالا عن النقطة التي بدء بها نانسن يصوب سير السفينة فيصبح اتجاهها نحو القطب اكثر سدادا عما تخيله . مواطنه العظيم وأن الجائزة التي احتفظت بها الأيام دهرًا جزاء وفاقًا للجهود العظيمة ستكون من حظه قبلما يخطئها بيرى فتكون من نصيب امريكا بيد ان هذا الأمل لم يكن الا سرايا خلبا اذ وصل بيرى الى القطب في ربيع سنة ١٩٠٩ . ثم ابجر اموندسن من الزوج صيف ١٩١٠ . موطننا العزم على فحص احوال الأحياء في المنطقة القطبية فحفا دقيقا من كل نواحيها وقد غادرت انجلترا في نفس السنة بعثة سكوت العظيمة قاصدة المنطقة التي اعتاد راود الانجليز العمل فيها في القطب

الجنوبي ومن أهم اغراضها الوصول الى القطب . وحينما وصل الى جزيرة ماديرا اعلن اموندسن رفاقه غرضه في تغيير القصد من سياحته وبدلا من الابحار شمالا عزم على الاتجاه جنوبا الى القطب الجنوبي للوصول اليه. وحينما وصل هذا النبا الى انجلترا بعد ذلك ببضعة شهور دهش القوم من هذا التحول المدهش وتناولوه بالنقد المريع من جراء تدخله في ميدان كرس البريطانيون أنفسهم لارتياده حتى اصبح ميدانهم الخاص

ولما ان توجت جهود اموندسن أصبحت المسألة الشخصية امرا ثانويا محضا فبدأت الرحلة الى القطب في ١٢٠ أكتوبر سنة ١٩١١ والحظ الموفق الذي صحبه في القطب الشمالى سار في ركبه في المنطقة الجنوبية وبدلا من الاعاصير الثلجية التى مافئت تقضى على جهود جماعات ارواد الانحياز صحا الجو صحووا . منقطع النظير في المنطقة الجنوبية وبسم الحظ للنور ويجيين ولم يعكر صفوهم الا عاصفة شاذة وكانت مهماتهم قليلة فلم يشغلوا اكلهم بمجهود نقل مهمات ثقيلة وكانت تميزهم القههم الكلاب لا الأهار وكان كل عضو من البعثة زلا قاما هرا على الشى (آلة الانزلاق) غير انهم لم يلبثوا ان عاقت سيرهم الاعاصير الثلجية والضباب والارض الغير الثابتة بيداه عند اقترابهم من القطب تجاوزوا اقصى نقطة وصل اليها شاككتون (عند درجة ٨٨ ودقيقة ٢٣)

عاد لاجوال الجويه صفوها البديع وفي ١٤ ديسمبر سنة ١٩١١ غرسوا عاملا نرويجيا وسط منطقة مستوية من الثلوج التى لا يحد الطرف آخرها وقد غابوا عن قاعدتهم ٥٥ يوما وقطعوا ٩٠٠ ميلا

ثم وصل الكبتن سكوت ورفقه الاربعة الى الغرض المقصود بعد ذلك بخمسة اسابيع ثم تحقق لبعثته أسوء مخاوفها فوجدوا خيمة النور ويجى ورسالة يرجون فيها الكبتن سكوت ان يبعث بخطاب الى ملك النرويج

ثم رجع اموندسن ادراجه سائرا بسرعة ٢٢ ميلا في اليوم فوصل الى ماجئه الشتوى في ٢٥ يناير سنة ١٩١٢ وهو ورفقته في صحة جيدة

وفضلا عن انتصار اموندسن الباهر فقد امدتنا بعثته بمعلومات عن القطب

الجنوبي وحددت اتساع المنطقة المعروفة « بحاجز روس » التي تمتد جنوبا الى الدرجة ٨٨ والتي هي اشبه بسلسلة جبال « الاندس » في انقطب الجنوبي تجتاز هذه القارة حتى تتصل بأرض جراهام . ثم واصلت الابحاث الجيولوجية التي بدأت بمساحة جيات كننج ادوارد وارضى فكتوريا الجنوبية .

وفي يونيه سنة ١٩١٨ ابخر اموندسن ثانيا من كرستانيا على ظهر الباخرة « مود » ليتم مشروعه الأول وهو ارتياد منطقة القطب الشمالى وفي يوايو سنة ١٩٢٠ وصل الى نوى من اعمال الاسكا لتصلحات رؤى القيام بها لباخرته ولو ان اموندسن لم يصل الى الهدف المتصور . الا انه بعبوره مضيق برنج اتم عبور منطقة النمر الشمالى الشرقى وذلك لم يأت الا لبعثة البارون نوردينسكيولد على ظهر السفينه فيجا (١٨٧٨ — ١٨٨٠) وبذلك اضاف فخرا جديدة لصحيفة مجده الباهرة . وفي اغسطس ابخر اموندسن مرة أخرى بيد ان قلب له الحظ ظهر المجن هذه المرة ثم كان ان قضى خريف عاصف وشتاء غير موافق على مشروعه فى الطيران عبر انقطب الشمالى ثم عقب ذلك سوء حظ آخر عام ١٩٢٥ ولذلك اقتنع اموندسن ان السفينة الهوائية اصلح من الطيارة لأغراض ارتياد القطب وأيدت هذه النظرية رحلته الهوائية فى السفينة نورج فى مايو سنة ١٩٢٦ ولو ان رحلة السر هو برت واسكنس العظيمة من نقطة بارو الى سبتزبرجن هذه السنة ربما قد عدلت شيئا من هذا الزأى .

وبعد رجوع الكوماندر بيرد من رحلته بالطيارة الى القطب بدأت السفينة نورج رحلتها من كنجزباى فى سبتزبرجن قصدة نقطة بارو فى الاسكا وكان معه امبرتو نوييل (صاحب الرحلة المشؤومة) الذى عمل تصميمات السفينة الهوائية وقام على صنعها والزورث ولارسن وكلاهما اشترك فى الرحلة بالطيارة عام ١٩٢٥ فمرت السفينة فوق القطب تماما وهبطت الى الارض سالمة بعد ٧٢ ساعة من مغادرتها سبتزبرجن فى قرية تكسرت على شاطئ الاسكا .

وكانت هذه الرحلة تنطوي على مخاطر وشاق شتى غير ان كان نصيبها النجاح دون
اي ضرر حاق بالسفينة أو بلى راكب من ركبها وكانت نتائجها العلمية من الاهمية
بمكان اذ فضلا عن اثباتها امكان الطيران بالسفن الهوائية عبر الحوض القطبي
باقصر الطرق من سبتزبرجن الى القارة الاسيوية فقد فتحت لنا منطقة عظيمة
من مناطق القطب الشمالى لم نكن نعرفها من قبل. وعززت النظرية القائلة ان
ليس هناك كتلة ارضية واسعة بين القطب والاسكا وقد كان من المفهوم ان هذه
البعثة تختتم حياة الارتياح والنشاط الذى شب عليه اموندسن اذ ناهز الخمس والخمسين
سنة وقد صرف الشطر الاكبر من ثلاثين سنة من عمره فى المناطق القطبية بيد
ان تلبية النداء الهائف من قلبه لانتجاد زميله السابق كان امرا محتوما لا محيص
له عنه فكان ان طار من ترمسو فى الثامن عشر من شهر يونيه الماضى على ظهر الطائرة
البحرية « لا ثام » المشئومة يقودها الربان الفرنسى الكبتن جليو متجها صوب الشمال مرة
أخرى ولا آخر مرة فى حياته .

منك أنا

أرسل الينا شاعر العراق وفياسوف شعرائها هذه القصيدة العامرة
الآيات والتي تدل في أول ماتدل عليه أن الشعر العربي قد نهض نهضة صحيحة
إذ خرج من الذاتية الصرفة إلى الموضوعيات ، أى خرج من الإنسان
إلى الطبيعة فاتسع أفقه وتراعى مداه .

وللسيد الزهاوى مبدأ معروف هو « أن القصد المظنون وجوده في
الطبيعة هو من عمل الاثير المحرك لأجرام الكون ، كما أنه في الحيوان
ولا سيما الانسان من عمل الكهر بائية التي هي صورة من صور الاثير .
ويرى أن الاثير هو « الله » و « الكون » مدأ ، وأن هناك حياة راقية
عامة لخلايا الاجرام في كيان اللانهاية ، وهي صبغة الاثير الذى « لا إله الا
هو » ، وأن حياة الحيوان والنبات هي صور ابتدائية لتلك الحياة القائمة
بمخلاياها من أجرام السماء . وأن الطبيعة لا تتناهى ، فن الشطط الاعتقاد
بوجود خالق مدبر خارج عنها أو غير خارج عنها ولا داخل فيها يدبرها
بحكمته البالغة تعليلاً لموادث الكون المختلفة . وهو في هذه الفكرة قريب
جهد القرب من فكرة الذين يقولون بوحدة الوجود مجردة عن الغيبات التي
تقوم عليها الاديان ، كما يقول في احدى قصائده :

لما جهلت من الطبيعة أمردا وأقت نفسك في مقام معال
أثبت رباً تبتغي حلاً به لمشكلات فكان أكبر مشكل
واليك قصيدته العامرة

* * *

يا روح هذه الدنى شرارة منك أنا
قد استطارت تبتغي لنفسها أن تعلننا
إن بصيصى كله من بعض ذلك السنى

انك أنت الكون والذي له قد كونا
وانك العقل الذي قد بث فيه السنا
يا لك من مهندس بني الدني وما وني
بني بحكمة له بالغة فأتقنا

*
*
*

جسمي عنك قد نأي وكلما نأي دنا
وليس لي سواك من روح يدير البدنا
سرك اختيه فلا يزداد الا علنا
ما أنت الا أنا محسوساً فهل أنت أنا
منك انبثقت بعدما فيك كمت أزمنا
فكنت طوراً خافياً وكنت طوراً بينا
وسوف أردى راجعاً اليك من غير فنا
وسوف أيتي بك من بعد الردي مرتها
وايس موني غير تغيب يرى فيك السكنا
وليس في انتقالتي منك اليك من عنا
فلا انفصال عنك لي هناك كنت أم هنا
كنت على بعد ان برأتني مهيمنا
وكنت من تقسي علي لك دائماً مبرهنا
فتارة مستقبلا ونارة مقترنا

*
*
*

ان المكان بعض ما وسعته والزمن
ان الحياة ومضة منك أبت ان تكمن
كل الذي فيك أرا ه بعيني حسنا
حسنك ما لاح علي الاشياء الا فتنا
لا غرو اما عبيد الانسان فيك الوثنا

انى منى سائر اليك تحذوبى المنى
كنت اليك واصلا لولم يؤخرنى الونى

* *

الكون قد بنيته وأنت خير من بنى
بك الوجود واجب فليس يقبل الفنا
وليس كون ماله من أول مكوونا

* *

الله والكون لاع لان الحياة اقترنا
فما لذا عن ذاك أو لذاك عن ذا من غنى
ما الكون الا مظهر له به تبينا
وانه بعد تبين به تزيينا
سناء فيه ظاهر خبذا ذاك السنى

* *

قالوا سيجزينا على أعمالنا منتنا
فقلت هذا باطل ما ان يكون ممكنا
هو الذي أراد أن نهي أو ان نحسنا
وهو الذي صبر منا ملحدا وهؤمنا
اذا جنيت مكردا فهل أنا الذى جنى
وهل عقابه من العدل الذى قد أعلننا
وهل لنا ان شاء أن نغوى سوى أن ندعنا
وهل عذينا في حيا ة الارض غير ما عنى
ألم نكن لما قضى به مثالا حسنا
الله لا يجزى على إتيان ما شاء لنا
الله لا يحمل فى الضمير منه الاحنا
حاشا لمن ينعت الرحمن ان يضطغنا

ليس الخلود في غيا	به الجحيم هينا
مخافتى من ناره	تثير في الشجنا
والشك في رحمته	يحز قلبي مثخنا
برح بي التفكير	تى نال من جسمي الضنا
وربما كان الذى	يأتيه فوق عقلنا
بغداد	جميل صدق الزهاوى

الزولوجيا

أو

مبادئ علم الحيوان

— ٩ —

يحتوي جذع الكراستاسيا على أنواع السرطان والـ كركند - Crayfish والجمبرى والسرطان البحرى وهوام الماء الصغيرة وجميع هذه الانواع تغشى الانهار والبرك الراكدة ، إلى غير ذلك من آلاف الصور الحية التى توجد فى البحار المالحة . والكراستاسيا — الحيوانات القشرية — ليست على وجه العموم من الحيوانات الضارة بالإنسان . بل ان بعضها مفيد فائدة مباشرة بأن تتخذ طعاماً سائناً . وكما نعرف الى أى حد يستطيع الإنسان أكل الجمبرى وكم من الخلائق البشرية تعيش عليه وعلى غيره من الانواع القريبة منه ؟ وعلى الاخص فى البقاع التى تغشاها الشواطىء البحرية . غير أن أكبر فائدة يجنيها الإنسان من الحيوانات البحرية أنها أهم عنصر من العناصر الغذائية التى تعيش عليها الاسماك الكبيرة ، وأن أنواع الاسماك التى تحدث أكبر الأضرار بصيادي السمك يتوقف انتشارها وتطوافها فى البحار على وجود الحيوانات القشرية أو عدم وجودها فى بقعة من البقاع . وعلى قدر ما تجدد من الفائدة فى الحيوانات القشرية تجدد من الضرر فى الحشرات — أى الانسكتا — فمن بين الحشرات لا ينتفع الإنسان الا ببضعة صور قليلة هي النحل ودودة القز ودود القرمز cochineal insect ، وصورة أو اثنتين أخريين . أما العسل الذى يجنى من النحل فسائل يخزن فى خليات صغيرة تبنيها النحلة بتأكد جزء من بشرتها ندعوه « الشمع » أما الفائدة التى ترجوها النحلة من اخزان هذا السائل فهو تغذية صغارها عند أول خروجها من الدور اليرقى الى الدور الحشري . أما الحرير الذى تنتجه دودة القز

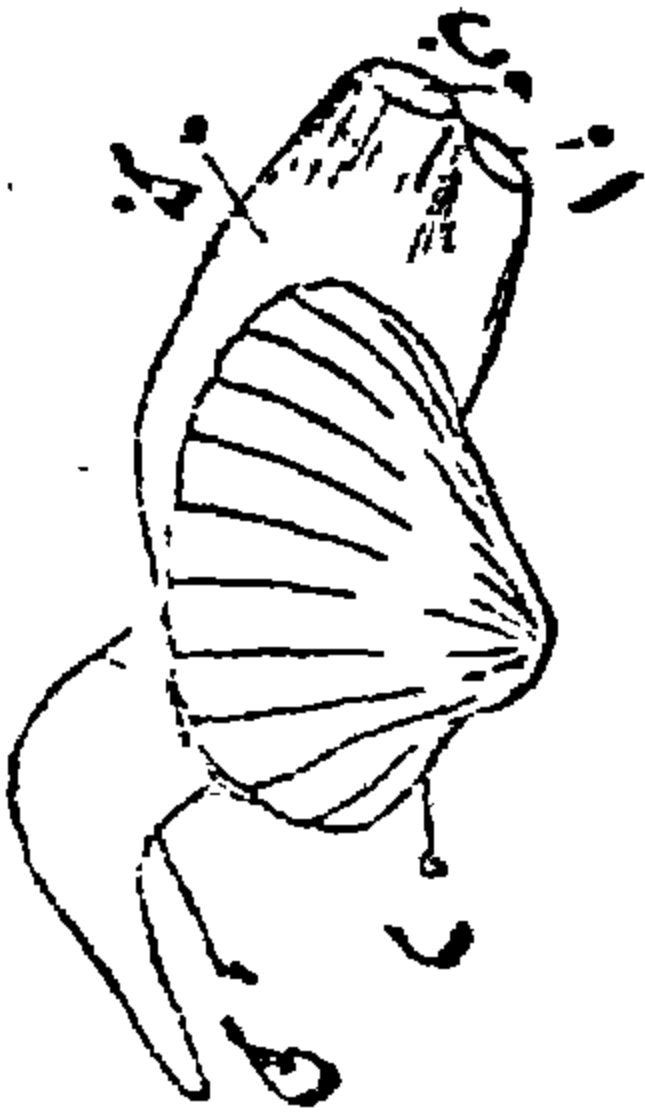
فعبارة عن مادة تفرزها الدودة وتكون في صورة خيوط تتكون على هيئة « عابرة » — شرقة — تختفي في داخلها الحشرة خلال دور انقلابها الحشري . أما القرمز فمادة تحويها أجسام الحشرات ، وتحصل عليها حشرة القرمز من النباتات التي تعيش عليها .

أما الحشرات التي يمكن أن يقال أنها مفيدة فائدة مباشرة للإنسان ، فكلها من الحشرات المفترسة التي تعيش بالاعتداء على غيرها من الحشرات ، وإما أن تكون من الحشرات التي تغتذى بعصارة النباتات أو بغبرة اللقاح النباتي ، وبذلك تنقل لقح النبات من الاسدية — أعضاء التذكير — الى الاستجانه — أعضاء التأنيث — فيحصل بذلك التلقيح ثم الأثمار في النباتات . وهذه العملية ضرورية لاجراج حب ناضج يحفظ النوع النباتي من الانقراض . ولا جرم أن الحشرات هم أعداء الانسان الذين ينافسونه في الاستمتاع بشمرات الاشجار وما تنبت الارض . ولا جرم أن عدد الحشرات اذا ازداد زيادة الى حد غير مرغوب فيه فان الانسان يهدد بمجاعة قد تكون القاضية على حياته . في حين أن الحشرات الخروطومية — التي تعيش بامتصاص الدم — تجعل الحياة غير محتملة في كثير من البقاع الاستوائية . وقد اتضح أن هذه الحشرات فضلا عن اضعاف أجسام الذين تغزوهم باتقاص كمية الدم التي تجري في شرايينهم على الدوام ، تزرع في دمائهم جراثيم البروتوزوا الطفيلية التي تسير مع الدورة الدموية وتحدث أنواع الحميات ثم الموت . أما المشكلة التي تواجه المستعمرين اليوم في استعمارهم الاقطار الاستوائية وهي أغنى بقاع العالم وأكثرها ثمرات ، فتتجلى في كيفية مقاومة الحشرات وكيفية ابادتها في مواطنها الاصلية حيث توافقها الظروف على التكاثر والانتشار . ومن هنا كانت الحاجة الى درس طبائع الحشرات والاكباب عليه اكباباً جعل للحشرات علماً قائماً برأسه بين العلوم البيولوجية . وهذا العلم يعرف اليوم « بالانتومولوجيا » Entomology أي علم الحشرات . ومن طريق هذا العلم عرف الانسان أكبر قيمة يمكن أن تجني من علم الحيوان — الزولوجيا — في علاقته بحياة الانسان ورفاهيته .

ان أنواع الاركنيدا قليلة جهد القلة مقيسة بأنواع الحشرات . على أن الاركنيدا مضرّة بالانسان ابلغ الضرر ، من العقرب بذبابها اللادغ التي تصل مثليته لاقدام أهل خط الاستواء العادية « بق الحصاد » - Mite - الذي يدب ديبه الخفى تحت أرجل الذين يحصدون الغلال من الحقول وينفذ من جلودهم فيحدث فيهم خراجات مؤلمة . أما العناكب فقد يقال إنها فائدة في أنها تقتل بعض الحشرات .



بعد الجذع الذى سماه الباحثون « ارثروبودا » يأتى جذع « المولاسكا » Mollusca . أى الحيوانات الصدفية ، أو الاسماك الصدفية . ويحتوى هذا الجذع على أنواع الاخطبوطيات وسمك « السبيت » - Cuttle - fish . ومن بين النوع الأخير حيوانات من أكبر الحيوانات التى تعيش اليوم . وهذا الجذع يمتاز ، كما تمتاز الارثروبودا والمولاسكا ببشرة قرنية صلبة - Cuticle . على أنها على خلاف فى هذه عما هي فى الاخرى . فان البشرة فى الارثروبودا تحوى جميع جسمه الحيوانى وتكون به شبه درع تدرع به من الحوادث ، فى حين ان البشرة فى المولاسكا وتدعى « الصدفة » - Shell . لا تكون من الجسم الا من ناحية خاصة منه تدعى اصطلاحاً « المعطف » - Mantle . أما بقية الجسم فيظل أملساً حريراً ، ويكون فى أكثر الاحيان مغطى « باهداب » ومجهز بكثير من الخلايا الغددية تفرز مخاطاً أو مادة دقيقة . ومن هذه الصفة الاخيرة اشتق اسمها لان كلمة « مولىس » - Mollis . اللاتينية معناها أملس أو رخو . أما الجزء الاول الذى يحمل « المعطف » أو « الصدفة » من جسم الحيوان فيدعى اصطلاحاً « الناص المعطى » - Mantle - lobe . أو « الثنية المعطنية » - Mantle - fold . وتكون على ظاهر الجسم مثبتة عليه ، فى حين أن باقى الجسم يمكن أن يبرز من داخل الصدفة فيكون بين جناحيها الممدودين وتكون الصدفة من فوق الجسم ، وبذلك يحتمي الحيوان من أعدائه فى الطبيعة . وعلى الضد مما فى الارثروبودا نجد أن وسائل الحركة فى الصدفيات



(ش ١)

منظر جانبي لحيوان من
الحيوانات الصدفية البحرية
كشال للمرتبة التي تدعى
(بليبيودا)
-Pelecypoda-

(هـ) القدم (جـ) الفص
المطفي (أ، ب) فتحتان
خارجيتان تبقيان فوق سطح
الفص المطفي (د) الصدفة

عبارة عن كتلة غليظة عضلية تدعى اصطلاحاً القدم Fort وبواسطته يمكن للحيوان أن يشترك زحفاً على الأرض. أما الاعضاء الداخلية في المولاسكا، فأكبر ما يميزها عن غيرها، فخلو تكوينها من «التكرار العضوي» (١) Metamerism. فان الفجواتان الجسميتان، الفجوة الاولى والفجوة الثانوية، كليهما تكونان ناميتان تماماً. غير ان الفجوة الاولى تكون متضمنة لا كبر المساحة التي تقع بين البشرة والقناة الهضمية - Gut.

في حين أن الفجوة الثانوية تكون ما يدعى «الأكياس التناسلية» - Genital Sac. وموضع يدعى اصطلاحاً «شفاف القلب» - Pericardium. أو

«غلافه» ويحيط دائماً بالقلب. وفي هذه الصفة الأخيرة تقع على فارق آخر بين تكوين المولاسكا والارتروبودا، لان الجذع الاخير، ولو أن لافراده

«شفافاً» حول القلب، الا ان هذا الموضع يكون في فجوة الجسم الاولى لا في الثانوية، ويفتح القلب في مخارج غير مغلقة تدعى «اصطلاحاً» «المنافذ» - Ostia.

وتقسم المولاسكا الى «جموع» أو «فصائل» تبعاً لشكل اعضاءها الرئيسية واحجامها. وتلك الاعضاء الرئيسية هي المعطف والصدفة والقدم.

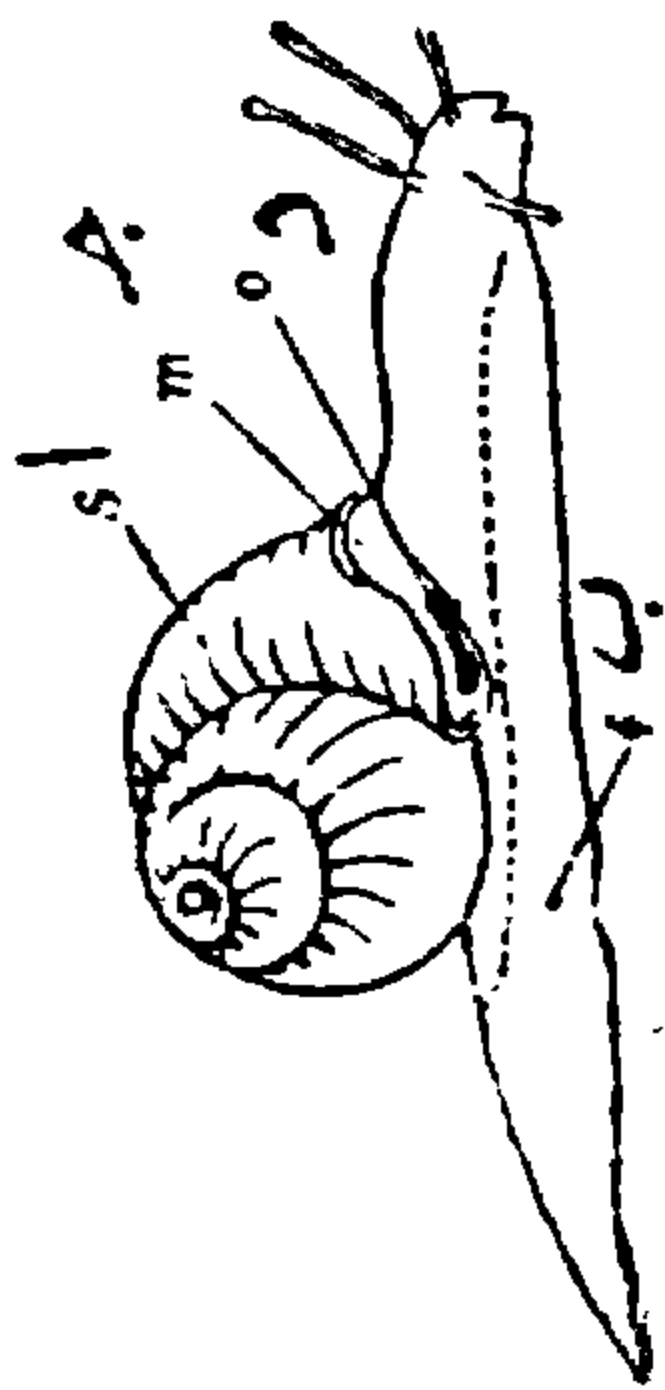
ففي بعض الانواع توجد ان المعطف قد انقسم الى مساحتين احدها الى اليمين والاخرى الى اليسار في مجمل الجسم، كما تكون الصدفة من صمامين احدها يمينية والاخرى يسارية، تتحدان بوساطة «قطعة» قرنية متحركة تدعى «المصراع» - Hinge. والفائدة التي يجنيها الحيوان من هذا المصراع تنحصر

في أن تبقى الصمامتين مفتوحتين، مادام المصراع غير مضغوط عليه. ولكن عندما يكون الحيوان حياً وقد انذر بوقوع خطر داهم، فانه يتمكن من أن يكبس قدمه والجزء الاسفل من جسمه ما بين ذراعي «المصراع»، وبذلك

(١) وجود عدة فجوات في الجسم تعتمد بها الاعضاء الواحدة كما في حيوانات الانيليدا

يستطيع أن يبقى الصمامتين مضغوطتين بأحكام فوق بعضها بفضل عضلة قوية يستعملها لهذا الغرض : أما القدم في هذه الحيوانات فيكون على شكل « بلطة » أو « إسفين » وبها يستطيع الحيوان عندما يكون حياً أن يحترق في الطين اللازب بها طريقاً يخترقه . أما اسمها العلمي Pelecypoda (من الكلمة الاغريقية Pelekus) أي إسفين فستمد من هذه الصفة الرئيسية فيها ، وعليه فيمكننا ان ندعوها في العربية « ذوات الارجل الاسفينية » . أما اسمها الآخر (Bivalve) ذوات الصمامتين فستمد من الصفة التي تكون في الصدفة .

وتجد في فصيلة أخرى من المولاسكا أن « المعطف » عبارة عن كساء يحيط بكل الجسم وأن الصدفة تكون على هيئة « قبة » أو « قلنسوة » فإذا نما الحيوان وكبر استطيل مع نمائه طرف المعطف والصدفة ويستعددا وتستمر هذه الاستطالة حتى تأخذ الصدفة شكلاً لولبياً . ويكون للقدم ظاهر مسطوح ليستطيع الحيوان ان يزحف به على ظاهر الصخور التي يعيش عالقاً بها . أما هذه الفصيلة فتدعى اصطلاحاً « غستروبودا » Gastropoda تعريباً أما رجة



فتدعى « ذوات الارجل البطنية » Bellyfoot . وقد تدعى أيضاً « ذات الصمامة » وهو اسم مستمد من صفة في صدفتها .

ونرجع في النهاية الى « السبيت » - cuttlefish - فنجد أن المعطف عبارة عن أو كساء وغطاء مستدير يحيط بالجسم كله ، ولكن الصدفة كما في الغستروبودا إذ تكون كقبة تكون عادة مظروفة في داخل المعطف الذي ينمو من جوانبه ويقفل عليها . أما القدم فينقسم قسمان ، القدم الامامى Forefoot والقدم الخلفى Hindfoot . أما القدم الامامى فينمو من الامام حتى يصبح للجسم بمثابة طوق

ش - ٢ -

منظر جانبي لحزون حى كدشال لفصيلة الغستروبودا من المولاسكا . (ب) القدم أما الخط المنقط كما في الشكل السابق فيبين الحد الاعلى لتقسيم العضلي من الجسم (ج) المعطف (د) فتحة بين المعطف والجسم (١) الصدفة

وأطراف هذا الطوق تنقلب الى « اذرع عضلية » Muscular Arms شبيهة بالاسواط مجهزة بادوات « ماصة » وتتخذ من اقوي وسائل الهجوم والدفاع فيها يستطيع الحيوان أن يقبض بقوة على فريسته . في حين أن الفم مجهز بمنقار قوي يمكن للحيوان به أن يمزق فريسته إرباً أما القدم الخلغية فعبارة عن انبوبة . عضلية مهتزة تدعى « القمع » Funnel ومنه يقذف تيار قوي من الماء الى الوراء والى الامام .

أما اسم هذه التعضيلة علمياً فتدعى « سفالوبودا » وهو اسم مشتق من شكل أقدامها . أما ترجمة فيمكن أن تدعى « ذوات الارجل الرأسية » .



منظر جانبي لحيوان من حيوان السبيث في حالة السباحة كمثل لفصيلة السيفالوبودا من المولاسكا (د) القدم الامامي وقد تحول الى اذرع فيها أجهزة ماصة (ج) القدم الخلفي . وأخط المنقط يعين نهاية القدم الاعلى (ب) المعطف (ا) الصدفة الختفية

بين الصحف والمجالات

السياسة الاسبوعية : أغنياء العصر وأغنياء الغابر

لست أعرف بالضبط من أين ترجمت السياسة الاسبوعية هذا المقال . وأظن لا يكفي أن تستند جريدة محترمة مثل السياسة الاسبوعية على جريدة انكليزية في نقل السخافات ليمكن للناس هضمها

« كان رعمسيس الثالث الذي حكم مصر منذ نحو ثلاثة آلاف سنة يملك ثروة لا يتصورها العقل إذ بلغت اربعمائة الف تالن من الذهب أى نحو مائة مليون جنيه على الأقل واذا تذكرنا النسبة بين قيمة النقود في ذلك العصر وقيدتها في هذا العصر — وهى نسبة عشرين الى واحد علمنا ان ثروة فرعون رعمسيس الثالث لم تكن تقل عن أثنى مليون جنيه فتأمل »

« والى تعلم الفرق بين قيمة النقود في عصرنا وذلك العصر تقول أن الثور كان يباع في أيام رعمسيس بأقل من أربعة شلنات وان ثمن أردب القمح لم يكن يزيد عن القرشين وان أجرة العامل من قرشين الى ثلاثة قروش »

« وكانت معظم ثروة رعمسيس الثالث سبائك من الذهب وحجارة كريمة » ومما يدل على ثروة القوم وما كانوا يملكونه من العبيد والعمال والحشم فقد روى المؤرخون أن خوفو الذى جاء قبل رعمسيس الثالث بزمن طويل كان عنده مائة الف عامل يشتغلون ببناء الهرم المعروف باسمه والذي استغرق بناؤه عشرون عاما

« واذا تذكرنا ان عدد سكان المصريين القدماء لم يزد قط على سبعة ملايين أدعشنا أن يقوم فيها ملوك جمعوا تلك الثروة التى لم يحلم بها المتقدمون ولا المتأخرون »

فأول ما يتبادر الى فكر من له ولو قليل من الادراك هو السؤال عن كيفية تقدير المؤرخون لثروة رعمسيس هذا باربعائة الف تالين من الذهب ثم اذا فرض ان هذا هو تقدير الاوائل فمن أين للمعاصرين تقدير قيمة التالين بمائتي وخمسين جنيهها (انكليزيا بالطبع) ومن أين أتى رعمسيس وخلفاؤه بهذه الكمية مضافا اليه ما كان يملكه ثروة الدولة في ذلك العصر يضاف اليه ما كان متداولاً بين أيدي الناس وهو كثير جداً لان العامل الذي يأخذ أجراً يتفاوت بين قرشين أو ثلاثة (يعني بلغتنا أربعين أو ستين قرشاً) لاشك وان يكون من حظه مس القطع الذهبية أكثر مما يحسبها كثير من صغار الموظفين وبالطبع أكثر مما يحسبها عاملنا الحالي الذي يربح ثمانية قروش في اليوم فهل كانت مناجم الفحم تنقلب مناجماً للذهب في أساطير التاريخ ؟ ليحاول القارئ الفاضل أن يجري معي عملية الحساب الآتية :

بنى الاهرام في عشرين سنة كل سنة ٣٦٠ يوماً فقط فتكون الجملة
٧٢٠٠ أو ٧٠٠٠ يوم

وكان يعمل في بناء الهرم ١٠٠٠٠٠٠٠ عامل فيكون عدد العمال ٧٠٠٠٠٠٠٠٠٠
عامل فقط لو اشتغلوا باستمرار كل منهم يوم واحد لا أكثر ٧٠٠٠٠٠٠٠٠٠
تضرب في ٥٠ قرش متوسط يومية العامل ٣٥٠٠٠٠٠٠٠٠ جنيهه بالسعر الحاضر
تقسم على ٢٠ أى ١٧٥٠٠٠٠٠٠٠ جنيهه حسب السعر القديم أو ٣٥٠٠٠٠٠٠٠٠٠
على ٢٥٠ وهو نسبة عدد التالينات للجنيه ١٤٠٠٠٠٠٠ تالين ذهب

فبناء هرم خوفو كلف الدولة ١٤٠٠٠٠٠٠ تالين ذهب أو
٣٥٠٠٠٠٠٠٠٠٠ جنيهه حسب السعر الحالي بأقل تقدير وهذا كان قبل
رعمسيس بزمان طويل أي حين كانت الاسعار أقل بكثير وذلك خلاف
المصاريف الأخرى

لنفترض الآن ان سكان القطر كانوا « ٧ » مليون فبالقسمة على ٦ ينتج
١٣٠٠٠٠٠٠٠ شخص ذكر قوى في سن يتمكن معه من العمل فاذا كان
عمال الهرم ١٠٠٠٠٠٠٠٠٠ أى ١ إلى ١٣ من هؤلاء فكيف كان أثر خروج

هؤلاء من الغيطان لعشرين سنة عظيماً على المحاصيل الزراعية (وهي كل موارد ثروة مصر في ذلك الوقت) ويجب أن يعلم أنهم له يكونوا يزرعون القطن أيضاً في ذلك العصر

والذي أتذكره هو أن كتب التاريخ الابتدائية تقول ان (جملة) العمال التي كانت تسخر في السنة لبناء الهرم هي ١٠٠٠٠٠٠٠٠٠ نس. وكانوا يبدلونهم من وقت لآخر فيمكن أن تقول ان عددهم في أي وقت واحد لم يتجاوز ١٥٠٠٠ نس وكان أجرهم فقط اطعامهم بالثوم والبصل وكانوا يحضرون هم خبزهم معهم لمدة قصيرة أي حوالي شهر من الزمن وحتى هذه الرواية الأخيرة فغير معقولة لأن العمال الذين كانوا يأتون من الصعيد يحتاجون لمدة طويلة في السفر بالمرაკب أو سيرا على الاقدام فالمنتظر أنهم كانوا يجمعون هؤلاء العمال من اسرى الحرب (العبيد) ومن سكان المناطق الغربية من الجزيرة. اقسم أيضاً مكعب الهرم على عدد العمال المزعوم في ٢٠ سنة ينتج شيئاً غريباً مدهشاً

وكان الثور ثمنه ٥ شان أي ٢٥ قرشاً فاذا ضربنا هذه القيمة في ٢٠ وهي النسبة يكون ثمن الثور ٥ جنيه مصري وهو ثمن كبير نسبياً لان المنتظر ان المراعى كانت كثيرة في مصر والمواشي كانت مورداً مهماً للايراد في ذلك الوقت فلا يعقل ان يكون ثمن الثور نصف ثمنه في الوقت الحاضر ولو قال ان ثمنه كان خمسة قروش أي جنيه لكان في الامكان هضم الخبر

وكيف يكون ثمن الثور ٢٥ قرشاً بينما كان ثمن اردب القمح ٢ قرش أي ٤٠ بالسعر الحالي هذا في الوقت الذي كان يأخذ فيه العامل بين ٤٠ قرش و ٦٠ قرش في اليوم ؟ فما كان يصنعه العامل بعد ان يشتري ٥ أرادب قمح كل شهر لطعامه باجر خمسة أيام فقط فهل كان يرفل في الديباج ؟ !

بالطبع السياسة الأسبوعية ناقله ، وناقلة عن مصدر محترم وهو جريدة انكليزية ولكن هل يمنع كون الفقرة نشرت في مجلة انكليزية ان يكون المكتوب سخيفاً لا يستحق النشر ؟

مجلة الرابطة الشرقية

جاءتنا هذه النشرة من اللجنة التي سوف تقوم على المجلة نثبها هنا بحروفها . والعصور ترحب بالزميلة الجديدة راجية أن توفق كل توفيق للوصول الى اغراضها السليمة وان تنال لدى الشرقيين عموما والناطقين بالضاد منهم على الاخص مكانة خليقة بها

تشرف اللجنة التي وكل اليها تدبير مجلة « الرابطة الشرقية » بأن تضع تحت نظركم ذلك البيان العزيز تقرأون فيه شيئا عن غاية المجلة وموضوعها ومنهجها ، ولعلكم ستجدون منه أن الغاية التي انتدبت المجلة لها من النبيل والشرف بحيث ينبغي أن تحل في كل قلب نبيل شريف ، ومن العزة وبعد المال بحيث ينبغي أن يتعاون على السعي لها جميع القادرين ممن يؤمنون بمبدأ العمل لعظمة الشرق وسعادة الأمم الشرقية . غاية خالصة لا يشوبها مس من نزعات الهوى والغرض ، ولا ميل إلى وجه من وجوه الربح والتجارة ، ولا اعتبار لمعنى من معاني المنفعة والكسب . ولكن دونها عمل كثير ، وبذل كريم صبر جميل لوجه الله تعالى وفي سبيل الشرق والشرقيين .

باسم هذه الغاية النبيلة العريضة التي نشعر بانها رباط بينكم وبين المجلة وثيق ، ومبدأ مشترك رخيص ، وعهد أكيد ، تقدم إليكم بمجلتنا (الرابطة الشرقية) علماً بأنكم ستكونون لها نعم المولى ونعم النصير .

عن اللجنة

على عبد الرازق

نبهت حوادث العلم في تاريخه الحاضر كثيراً من علماء الشرق وقادة الرأي فيه إلى أن الأمم للشرقية أصبحت أحوج ما تكون إلى أن تتصل بينها الروابط ، وتتمهد لها أسباب التعارف والتقارب .

كان الشرق في حاجة إلى ذلك منذ القدم ، منذ انقسم العالم إلى أمم
ترقية وغربية منذ كان الشرق شرقاً والغرب غرباً . وكان المتقدمون من
دعاة الإصلاح في العالم الشرقي يشعرون مثلنا بهذه الحاجة ، ويدعون إلى
لعمل على سدها ، إلا أن هذه الدعوة لم يقدر لها أن تتوطد على نظام ثابت ،
وقواعد محكمة ، لذلك كانت تتقلب على تقلبات الأيام فتظهر حيناً وتختفي ،
وتضعف آونة وتقوى . لكن إحساس الشرقيين بتلك الحاجة قد أصبح
اليوم أقوى منه في كل ماسلف من العصور . وأدرك العاملون على نهضة
الشرق أنه قد آن لهم أن يقيموا الدعوة إلى الرابطة الشرقية على ما ينبغي لها
من أساس متين ونظام محكم .

لذلك اجتمع في مصر سنة ١٣٤١ هجرية سنة (١٩٢٢ م) أفذاذ من
رجال الشرق العاملين على إصلاحه . وبعد التشاور فيما بينهم أسسوا جمعية
دعوها « جمعية الرابطة الشرقية » « يكون غرضها نشر علوم الشرق وآدابها
والبحث في شئونه ، للعمل على ترقية شعوبه وتكوين صلة تعارف بين أرباب
الرأي والقلم منهم على اختلاف أجناسهم ، لتبادل الآراء والمعلومات في هذا
السبيل . ثم لتكون رسول سلام وتعارف بين الأمم الشرقية ، التي لها من
سوابق تواريقها المجيدة ، وحضارتها القديمة ، وتقاليدها القويمة ،
ومدارك أفرادها العالية وموارد ثروتها الثينة ما تستطيع به أن يخدم بعضها
بعضاً ، وأن تتضامن في سبيل إسعاد المجتمع الانساني وتربيته خير جميع
الأجناس والأديان . »

شعرت جمعية الرابطة الشرقية منذ نشأتها بأنه لا مناص من أن تكون
لها مجلة خاصة تخدم أغراضها وتنشر مبادئها وتعينها على الوسائل التي تريد
انتهاجها . لكن حالة الجمعية وظروفها في الماضي لم تكن لتسمح لها بالتفكير
الجدي في إصدار المجلة على الوجه الذي يليق . ثم أراد الله ، وله الحمد ، أن
تغلب الجمعية على تلك المصاعب التي كانت تعترضها ، فلذلك قررت بجلسة
٧ ذى القعدة سنة ١٣٤٦ - (٢٧ ابريل سنة ١٩٢٨) أن تصدر مجلة

تدعى « الرابطة الشرقية » ووضعت لها نظاماً تدير عليه ، واختارت لجنة تقوم بتدبيرها مؤلفة من ثلاثة أعضاء .

برنامج المجلة — الغاية التي تعمل المجلة لها هي ، في المجلة ، إزالة ما يمكن إزالته من الفوارق غير الطبيعية التي أقيمت سداً بين الأمم الشرقية وبعضها ، ومحاولة التقريب بين هذه الأمم ، حتى يتيسر لها أن تتعارف ، فاذا ما تعارفت تألفت ، وإذا ما تألفت تساندت وتعاونت ، وإذا ما تساندت وتعاونت استطاعت أن تعيش حرة قوية ، وضمنت لحياتها أن تكون سعيدة كاملة ، ولمدنيتهما الناهضة أسباب الرقي والنجاح ، فيتساوي عند ذلك الشرق والغرب ويصبح كلاهما عضداً للآخر في مجال العمل النافع لخير البشرية كلها .

وسوف لا تألو المجلة جهداً في التماس تلك الغاية بكل الوسائل التي تناسب ما لذلك المقصد الكريم من نبل وشرف . فتحاول أن تتبع بعناية كل مظاهر الحياة الشرقية وعناصر نهضتها ، وما يكون ذا أثر قريب أو بعيد في مدنية الشرق ، فتتخذ من ذلك كله موضوعات لبحث حر ونزيه يشترك فيه أهل الرأي البصرون ممن يعنيه أمر النهضة الشرقية ، عسى أن يتضح سبيل الخير والشر ، ويتميز وجه النافع والضار ، دون أن تقف المجلة في ذلك موقف المتعصب لأمة ولا طائفة ولا دين ولا مذهب ، لكنها تضع المصلحة العامة للشرق كله فوق جميع هذه الاعتبارات . تريد المجلة في جميع الأحوال أن تقف موقف السفير الأمين الذي يحاول أن يزيل ما قام بين أمم الشرق من حجب وعقبات ليرى بعضها بعضاً ، ويسمع بعضها بعضاً ، فتتعارف ، فتتقارب ، فتصبح بنعمة الله اخواناً .

موضوع المجلة — تعنى المجلة بكل ما يكون ذا علاقة بنهضة الشرق أو مؤثراً في مدنيته ، وبكل ما يساعد على تمكين العروة بين الشرقيين . لا تقتيد بناحية من البحث دون ناحية ، ولا بموضوع دون موضوع ، ما دام ذلك داخل في حدود أغراضها ، ومتصلاً بمظهر من مظاهر الحياة الاجتماعية في الشرق . والمجلة حريصة ، من أجل ذلك ، على تنكب المباحث التي لا يكون فيها

ما ينفع مبدأ الرابطة الشرقية ولا يمس الشؤون الحية في أمم الشرق . وكذلك .
تحرص المجلة على مجانبة الابحاث التي لها علاقة بالمنازعات الدينية ، والخلافات
المذهبية . فان التعرض لمثل هذه الابحاث في الشرق خطر يخشى أن يغتال كل
دعوة الى تقارب الشرقيين وتواصلهم . تلك دعوة يجب أن تأخذ سبيلها
بمبدأ عن كل ما يثير حزازات النفوس ، ويحرك نزعات العصبية . . .

وتتجنب المجلة الخوض أيضاً فيما قد يعرضها لفتن السياسة ، فلا تتناول
المباحث السياسية إلا من نواحيها العامة البريئة .

الموضوعات التي تعنى بها المجلة بنوع خاص هي : (١) المباحث العلمية .
(٢) الاجتماع . (٣) الاقتصاد . (٤) الأدبيات والفنون الجميلة . (٥) الأخبار
والحوادث مشتملة على ما يكون له اتصال خاص بموضوع المجلة . (٦) الاشارة ،
تقدر ما يمكن ، إلى ما يظهر من الكتب والمباحث التي يكون لها ارتباط
بموضوع المجلة مع تلخيص المهم منها وتقده . (٧) درس حالة التعليم في الامم
الشرقية المختلفة . (٨) جماعة الرابطة الشرقية ، بنشر قراراتها وأهم أخبارها
ومباحثها وتلخيص المحاضرات التي تلقى بها .

ويشترط فيما تتناول المجلة من هذه المباحث ، بوجه عام ، أن يكون مفيداً
لأمم الشرق ومتصلاً بحياتها الحاضرة ، وألا يكون فيه ما يثير خلافاً دينياً
أو سياسياً .

نصراء المجلة — تعتمد المجلة ، في أداء واجبها وتحقيق أغراضها ، على
المساعدة التي ترجوها من أعضاء الرابطة الشرقية وكل من يتفضل بمناصرتها
والكتابة لها في حدود موضوعاتها من شرقيين ومستشرقين .

مراسلو المجلة — تتخذ المجلة ، تدريجياً ، في كل جهة من أهم الجهات
الشرقية وغيرها مراسلين يوافقونها بالأخبار ويكتبون في موضوعاتها
ويستكتبون من ذوى الرأي والمكانة في بلادهم من يرون في كتاباتهم تفعلاً
للشرق وللمجلة .

اشتراك المجلة — رأت اللجنة ، مؤقتاً ، أن تظهر المجلة مرة كل شهرين .

وأن تكون قيمة الاشتراك السنوى خمسين قرشاً صائفاً في مصر، وستين في الخارج، تدفع سلفاً. وأن ترسل المجلة مجاناً إلى حضرات أعضاء الرابطة الشرقية.

عنوان المجلة — المخاطبات غير المالية تكون باسم « لجنة الرابطة الشرقية بإشارع سامى رقم ٢٨ بالمالية بمصر »

والمعاملات المالية تكون باسم « حضرة صاحب السعادة احمد شفيق باشا »
بالعنوان المتقدم

لجنة المجلة — الرئيس : السيد عبد الحميد البكرى . مدير المجلة : احمد شفيق باشا . المشرف على التحرير : الاستاذ على عبد الرازق .

مصر — القاهرة ١٧ صفر سنة ١٣٤٧ (٥ أغسطس سنة ١٩٢٨)

فهرست

ص	
١٦١	— هل نهضنا
١٦٨	— السيار الارضى — بحث فلكي
١٨٧	— رباعيات الخليم الزهاوى
١٩١	— حول الاحاد ه . ط . الحنين
١٩٥	— الانتخاب البشرى عمر عنايت
١٩٨	— عمانوئيل كانت ابراهيم حداد
٢٠٥	— نينشة وأوربا — عن هنرى ليختنبرجيه ترجمة عبد الحميد سالم
٢٢١	— مقطوعة غنائية أمين عزت المحجى
٢٢٢	— سر ليلة — قطعة شعرية حبيب الياس
٢٢٣	— ياطيفها — قطعة شعرية « . «

ص	
٢٢٥ --	في الأزهر
أزهري حر	
٢٢٨ —	هرطقة والعياذ بالله
محمود علي الشرقاوي	
٢٢٩ —	مقتل دوق غانديا
.....	
٢٣٩ —	ياربتي — قطعة شعرية
حسن كامل الصيرفي	
٢٤٠ —	سر الحياة في النبات — للسير بوز
.....	
٢٤٤ —	حرية الفكر — قطعة شعرية
الحاجري	
٢٤٥ —	فرساوس — من أساطير روما واليونان
.....	
٢٤٥ — ١ —	بحث فرساوس عن رأس مديوسا
.....	
٢٥١ — ٢ —	كيف تزوج فرساوس
.....	
٢٥٦ —	الصين — عن كارلو سفورزا
.....	
٢٦٢ —	الادب العربي وتكوين الاديب
توفيق حلبي	
٢٧١ —	توقيع ميشاق السلام
.....	
٢٧٧ —	الحرب والسلام بين العلم والخيال
.....	
٢٨٥ —	فصول في التاريخ الطبيعي — نشوء الانسان في عصوره الاولى ...
٢٩٣ —	التداوي بأشعة الشمس — مؤتمر لوزان
.....	
٢٩٦ —	أموندسن — أكبر رواد العصر
.....	
٣٠١ —	منك أنا — قصيدة فلسفية
بجمل صدقي الزهاوي	
٣٠٥ —	الزولوجيا — أو مبادئ علم الحيوان
.....	
٣١١ —	بين الصحف والمجلات
٣١١ —	أغنياء العصر وأغنياء الغابر
٣١٤ —	مجلة الرابطة الشرقية

فهرست القور

ص

- ١٦٩ — منظر يرى من القمر
 ١٧١ — الأضواء الرمادية : ضوء الأرض على القمر
 ١٧٥ — شكل يبين كروية الأرض
 ١٧٧ — فردريك وليم إيسيل
 ١٧٨ — شكل يبين التسطح والانبعاج في كرة الأرض
 ١٨١ — شكل يبين تأثير الجاذبية للأجسام
 ١٨٤ — رقص فوكول وتجربته في قبة البانتيون بباريس
 ١٨٥ — شكل يبين كيف يحدث المد والجزر
 ١٨٦ — القمر في تمامه
 ٢٣٢ — رودريجو بورجيا (البابا الاسكندر السادس)
 ٢٣٧ — سيزار بورجيا
 ٢٤٥ — فرساوس
 ٢٤٧ — فرساوس وغراي (الاخوات الثلاث)
 ٢٧١ — لورد كوشندن - مستر سميت - كونت مانزوني
 ٢٧٢ — مستر كوزجراف - مسيو هيماز - مستر مكنزي كنج
 ٢٧٣ — السناتور مكلاشلان - هرشترزمان - مسيو بنديش
 ٢٧٤ — كونت يوشندا - سيرج . بار - مسيو زالساكي
 ٢٧٥ — مستر كيلوج - مسيو بريان
 ٢٨٧ — رسم تخيلي لانسان الكهوف
 ٢٨٨ — الهومو بريغنيوس أي الانسان الاول
 ٢٩٠ — أسرة في جزيرة تيرادالفويجور تمثل الانسان في العصر الحجري
 ٢٩١ — عبد إفريقي يمثل السلالة الغالبة في القارة السوداء
 ٢٩٢ — معركة بين الانسان الاول ومموث مأسور
 ٣٠٨ — الزولوجيا - حيوان صدفى كمثال لمرتبة البليسيبودا
 ٣٠٩ — الزولوجيا - حيوان صدفى كمثال للغستروبودا
 ٣١٠ — الزولوجيا - حيوان السبيت كمثال لاسيفالوبودا

ANCORA IMPARO



القصور

العدد ١٥ مجلد ٣ اعرف نفسك بنفسك : فيثاغورس نوفمبر سنة ١٩٢٨

تولستوى

في يوم ٢٨ أغسطس الماضي كان قد مضى على ميلاد الكونت ليون تولستوى مائة عام . فقد ولد مثل هذا اليوم في سنة ١٨٢٨ ، وتوفي سنة ١٩١٠ .

الكونت ليون تولستوى ليس روسي الاصل . فان جد أسرة تولستوى وكان اسمه بطرس اندريفتش الماني الاصل ، سكن روسيا في زمن الامبراطور بطرس الاكبر . أما ابنه نيقولاس ، والد ليون تولستوى ، فقد ولد في سنة ١٧٩٧ ، وعاش في أرياف روسيا بعد أن خدم في الجيش زماناً غير طويل . وكان زواج الكونت نيقولاس من الاميرة ماريا فولكونسكي سبباً في أن تسترد الأسرة مجدها القديم وكانت قد أخذت في الاضمحلال خلال عقدين متواليين من الزمان . وكان ليون تولستوى أصغر أولادها وخامس أطفالها من الذكور ، وفقد والدته عندما كان في الثالثة من عمره . ومات أبوه بعد وفاة أمه بست سنين ، وهو في الحادية والاربعين .

ولم تظهر على ليون تولستوى علامات النجاسة في صغره على الرغم من أنه كان دقيق الملاحظة كثير التفكير . غير أنه كان سريع التأثير شديد الحساسية ، حتى لقد خيل إليه أنه موضع الإهمال وقلة العناية من أخوته وأخواته ، وثبتت هذه الفكرة في عقله حتى أنه كان يجد في الهرب من الأطنال الذين يجتمعون من حوله أثناء اللعب ، ويحبس نفسه في حجرة منفرداً عن الناس . واتقد وصف الكونت تولستوى إحدى الحالات التي استمكنت من نفسيته خلال طفولته ، إذ خيل إليه أن الموت ينتظره عن كثب ، وأن السعادة تنحصر في أن يفعل الإنسان ما يشاء وأن ينتهز فرصة الظرف الحاضر ، من غير أن يجمل للتفكير في المستقبل أقل اعتبار في نظره .

ولما تملكته هذه الفكرة (الأبيقورية) التي جانبها بكتبه وأوراقه ، واتخذ من فراشه مرتعاً للكسل والاستسلام لغريب التصورات ، وسعى وراء اللذة يأتيها كيف شاء وعمد إلى الصويمجات يألف من راقته له منهن . وإلى القصص يقرأ منها ما أرضى نزعتة ووافق مشربه . غير أن طفولة ليون تولستوى لم تكن خلواً من المسرات . فالصيد والقنص ، وهما إحدى مسرات نبلاء الروس في ذلك العهد ، كانا من الأشياء التي عكف عليها أبوه . وكان من عادة ليون أن يرافق أباه في مصايده ومطارده منذ نعومة أظفاره . ولم يكن قصر أبيه خلواً من أنواع التسلية الأخرى ، فالعربات الفخمة والخيول المطهمة لم تكن تنقصه ، وكذلك صنوف الآبهة وضروب العظمة التي كانت تحف نبلاء روسيا في ذلك العهد البائد .

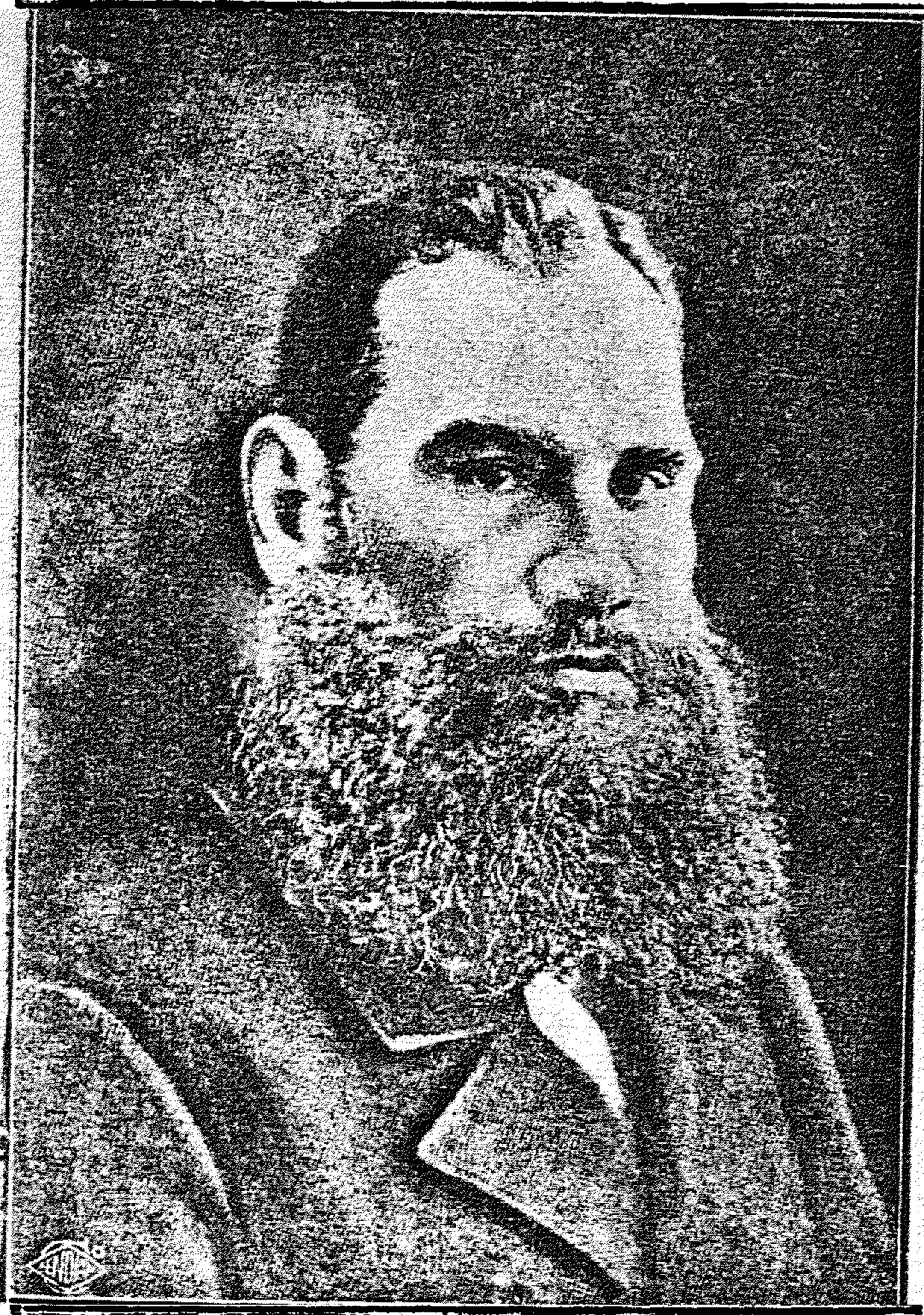
وعلى الرغم مما كان في قاعة التدريس من خشونة وفظاظة ، فإن الذكريات القديمة قد ظلت حية في عقل ليون الصغير ، فقد بقيت ، كما كتب عن نفسه ، حية مشبوبة ، وكانت تراجعها حيناً بعد حين كنبيح فائض يزوده على المعرام بأحلى الذكريات .

وبعد أن مات أبوه في موسكو سنة ١٨٣٧ عهد بليون وأخوته إلى عمهم « النكوتس اوستن هاكن » ، كما عنت بالقيام عليهم إحدى قريباتهم

البعيدات النسب بهم ، وكانت تدعى مدام « إرغو لسكيا » وماتت عمتهم في سنة ١٨٤٠ ، فعهد بهم الى عمه اخرى تدعى مدام « جشكوف » كانت تسكن في مدينة « قازان » . وكانت عمتهم هذه مثال المرأة الروسية ممن هن في منزلها من النبل والكرامة . فقد كان بيتها « مفتوحا » على مصراعيه للزائرين والزائرات ، محبة لاهو والمرح والمجتمعات . أما آراؤها في مسائل الآداب فكانت مثال الحرية المتطرفة ، التي قد تبلغ حد الاباحة في بعض الاحيان . وكان ليون في الحادية عشرة من عمره عندما ظلمته عنايته ووقع تحت تأثيرها . ذلك التأثير العميق الذي قال ليون في نضجه أنه كان بعيدا عن النفع والهدى .

وعهد الى معلم فرنسوي أن يقوم على تعليم ليون واخوته توطئة لدخولهم الكلية في مدينة قازان . وكان ليون ملي النقيض من أخوته ، يقضى ساعات فراغه في نزعات طويلة منفردا مع تأملات عميقة في الحياة ومشاكلها ، او في مكان للرياضة البدنية . وهنا تجد أن الدافعين الطبيعي والفلسفي قد نما في نفس ليون منذ صغره ، وكان لهما من الصراع مواقف في التناحر مواقع في نفس ليون تولستوي شهدا في سنى حياته الطويلة . على أن الظاهر أن الدافع الفلسفي لم يتغلب على الدافع الطبيعي العملي في نفس تولستوي الا بعد أن صار شيخا هدمته الايام وعجمت عوده السنون .

ولما بلغ الخامسة عشرة من عمره ، وكان ذلك في سنة ١٨٤٣ ، التحق بجامعة قازان . على ان ليون لم يخرج من الجامعة بعد ذلك الا ويده واثاق التعليم العالي ، على الرغم من أن جامعة قازان لم تكن في ذلك الحين معتبرة من معاهد الثقافة العليا . غير أن ليون تولستوي قد نال مع اجازاته اجازة اخرى هي لدى الحقيقة اثن من كل الوريقات التي تزود بها الجامعات الناجحين من طلابها . نال اجازة باستقلاله عملا وفكرا وهنا اخذ تولستوي يستقبل حياة طويلة حافلة بشتى الاعمال الخالدة .



الكونت تولستوى

وكان من الطبيعى أن يتطلع شاب فى مركز تولستوى الاجتماعى وقوة عقله وصادق يقينه بحق النوع البشرى فى الحياة السعيدة الطيبة ، الى اصلاح مايمكن اصلاحه من حالات بلادء فى عرسادت فيه الفوضى واصبحت العبودية قانون العمل والعمال ، والفرق بين المالك والعامل ، شريعة الاجتماع . فحاول ان يصلح وحاول أنه يؤثر فى الجو المحيط به ، فانجح قليلا واخفق فى كثير فى مشروعاته حتى تلك التى حاول أن يفرضها على زراع أرضه الخاصة . ذلك

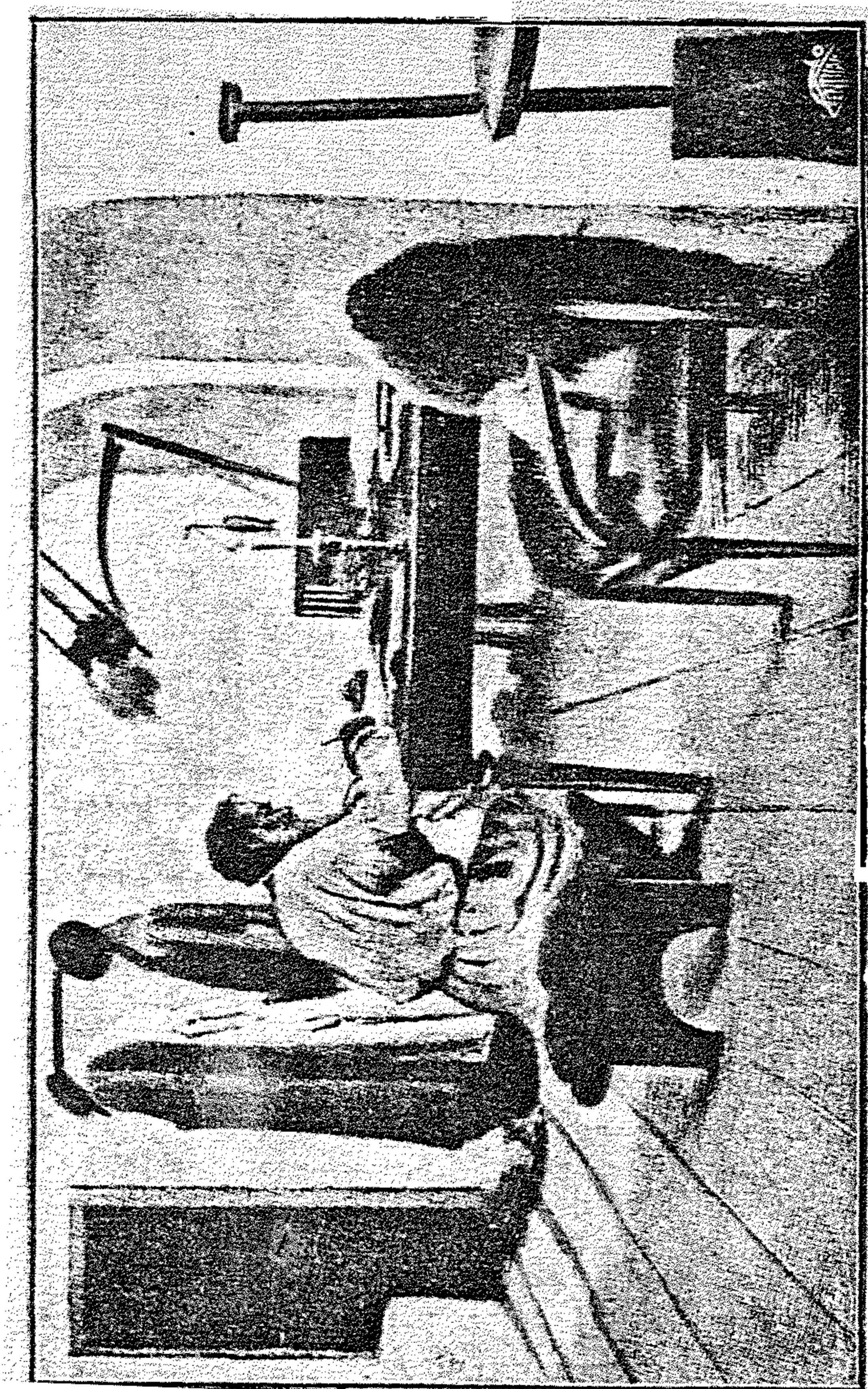
لان الجو كان فاسداً كل فساد حتى لقد تعذر على مصاح مشبوب العواطف مملوء بالامل وحماس العمل أن يصاح ما يملك اصلاحه ، فكان ذلك سبباً في أن يمتد افقه الى فكرة الاصلاح الدامة بأن يصبح مؤلفاً وان يكتب للناس يرشدهم من طريق الأدب الى واجباتهم والى حقوقهم .

وفي سنة ١٨٦٢ تزوج من ابنة الدكتور « بيرز » الثانية وعاش معها في ناسيانا بوليانا وشعر بعد ذلك بأنه سعيد حائز لكل ما تتطلبه ميوله من عيش السكينة والهدوء . فانصرف الى العمل الأدبي والتأليف . فخرج روايته الخالدة « الحرب والسلام » ونشر بعدها « أنا كرنيما » وهما الروايتان اللتان صب فيهما تولستوى كل آرائه وآماله وبث فيهما كل ما أراد أن يبشر به لأبناء جيله من المباديء .

وكان كلما تقدم في السن نزع الى التطرف في الرأي . فانه تنازل عن كل املاكه الواسعة لولاده وامراته على اعتبار أن الملك عبء ثقل وان الانسان يكون اكثر سعادة كلما قلت في الحياة حاجاته . بل قال لزوجته عندما عزم عن التنازل عن املاكه أنه أصبح يعتقد أن الاختصاص بملك شيء جريمة كبرى ضد المجتمع الانساني . وانصرف بعد ذلك يكتب قصصاً قصيرة يحاول بها أن يصرف الناس عن الآثام التي يرتكبونها باسم القانون ويرشدهم الى الطريق الذي يمكن أنه يؤدي بهم الى السعادة الدنيوية والخلاص الأخرى .

وانك لن تستطيع أن تفهم شيئاً من عقلية تولستوى ما لم تدرس فكراته الدينية واعتقاده في حقيقة النصرانية . على أن درسك لميوله الدينية يكون كاملاً اذا انت عرفت أنه يعتقد في النصرانية مجردة عما يثبت فيها من الاساطير والتقاليد فهو بالحرى يعتقد في شريعة النصرانية الادبية خالصة من كل شيء آخر فيها . علي أن حياة تولستوى قد دلت على انحراف عقلي غريب كلما تقدم في السن نحو نهايته المحزنة . ولا جرم أن لزوجته اكبر الاثر في هز اعصابه تلك الهزات المتوالية التي أدت به الى الفرار من سكنه وموته بميداً عن أسرته ميتة جدير ألا يموتها انسان حاول ان ينفع الانسانية وعمل على تفهيمها

بحرارة اليقين ، ثم لم يجد بعد طول جهاده الا شيطان « فوست » يوحى
اليه بأن صدقاء النفس وهملوء القدير وراحة البال فى الحياة الانسانية اشياء
بمعيد على العلم ، كما هو بعيد عن الايمان، ان يحبونها قاب الانسان



تولستوى فى حجرة عمله

الرومانتيسم

Romantisme

تحليل الرومانتيسم - الحركة الرومانتيكية في المانيا وفي انكلترا - الرومانتيسم
في فرنسا - مدام دي ستايل وشاتوبريان ولامارتين وهيغو -
الرومانتيسم في الفن الفرنسي

اذا كان هناك اسم أثار ضجة كبيرة في تاريخ الآداب الأوروبية منذ
مائة وعشرين سنة وما زال يدور من حوله الجدل العنيف، فإن ذلك الاسم هو
الرومانتيسم. وما فتئ أصحاب المذاهب الأدبية إلى يومنا يتخذونه ذريعة
للكفاح. فهو في نظر البعض رمز لاتساع الروح الإنسانية وتحررها وفي
نظر البعض الآخر رمز للعجز والضلال والفساد

وإذا أردنا تأويل الرومانتيسم نقول إنه أطلق على الحركة الأدبية التي
ابتدأت في فرنسا حوالي سنة ١٨٢٠ واستمرت إلى سنة ١٨٥٠. والمراد منه
فن يتغلب فيه الخيال والشعور على العقل. ويقال بوجه عام في تفسير
الرومانتيسم إنه الحرية في الفن. ويطلق اسم «الرومانتيك» على الكتاب
الذين تحرروا في بداية القرن التاسع عشر من قواعد التأليف والأسلوب
الكتابي التي وضعها الكلاسيك (القدماء). وهي القواعد التي بقيت
متبعة في مدى القرنين السابع عشر والثامن عشر.

وقد كانت الحركة الرومانتيكية التي تناولت الآداب الفرنسية بالتجديد،
وجهاً من وجوه حركة أعم شملت سائر أوروبا. فإن لانكلترا ومانيا وروسيا
أيضا مؤلفيها الرومانتيكيون. وإن هيغو ليند كرنا باسماء المجددين الخالدين في
الآداب الأوروبية: «بيرون» و«جوته» و«تولستوى». ولم يكن

تأثير الرومانتيسم في الآداب باقل منه في الفن . وحسبنا أن نذكر من المصورين « ديلاكروا » ومن الحفارين « دافيد دأنجيه » ومن الموسيقيين « برايوز » و« فخر » . كان أولئك الفنانون حلقاء للمجددين في الآداب .

أما أصول تلك الحركة فأنها ترجع الى ما قبل سنة ١٨٢٠ - بل أن الاسم نفسه أقدم من ذلك التاريخ . فقد جاء في رسالة من الاب « لو بلان » الى الرئيس « بويه » مؤرخة في سنة ١٧٣٧ ان الميسو « باب » يحاول ان يهب حديقته ذلك الذوق الذي يسميه الانكليز رومانتيك « Romantic » ونسميه « بيتورسك » (١) ويتبين من ذلك أن معنى لفظ « رومانتيك » في ذلك التاريخ كان يختلف عن المعنى الذي أعطى له فيما بعد . على أن اللفظ قد مر بطوار اخري اصطلح فيها على أن تكون له معان تختلف كل الاختلاف عن المعنى الذي سبق ذكره .

فقد أطلق لفظ « الرومانتيسم » في الاصل على كل ما يفهم من الحياة الخاصة « بالرومان » (٢) وهو أوسع معانيه . اهتدي اليه في الاقاصيص الحماسية المنسوبة الى شعوب « الرومان » . وقد كان لتلك الشعوب الفضل في ترقى العبقريّة الاولى للعصور الوسطى . وأطلق اسمها على تلك العبقريّة التي تشترك فيها مع ذلك شعوب أوروبا الشمالية والغربية . وتأتت عن حادث عظيم النتائج هو توطد اركان المسيحية

وعلي هذا الاعتبار يكون المعنى المراد من الرومانتيسم أنما هو العقلية التي جعلت المسيحية مصدروحيها ، على تقيض العقلية القديمة والكلاسيكية اللتين كانتا تستلهمان من الوثنية ومن الاصول الاغريقية . وقد أثمرت العقلية الاولى فناً توخى تمثيل اللانهاى وتناول عن اختيار الممتنع الوعر والمعجب والخيالى والخفى ، علي حين أن الفن القديم كان يستمد إلهامه من العقل ويتوخى الهدوء والبساطة والنبيل والتبيين .

اذن ينطوى الرومانتيسم علي روح العصور الوسطى بعواطفها الدينية

(١) مبتكر . مبتدع جدير بالتصوير

(٢) Romains غير الرومانيين المنسوبين الى روما Roma

العميقة وتحمسها للجمعية . المصنعة بالفروسية وحبها للاعجاب والمعجزات .
وكان اهتمامه بالآيمان وبالعاطفة والخيال أشد من اهتمامه بالنقد والعقل
والقياس . وبالاختصار كان ثمرة الطرائق المناقضة على خط مستقيم للطرائق
القديمة التي اتبعت جادة العقل والخلق والوثنية .

وفي الحقيقة اننا اذا بحثنا ملحة « نيدلنجن » الجرمانية القديمة
و « أنشودة رولند » الفرنسية و « الرومانسيرو » و « الكوميديا الإلهية »
التي ألفها « دانتي » لوجدنا عدداً يذكّر من الصفات المتشابهة المشتركة بينها
جميعاً ، تتناض الصفات الشائعة في الشعر القديم ، رغم اختلاف المواضيع
والافكار في تلك الملاحم المشهورة .

نلاحظ غيوب القضاء والقدر من العالم - عالم تلك الملاحم - وان
الانسان قد صار حراً . ولم يعد مقيداً إلا بإرادته وبالغاية الإلهية التي يمكن
أن تخطئه دون أن ترغمه . وان إرادة الله تفعل فعلها في القلوب دون ان يكون
لها دخل في النظام الطبيعي للحوادث .

ونلاحظ أيضاً أن الانسان قد صار روحاً وان الجسد قد فقد أهميته .
ولم يبق إلا الطبيعي موضوع مأساة . ونحلي « فيلوكتيت » و « بروتيه »
عن مكانيهما لمن حقت عليهم اللعنة من شخصيات « دانتي » . وتجرد الحب
من معناه الخيالي وصار اتحاداً وتطلعا متبادلاً لروحين في الزمن والمسافة وفي
الموت . وتبدل وجه الطبيعة الخارجي . وصارت مثل الانسان اشد اضطراباً
وحيرة . يري فيها ظلاً من روحه . وقد أسكنها شتيتاً ، لا من الأكلة كل في
دائرته المحدودة ، بل من القوى العطوفة الرحيمة أو الشريرة والبالسة والشريرين .

وقد تمثل ذلك بأشكال مختلفة منها الطيب والشرير وجعلها تتنافس في العالم .
وقامت العوامل الحرة مقام القضاء والقدر . ذلك كان أثر الانقلاب الفكري
الذي تأتى من المسيحية ومن عبقرية الشعوب « الساتورومانية » والجرمانية .
ثم جاء عصر النهضة « رينسانس » في القرنين الخامس عشر والسادس عشر
فغير قليلاً من ذلك التطور الطبيعي . غير ان التغيير كان في فرنسا أعمق منه

في سائر أوروبا. ولم يكن هناك غير «دانتى» الذي اتخذ من «فرجيليوس» أستاذاً ومرشداً له في رحلته الخيالية الى الجحيم «الكوميديا الإلهية» وشكسبير الذي يكاد يكون إيطالياً مقدار ما هو انكليزى سكسونى. وأكبر ميزاته انه لم ينحط الى ذلك الدرك من التقليد الحقيقير الأمثلة القديمة.

ولم تصطبغ الآداب الفرنسية بالصبغة الكلاسيكية ويشرق نورها على سائر أوروبا الا بعد ذلك بزمان طويل أي في القرن الثامن عشر. وخرجت الآداب الأوروبية من الطريق المشترك للرومانتيسم المحض الذى أخذته فرنسا كسائر الشعوب من القرون الوسطى.

وكان تقليد الآداب القديمة قد ابتدأ في فرنسا حوالى القرن السادس عشر وبلغ غايته في القرن السابع عشر. الا انه من الممكن أن يقال ان الكتاب الفرنسيين ابتدعوا وقتئذ آداباً صارت منسوبة الى فرنسا أكثر مما هي الى العصور الوسطى. على حين ان الأمم الأخرى جعلت تنحوا منحى الآداب الفرنسى في القرن السابع عشر. وكان ينظر اليه اذ ذاك على انه أدب كلاسيكى جديد. وكانت الروح الفرنسية هي الوحيدة في أوروبا الحديثة التى تتصل اتصالاً قوياً بالروح القديمة. ولم يكن تقليد النماذج الإغريقية واللاتينية عندها نزولاً وانحطاطاً أو بدعة إنما كان أشبه شئاً بالتقليد المتبع بين الأسرة الواحدة.

ولكن لم يلبث ان جاء اليوم الذى صار فيه ذلك الآداب الكلاسيكى الجديد عند أغلب أمم أوروبا عبثاً ثقيلاً. وكان ذلك الآداب الكلاسيكى قد تألف طبقاً للمثل القديمة والقواعد التى رسمها القدماء أو ظن أنها مقتبسة من القدماء وأخذ يتدرج شيئاً فشيئاً الى السكال حتى بلغ مثلاً ثابتاً ومتبعاً لا يجوز الحيد عنه. على ان الطبيعة الإنسانية تأنف من الثبات على حالة واحدة ولا سيما فى الآداب، مرآة الأفكار، ذات التغير الدائم. هذا الى ان لكل أمة عبقريتها الخاصة التى قد تتفق أو لا تتفق مع القوالب المقتبسة من الأمم الأخرى. وكان الآداب الكلاسيكى الجديد برغم اصطباغه بصبغة التعميم والشيوع قد طبع بطابع الروح الفرنسى، وهو ما كان يعوق ترقى

العبقرية الوطنية عند الشعوب الأخرى التي اتخذته نموذجاً تحتذيهِ وتعمل على مثاله .

فليس يستغرب ان يفضى تأثير الأدب الفرنسي في القرن الثامن عشر إلى أحداث رد فعل في الأدب الأجنبي اطلق عليه اسم « الرومانتيسم » . وقد بدأت هذه الحركة في المانيا حيث كان لادب فرنسا القديم الكيفية الراجعة ثم انتقلت الحركة الرومانتيكية الى انكلترا . وكانت عظمة الأثر في هذين البلدين ففاضت بنورها على الادب الفرنسي فأثمرت حركة الرومانتيسم

أصول الحركة في المانيا

ان الادب الالماني في القرن السابع عشر لم يفتقر الى الاسماء مقدار ما كان ينقصه صلة الالهام المشترك والصفة الوطنية. كان كتاب ذلك العصر في عزلة عن بعضهم البعض لم تربطهم أية فكرة عامة وكأن المانيا قد نسيت ماضيها ولم تعد تذكر ما كانت عليه في القرن الثالث عشر . من عصر « وولفرام فون اشنباخ » و « هرتمان فون دراو » و « والتر فون دير فوجلويد » وكأنها جهات الحركة الفكرية القوية التي سبقت عصر الإصلاح وتمشت معه. وزيد بها الحركة التي رأسها لوثر وملانكتون وزوينجلي وهنس شاس . وبالاختصار كانت المانيا قد ضلت عن نفسها . وكان « مارتن أوبيتز » و « بول فالنج » و « اندريه جريفوس » و « فردريك دي لوغو » و « هنري بوشلوز » يتلمذون فرنسا لعهد لويس الثالث عشر في حين كان « هوفمان فون هوفمانسوالدو » و « كريستيان هالمان » يحتذيان الامثال الشائعة في ايطاليا المنحطة . وفي ذلك الجو من الانحلال الفكري الذي عم شعبا بأكمله ظهرت عبقرية من الطراز الاول فلم تر من حولها شيئاً حياً فاختارت ان تكتب باللغة اللاتينية ونعني بها عبقرية « ليبتز » (١٦٤٦ - ١٧١٦) . وليس لها مكانها في تاريخ الادب الالماني . وكان قد حان الوقت الذي تنشأ فيه حركة تجريد في موطن « والتر فون دير فوجلويد » و « هنس شاس » و « لوثر » و « ألبر

دورر « وان يهتدى ذلك الموطن في آخر الامر الى تقاليدہ والى عبقرية الوطنية . وهو ماحققه القرن الثامن عشر .

على أن حركة التجديد في الادب الالماني لم تتم دفعة واحدة . وأول من رفع رايتها « جوتشد » (١٧٠٠ - ١٧٦٦) وقف حياته مخلصاً على جمع ما تفرق من قوي بلاده وتأليف أدب ألماني واسع النطاق تزهبه المانيا تجاه فرنسا وايطاليا . غير انه كان كاتباً بلا حرارة ولا خيال . كان عاجزاً عن بلوغ المثل الأعلى الذي دعا اليه

الثاني : « بودمر » (١٦٩٨ - ١٧٨٣) وهو شاعر وسط مثل جوتشد ولكنه كان من نقاد الطبقة الاولى دعا بحرارة الى إحياء العبقرية الجرمانية وإيقاظ العاطفة الوطنية وعارض شعر العناصر اللاتينية بشعر العنصر الشمالى وتوخى الطبيعى والجليل في وقت معا واستثار حماسة ذوي الالباب لما أبداه ملتون من الجرأة والشجاعة الادبية الفائقة ولم يترك في الوقت نفسه اظهار وجوه الجمال البسيط في أناشيد « مينيزنجر » (من الشعراء الغزاليين في العصور الوسطى)

والتف حوله جماعة من شباب الشعراء يتبعون طريقته وأنشأوا صحيفة مجددة دعوها « صحيفة بريم » وقد نشرت فيها سنة ١٧٤٨ الاناشيد الثلاثة الاولى من ملحمة « مسياد »

الثالث : « كلوبستوك » قد وجد فيه « بودمر » مثال الشاعر الحقيقى فأعلنه للملا على أنه رسول الشعر الجديد وبالغ في تشجيعه والثناء عايه وفي الحقيقة أن حياة كلوبستوك الشعرية كانت اشبه شئ برسالة قدسية (١٧٢٤ - ١٨٠٣) كان كلوبستوك وقوراً عظيم التشدد تنعكس شخصيته في اشعاره ، فسمما بجميع تصورات معاصريه الى القمة التى بلغها خياله واحيى الميل الى الاشياء العظيمة وترددت فى انشاده الهامات جرمانيا القديمة

ولقد تغنى بكل الفضائل الالمانية (تقول الالمانية لالبروسية) . الحماسة والغيرة الدينية والرحمة والرجولة . تغنى بكل ذلك لافى ملحمة المسيح التى

نظمها لاغير ، بل في مقاطيعه الشعرية وفي دراماته . مجد كل التمجيد
جرمانيا القديمة مقدار ما مجد المسيح والعصر الاول الانجيل . كان موضوع
عبادته ينحصر في المسيحية الاولى والمانيا الاولى . ومن الممكن أن تقول في
حياة كلوبستوك كلها ما قالته . مدام دوستايل عن ديوانه « مسياد »
« يحب الانسان حين يبتدىء قراءة ذلك الديوان انه دخل كنيسة
كبيرة وسطها ارغن يدق »

الرابع : « ليسنج » ١٧٢٩-١٧٨١ جد مختلف عنه . فبينما يرفع كلوبستوك
القلوب الى العلا ويظهر الازدهار يبرز ليسنج في حدة الذكاء وقوته وهو
شاعر وفيلسوف وعلامة وصحفي ومجدد فياض بالآراء والفكر وجدلى
من الطراز الاول . كان ينقض الجدة على كل ما تناوله من مواضيع العلم
والنقد واللاهوت والمسرح ولم يكن لاحد من المفكرين مقدار
ما كان له من التأثير العظيم في المانيا فهو بحق محي الروح الالمانى العام في القرن
الثامن عشر . وسواء بعث الحياة في قرائه أو استنهضهم الى الكفاح ، فانه قد
هدى العقول التى ضلت عن نفسها . ولقد صار « جوته » شاعرا لما قرأ
كتابه « لاركون » .

هذا مقام ليسنج في الادب الالمانى . أراد أن يهدم كل ما كان يعد في نظره
قيداً وعبودية للفكر من أجل أن يهب العبقريّة الالمانية الحرية الكافية في
حركاتها . وقد تناول هذا الغرض من طريقتين . أولا هدم النظريات التى قام عليها
الفن الدرامى الفرنسى . ثانيا وضع نماذج أخرى حازت اعجاب الالمان . وكان
المسرح الفرنسى يعول على القواعد التى رسمها ارسطوطاليس فسعى ليسنج
في اقامة البرهان . على ان النقاد والشعراء انفرنسيين لا يفقهون كتاب الشعر
الذى وضعه ارسطوطاليس . وانهم وضعوا قواعد أخرى أحلوها محل تعاليم
الفيلسوف الاغريقى . واقترح على الالمان أن يتبعوا طريقة شكسبير وهى أكثر
انطباقا على الروح الجرمانى وعلى حرية البقرية بوجه عام .

فاندفعت المانيا فى الطرائق الجديدة متأثرة بدعوة ليسنج . ومنذ ذلك الوقت

اهتدت المانيا الى تمسها وامتلكت قواها الادبية وانتجت آدابها الاولى
المبتدعة وهي تلك الآداب التي تطلق عليها اسم الكلاسيك .

الخامس: « هرذر » ١٧٤٤-١٨٠٢ كان نسيج معاصره ليسنج في احياء
العاطفة الوطنية وتحرير العبقريّة الالمانية . قضى قضاء نهائياً علي تأثير العصور
المترفة وأيقظ الميل الى الآداب الاولى ولم يكن له نظير في احساسه القوي
بالعصور الاولى للعالم والازمنة الفطرية وعبادة الالهامات الاولى لكل شعب .
ومن يطلع على تآليفه يرى ينبوعاً زاخراً وثميناً من الشعر : « ليدر » و « أصوات
الشعوب » و « أناشيد الحب في الشرق » وهي تآليف مليئة بالصورة الجديدة
كتصويره للصدقة بين ذوى المروءة والخير « نمت مثل ظل المساء حتى غربت
شمس الحياة » ومن الممكن ألا نجد له مثل صراحة ليسنج ووضوحه إلا أنه
كان أشعر منه وأشد تأثيراً على العقول

السادس : « جوته » ١٧٤٩ - ١٨٣٢ اهتدى الى عالم جديد حين قرأ
« لاركون » ولم يكن قد عرف بعد لما صادفه هرذر في ستراسبورج وظهر
له كل عبقريته وتدل التآليف الاولى التي اخرجها جوته علي مقدار التأثير
الذي أحدثه هرذر في روح الشاعر الشاب

ويطلق مؤرخو الادب الالمانى على تلك السنوات المملوءة بالحماسة التي
شقت العبقريّة الالمانية فيها طرائق جديدة اسم حقبة الهجوم والانتجار .
وحتى هذا الاسم الغريب اقتبس من درامة ألفها « مكسمليان كنجر » تعرب
عن روح ذلك العصر الذي لم يستكمل نظامه ولم يتهذب كل التهذيب .

وبلغ من تأثير الجديد في شباب الشعراء الالمان « فوس » و « بورجر »
« هاهن » و « ستولبرج » أنهم اجتمعوا في جوف غابة على مقربة من
« جوتنجن » وأقسموا اليمين للشعر الجديد ورفعوا « كلوبستوك » الى مقام
الرسول واحرقوا تآليف « فيلان » ودخلوا ميدان الفن كما يدخل الناس
في دين جديد

وكانت العاقبة في الحقيقة ان نشأت الفوضى في الآداب الالمانية . كانت

رجعى الى الحالة الفطرية الاولى كما وصفها الالمانيون أنفسهم . وكانت درامة « شيلر » المعنونة باسم « قطاع الطرق » (١٧٨٢) آخر قذيفة بل آخر تنويج للحركة الجديدة

ولما كانت روح الادب الحديث تقضى بالبقاء فى حدود الفطرة احتفاظاً بميزة الابتكار ، اجتهد الشعراء فى أن يجمعوا العصور الوسطى مصدراً لالهياتهم . الهامات خشنه غريبة وساذجة . غير أن ذلك البعث كان تجديداً عظيماً فى الأدب ، لولا أنه يعاب على ما فيه من تلاعب أدبي واصطناع للمواطن والعقائد المندثرة

وقد وجد « جوته » فى معاصره الكبير « شيلر » صديقاً فتح أمامه أنقى كنوز الفن . وأما خالق الشاعران لى يكمل كل منهما الآخر ويصالح به نقائصه . وكان من الممكن أن تفضى الحماسة بشيلر الى التفهيق . ويقضى صفاء « جوته » وطلاوته الى الخشونة . فأخذ « جوته » عن « شيلر » اتحاد الخيال بالحقيقى والعقل بالشعور الحار المتحمس . وهو من جهة أخرى اخضع ما فى شعر صديقه من شهوة وثورة لقوانين الجمال الابدى ووجهه نحو الكمال فى الفن . ويستدل من رسائلهما على أنهما كانا يتبادلان التشجيع والتشجيع متحدين فى عبادة مثل أعلى واحد .

ولم تلبث العبقرية الالمانية بعد تلك التحضيرات والجهود العظيمة ان تبنت فى أبدع صور الانبثاق والجلال . فى ذلك العصر أخرج « جوته » أجل اشعاره : « الملك توليه » و « الملك الاون » (١٧٩٥) و « هرمان ودوروثيه » (١٧٩٧) وهى ملحمة من طراز جديد . وأخيراً درامته الخالدة « فوست » رمز المصير الانسانى .

الرومانتيسم فى انكلترا

وانتقلت الحركة الرومانتيكية من المانيا الى انكلترا غير ان الآداب الانكليزية احتفظت فى عضونها باستقلالها . وبينما كان الرومانتيسم فى المانيا

حركة رد فعل ضد التأثير الفرنسى — حركة افضت الى خلق فن وطنى جديد — كانت فى انكسار حركة رجعى الى العصور الوسطى والى عصور «السلف» القديمة. فان الشاعر «يونيچ» كان قد أخرج للناس «لياليه» — من سنة ١٧٤٢ الى سنة ١٧٤٦ —

لبث الشاعر «يونيچ» يخرج للناس «لياليه» الى سنة ١٧٤٦ . تلك «الليالي» التى تم عن آلام قلب جريح ذاق مرارة الحياة وإن حسب القارئ السطحى انه لا يتنسم منها روح القرن التاسع عشر الاسيعة الممرضة . واخرج «هرفى» ديوانه «تأملات بين القبور» سنة ١٧٤٦ . وشهد «جراى» ترجمة احدى قصائده الى كل لغات العالم ونعنى بها «مرثية فى مقبرة بالريف» . (سنة ١٧٤٩) واستعار «مكفرسن» اسم «اوسيان» فحرز شهرة واسعة ترجع الى الخناء الذى أحاط به تآكيمة وما زال «مكفرسن» حياً خالداً برغم غموضه . وما زال لصوره الروائية وشخصياته تأثير قوى فى الاذهان . وان لاوصافه الرتيبة لحسن يجزل فيه الخيال ، وان جزالة أسلوبه لتحرك النفوس وتسمو بها

وارتفع مقام فن القصة بتأليف «ريشاردسون» وهو خالق القصة الانجليزية الحديثة . حلل «ريشاردسون» القلب الانسانى فى حالات مؤثرة وهو الذى حدث عنه «جان جاك روسو» فقال إنه لم يؤلف فى أية لغة من لغات العالم الى الآن قصة تضاهى «كلاريس هارلو» (١٧٤٨) ولا ما يقرب منها . وبرغم أن «فيلدنچ» كان أقل تأثيراً من «ريشاردسون» فقد سحر الالباب بصوره الروائية الشتيبة الصادقة فى «توم جونس» (١٧٥٠) وأخرج «جولد سميث» روايته «قيس واكفيلد» التى كانت نموذج القصة الخلقية المنطبقة على ميول أوروبا فى كرم الطباع وحب الانسانية

كذلك انتقلت الى انجلترا الحركة الفكرية التى أثارت فى المانيا النقد وولدت تأليف «هرود» و «جوتة» فنشر الاسقف «برسى» سنة

١٧٦٥ مجموعة الاشعار الوطنية الانجليزية القديمة التي اهتمدى اليها بمد البحث الطويل وظهر الشاعر الشاب « شاترتون » الذي مات منتحراً في سن الثامنة عشرة (١٧٧٠) بمد ان اخرج ديوان شعره الذي قلده فيه شعر قدماء الانجائز وقد عزاه الى الراهب « روفلي » ونشر « والتون » سنة ١٧٨١ كتابه الجليل في تاريخ الشعر وأعلن فيه قوة الشعر الانجيزي وحرية منذ نشأته الأولى

غير ان الشاعر المذمى أعلن حقاً صورة كاملة للتطور هو « وليم كوبر » الذي قضى عمره في عزلة (١٧٣١ — ١٨٠٠) ورغم ان شعره قد طبع بذلك الطابع الدينى الذى ينطوي على روح الامس ، فإنه يعد بحق خالق الشعر الجديد في الأدب الانجيزي وهو الشعر الذى تتجلى فيه روحه بنواعجها الكينة واتصالها التام بالطبيعة وكان مجرد رؤيته صورة لأمه أو رؤية الخريف فى الريف أو زهرة وسط الغابات مصدراً يبعث فى نفسه ما كمن من الشعر الرقيق المؤثر ، وهى بواعث كان يزدريها غيره من الشعراء .

تلك كانت ميزة المدرسة الجديدة فى الادب الانجيزي وهى تدل على أصدق ما تجنه نفس الانسان من التأثيرات . وما فى الطبيعة من صور ساذجة مألوفة تهاهلها الشعراء القدماء وأبدع فى نقلها المصورون « بلومفيلد » و « جراهام » و « أكرب » .

وكانت مدرسة البحيرة التى يطلقون عليها اسم مدرسة « اللاكست » مطلع فجر تلك الرجعة الى الطبيعة الا انها اقترنت بالنظير الى المثل الاعلى . أما أولئك الشعراء الذين الغوا تلك المدرسة فهم : « كولريدج » و « شيللى » و « كيتس » و « سوزى » و « ويلسن » و « توماس مور » . وقد تغنوا ببحيرتى « كومبرلانذ » و « ويسمولانذ » .

وفى ذلك الوقت نبغ أيضاً أمير شعراء عصره « برون » الذى ابتدع بشعره الحار القوي فى ذاتيته الملاحم الغنائية المسماة « ليريك » وهى « شيلدهارولد »

سنة ١٨١٢ و « الجاور » و « عروس ايدوس » و « القرصان » و « لارا »
 الى آخره. وأخيراً ظهر سيد الروائيين الانجليز « والتر سكوت » ١٧٧١ — ١٨٣٢
 ظهر بعقريه شعرية وروائية ممتازة في أغاني حدود ايقوسيا و « سيدة البحيرة »
 و « عروس لامر مود » و « اينفاهو » و « بنت يرث الحساء » الخ . فأحيى
 المصور الوسطى التي طمرت تحت تراب القرون وتغنى كما قال « بالجن والعمالقة
 والغول والفارس والقزم » .

هل تذهبين ؟

يا هند قد فسد الزمان وراج قول المرجف
 فلم نذهب في الظلام الى الجبال ونحتفي
 هل تذهبين .

وهناك نسرح مثلما ال أطيّار تسبح في الفضاء
 متوكلين على المقادير صابرين على القضاء
 كالزاهدين

أو نمتطي طيارة ونطير في الجو الفسيح
 متمتعين كما نشاء بحبنا الصافي الصحيح
 في كل حين

يا هند هذي نجمة غراء لامعة الجبين
 غمارة فكأنها تدعو اليها العاشقين
 هل تذهبين ؟

رشيد أيوب

اليمين

LE JURON

من أغاني بليتييس

مترجمة عن الفرنسية بتصرف

* * *

قال لي : أقسمت لو تعلو على قنز الأُجبال ، تكسوها الثلوج
موجة النهر الذي ينساب في دعة ، ما بين هاتيك المروج

* * *

وإذا قدر للانسان أن ينثر الأمواج في البحر بذورا
فاذاها بعد حين زهرة تملأ الأفاق عطراً وعبيراً

* * *

وإذا حال ضياء الشمس في وضح اليوم . ظلاماً دامساً
لاصبح : لاضحى . لاشيء من هذه الأشياء إلا طامساً

* * *

أو هوى البدر على العشب كما تسقط الأزهار عن هذي الفصون
بدداً . للريح تلهو لهوها ببقاياها ، كما تلهو السنون ...

* * *

أى بليتييس ! إذا ما وقعت هذه الاحداث في هذا الوجود
حينذا نصبح في حل من الـ هجر ، والصد ، ونسيان العهد !!

حسن كامل الصيرفي

تلغراف حرب السبعين

كان السبب المباشر لوقوع الحرب البروسية الفرنسية عام ١٨٧٠ تلغراف أرسله جلالة ملك بروسيا الى بسمارك العظيم فاستفاد منه ذلك الوزير الداهية في عام ١٨٦٩. كان نابليون الثالث قد تقدم في السن وبرز به المرض وكان لفرنسا دستور ينص على مسئولية الوزارة البرلمانية وعلى أساس أحكام هذا الدستور اضطر نابليون ان يطلب من اوليفيه الذي كان يكرهه أن يؤلف الوزارة فترجع في دستها في وقت كان فيه جو السياسة الداخلية صافيا اذ عضده سبعة ملايين ونصف مصوت ضد مليون ونصف وبقي مليونان على الحياد وكانت الوزارات المتتالية التي سبقت عهده قد اخفقت فيما بذلته من الجهود لمنع بسمارك من تنفيذ ما كان يرمى اليه من توحيد الممالك الالمانية في امبراطورية واحدة ، وظهر أثر هذه العرقلة في وقوف الشعبين البروسي والفرنسي في مواجهة بعضهما فارتأى أوليفيه أن يساعد على تصفية الجو الخارجي أيضاً فأوقف مجهود عرقلة الوحدة المنوى انشاؤها ، وبذلك اعتقد انه قد أفلح في ازالة خطر احتكاك الدولتين ببعضهما وفعلا صرح امام البرلمان بزوال الخطر وهكذا اعتقد كافة الساسة الاوروباويون

ولكن حدث بعد ذلك ان علم سفير فرنسا في مدريد ان الامير ليوبولد هو هنزولن البروسي قد رشح للتاج الاسباني. فبرق بذلك لحكومته فشعرت أوروبا من جديد بقرب هبوب العاصفة اذ قد اعترضت فرنسا على تنويجه واظهرت استعدادها لمنع بأي واسطة كانت وكادت الحرب تقع بين الامتين لولا تنازل الامير عن الترشيح فبدأت العواصف تخفت ثانية

ولكن حدث بعد ذلك ان طلب نابليون الثالث من سفيره في المانيا - دون أن يستأنس برأي وزيره الاول - أخذ الموائيق على ملك بروسيا « أن لا يشجع في المستقبل أي أمير بروسى على محاولة التربع على عرش اسبانيا » فلما عرض السفير ذلك على الملك في مصيفه لم يعطه ذلك الوعد بل صرفه بالحسنى وبعد ذهاب السفير أمر الملك سكرتيره أن يبرق الى بسمارك التلغراف وهو يتناول الطعام مع القائد العام البروسى « مولتكي » ومع وزير الحربية البروسية « روم » فاغتاز وعول على الاستقالة احتجاجا على « الالهانة » التي لحقت بوطنه وكذلك فعل ضيفاء عندما قرأ التلغراف لهما وبعد المداولة

وتثبت بسمرق من قوة الجيش البروسى واستعداده للحرب ، وضع التلغراف فى قلب عده الفرنسيون مهينا لكرامتهم فاعلنوا الحرب . وكذلك عده الالمان فاستعدوا لها واليك محتويات التلغراف كما وصلت لبسمرق وكما ابلتها للصحف ولسفراء بروسيا فى الخارج

البلاغ	الاصل
بعد أن أعلنت مملكة اسبانيا الحكومة الفرنسية بتنازل الامير عن الترشيح للعرش قدم سفير فرنسا لجلالة الملك مطلباً مفاده أن يأذن له كي يبرق الى حكومته بان جلالة لن يقدم فى المستقبل على تشجيع أى مرشح بروسى لعرش اسبانيا .	كلفنى جلالة الملك أن أعلم سعادتك بما يأتى . خاطبنى سفير فرنسا راجياً ان أكلفه كي يبرق فى الحال لحكومته بما يفيد أننى متعهد باننى لا أشجع فى المستقبل أى أمير بروسى للترشيح لعرش اسبانيا فرفضت هذا بحزم إذ ليس فى الامكان ولا من العدل القطع بذلك وأخبرته بانه لم يصلنى بعد خبر عن الموضوع وأن اكبر برهان على أن ليس لبروسيا يد فى الموضوع (السفير) هو وقوفه على الخبر عن طريق فرنسا أو اسبانيا فى حين أننى لم أعلم به حتى الآن . وقد استلم جلالاته بعد انتهاء المقابلة خطاباً من الامير وقد اشرت على جلالاته انا ويوايرج بعد مقابلة السفير كما سبق ووعدته الاكتفاء بتشكليف احد أركان الحرب ليقول للسفير ان خطاباً قد ورد من الامير يحوى اخباراً فعزز أخبار باريس وليس لدى جلالاته ما يريد قوله ويترك جلالاته لسعادتك فعل ما ترونه بخصوص إعلام الجرائد والسفير بما جرى أو عدمه .
وعلى ذلك قرر جلالاته أن لا يقابل السفير الفرنسى ثانية وأرسل اليه أركان الحرب صاحب النوبة يقول أن ليس لدى جلالة الملك ما يقوله للسفير .	

ولما قرأ بسمارك، سودة البيان علي رفيعيه، مرامها جدا ورأيا فيها أوفي طريقة لفصل الالهانة التي لحقت بوطنها فارسل البيان الى الجرائد وسفراء بروسيا في الخارج وطبع به ملحق وزع مع جرائد المساء في برلين والصق علي الحيطان ووجهات المحال التجارية .

فاسقط من يد أوليفيه وشعر كأن الصاعقة قد هبطت عليه من عل ولما أفاق من ذهوله لم يعد يحلم بالسلم خصوصاً وقد هاج الباريسيون وماجوا فلم يكن هناك بد من الحرب .

وليس معنى ما سبق أن التلغراف هو السبب الوحيد لاندلاع لهيب الحرب لانه لم يكن الا شرارة علت بالهشيم فاندلعت منه السنة النار ولو أن الفرنسيين يدعون بان بسمارك كان المسبب الوحيد لاضطرام لظاها وانه كان الكل في الكل يمكننا الآن بعد مراجعة مذكرات أوليفيه أن نقف علي حالة الساسة الفرنسيين الفكرية فقد كان يعد وزير فرنسا خطابا يلقيه علي الجمعية قبل أن تصدمه حادثة التلغراف ونجده يقول في الخطبة المذكورة ما يأتي « تأكدنا اليوم أنه سوف لا يتر بع أميرأجنبي علي عرش اسبانيا وهكذا تم لنا نصر باهر دون أن نهرق قطرة دم وبما ان المرشح البروسي قد انسحب فلم يعد هناك داع لطاب معونتك فلو اتقيت هذه الفقرة ضمن خطاب الوزير لسكانت هي الشالة التي تضرم الحرب

ويقول أوليفيه في مذكراته بعد ما تمت كتابة خطابي دخل الغرفة وزير الخارجية وهو يقول « انظر ها امامك شخص مصفوع » فاستقرت عن المعنى الذي يقصده فناواني صورة البيان قائلأ اقرأ هذا فذهلت بعد الانتهاء من قراءته ولما رجعت الي تمسني قلت ليس هناك شك في أنهم يرغموننا علي اعلان الحرب وشعرت بالعرق يجري باردا علي جبهتي و بعد قليل استفتت علي صياح الشعب لتحيا الحرب . . الي برلين :

وكانت مقابلة السفير لملك بروسيا في ٢ يوليو وأعلنت الحرب في ١٥ منه وبعد مرور شهرين بالضبط علي المقابلة انكسرت فرنسا في موقعة

سيدان الشهيرة وهكذا محيت الامبراطورية من الوجود
ويختلف الناس في فعلة بسمارك فيقول البعض انه زور في التلغراف في
حين يقول البعض الآخر انه حرف فيه فقط ولاجل ان نعرف ما حدث يجب
ان نضع ملخص الاثنين امامنا للمقارنة

ملخص التلغراف	ملخص البيان
١ قدم سفير فرنسا طلبا لرفضه بحزم	١ قدم سفير فرنسا مطلباً للملك
٢ ثم تسامت خبراً عن تنازل الامير	٢ لذلك رفض الملك مقابلته ثانية
٣ لذلك لم أجد داع لمقابلة السفير	
مرة أخرى	
٤ لك الخيار في نشر الخبر او حفظه	

هذا مثل من عدة أمثال لا تنهاز الساسة للفرص المناسبة الصالحة لبلاهم
فيشبهون الحرب.

عمر عنايت

نشوء الفريزة

« ان الاستقراء المنطقي يسوقنا الى أن نعوذ حدوث الفرائز الى سنة عامة
تعمل على نشوء الكائنات العضوية وتهذيبها ، فتمضي بالاقوياء الى التكاثر
والضعفاء ، وبالضعفاء الى الزوال والانقراض - وان عقولنا تأبى ان تسلم بان هذه
الفرائز خلقت في الحيوانات خلقاً من العدم . على ان درس غرائز الحيوانات درساً
مدققاً ، لا يبلغ في التدليل على وجود هذه السنة التي تحدث تغير الفرائز التدرجى ،
من كل الاستقرآت المنطقية . »

رأى دروين - الفصل الثامن من اصل الانواع

ذكرى لبنان

عن ديوان رشيد ايوب المسمى بأغاني الدر وريش وهو من امتع ما أخرج للناس
من آداب المهجر السوري في أميركا الشمالية

* * *

يا عين دمي فاهوى متلفى	اذرفي
لعل نارا في الحشا تنطفئ	واسعفي

* * *

يملو لمثلي فيك فرط السقام	يا غرام
من يحفظ العهد ويرعى الذمام	لا يلام
مقام أرواح عليها السلام	فال مقام
يامدعي الحب ولم يدنف	فاختف
من يبذل النفس ولم يكتف	فالوفى

* * *

عيش قطعناه بتلك الصرود	ها يعود
هذي الليالي بانتظام العتود	أوتجود
في سفح صنين مقر الجدود	كي نرود
أيتها الدنيا غريبا وفي	فانصفي
على فتى في الحب مستهدف	واعطفي

* * *

من غربة أودت به وانتزاح	لا براح
من يرصد الافلاك حتى الصباح	ما استراح
عودي اذا ماجئت تلك البطاح	يارياح

شنتى
تشتف
سمى ومن حدثت منهم صفى
روحى بمعناك اللذيد الحفى

* *

يا نوى
والتوى
ما انطوى
فا عرفى
فهو فى
ان كان قلبى بالغرام اکتوى
ظهرى ورثت فى المشيب القوى
بساط آمالى ورب الهوى
لا شىء عن لبنان مستوقفى
وغيره فى الأرض لم أصطف

الرجعى الوراثة

من أخبار « ويلسدن » بانجائرا ان مجلس الاوصياء فى تلك المقاطعة قد اعجزتهم الحيل عن أن يجدوا طريقة يستطيعون بها أن يحكموا طفلة صغيرة تبلغ من العمر ثلاث سنوات ونصف عهد اليهم بها . فأن هذه الطفلة عبارة عن حيوان جامع غير مستطاع تأليفه .

ويقول الذين درسوا حالة الطفلة أنها مثل للرجعى الى الحالة التى كان عليها اجداد النوع الانسانى فى العصور الجيولوجية الأولى ، وأنها فى كل تفاصيل حياتها وحركاتها عبارة عن حيوان كامل الصفات . أما شكلها الظاهر فمثال الانسانية الكاملة من حيث الصحة وخفة الحركة ، غير أنها مع ذلك جموحة ضعيفة العقل كثيرة الاذى حتى اضطر أوصياؤها الى عزلها فى مكان خاص وجهازوا لها محبسا هو عبارة عن قفص من الحديد ذى حواجز طويلة . ولقد وصفها احد الباحثين فقال ان منظرها يذكرنى بحيوان مفترس يزجر انتظارا لوقت الطعام .

عن الاوبزرفر

هل اميريكا مفرطة الغنى

حتى في « أرض الذهب » يوجد خلاف فيما إذا كانت اميريكا مفرطة الغنى ، وهذا هو رأى الاغلبية ، أو أنها ليست كذلك ، وهذا هو رأى الاقلية الاضعف .

ليس هناك شك لدى الطرفين من أن الزارع الاميريكي مفرط الغنى أو بالقل غنى وهذا هو الذى يقيس عليه الناس عند لقاءهم جزافا غير شاعرين بان الفلاح الاميريكي هو ثلث الامة فقط

ان الصناعات وبوجه خاص تلك المختصة بالنسيج والتعدين قد أصبحت في بحران . وأما رقم العطلة فمن الميسور تفهمه اذا عرفنا أنه يوجد حول مليون عامل بلا عمل والسبب في ذلك هو ان حالة الشركات الصفري بوجه عام سيئة والآن نتساءل هل حقيقة أن الامريكيين أغنياء ؟ يجب أن يكون الجواب على هذا السؤال اما بالنفي أو بالاثبات المطلقين . هناك من يجيب باجل بيدا يجب البض الآخر بلا ، ولكن كلاهما متفقان على أن هناك اضرارا نتجت عن الفقر أو عن الغنى المفرطين . ويقول البعض أن لا ضرر ينتج عن الغنى وإنما ينتج عن الغباوة التي يصرف بها المال والآن هل لنا أن نتساءل عما اذا كان غنى الامة الغنية يتناول الاغنياء والفقراء معاً ؟ والا يكون الجشع في هذه الحالة جائناً جنباً الى جنب مع حاجة الفقراء الى الغذاء الكامل والتعليم المجدي . وكذلك مع العمل المضني المهدد بالشيخوخة ومصائبها ؟

أجل ليست الثروة مصيبة في حد ذاتها ولكن الضرر الذي يعود من اساءة استعمالها قد يزيد عن شرور الفقر فالاميريكي القادر على ائناق ٤٠٠٠ دولار في السنة يبذل جهداً عظيماً كي يرفع دخله الى ٥٠٠٠ دولار واذا ما نجح في ذلك يجد أن رقم مصروفه قد ارتفع خلال تلك المدة الى ٦٠٠٠ دولار دون أن يشعر والسبب يعود الى رقى المصانع والمتاجر واجتهادها في اقتلاع كل درهم يحويه جيب الاميريكي .

وقد تمنن المنتجون في ساب المستهلك بطريقة البيع بالتقسيط للأفراد ومعنى هذا هو اجبار المشتري على العمل المذهب لتسديد ما عليه فبعد ما كان البائع تحت رحمة المستهلك وضع المستهلك تحت نظام التقسيط تحت رحمة الصانم وهذا النظام يسبب انتفاخاً مالياً فالبايم بالتقسيط يوصى على صفقات كبيرة مؤملاً تسديد أثمانها مما يدفعه المستهلك من الاقساط والمصانع تشتري كميات عظيمة على أمل دفع أثمانها من الدفعات التي يسدها التاجر بعد قبض أقساط المستهلكين وبالطبع ينتج عن ذلك أيضاً توسيع المصانع والمتاجر وبما أن المستهلك لا يقتصر على شراء ما هو في حاجة اليه بل يشترئ بنظره الى تقليد من هم في مستوى أعلا من مستواه مستهيناً بالاقساط، فإن الازمة لا تلبث حتى تدهمه فإذا ما اشتد عليه الضغط اضطر الى الاختيار بين أمرين، فاما انهاء قواه بالعمل طلباً لرفع رقم دخله وإما أن يستسلم للأفلاس فتباعاً املاً به بان يحس الأثمان .

وقد أصبح الاميريكي بفضل هذه الطريقة رقيقاً للتاجر الذي يلعب بسيف ذي حدين فهو يبتز آخر درهم يملكه المستهلك. هذا من جهة ومن جهة أخرى فإنه يجبر الصانم على الرضوخ لما يملكه عليه من الشروط لان طلباته الكبيرة تغري أي صانع لمنافسة غيره في الأثمان ولان الصانع يحتاج الى ربح فلا مجال امامه الا الضغط على العمال كي يزيد ارباحه .

فالاميريكي ليس بالثري بل هو متظاهر فقط بالثراء يعيش على أكثر من دخله وهو دائماً مديون ولكن سيأتي « يوم التصفية » ان أجلاً أو عاجلاً وعندها ينهدأساس كل هذا البناء المنتفخ .

ولكى أعطيك فكرة عن درجة بؤس الرجل الاميريكي أسرد لك القصة الآتية .

أراد سكان احدى المدن الاميريكية الصغيرة الاحتجاج على ارتفاع رقم ضريبة ماء، فقصد بعضهم احد متوسطى الثروة من رجال الاعمال طالبين انضمامه اليهم، فاجاب بان ما يدفعه من هذه الضريبة لا يتجاوز ٥٠ دولاراً

في السنة وهو ما يعادل دخل يوم فاذا ما انضم الى الجماعة سينفق اثني عشر يوماً بالاقبل في اجتماعات وانضمام الى وفود وفي اجابة علي أسئلة وخلافه ولذلك يجد أن من صالحه خسارة دخل يوم وتوفير دخل احدى عشر يوماً لنفسه .

وهل بعد ذلك لا يقال إن البرذعة قد أصبحت محتكمة في الحمار، وبمعنى آخر ينكرون ان العمل قد أصبح السائدحتى على حرية الاميريكي؟
ملخصة حسين محمود

بين الدين والعلم

خطأنا بعض الكتاب يوم قلنا بأن الدين سوف ينادى العلم في المستقبل وقيل بأنه لا يقوم دليل على أن مواقع أخرى سوف تقع بين الدين والعلم . على أنى وقعت على قول للاستاذ جوليان هكسلي يؤيد مذهبنا اليه قال : « قد تقع علي كثيرين من حسنى النية يقولون لك بأن العراك بين العلم والدين قد انتهى أمدته وفات زمانه . والحقيقة على تقيض ذلك . فان تلك المعركة التي أطلق عليها تجاوزاً معركة الدين والعلم تكاد تبلغ في هذا الزمان شكها الفاصل . فان كل المواقع القديمة لم تكن سوى منارشات بين الطلائع . وما حادثة غاليليو وحادثة داروين الا تصادمين بين طرفي المتخاصمين . أما الموقعة الكبرى فانا في انتظارها . وهى ولا شك سوف تتناول فكرة وجود خالق ، ولا شىء غير هذا » .

عن كتاب « الدين بلا وحى » للعلامة جوليان هكسلي

خطاب مفتوح

الى اصدقائى الاتقياء

ملخصة عن الانكابتية

اى اصدقائى الاتقياء ، واقصدكم انتم رجال الدين وليس غيركم ، مغفركم
وصفحنا. بينا انا اعترف باخلاصكم المتناهى لما تتمسكون به من المعتقدات لا
انما لك من اظهار ازدهاشى كلما افكر كيف تحاولون الجمع بين النقيضين فانكم
تدعون بان لكل منكم عقلا ، فى حين انكم تسلمون باشياء ينفي حقيقتها كل من
له ذرة ولو صغيرة من العقل

صدقونى اننى لا اقصد ان اهينكم كما وانى لا ادعى الكمال لنفسى ولكن
لم اصل بحد ، كونوا مطمئنين ، الى الجمع بين المتناقضات كما تفعلون انتم .
وانى مستعد تمام الاستعداد للاقتناع وترك كل ما تثبتون انه خطأ من افكارى ،
فهل لكم ! فى الشجاعة انتم ايضا لتصرحوا مثل هذا التصريح قبل ان نالج
باب الجدل ؟

اننا لو فتحنا كتاب الطبيعة العظيمة لا يسعنا الا التسليم بوجود قوات
متفرقة كانت السبب فى الوجود كما وانه توجد قوات اخرى تسببت فى العدم .
نجد قوات مبدئة ونجد قوات مشوهة ، نجد قوات ناجحة وقوات غير ناجحة ..
انتم تقولون ان كشكول هذه القوات المتناقضة المتعارضة اسمها الله

وجدت خلائق لاعدادها منذ ازمان توغل فى القدم الا امد لا يحد .
وقد فنيت بعض هذه الخلائق ، فهل يصح لى الاستنتاج ان خلقها كان خطأ ؟
والا فلماذا اندثرت تلك الرحافات العظيمة الهائلة التى كان مجرد خلقها دليلا
على عظمة الله ؟

ولماذا اندثر بمضها قبل ان يخلق الانسان بعدة آلاف من السنين مع انكم

تقولون بان خلق الحيوانات من اجل الانسان! اليس ادعاؤكم هذا خطأ فظيع؟
 اهو الله الذى يوجد وينمى؟ اذن هو يجري تجاربا في مختبره الطبيعي
 العظيم فاذن هو يحاول الوصول الى الحقيقة التى لم يتوصل اليها بعد؟
 وفي العالم ملايين من النباتات ومن الحيوانات ايضا ولكن الانسان لا يعرف
 الا بضع مئات منها فكيف تثبتون ان الله قد خلق كل شىء من اجل الانسان؟
 وكيف تدعون ايها السادة ان الله جبل اول انسان من الطين ثم نفخ فيه
 من روحه، والعلم - الحفريات - يدلنا على ان الانسان احتاج لآلاف عديدة
 من السنين - ان لم يكن مئات الآلاف من السنين ليصل الى ما هو عليه الآن
 وبالرغم من مرور كل ذلك الزمن لا يزال الانسان محافظا على اعضاء اثرية
 ورثها من اسلافه الحيوانات مثل الزائدة الدودية والاظافر

ايها السادة انكم تخيلتم الله على صورتكم ثم نسيتم هذه الحقيقة وادعيتم
 انه صوركم على صورته وهذا ليس بالخطأ المهم فهو ينحصر من مبادلة بسيطة
 بينكم وبين الله الذى ظننتموه رجلا كبيرا جدا يعمل الاعمال التى تعملونها
 ويتصف بالصفات التى تتصفون بها وله رغبات كـرغباتكم ولكن هذه الاعمال
 والصفات والرغبات هى في نظركم هائلة جدا

اذا كان الله يظهر آثاره للناس كي يعرفونه فلم حرم الاوائل من مشاهدة
 آثاره وقد كانوا احوج منا لذلك؟ خبروني لماذا هبط من عرشه ليكم موسى
 وقومه واشغل وقته في منازلة فرعون الى ان ضاق ذرعه فهرب بهم من مصر.
 حقيقة انه هلك ابدان المصريين ولكن النتيجة كانت هروبه بتلك الشرذمة
 القليلة بدلا من ان ينصرها فهل لم يكن في ميسوره اكتساب النصر؟

وحلت روح الآله في طفل يهودى لكى يثبت لقبيلة من القبائل بانه
 آله موجود. ولكن هل خفى على الله ان اهل الهند والمكسيك وسيبيريا
 والترنسفال لم يسمعوا بهذه الحادثة الا بعد فوات الوقت، وعندئذ صدقوها
 فقط لتخليص اجسامهم من نار محاكم التفتيش الهائلة. بل ما قولكم ادامكم الله
 في اناس لم يسمعوا بحلول الروح العزيزة في جسد ذلك الطفل اليهودى حتى

انوقت الحاضر. اظنكم ستبتهلون اليه تعالى كي يثبت لهؤلاء الجبهة صدق قصة
هبوطه بقوة المدافع والغازات الخائقة

ليس هذا هو الذى اوحى اليه بل ما يدهشنى هو وجود ثور من مدعي
العلم يعيشون وسط الثقافة والمدنية ومع ذلك يتمسكون اشد التمسك بصحة
هذه الخرافة فهل لم يخطر ببال أولئك السادة ان ينجسوا ولو اطراف اصابعهم
بمس كتاب عن مبادئ علم الحياة ليعرفوا استحالة نشوء الجنين بدون لقاح
وكتاب مبادئ علم الفلك ليقنوا ان الافلاك ليست ممسكة بخيط حتى يحركها
الناس لتقود قوهم الى داخل غار لتريهم اين ينام الطفل ابن الله وليس لدى
وقت ولا مكان لاستعراض مبادئ كافة العلوم الاخرى التى لا تفند بل نخطوا
فقط على السفاسف التى يسمونها معجزات دون أن تشعر بوجودها لان الطفل
المراهق له مقدرة عقلية كافية لنبد امثال هذه الخزعبلات لولا اجل
نولا انخوف من التقلب حول سيخ الشواء على نار جهنم القوية (يلاحظ انا
عندنا من التجربة ان النار الهادئة افيد كثيرا فى انضاج اللحم من النار القوية
التي تحرقه) وبمناسبة ذكر عملية الشواء الاخرى هل احسن آباء الكنيسة
صنعا عند ما سبقوا البارىء جل جلاله فقاموا فى دنياهم بعمل كان ينتظر أن
يقوم به هو فى الآخرة . فهل حرق الكنيسة للاحياء فى عالم الدنيا كاف
لتطهيرهم ام هو تعد على حقوق الله ام هو اجراءات تسبق اجراءات الآخرة
وتكون لها بمثابة (ايراتيف) لتفتح نفس الواحد كي يقبل على عذاب الآخرة
بشبهة جيدة

وما الذى يقصده الله من تدمير قرى الاولين وتشتيتهم بل ما الذى يقصده من
اثارة البراكين على بعض جهات من الارض دون غيرها لا فرق بين ما اذا كانت
مملثة بوثنين او بمسيحيين بل ما ذنب الاطفال الذين يصب الله جام غضبه
على ملائمتهم فيحرقهم فيها وهم احياء . لماذا هذه المحاباة بل لماذا يضحي الله
ببعض المؤمنين الانبياء ويترك حبل الكافرين من الكفرة الاشقياء على غاربهم

واذا كان الزواج مقدس فلم يرزق الله من لم يتزوجا زواجا مقدسا بابناء
والبنوة نعمة بل لماذا يكون بين ابناء الآخرين اصحاء وضعفاء كما هو الحال بين
نتاج كل زواج مقدس؟ واليس في وجود اولاد غير شرعيين اصحاء بينما نجد
اولاد غير شرعيين اصحاء بينما نجد اولاد شرعيين ضعفاء، اثبات على ان الله قد
يارك نسل أولئك المجردة؟

هذا قليل من كثير اتقدم بكل خضوع اليكم راجيا بحثه
ساؤا وبارلو برازيل بندلي البيلوني

النتائج والمردية

الفرق بين المدنية اقدمية والحديثة عظيم . على انك اذا اردت أن تعرف
الفرق الحقيقي مقيسا بالحالات الواقعة فامعن النظر في مايلي
« تمثل الشاعر دانتى المشهور انسانا وأفعى وقف احدهما بازاء الآخر . وما
لبنا أن يقفا حتى تولاهما انقلاب خاتى خطير . فانبطح الانسان على الأرض
واندمج ساعده في جنبه والتحمت ساقه؛ واخذ جسمه يستدق ويزداد استدارة
وامتداداً ، فى حين أن الافعى انتصبت على ذنبها واخذ رأسها يتضخم ونبت
لها ساعدان ، وانفلق نصف جسمها الاسفل فكان ساقين ، ثم نظر كل من
الانسان المنقلب افعى والافعى التى اقلبت انسانا بعضها الى بعض برهة ثم مضى
كل منهما فى سبيله . فلو أن دانتى أدرك هذه المدنية لما تمثل أن انسانا وقف
ازاء افعى ليأخذ كل منهما صورة صاحبه ، بل تخيل انسانا وقف أمامه آلة
ميكانيكية فنت ارادته فى ارادتها ، فاصبح آلة ، واصبحت الآلة انسانا
من كتاب معضلات المدنية الحديثة

رباعيات الخيام

مترجمة بقلم فيلسوف العراق

السيد جمال صدق زهادي

— ٣ —

في العزاء والافسوس

كان ليل من قبلنا ونهار ونجوم نلج بالدوران
رب أرض ووطنها هي كانت عين حسناء في قديم الزمان

— ٧٦ —

ذهب العمر مثل ماء بواد أو كرم محمرت عبي الغلوات
لم أفكر في كل عمري في يوم ميم يوم مضى ويوم يأتي

— ٧٧ —

إن وفي لي الغريب فهو قريبي أوجناني الصديق فهو عدوي
رب سم فيه شفا لي ودنيا ق أرى الموت منه لي في دنو

— ٧٨ —

عامل الناس بالولاء جميلاً من يسء وهو بالملام خليف
فذا كدت فاصديق عدو وإذا جدت فالعدو صديق

— ٧٩ —

أيها القلب هب ربيعك قد زين — بزهر من نرجس وأفاحي
وعش الزهر ليلة بت كالنار — وفارقت بوقت الصباح

— ٨٠ —

ما مضى فات والذي سوغ يأتني مخفف في غياهب الشبهات
اغتم وقتك الذي أنت فيه ثم لا تحفل بماض وآت

— ٨١ —

أنا فوق الثرى أرى واقديننا وأرى تحت وجهها مخفيننا
والى اللاوجود أرسل طرفي فأرى القادمين والذاهبيننا

— ٨٢ —

هي دنيا ما لها من ثبات فتمتع بالراح بين يديكا
أنها لو وفقت لما انتقلت قط — من الآخرين يوماً إليك

— ٨٣ —

أنت في الواجبات قصرت عمراً أفلا تستحي من التقصير
هب جميع الدنيا غداً ملكاً أترى غير تركها في الأخير

— ٨٤ —

هب جميع الدنيا أنت ملك عفوياً وأفادت وإن نجمك سعد
وافترض أن قد عشت مائة عام وبلغت المنى فماذا بعد

— ٨٥ —

يا يدي الماشطات حست روداً مشبهاً وجهها من الحسن زهراً
الغبار انقضيه عنها برفق فلقد كان وجه حستاء أخرى

— ٨٦ —

إن هذا الورد الذي قد تقيأ ت وقد جاء بالاريج يجود
قد بدا في هذا التراب كثيراً وكثيراً إلى التراب يعود

— ٨٧ —

أما الناس أجمعين كما قد هلك الناس قبلهم يهلكونا
أمم قد أتت فما كئنه لبث ثم يأتون ثم لا يلبثونا

— ٨٨ —

كم إلى اللون والروائح تصبو وتروم الاخباث والطيبات

أنت يوماً تغور مختفياً في الأرض حتى ان كنت ماء الحياة

— ٨٩ —

أيها القلب مضك الدهر غمّاً أنت في يوم ميت من عذابك
اتخذ مقعداً من العشب وانعم قبلما ينمو نابتاً من ترابك

— ٩٠ —

في عيون المحققين سواء أجنان مكانهم أم جحيم
حسن يسمعون أو قبيح وجميل يرونه أو ذميم

— ٩١ —

أن تحاول أن تستريح فجامل كل من جامل المخاصم بهذا
سالم الناس ان أردت سلاماً ان من يؤذى غيره يتأذى

— ٩٢ —

افرض الشيء الذي هو موجود د ولما تفز به مفقوداً
وأحسن الشيء الذي هو مفقود د وقد رمت نيله موجوداً

— ٩٣ —

انما الديك قائل بصياح منه شبه النجيب قبل النهار
قد مضت ليلة من العمر أخرى في غضون الكرى وما أنت داري

— ٩٤ —

كان هذا الشقيق من قبل حين دم ملك في الارض ذي سلطان
وكذا كانت البنفسجة الزر قاء خالا بوجه إحدي الحسان

— ٩٥ —

كن حماراً مع الاولى زعموا أن لهم في كل العلوم اقتداراً
من حمير يكفرون بجهل كل انسان لا يكون حماراً

— ٩٦ —

انما الرزق لا يزيد ولا ينقص مهما ذمته أو حمدتا
استرح من جميع مالم تجده وتحرر من كل ماقد وجدتا

— ٩٧. —

ان هلكنا حثوا على التوجه منا من ترى كانت مثلنا انسانا
ثم يحنون بعد حثن نبي من ثرانا على وجود سوانا
* *

في الحكمة والشك

— ٩٨ —

انما الهم والسرور وهذا — الخير والشر كل ذلك موعز
لا تحملها الى السوء بجهل انها الفمرة منك أعجز

— ٩٩ —

أنت لو كنت بالحياة خبيراً لعرفت الذي لدى الموت يجري
أنت في هذا اليوم حي ولا تد رى فتى لا فكيف ان مت تدري؟

— ١٠٠ —

ان أهل الدوم قطعوا بالف كبر زناداً فلم يخف الفلام
لم يروا مخرجاً من الليل ينجي ولقد قصوا قصة ثم ناموا

— ١٠١ —

اغتم فرصة الحيلة وخذ بالأسو وأنعم فالعمر أن مر مرأ
لست ذاك الذي لقا حصوده مرة كالكرات يفتت أخرى

— ١٠٢ —

لعبوا بالتراب دهرًا الى أن جبلوا منه في النهاية طيني
أنا ما إن كوز تحسن مني فمن الكور هكذا أفرغوني

— ١٠٣ —

فئة في اليقين والشك هاموا وفريق بالدين راموا لو اذا
واذا صاح يقول مشيراً ليس ذا كم هو الطريق ولاذا

— ١٠٤ —

ان خلف الستار عنك وعنى لحديثاً علي السامع يلقى
فاذا ما انطوى الستار فلا أنت عليه تبقى ولا أنا أبقى

— ١٠٥ —

أنا لا أشتري الخيال بفلس وتبيع الدنيا باخراك أنتا
قلت من بعد الموت أين ذهابي؟ دأت خمر او اذهب الى حيث شئت

— ١٠٦ —

ما لهذا الوجود من اول أو آخر فافتكر به وتعجب
ليتني قد علمت من أين جئنا والى أين بعد حين سنذهب

— ١٠٧ —

ليس تدري العقول مبدأ هذا الكون والمنتهى فيا للعقول
من سماء فيها نجوم وأرض جمعت بين تافه وجايل

— ١٠٨ —

أمم قد بادت وعادت وبادت ثم عادت لاتسأم التكرار
ان خلقا يحيون في الارض ما لم يمت الله يولدون مرارا

— ١٠٩ —

قال أهل الحجى رب قدير وامالوا في ذاته التفكير
ثم لم يعرفوا حقيقته بل هذروا أولاً وناموا أخيراً

— ١١٠ —

انهم قد قالوا هناك جنان لك فيها خمر وحور عين
فاتخذ في دنياك خمرآ وحورآ مثاماً في اخراك سوف يكون

— ١١١ —

امر الناس باجتنب المعاصي وهو في الوقت نفسه يغريها
ان هذا كمن يقول اقاب السكاس بأمري ولا ترق ما فيها

— ١١٢ —

ان ذاك النقش الذي وقعت عينك يوماً بين النقوش عليه
ليس الا فقاعة ظهرت في وجه بحر طام وآلت اليه

مِثَارُ الْفِكْرِ الْغَرْبِيِّ

مِراجِعَاتٌ وَمُخِصٌّ عَنْ أَصْدَاتِ الْمَوْلَفَاتِ الْأُورُوبِيَّةِ

ابن الأنس

تأليف اميل لودفيج الأديب الألماني المعروف - وهو ترجمة عن حياة المسيح عيسى بن مريم على نمط جديد لم يتبعه كتاب التراجم من قبل - يقع في ٣٢٠ صحيفة من القطع الاوسط من اللغة الانجليزية .

The Son of Man : by Emil Ludwig : Translated from the german by Eden & Cedar Paul ,with eight illustrations after Rembrandt. pub ., Ernest Benn & co limited : London.

في الساعات الاولى من يوم الجمعة ٧ ابريل سنة ٣٠ بعد الميلاد . على ما حققه المؤرخون بكثير من المرجحات ، خرجت من ثكنات « انتونيا » في اورشليم شردمة قليلة من الناس قاصدة الى خارج أسوار المدينة ، وعلى مقربة من طريق عام ، ومن فوق ربوة يكفي ارتفاعها لان يجعل ما يحدث فوقها ظاهراً للشاهدين وعابري السبيل ، انتهى مسير الشردمة لتبشر عملها . ثلاثة من « المفسدين » سوف يصلبون في تلك الساعة . أما أحدهم فقد آثم بأنه يقوم بدعوة يحاول بها أن يقضى على « تنوذ الروماني في أرض « يهوذا » وأن يعيد مملكة « اليهود » الى سالف عهدا ودارس عزها وسطرتها ، وأن يعمل نفسه بعد ذلك أميراً على تلك البلاد . ذلك عيسى بن مريم الناصري .

وكانت اورشليم في ذلك اليوم تعج بالقادمين والزائرين الذين أموها من أطراف الدنيا الاربعة ليحيوا فيها عيد الفصح ويحجوا الى بيت الله الحرام . وأقيمت الطليان الثلاثة وعلى أحدها انبع من أخرجت الانسانية من

أبنائها البررة المصلحين ، وعلى الاثنين الباقيين مفسدين من مفسدى ذلك
العصر ومن قاطعي طرق بلاد يهوذا في عصر ما عرفت فيه السبل سلطة القانون
ولا بطش الحكومات . وهكذا كان . اجتمع الصلاح والفساد في مكان
ليدل على أن الصفات الانسانية منها تحررت ومنها سمت فلا بد من يختلط بها
أصل من أصولها الحيوانية المكونة من خليط من فاسد النزعات وصالحها
ومن عناصرها ، اذ ترى فيها سمو العواطف في الأمومة والابوة ، تقع فيها على
اسفاف حب الغلبة وحفظ الذات ، تلك الصفة التي كثيراً ما كانت سبباً في
اهراق الدماء وتصديق كل ما رأيت شرائع الآداب من صدوع الانسانية .



هذه صورة وجيزة يختتم بها الاستاذ « أميل لودفيج » كتابه « ابن
الانسان » الذي حاول به أن يصور عيسى بن مريم في صورة تقرب جهد التقرب من
حقيقة ما حدث في تلك الازمان . ولمؤلف هذا الكتاب طريقة مبتكرة
في وضع التراجم اذ هو يحاول أن يتغلغل في روح العصر الذي عاش فيه
بطله الذي يترجم عن حياته ، ويستمدق في درس حوادثه حتى يخلق في ذهنه
جواً يقرب جهد التقرب من الجو الذي عاش فيه بطله . ثم يندمج فيه ، بعد
أن يستوعب كل ما يستطيع استيعابه من حالات العصر الذي يسبق ظهور
البطل مباشرة وحالات العصر الذي يعقب طيه في أكفان الزمان ، ليخلص
من جماع ذلك بصورة هي الى الفن التصويري أقرب منها الى الفن الادبي .
والحق أن الصورة التي تخلص بها من كتاب لودفيج بصورة ثابتة خالدة ،
والطابع الذي يدمج به مخيلتك لن يزول .

قرأت عن الكتاب كثيراً من التلخيصات قبل أن أظالعه في الاصل
الانجليزي وقرأت في بعضها نقداً وفي بعضها مدحاً يفوق حد الاغراق .
أما النقد فخصه به رجال الكنيسة ، وفريق منهم في طليعة أدباء الانجليز
كلاسقف انج مثلاً ، وأما المدح وبالع الوصف فصدر من أقلام فئة خست
اليوم بالتحكم في الادب الانجليزي ولها القدح المعلى في النقد وقوة الحكم

على حقائق الصور الادبية التي تصدر من أقلام الكتّاب . على أني ظلت بين هؤلاء هؤلاء في شك وريبة حتى وقم لي الكتاب ، واذا بالآثر الذي يتركه في نفسي والصورة التي يطبعها في مخيلتي أعظم من أن تبهر بها جمل التقريظ التي قرأتها من قبل في صحف الانجليز . الاثر بالغ والصورة جلية واضحة . أما طابعها فنابت في ذهن يساورك أينما سمعت باسم « عيسى » أو اورشليم أو بيلاطس أو هيرودس أو هيروديا امرأته أو شالوم ابنتها أو يوحنا المعمدان أو جرى على لسانك ذكر الناصرة أو بذهنك صورة الجليل . على أنك لا تذكر هذه الاسماء أو الأماكن مفردة اذا ذكرت بها الواحدة بعد الأخرى ، بل أن ذكر أي منها كاف لان يقيم في ذهنك الصورة التي برع لودفيج في طبعها في مخيلتك تامة كاملة .

وبعد كل هذا فانك لن تفهم ما يكتب لودفيج أو تستطيع أن تعرف ما رمى اليه في كتابه العظيم الا اذا ماشيته بعقل تحرر من التقاليد وفكر غير مفسد بالنقل ، وعرفت انه انما يتكلم « في عيسى » لافي « المسيح » والفرق عظيم بين الحالتين .

اقرأ من انجيل لوقا في الاصحاح الثاني

« وفي تلك الأيام صدر أمر من اوغسطس قيصر بان يكتب كل المسكونة . وهذا الاكتاب الاول جري اذ كان كيرينيوس والى سورية . فذهب الجميع ليكتبوا كل واحد الى مدينته . فتعد يوسف أيضاً من الجليل من مدينة الناصرة الى اليهودية الى مدينة داوود التي تدعى بيت لحم لكونه من بيت داوود وعشيرته ليكتب مع مريم امرأته المخطوبة وهي حبي . وبينما هما هناك تمت أيامها لتلد . فولدت ابناً البكر وقطته واضجعت في المذود اذ لم يكن لها موضع في المنزل . »

وجاء في هذا الاصحاح ثمانية .

« وكان أبوا يذهبان كل سنة الى اورشليم في عيد النصح . ولما كانت

له اثنتا عشرة سنة صعدوا الى اورشليم كعادة العيد . وبعد ما اكملوا الايام
بقي عند رجوعهما الصبي يسوع في اورشليم ويوسف وأمه لم يعلما . واذا
ظناد بين الرفقة ذهباً مسيرة يوم وكانا يطلبانه بين الاقرباء والمطارف . ولما
لم يجدها رجعا الى اورشليم يطلبانه . وبعد ثلاثة ايام وجداه في الهيكل
جالساً في وسط المعلمين يسمعون ويسألهم . وكل الذين سمعوه بهتوا من
فهمه واجوبته . فلما أبصره اندهشا . وقالت له أمه يا بني لماذا فعلت بنا
هكذا . هو ذا أبوك وانا كنا نطلبك معذيين . »

اذن فقد كان أبوه يوسف وأمه مريم يكلاّنه برعايتهما . ومات أبوه
يوسف وبقي عيسى مع أمه في بيته بقرية الناصرة . أما لودفيج فيصنف
لك عيسى على باب منزله بالناصرة هادئاً ساكناً يرعى الطريق بعينين سوادوين
لامعتين تلوح من بينهما إمارات الذكاء النادر والقوة الروحية البالغة . ومن
حوله اخوته الصغار يقطعون عليه سيال تأملاته ويشوشون عليه تيار افكاره
فيقوم متثاقلاً من البيت الى تل قريب تكسود الاشجار وتهب عليه الرياح
البديلة ، وهناك يستلقي تحت الظلال مستغرقاً في التأملات العميقة . وقد
ينزل على حاله تلك ساعات طويلة يعود بعدها الى البيت منهوك القوي ولكن
على ماتعبد فيه من الرصانة وتوازن الخطو وشبوب الروح الفائضة بكل معاني
القوة والجمال .

في نهر الأردن يقف يوحنا المعمدان ليعمد الناس ويفسل خطاياهم فيأخذ
من ماء النهر ويصب على رأس من يريد التعميد . ومن ثم يتفوه بكلمات يقول
فيها « انا أعمدكم بماء ولكن يأتي من هو أقوى مني الذي لست أهلاً أن
أحل سيور حذائه . هو سيعمدكم بالروح القدس ونار » .
(لوقا اصحاح ٣) .

وحج الناس الى الأردن ذرافات ووحدانا . وسعى اليهود الى الأردن
ليتعمدوا ويتطهروا من خطاياهم ويرووا ذلك المبشر الذي يبشر لهم

بملكوت السماوات وانها قرينة منهم وان المسيح الذي بشر بظهوره انبياء
بنى اسرائيل قريب ظهوره



يوحنا المعمدان في الاردن

وفي سن المراهقة أو أزيد قليلاً يذهب عيسى الى يوحنا ليتلقى المعمودية على يديه . « ولما اعتمد جميع الشعب اعتمد يسوع أيضاً واذ كان يصلي انفتحت السماء ونزل عليه الروح القدس بهيئة مثل حمامة وكان صوت من السماء قائلاً أنت ابني الحبيب بك سررت » .

(لوقا اصحاح ٣)

هنا يصور لك لودفيج صورة خالدة من صورة العظيمة . يوحنا في النهر يغمر الماء الى ما فوق ركبتيه ويأخذ من ماء النهر ويصب على رأس من يتعمد . وبجانب النهر تل عال ينحدر من فوقه الطريق الى حيث كان المعمدان ، والحجاج ينزاحون الى النهر ليظهروا ارواحهم من أرجاس الحياة الانسانية

ويستقبلون ملاكوت السموات التي يبشر هم بها يوحنا ويسمعون كلماته التي يوحى اليهم فيها بان المسيح على الأبواب وان زمانه قد قرب .

وينحدر عيسى من فوق الجبل ميمماً نحو النهر ثم يلتقي بالمعمدان فيطيل كلاهما النظر في الآخر ثم يأخذ في تعميده بعد أن يفرغ من كل الناس ، ولم يكده يسمع عيسى كلمات المعمدان حتى تأخذه هزة عميقة فيخرج من النهر مسرعاً ويهيم في البرية شارد الفكر مضطرباً ثم لا يعود إلا وهو على اعتقاد بانه المسيح وأنه مخلص العالم انتهى بشر بظهوره انبياء بنى اسرائيل . « وخرج عيسى من النهر بعد أن تطهر من الخطايا التي لم يرتكبها قط ،

ولكن كان لا يزال مضطرباً لان كل الاشياء التي رآها في نهر الاردن حتى ذلك الوقت كانت بلا معنى يدركه . ولقد ارتج عليه الموقف بعد أن توالى أمام ناظره صور ماء النهر والمعمدان والجمهير المتزاحمة من حوله ، فخرج من غمر الجماهير ووقف وحده بعيداً مغمضاً عينيه ، محاولاً أن يلم أطراف نفسه المضطربة مرة ثانية ، وهنا يضيء أمام ناظره ظلام الوجود ، فيرى رؤياً ويسمع صوتاً . ويخيل اليه أن أبواب السماء قد فتحت وأن حمامة تطير ، كأنها تحمل اليه رسالة . فيسمع صوتاً غريباً منبعثاً من قلبه يقول له — « انت ابني الحبيب بك سررت » .

« ما اهو لها من برهة . وما أزعجها من لحظة . اهـذا صوت أبيه ؟ لقد سمعته من قبل مرات عديدة . في تدفق ماء النهر وفي غمزات الاضواء السماوية التي تبعث بها النجوم البراقة . وفي صرخ الاطفال اذ يلعبون . غير انه الآن بين جلي صرخ ، بل كلام في مقاطع مميزة فيدعو ابنه » .

« وما لك الروع فتر عيسى من غمر الجماهير ومن المعمدان ، متغافلاً في جوف الصحراء »

« وفي اليوم الثاني يشوب الي رشده وهو في جوف الصحراء . وتعاوده شيئاً بعد شيء ذكرى ما حدث في اليوم السالف . غير أن اضطرابه لم يذهب وروعه لم يشب . ولقد زادت انوحدة والاستيحاش إلى اضطراب نفسه » . هذه هي الصورة التي يصور بها لودفيج تعميد المسيح . اما صومه

وفراره في البرية فاليك مايقوله لوقا من اصحابه الرابع .
 « أما يسوع فرجع من الأردن ممثلاً من الروح القدس وكان يقتاد بالروح
 في البرية أربعين يوماً مجرب إبليس . ولم يأكل شيئاً في تلك الأيام . ولما
 تمت جاع أخيراً . الخ
 « ورجع يسوع بقوة الروح الى الجليل وخرج خبر عنه في جميع الكورة
 المحيطة . وكان يعلم في مجامعهم مجداً من الجميع » .
 بهذا اكتملت مقطعات رسالة عيسى ابن الله ، وبدأ يعلم الناس على
 القواعد التي أخذها من معلمي اليهود وزاد اليها رسالته التي بشر بها انبياء
 بني اسرائيل منذ ابد الازمان



قد تسأل من هو يوحنا المعمدان؟؟ وكيف ظهر فجأة بين يوم وليلة
 ليؤدي إلى بني اسرائيل رسالة طالما انتظروها بحرارة الخوف واشفاق
 الرعب والوجل .
 انتشرت اشاعة بين بني اسرائيل محصلها أن رجلاً ظهر عند منقطع
 العمران على مقربة من نهر الاردن يدعو الى التوبة ويحبوا الناس بالفقران .
 وانه بدلاً من الختان يطهرهم تعميداً بالماء الذي ينقي اجسادهم وأرواحهم معاً .
 وهو مسدل الشعر فوق الكتفين ، كما أن له لحية كثة طويلة ، ويكتسى بوبر
 الابل وان الصوم وطول التعبد قد فلا في جسمه فاصبح يجيلاً ضئيلاً اما انه فمشبوبة
 بالايمان مملوءة بالتقوى . وأنه يلقي الى الناس رسالة مؤداها التحذير من
 غضب الله ويزجرهم عن فعل الموبقات وارتكاب الخطايا والآثام .
 اما الفكرة العامة فكانت على ان هذا هو النبي « إيليا » الذي عاش من قبل
 فوق جبل الكرمل في كهف من كهوفه المنقطعة عن العمران وعن جلبة
 الناس ، والذي كان يظهر حيناً بعد حين ليتوج ملوكاً ويخلع آخرين . اما
 الاساطير فتقول بان « إيليا » لم يمت أبداً وانه بقي حياً على طول الازمان
 وانه سوف يسود يوماً من الايام ليخلص بني اسرائيل . فها هو قد ظهر

أخيرا . ظهر « إيليا » برسالة المخيفة المهيبة ، وها هو يوم الحساب قد آن .
كان يدعي يوحنا . وكان منذ نعومة أظفاره معروفا بعناده وشدة
مراسه . مكف على عيش الوحدة والافتراد والابتعاد عن الناس والاقطاع
في الوديان السحيقة القريبة من مكان مولده ، في تلك البقعة التي يتابع فيها
التل التل ، ويتلو فيها الوادي الوادي على تلاحق وإلا اقطاع .

ولقد تعلم يوحنا في اورشليم ونهل من حكمة اليهود القديمة ودرس
الشريعة وعكف على تفسير الكتب المقدسة ليكون كاهنا كأبيه . غير أنه
بعد زمان هرب من المدرسة ، إما لأن ما كان يتلقاه هناك أوسع عن عقله
القاصر ، وإما لأنه كان اصغر من عقلة الكبير . ولكن الى أين يذهب ؟ الى
الوديان المنقطعة عن العمران والى الجبال والتلال المتلاحمة والى الكهوف التي
كانت مبعث أنبياء اسرائيل منذ أزمان بعيدة ، لا ليقضى هنالك طوال عمره
بل ليعود مبشرا برسالة وبالمسيح الذي ينتظره اليهود على أحر من جمر الغضب
رهبة ورغبة ، حبا وإشفاقا ، أملا وبأسا . فلما ظهر يعمد بماء الاردن كان
هو « إيليا » وكان « أشعيا » وكان كل من تذكر من أنبياء ذلك العهد
على كثرتهم . ولكنه يعمد بالماء ، ثم يبشرهم بمن يعمدهم بالروح وبالنار

لم ينطن الكتاب الذين كتبوا في حياة المسيح الى حقيقة ذات بالمحصلها
أن اليهود كانوا ينتظرون ظهور مخلص من بين ظهرانيهم يفتح لهم ملكوت
السموات بعد أن يطهرهم من أرجاس الحياة ويأخذ بيدهم الى العرش الاعلى .
أما هذه الحقيقة فقد فطن لها في النهاية كتاب الامان الذين ترجوا عن حياة عيسى ،
لذلك الكتاب الذين استطاعوا بقوة برهانهم وسبك عباراتهم التاريخية
وصوغ الحقائق في قالب قصصي رائع ، أن يقتلعوا عقليته «رينان» . أكبر مؤرخ
نصراني أنجبته فرنسا ، من أحضان الكنيسة . ايلقوا به في بحر الشك
المضطرب المتلاطم الامواج .

كانت تثور في نفسية الشعب اليهودي الآمال والخاوف ، بل كانت
تلتهب في عقولهم نيران الانتظار لمن يخلصهم من نير الرومان ومن حكمهم

القاسى ويدهم الحديدية . كانوا ينتظرون المخلص وكانوا ينتظرون ملكوت الله . بل كان املهم قريب وايمانهم بظهور المسيح المخلص ثابت حتى لقد اعتقدوا بان احدا منهم لن يموت قبل أن يراه وقد رفع راية اسرائيل ونشر سلطته على اورشليم وأنه اصبح السيد المطاع في أرض يهوذا . ولا جرم أن شعبا يعيش عيش التطلع الى المستقبل ، ويبعث ليله ويقضى نهاره في توقع ظهور مخلصه وتوجس الشر من المستعمرين ، كما كان شأن اليهود في أول العصر النصراني ، لا بد من أن يكون قد فقد كل امل له في الحاضر ، والى يمينه يتطلع الى المستقبل القريب . لهذا كان ظهور عيسى في الاردن وتعميده خطوة ضرورية يعتقد بعدها شعب اسرائيل أن بن يوسف النجار هو المسيح المنتظر وأنه المخلص وأنه ابن الله .

وكانت النبوءات التي بشر بها انبياء بني اسرائيل تدل على أن المسيح لا بد من تتوفر فيه شروط خاصة منها أن يكون من نسل داود وان يولد حيث كان داود أى في بيت لحم . لهذا حاول كاتبو الانجيل أن يصلوا نسب يوسف النجار بنسب داود وحاول احدهم أن يجعل بيت لحم مسقط رأسه بدل الناصرة: حتى لقد وقع كتاب الانجيل لكي يوافقوا بين هذه النبوءات وبين حقيقة عيسى في اخطاء تاريخية كثيرة . فقد اهل احدهم في سلسلة النسب التي حاول أن يربط بها بين يوسف النجار وبين داود ذكر ملوك أربعة . وذكر بعضهم وقوع التعداد الروماني في عصر منغابر للعصر الذي وقع فيه ، بل ذكر أن يوسف هاجر من بيت لحم الى الناصرة ليعد ضمن أهلها ، في حين أن الناصرة في ذلك العهد لم تكن تحت سلطة الرومان وبعد أن أكثر متي ولوقا من ذكر ابيه يوسف وأمه مريم في جمل منفصلة وحوادث واقعة ، تجد ان احدهما قد اشار الى انه ابن الله وأن مريم كانت حاملا وهي مخطوبة يوسف والى الناس قد وهموا أن يوسف أباه الى غير ذلك ، ليقولوا بانه ابن الله وان الله أبوه .

على أن نسبة البشر الى الآلهة أو الى الله كانت في الازمان القديمة من المعتقدات الشائعة . فكثيرا ما فُسر على أبطال آباؤهم آلهة وأمهاتهم من البشر .

ليعظم الناس من شأنهم ويرفعوا من مكانهم . ولماذا نذهب بعيداً فان اسفار العهد القديم تنص على مواليد حوطوا بالعناية الالهية كمولد اسحاق وصموئيل . وفي التلمود رواية عن موسى أنه ولد من أم عذراء . ويقول « فيلو » الاسكندراني أن صموئيل ولد من أم بشرية ، وانها حملت به بعد أن تلقت البزرة الالهية . وتقع على أمثال هذه الاساطير في تاريخ اليونان والهند وبابل واشور . ولم تكن بلاد يهوذا والجليل بعيدة عن التأثير اليوناني ، بل كانت تتنفس في جو مفعم بالاساطير والفكرات اليونانية .

لهذا تجد أن اليهود ، وقد ظلوا زماناً ينتظرون ظهور المسيح في شفقة على انفسهم وخوف من الرومان ، قد حوطوا عيسى بكل مايوفق بين مولده ونشأته . وبين النبوءات الكثيرة التي بثها انبياءهم في اسفار العهد القديم .

وقبض هيرودس على يوحنا المعمدان والقي به في غيابة السجن . والروايات في القبض على يوحنا المعمدان متضاربة ، غير أن المعقول من مجمل هذه الروايات هي خوف هيرودس ، حليف الرومان ، من قيام فتنة يحاول فيها اليهود نبذ السلطة الرومانية . ويقول البعض إن السبب الأكبر هو اعتراض يوحنا على هيرودس لدى زواجه من هيروديا زوجة أخيه فيلبس (١) بل يقولون بأن قتل المعمدان ، كما سنروي لك بعد ، راجع الى حفيفة هيروديا على انه اعترض على زواج هيرودس منها .

ومضى عيسى يعلم ويشفي المرضى ويحيي الموتى « باذن الله » والتف الناس من حوله حتى خيل الى الكثيرين انه إنما يقوم بدعوة سياسية لابتشيريديني ، اذ وجه كل همه الى نصرته الضعيف على القوي ، وأوحى بمذهب الشيوعية في الأموال .

وأزهرت له الحياة وفتحت أمامه الابواب المغلقة واجتمع من حوله الحواريون . غير أن الزمان لم يلبث انه تنكر لابن الله وكانت أول الحوادث

(١) بهذا تقول الانجيل ولكن الحقيقة ان هيروديا لم تكن زوجة فيلبس بل زوجة يوطيوس أخيه

التي ألفت في ذهنه بأثر بالغ ، حادثة قتل يوحنا المعمدان

عيسى يشق المرفى



في الحصن الذي يسكنه هيرودس تقام حفلة زاهرة لأحياء ذكرى ميلاده،
وقد دعى إليها رؤساء الجند والأمراء وحكام الأقاليم في الجليل . كل هذا
وهيرودس غير عالم بما يدبر له من الخفاء

وكان كهنة أورشليم يخرضونه دائماً على قتل يوحنا المعمدان في سجنه. ذلك الرجل الذي ازداد نفوذاً بين الناس وقوة حتى بعد أن سجن وضمنه في جوفها الجدران الصخرية. بل كانوا يحاولون قتل المعمدان ليثنوا بتلميذه الناصري الذي ألف من حوله كل أتباع يوحنا. غير أن هيرودس كان يرفض كل هذا بقوة وحزم. لا شيء إلا لأنه كسياسي كان يعتقد أن دم «الشهيد» لا ينسى، وأن ذكره وأثره في الأذهان أبلغ من نبي يعيش بين الناس. وكان كفيلسوف يتمتع بحديث المعمدان في بعض الاحايين. وكرجل ضعيف كان يحزع من قتل رجل هدمته السنون وزاده المشيب وقاراً وزوده الايمان بالهيبة والجلال، في حين أن قتله كان على غير طائل ومن غير أن ينتفع به إنسان فوق الأرض.

أما هيروديا زوجته فكانت أكثر منه شجاعة واقداماً وأوسع منه نفوذاً وكانت تود أن تجيب في المعمدان ذاب الكهنة. وكانت اعتراضات المعمدان على زواجها من هيرودس، ولو أنها لا تؤثر في بقائها زوجة له. إلا أنها كانت تحز في قلبها بسكين بارة. وتمت المؤامرة بين هيروديا وابنتها شالوم فزينتها أجمل زينة وحلتها بأتمن الحلى. وبعد أن لعبت الخمر بالرؤوس رقصت شالوم ففتنت الرجال وبهرت هيرودس. فضمها إلى صدره وطاب منها أن تسأله ما يريد، فانه لن يبخل به حتى ولو طلبت نصف ملكه! يالهول الموقف!!!

أرأس المعمدان جواباً على كرم هيرودس! وكيف ترجع كبرياء هيرودس عن وعد وعد به وهبة وهبها لآلة زوجته المحبوبة؟ اذن يضحي بالمعمدان! وتحمل الرأس المهيبة الوقورة في طست الى وسط الحفل الجامع، فتشيع شالوم بوجهها، ويغطي هيرودس عينيه بكلمات يديه. ثم يأمر بالغاء الحفلة ويفادر الحجرة، مستسماً الى تأملاته وأحزانه ومخاوفه.

ولا جرم أن قتل المعمدان كان بمثابة انذار خفي لعيسى، فحزن، بل اعتقد ان الخريف قد أدرك شجرته المورقة الخضراء، وأن رأس المعمدان أول ورقة سقطت منها.



وكانت النهاية بمد طراد وفرار، فاجتمع عيسى مع تلاميذه للعشاء الأخير .
 وكان عيد الفصح والمدينة في هرج والكل يحاول أن يهيء لنفسه
 عشاءا ليقم بذلك شعار بني إسرائيل . وكان عيسى قد اتخذ عادة أن يعظ
 ويعلم في الهيكل نهائياً ويأوي ليلاً إلى جبل قريب يقال له جبل الزيتون .
 فقد كان يتوجس شراً وكان كهنة اليهود يهيئون من تحت قدميه تلك الهوة
 السحيقة التي اسلمت به إلى الصليب . وكيف لا يهيئون له وقد كسر السبت
 وقال إنما السبت قد خلق من أجل الإنسان ولم يخلق الإنسان من
 أجل السبت ؟ .

« وبمد هذا كان عيد لليهود فصعد يسوع إلى اورشليم . وفي اورشليم
 عند باب الضان بركة يقال لها بالبرانية « بيت حسدا » لها خمسة أروقة .
 في هذه كان مضطجماً جمهور كثير من مرضى وعمى وعرج وعسم يتوقعون
 تحريك الماء لأن ملاكاً كان ينزل أحياناً في البركة ويحرك الماء . فمن نزل
 أولاً بمد تحريك الماء كان يبرأ من أى مرض اعتراه . وكان هناك انسان
 به مرض منذ ثمان وثلاثين سنة . هذا رآه يسوع مضطجماً وعلم أن له زماناً
 كثيراً ، فقال له أريد أن تبرأ . أجابه المريض ياسيد ليس لى انسان يلتقنى
 في البركة متى تحرك الماء . بل بينما أنا أت ينزل قدامى آخر . قال له يسوع قم .
 احمل سريرك وامش . فخالاً برىء الانسان وحمل سريرته ومشى . وكان في
 ذلك اليوم سبت . »

« فقال اليهود للذى شفى إنه سبت . لا يحل لك أن تحمل سريرك .
 اجابهم أن الذى أبرأنى هو قال لى احمل سريرك وامش . أما الذى شفى فلم
 يعلم من هو . لان يسوع اعتزل . إذ كان في الموضع جمع . بمد ذلك وجده
 يسوع في الهيكل وقال له ها أنت قد برئت . فلا تخطئ أيضاً لكلا يكون
 لك اشر . فمضى الانسان وأخبر اليهود أن يسوع هو الذى أبرأه . ولهذا
 كان اليهود يطردون يسوع ويطلبون أن يقتلوه لانه عمل هذا يوم سبت .
 فاجابهم يسوع أبى يعمل حتى الآن وأنا أعمل . فمن أجل هذا كان اليهود

يطالبون أكثر أن يقتلوه . لانه لم ينتقض السبت فقط بل قال أيضاً ان الله أبود معادلاً نفسه بالله . »

هذاماتقرأ في انجيل يوحنا وفي ثبوت الاصحاح الخامس منه . وكثيرا ما حاول اليهود أن يحيطوا بيسوع وحوارييه في المنزل الذي يجتمعون فيه ويقتلوه . غير أنهم كانوا يخشون شر الفتنة ويحسبون حساباً لما قاومة إني عشر رجلاً وعلى رأسهم « الله » حالا في هيكل أنسان . ولقد تعذر عليهم أن يجدوا طريقاً ينتقمون به من عيسى أو يقفون على وسيلة يهيئون بها طريقاً للاحاطة به وإيقاعه في شرك الشريعة اليهودية أو القانون الروماني . غير أنهم وجدوا في شك يهوذا الاسخريوطي ذلك الطريق وفي ريبته وقعوا على الوسيلة . اذن يشي الاسخريوطي بميسى ، فاذا وقع بين نابي اليهود وبيلاطس ، فعل الله ما يشاء . وأعدت حجرة العشاء الأخير وصفت من حولها أربع وسادات يسع كل وسادة منها ثلاثة واجتمع الحواريون الاثني عشر ومعهم السيد ابن الله أو الله أو الخاص أو ماشئت فقل ، ليحيى الليلة الأخيرة من لياليه فوق الأرض . ولما أخذ كل منهم مجاسه أخذ يحدتهم عيسى فقال .

« شهوة اشتهيت أن آكل هذا النصح معكم قبل أن أتالم . لاني أقول لكم اني لا آكل منه بمد حتى يكمل في ملكوت الله . (لوقا اصحاح ٢٢)
« لما قال يسوع هذا اضطرب بالروح وشهد وقال الحق الحق أقول لكم ان واحداً منكم سيسلمني » (يوحنا اصحاح ١٣)

اذن هنالك خائن كان يتم عن خيائته اضطراب في أصابعه الممتدة الى الاناء وهم يأكلون ، وبريق في عينيه لم يخف على عيسى ، ولم يستعص على نفسه القوية وبصيرته النافذة أن تدركا لماذا كان اضطرابه ولاي سبب ينبعث هذا البريق من عينيه . شيئان لم يشهدهما في تلميذه « يهوذا سمعان الاسخريوطي » من قبل . على أن شك يهوذا لم يكن ليخفي على عيسى ، ولا الريبة الآكلة في صدر الحوارى المزيف كانت لتظل مستخفية على مدارك الاستاذ العظيم . اذن فللخيانة مقدمات سبقت تمهد لها الطريق . واضطراب الاعصاب المتجلى في بريق عيني الاسخريوطي ليلة النصح كان دليلاً كاملاً عند روح عيسى

المشوبة الحائرة، علي أن الحياة قد تمت وأنه سوف يضحى به، فلم يخف
ما جال في نفسه وقال ان واحداً منكم سيخونني ويسلمني لاعدائي. ولكن
لأى شيء. ليكمل ملكوت الله في الارض وليذهب الابن الى الآب لان
الرسالة قد تمت والعمل قد أنهى.

وظل عيسى يؤكل الحبوب ومن بينهم يهوذا حتى قال في الخبز هذا
لحمي وفي الخمر هذا دمي. دم العهد الجديد. ذلك الدم الذي سيراقي عما
قرب تخلصاً للإنسانية. قبالعظمة عيسى، ويالبل الرسالة التي أداها
والتضحية التي ضحاها.



السما صافية الاديم والهواء يهب عليلاً بليلاً في ليل رخو جيل،
وقد خرج عيسى من المدينة يتبعه مريدوه ميمما شطر جبل الزيتون.
ولكنه يشعر باضطراب ويشعر بأسف. وقد ملكت نفسه الحيرة والاسى.
ولكن لماذا؟ لعله تفقد يهوذا الاسخريوطى فلم يجده؟ وهكذا كان، فان
يهوذا كان قد احتنى وذهب ليتم جريمة الشنعاء بعد أن حل في جسده
الشیطان. شيطان الشك والارتياب.

وذهب الى حيث كان يستأنف في الجبل، وبعد قليل التفت اليهم وقال
«كلكم تشكون في هذا الديلة لان مكتوب اني أضرب الراعى فتبتدد
خراف الرعية. ولكن بعد قليل اسبقكم الى الجليل. فاجاب بطرس وقال
له وان شك فيك الجميع فانا لا أشك أبدا. قال له يسوع الحق اقول لك في
هذه الديلة قبل أن يصبح الديك تكررني ثلاث مرات. قال له بطرس ولو
اضطرت ان اموت معك لا أنكرك. هكذا قال ايضاً جميع التلاميذ.»
(متى اصحاح ٢٦)

أما الضيعة التي دخلها عيسى فكان يقال لها «جشيمانى» كما ذكر في
انجيل متى. واجلس تلاميذه واتبعى ناحية يصلي وينتظر خيانة الاسخريوطى،
متى تهبط تقمتها،

هناك حركة وجند مقدمون ومشاعل تنير الطريق. وفي المقدمة

يهودا سمعان الاسخريوطى الشاك المتريب يتقدم نحو عيسى ويأخذ بتلابيه ثم يقبله . وكانت القبة علامة على أنه السيد المراد اخذه في الاغلال . وهنا يقول له عيسى « يا يهوذا أبقلة تسلم ابن الانسان؟ » . ويقضى الامر ويلقى القبض على عيسى العظيم، ليفتدى بدمه الانسانية .

أما بيلاطس الحاكم الرومانى فالروايات فى شأنه متضاربة فى الاناجيل فمنها ما يقول بانه عذب عيسى واهانه ثم أمر بصلبه . ومنها ما يقول بانه أراد تسليمه لليهود ليحاكم حسب شريعتهم . ومنها ما يقول بانه ضفر اكليلا من شوك البسه لعيسى بعد ان جلدته بالسياط . اما الرواية التى يصدقها لود فيج فالتى تنص على أن بيلاطس قد سلم أمر المسيح الى اليهود قائلاً انه ليس أكثر من فيلسوف وليس من شأنه أن يعاقبه على ذلك . ولكن اليهود يلحون ثم يلحون فيبيع لهم دمه . فيساق الى الصليب مع اثنين من قطاع الطرق الآثمين .

وتقام الصلبان الثلاثة فى صورة مثلث ويأبح على المسيح العطش فيناوله احد الجنود اسفنجة مبللة يسد اذ يمصها ظمأه ببلولتها . حتى اذا ملكته سورة الألم وكاد الايمان يخونه صاح يقول « آلهى آلهى لم تركتني؟ » . ثم تهتريه غيبوبة ثم يستفيق ظمأً ناً فيعطى اسفنجة قد بللت بالخل فيقول « قد اكمل ، ونكس رأسه وأسلم الروح » . على رواية الاناجيل

اما الحواريون وعلى رأسهم بطرس فقد أنكروه حتاً قبل أن يصبح الديك وتفرقوا عنه بدداً . على أن فى نكران الحواريين لعيسى واتقضاضهم عنه فى ساعة كان من الواجب ان يبنونوا فيها معه لموضعاً للنأمل ومحلا لطول الاستبصار . فاذا كان الايمان لم يعلم الانسان كيف يضعى أو كيف يجب أو كيف يخاطب . فأى شىء فى هذه الدنيا فى مستطاعة يهذب البشرية ؟ وكان اليوم يوم جمعة والسبت قادم ويجب أن يموت المصلوبون قبل أن تشرق شمس السبت . فيضطر الجند الى استصدار الامر من بيلاطس بان تكسر

سيقاتهم تعجيلاً في موتهم . وتكسر سوق المجرمين . أما عيسى فكان قد
اسلم الروح . وهنا يغمزه احد الجنود بحربة في جنبه فيسيل الدم قياضاً
إلى الارض . يسيل الدم الزكي ليخلص الانسانية !!! على اننى لست أعلم من
أى شيء خلصها؟ ذلك ما لا علم لى به حتى الآن .



فوق الصليب

وتنقل الجثة الى غار ويسد باب الغار بصخرة ضخمة لتدفن في اليوم
التالى . وفي اليوم الثانى تحضر أمهمريم ومريم المجدلية وجمع من النساء
والرجال ليدفنوا بن الانسان ويواروه التراب . ولكن أين الجثة . لقد اختفت .
ورفع بن الانسان الى السماء .

يقولون بان بيلاطس أمر بدفنها اثناء الليل سرّاً اتقاء لفتنة . ويقولون
بان اليهود أخفوها أنقاماً . ويقولون بان إستاني الضيعة أخفاها خوفاً على

ترعه أن يهلكه الناس صبيحة الغد بارجلهم. هذه هي الاحتمالات. أما الحقيقة،
فسر في جوف الزمان .

وهنا تقول بأنه لم يسدل بذلك الستر الأخير على رواية عيسى. بل
تقول إن اختفاء الجثة كمانه بمثابة ارتفاع الستار عن أول فصل من فصول أكبر
مأساة شهدتها التاريخ الانساني .

اسماعيل مظهر

العلم والصناعة

تلخيص خطاب الرئاسة أقمي القاء السروايم براج في الاجتماع السنوى
لجمعية تقدم العلوم البريطانية .

في الاجتماع السنوى السابع والتسعين لجمعية تقدم العلوم البريطانية التى
السروايم براج المراجع العظيم فى علم ذرات المادة خطابا مخصص أكثره
لا لبحث عويعص المعنويات، بل تناول فيه الموضوع العملي الحى وهو علاقة
العلم بأسراع حركة إنعاش الصناعة . وأسهب الرئيس فى العلاقة التى تربط
العلم بمهارة الصانع التى حددها بأنها اتقان انتاج كل مايؤدى الى زيادة رفاهة
البشر واستنتج من ذلك أن الشعوب تعيش بما تصنع أو تكسبه بكدها
وجدها وان نجاحها وقف على اتقان صناعتها .

ثم تناول الكلام باعجاب حار بحال منادج الصناعة اليدوية القديمة بيد
أنه إبان فى استعراضه لراحل الصناعة من المصنع القائم على صانع بمفرده
الى المصنع الهائل الكبير الشغب - تاج الصناعة الحديثة - ان هذا التحول
مما لا مناص منه وان ليس فى مقدور انسان ان يرجع عقارب الساعة عن
المضى والسير . وان الصناعة الحديثة مع كل ما يترتب بها من صخب
وضوضاء وبإساعة تطعمنا وتكسنا وتمدنا بالدفء وما يقوم بأودنا العقلي .
وذلك الملايين كان نصيبهم الموت دونها .

ان أنشط الصناعات الحديثة هى القائمة على البحث العلمى
الحديث وواظهر هذه الصناعات الهندسية الكهربائية . وفي أمريكا
شركات وجلسات تقوم بالصرف على معامل للبحث والتجارب مما يكلفها
الملايين من الجنيهات كل سنة ومع ذلك فقد وجدت هذه الشركات ان
الربح المادى يبرر بقاءها واستمرار الصرف على هذه المعامل . فصناعة
المحركات الكهربائية - هذه الصناعات البالغة من النشاط مبلغاً واسعاً

وصناعة الطائرات والصناعات الكيائية كلها . امثلة هامة من الاعتماد على مسائل عامية عويصة وغاية في التعقيد والتشعب مما تتجه اليها البحوث العلمية بنشاط وعناية فائقة في المعامل .

الانتاج الواسع : ومن رأى السروايم براج أن الانتاج الواسع هو في نفسه شيء بديع ويقوم بضروريات ورغاهة الكثيرين . بيد أن اعتراضه على ذلك أنه متى بلغ هذا الانتاج أوجه من الوفرة تصبح عملياته غير متطابقة من الصناع الا القليل من الذكاء والادراك ويصير من السهل أن يقوم بذلك ويتوفر عليه العمال ذوي الأجور الرخيصة والادراك الضئيل فيجب التمهيد لذلك بأعداد تطبيقات مستحدثة للمعرفة العامية وآراء جديدة وعمليات وآلات جديدة كذلك . وإذا وجب على مهارة الصانع لكي تقوم بواجب امداد الشعب بوسائل الرفاه والراحة ان نحسن عمليات الصناعة باستمرار متواصل ووجب كذلك على الأمة التي تطمح إلى النجاح ان تمتلك وسائل التحسين ويتوفر لديها مضاء العزيمة الذي يحفزها إلى ذلك .

ثم استطرد الى تبيان ان مواطنيه الصناع في مجموعهم حائزون لصفات الجدارة والذكاء والمهارة والدقة مما يسمح بتحقيق كل تحيز . وتساءل أليس من الواجب ان نستفيد من هذه الصفات بالسعى وراء إيجاد صناعات جديدة يجهد متواصل وسعى لا يتأني أو التحوير في الصناعات القديمة لتلتئم مع حاجتنا المستحدثة . ويجب أن لا نستمسك بمغالات في الاعمال والجهود القديمة متى وصلت الى مرحلة صار في مقدور الكثيرين عندها أن يواصلوها والأتان بمثلها بنفس الاتقان . ومتى صار في المستطاع لدينا أن نقوم بالجديد منها والاصعب ممارسته اذا لزم الأمر . انه في الامكان دائماً أن نشد أزر الصناعات القديمة بالوسائل السياسية ولست أرغب في التنديد بهذه الطرق وتسذية الحكمة في تطبيقها . بيد ان الحق البين لا يمد والرائي القائل أن خير الحمايةاتها كلها للصناعة هي المعرفة والمهارة اللذين يستطيع لنا بهما انتاج ما نحتاج أن يطلبه الغير منا لان ليس في مقدوره أن يأتي بمثله .

ان نحسين الاتقان الصناعى واخراج مصنوعات قيمة متوقف لدرجة كبيرة على تشرب الاستكشاف العلمى وتمثيله واستخدامه وتحويله لخدمة الصناعة. فى حين أنه من الضرورى أن ندرك ان المعرفة العلمية والخبرة كي يؤديان لنا القسط الاوفر من الخدمات يجب أن يتصلا اتصالا مباشرا بالمسألة المفروض علينا حلها. فهناك صنف جديد من العمال بدأ فى الظهور والتكوين يشمل المشتغلين بين جماعات الابحاث ومعامل الابحاث الصناعية فهو لاء يجب أن تقدر خدماتهم التقدير السامى خصوصا وهم الصلة المباشرة بين صاحب العمل وزملائه العمال فى المصانع وفوق ذلك فهم على اتصال شخصى باصحاب رموس المال والعمال على السواء. وقد يتمكنون من التغلب على التفرقة الضارة التي سادت بين العامل اليدوي فى المصنع من جهة ومصمم الرسومات فى مكتب التصميم. ومن جهة أخرى بين ادارة المصنع والمعرفة العلمية وللآن لم يقدر أحد التقدير الكافى لمصلحة المشتغل فى الابحاث العلمية والتفكير فى مكافأته مع أنه بظهور هذا الصنف الجديد من العمال سيقدر القوم التقدير الاوفى للخدمات الجليلة التي فى مقدور القيام بها.

نظرية المجتمع الآلية :

ثم قال الرئيس فى ختام خطابه

ان البحث العلمى فى المعمل قائم على العلاقات البسيطة بين السبب والنتيجة فى عالم الطبيعة وقد اتخذت هذه فى بعض الأحيان كالتقاعدة الأساسية لنظرية آليه لتفهم الكون فهذه العلاقة صحيحة فى عملنا التجريبي وما دامت ثابتة الصلاحية فلا مناص من الاستفادة منها حقا وضرورة غير ان استخدام النظرية الآلية فى المعمل لا يعنى حتما أنها تمثل ما يدركه العقل أو يستخدمه فى مواطن أخرى فى الحال أو الاستقبال .

ان الاستخدام الصحيح للبحث العلمى من الضرورى لرفاهيتنا بحيث أنه ليس فى وسعنا أن نحوطه بفيوم من سوء الفهم والادراك تعوق سيره وتقدمه .

واسوأ المساويء ذاك الضرب من خطئ الرأي الذى يفترض أنه مناف
لأسمى الغايات فالعلم كما أفضى الى حديثاً أحد الشبان الباحثين لا يرمى فى
مهمته الى القضاء على روح الأمة بل الى بقاء الروح والجسم متلازمين
واذا اتجه تفكيرى الى العلم وعلاقته باتقان الصنائع فذلك لتبيان الاهمية
الكبرى لمراميتها واغراضها ولم يغب عن بالى أن هناك أوجه أخرى للبحث
فى حقائق الطبيعة ولا يمكن تحديد فارق محدد بين العلم البحت والعلم التطبيقي
فهما مرحلتان للتقدم ووجهان يندمجان فى بعضهما وكلاهما يخسر الميزات التى
ينطوى هو عليها اذا انقطعت صلته بالآخر

فهذه العلاقة الثنائية شائعة فى نواحي كثيرة للنشاط الانسانى وقد عبر
عنها بطرق شتى وقد يما كان ذلك فى العبارة الشاملة التى تجمع كل مطامح
وآمال الباحث عن الحقيقة والمعرفة « سوف تحب الآله بكل قلبك وبكل
روحك وبكل عزيمتك »

وسوف تحب جارك بقدر حبك لنفسك. وفي القصص القديم سمع كل
البشر هذه العبارة كل باللسان الذى يتكلم به من أيام الميدين والاغريق والعرب
فكل قول عظيم حكيم قد تداولته ألسنة البشر ولهجاتهم ومعنى هذه الكلمات
لطالب العلم انه يجب عليه ان يتجه بكل قلبه نحو القيام بمهمته والاضطلاع
بخدمة العلم تحذوه العقيدة وتحفزه. ان ذاك من أجدر المهام ولو أنه ربما لا
يدرك مبعث ذلك ادراكاً تاماً وان كل سعى للانسان فى تنهم الوسط الذى
يعيش فيه لسعى محمود وفى سبيل الحق. وفوق ذلك فإنه بهذه الطريقة
تتمكنه ان يكون نافعا لبني جنسه .

هل تسود المرأة العالم

تتج تحول الانسان من عصر الى آخر عن جهود المرأة وليس الرجل فالمرأة هي التي فكرت في عهد الصيد والقنص في الاحتفاظ ببيض الحيوانات لتغذية صغارها بهم وقت الحاجة وهي التي فكرت في زراعة الارض حين كان الرجل يهيم في عصر الرعي خاف قطعانه وهي التي انهكت في الصناعة عندما كان الرجل يفلح الارض فهي دائماً التي كانت تمهد السبيل أمام الانسانية للانتقال من طور الى طور

لننظر الآن فيما كان يفعله الرجل فهو في عصر القنص كان يهيم على وجهه في الآجام والغابات فلما وجد المرأة قد اتبعت عملية تربية المواشى التصق بها مؤثراً حراسة الماشية عن القاء ذاته في المجاهل عرضة لانياب الوحوش واستخاص لنفسه ما كانت تمتلكه المرأة بقوة الذراع فاصبح صاحب قطع من النساء اللاتي يملكن بدورهن جماعة من الصغار وقطعاناً من الماشية. فلما صارت له الكلمة العليا أخذ يرعى القطعان جملة ليس تلبية لضرورة كما كانت تفعل المرأة بل جرياً وراء التملك فكان ينهب ما يمتلكه الغير من القطعان وكان يسبي النساء بقطعانهن وأولادهن

ولما تحولت المرأة الى الزراعة التفت هو الى امتلاك الارض فصار يغير على جيرانه يقطع ما يمتلكونه من الارضين والعبيد ايزيد ما يمتلكه تاركاً فلاحه الارض للعبيد يسخرهم لخدمتها وخدمته .

فتحولت المرأة الى الصناعة وكانت منزلية في بادىء الامر فاستبد الرجل بما كانت تصنعه واخذ يقوم هو بعملية المقايضة او البيع والشراء بما لم يكن يمتلكه وجره حب المغامرة الى ركوب البحار دون المرأة فاقبس من البلدان الاخرى بعض صناعات جديدة ادخلها الى حيث يقطن من أجل الربح فالرجل في جميع هذه الاطوار كان يأخذ عن المرأة وكان يغامر وكان

يرمي الى التوسع والامتلاك وكان يترك العمل الجدى للنساء وكان يجبر من يستند له من الرجال على عمل ما كانت تعمله المرأة وهذا من باب الاذلال لهؤلاء العبيد

يجوز ان يكون متوسط عقل الرجل ارقى من متوسط عقل المرأة ولكن يجب ان لا يفهم من هذا ان امثل الرجال عقلا يفوق عن أكثر النساء عقلا اعنى انه اذا كانت درجة عقل الرجل تتفاوت بين ١٠ و ٩ و ٨ و ٧ و ٦ و ٥ و ٤ و ٣ و ٢ فان درجة عقل المرأة تتفاوت بين ٩ و ٨ و ٧ و ٦ و ٥ و ٤ و ٣ و ٢ و ١ وليس كما يظن البعض ان عقل الرجل يتفاوت ما بين ٦ و ١٠ في حين ان عقل المرأة يتفاوت بين ١ و ٥ فاما دام ما يراه البعض من ان عقل اسخف رجل يفوق عقل ارقى امرأة ليس معقولا بالمرّة فاذاً يجب أن تقول بان السواد الاعظم من النساء ومن الرجال - على فرض ان متوسط عقل الرجل ارقى من متوسط عقل المرأة تكاد عقليتهم تكون متشابهة

هنايتهم على مواجهة قول البعض من ان نسبة الانذاذ من النساء الى الرجال تكاد تكون معدومة وقائل هذا القول يتجاهل أولا ان مجال العمل المسموح للمرأة اظهار نفسها فيه ثانوي وبعيد عن الابتكار وثانيا ان الحجر على تفكير المرأة وعلى حريتها قد أثر فيها تأثيرا سيئا واننا لو دققنا في النتائج التي توصل اليها بعض الشاذات من النساء لعادنا انه لو اتاحت لهن فرصة لغمره بنصيب كبير مما يقوم به الرجال في الوقت الحاضر وثالثا اننا نحاول ابدا الاقلال من أهمية ما توصل اليه المرأة بجهودها والا كبار مما يتوصل اليه الرجال أما لانا لانهم ما تفعله لانه خارج عن أعمالنا أو لانا نتعمد ذلك

الرجل بطبيعته انانى ميال للاترة وهو المسبب لكل الاضطرابات التي تخرج منها البشرية في حين ان المرأة بطبيعتها غيرية مiale الى السلام . حقيقة قد نتج عن ميل الرجل الى المشاكسة والتعدى امتزاج الامم بعضها ببعض

وهو الامر الذي لم يكن من المنتظر حدوثه في حق المرأة المسالمة الغير
نزاعة الي المغامرة

ولكن اليوم غير الامس والمستقبل غير اليوم أيضاً فان انتشار الآلات
قد خفف من غلواء الرجل ذي العضلات الحديدية ولم يجعل قيمة للمجازفات
فان المخترعات والاكتشافات اصبحت كافية لحماية اضعف مخلوق في حله
وترحاله فميزة الرجل الوحيدة على المرأة قد اصبحت بلا قيمة

كذلك جنوح المرأة الى الاستقلال الاقتصادي واندفاعها نحو الاخذ
بالنظريات العلمية سيثبت للعالم انها ولا شك لا تقل في قواها العقلية عن الرجل
والمرأة قد بدأت تعمل فهي لم تجهد قواها بعد ولم يتساقط عليها المال
ولم يركبها الغرور مثل الرجل فهي تشعر بانها في أول مرحلة من تاريخها
الطويل في حين أن الرجل يكاد يلتقي بنفسه إلى الارض طلباً للراحة متذمراً
لأعنا ساخطاً

فهل سيأتي الوقت الذي تتحكم فيه المرأة في العالم وعندئذ نرى أن
لا فائدة لها من الرجل فتبقى منه الضروري لادامة النسل فقط . أظن أن
مسألة ابقاء الرجل مستعبداً للمرأة تستشره كما كان يستشرها في عهده الذهبي
بميدة عن العقل فان الآلات ستصبح للمرأة افضل وأطوع من الرجل
المستعبد فاذن لن تجد المرأة بدأ من محق الرجل بعد استثناء من هو اصلح
من غيره للقاء ولاجل أن نأخذ ما سبق نقول

ان المرأة هي التي تسببت في انتقال الانسانية من طور إلى طور ارقى وان عمل
الرجل كان دائماً استخلاص ما توصلت اليه المرأة لذاته والاندفاع
للاستزادة منه

وان معني متوسط عقل الرجل ارقى من متوسط عقل المرأة لا يعني
أن أي رجل له عقلاً احسن من أذكى امرأة
ان استقلال المرأة الاقتصادي عن الرجل وفتح المجال امامها واسعاً
للدروس والعمل سيجعلها غير ما كانت

المرأة بدأت أن تخط أول سطر في تاريخها الحديث وهي ممثلة املاوقوة
 في حين أن الرجل أخذ ينوء تحت تاريخه القديم مستسلماً لليأس والتبرم
 لم تعد هناك قيمة لقوة عضلات الرجل وميله الى المفاخرة وهكذا أمكن للمرأة
 الضعيفة أن تصل الى ما تريده بواسطة المخترعات والاكتشافات
 لا يمكن أن يمثل شيان نفس الفراغ في ذات الوقت ومن المشكوك
 فيه أن يحافظ الرجل على سيادته ومن المستحيل أن يتقاسمها مع المرأة.
 لم يعد لكثرة العدد قيمة كما كانت في الماضي واذا نهدت ارادة الرجل
 فلا شك في ان المرأة ستستغنى عنه بامارة الالههم الا بضع رجال تحتفظ بهم
 لمداومة النسل .

ع.ع

*

* *

عينك

عينك والسحر الذي فيهما	صيرتاني شاعرا ساحرا
علمتني احب وعلمته	بدر الدجى والغصن والطائر
ان غبت عن عيني وجن الدجى	سألت عنك القمر الزاهرا
وأطرق الروضة عند الضحى	كيما أناجى البابل الشاعرا
وأنشق الورد في كمها	لان فيها أرجا عاطرا
يدكر الصب بذاك الشذى	هل تذكرين العاشق الذاكرا
كم نائم في وكره هانيء	نبهته من وكره باكرا
اصبح مثلى قائما حائرا	ما رأيت في الربى حائرا
وراح يشكرونى واشكوا له	بطش الهوى والهجر واخا جرا
وكوكب سمعته زفرنى	فبات مثلى ساهيا ساهرا
زجرت حتى النوم عن مقاتي	ولم أبال اللائم الزاجرا
يا ليت انى مثل سائر	كيما تقولى مثل السائرا

إيليا أبو ماضي

جوزف ارنست رينان

١٨٢٣ — ١٨٩٢

كن «الآنسة رينان» ، كما لقبه رفقاء الصبا ، كثير الحياء ، ميالا الى الانزواء ، ميالا الى المدرس . وكان رقيق الحال والجسم مسائلا ، وكثير الايمان ايضا . ظل حتى آخر ايامه كالجراح لسانه ، فلم يذكر عنه انه سب مناظرا او انه تزلف الى عظيم في عهدي الامبراطورية والجمهورية طالبا للمناصب . وحتى فرنسا التي كان يعبدها لم يسرف في مدحها كما لم يتطرف في انتقادها ، بل كان يزن دائما المناظرة ولا يلقى الكلام جذفا على عواهنه . لذلك حمل الفرنسيون وغيرهم انتقاداته على خير محمل ووارود التراب باحتفال نغم . وقد ذكر صديق له انه كان مخلوق «بعقل رجال وعواطف امرأة وميول طفل» .

وقد يعترض على قارئ قذلا ومن هو هذا الذي تريد أن تكتب لنا ترجمة حياته ؟ فهل كان اكثر من قس تنازع الايمان والكفر قلبه ولم تكن له آراء سلسلة ، كثير المناقضة لنفسه ، ينفي اليوم ما اثبتته بالأمس ويثبت يوما ما ينفيه يوما آخر ؟ ومع اني اوافق على هذا الاعتراض الا اني اجد عبرة في حياة رجل اعدد كمال الايمان بالرغم من اتفاق عامة المؤمنين في عصره على تكفيره . وليس هذا فقط بل وبالرغم ايضا من أنه نفسه كان يشك فيما إذا كان هو مؤمنا أم لا ولم يدع رينان بان له فلسفة بل اعترف بأنه ليس أكثر من ذلك . فذا ما دقض نفسه بنفسه فذلك «لأن الفكرة الواحدة لا تملأ الا حيزاً محدوداً من لغافت الدماغ دون ان تتأثر بقية التلافيف بذلك» و «ان اواجب على المتفكر ان يبحث عن الحقيقة متى وأين وجدها دون ان يخشى الوصول الى ما يخاف اعتقاده» نشأ رينان ليكون قسيساً وكان بالفعل الى آخر ايامه كذلك بالرغم من انه لم ينتم لملك رهبنة مخصوصه اذ ابى ضميره عاينه الاندماج في سلك الرهبان الكاثوليك

بعد ما حصل على اجازة في اللاهوت . والدافع له على ذلك لم يكن غير شعوره بانه لم يعد مؤمنا . وقد اكتشف هذه الحقيقة بعد أمد طويل . وكم بكى عندما صارحه أحد مدرسيه بحقيقة الحال ولم يفده محاولة المدرس تخفيف وقع المسألة عليه بقوله ان للسن دخل في هذا الجموح وأنه سوف ينظم أفكاره ويهدأ الى الايمان عند ما يسمح قسا . ولكن لما لم يجد المترجم وسيلة للرجوع الى حظيرة الكنيسة الكاثوليكية قال « ليس الانسان مخيراً في انتقاء الطريق الواجب عليه اتباعه فالله ممسك بيدنا يقودنا الى حيث قدر لنا ان نسير » وكم ود رينان لو ترك الله الانسان يختار ما يظنه لازم الاتباع والا فكان الاولى به أن يحرمه من الاختيار تماماً فكان يخلقه لا يعقل كالشجرة مثلاً ليكون عندئذ اقل تعاسة مما هو الآن . واكل احتياجا الى شفقة الغير . وينهى سلسلة أفكاره قائلاً « الهى الهى لماذا عنى تخلت هكذا ؟ » وفي مكان اخر يقول « لو كان الله يقضى على ما بى من قوة التفكير لكنت أنذر نفسى لحياة بسيطة موحشة . وكم اود لو كنت املك القدرة على ان اعتقد اولا اعتقد شيئاً مخصوصاً بل كم ارغب في قتل رغبة البحث قصد استجلاء الحقيقة التى ماكنت كل قلبى . . . آه ما أسعد الاطفال الذين لا يعرفون الا النوم والاحلام . بل لماذا لا اكون مثل أوائلك المؤمنين البسطاء الذين اعيش بينهم . أوائلك الذين افلمحت المسيحية في سكب الظلمة نينة في قلوبهم »

وكانت أخته من أكبر المؤثرات عليه للابتعاد عن الايمان فهى التى عقدت صلة التعارف بينه وبين الفلسفة الالمانية . فلما ارتوى من آراء فلاسفة الالمان ود لو خلق المانيا بروتستانتيا حتى كان يمكنه أن يفكر بحرية دون أن يلحد فهو كافر نسي كاثوليكي مجبر على أن يسلم تسليماً أعمى بصحة هذيان لا يمكن أن يقبله العقل . وكانت أخته عمده بالكتب الفلسفية الالمانية كلما سمح لها مرتبها بذلك . في حين كانت أمه بالعكس تتألم جيداً لم اذا بدرت منه أشياء تناقض تعاليم الكشلكة الحققة . فكانت أمه المحبوبة اذن سبباً قوياً في جريه وراء الايمان لرغبته في رضائها . وكانت أخته المحبوبة أكبر مشجع

٥٠ - ١٥٠ ع

له على الخروج من حظيرة الايمان. ولم يكن يري في الفكر الالمانى الا « تنمة
للفكرة المسيحية الحرة... إنك لا تجد أثراً للمسيح في فرنسا التي يستمد
أبناءها روح المخاض من خلاصة الالمان »

والذى اعتقده ان ريتان لم يكن ولم يحاول أن يكون ملحداً أو غير
مسيحي بالأقل، وكل ما في الأمر أنه انتقد المسيحية انتقاداً علمياً بدأه عندما
لم بمبادئ العلوم الطبيعية. فمن الخطأ اذن المقارنة بينه وبين فولتير الذى
كان كثير المطامع مقدماً دنيوياً محباً للشهرة، لانيان لم يكن غير زاهد
متواضع لا يميل الى الظهور، يبحث رغبة للوصول الى الحقيقة. وقد مات
رينان متأثراً بالتعالم النصرانية ولم يحاول قط أن يقول بانها لم تكن ذات
مبادئ راقية، وانحصر همه في اصلاح ماظنه خطأ منها، ذلك بعكس فولتير
الذى أدار للمسيحية ظهره ولم تحرك تعاليمها عواطفه فكرها واحتقرها
وثار ضدها وأوسعها نهكاً مراراً

قال أحد المتدينين المكبرين فولتير ان عدم انتقاده للمسيحية بهدوء
نتج عن الاضطهاد الذى واجهه فقد شرد وسجن لانه قال بادية الأمر مالا
يعد شيئاً اذا قورن بما قاله رينان فنتج عن ذلك رد فعل أفقده رغبة النقد
الصحيح، هذا بعكس رينان الذى لم يواجه الا بعض حملات كتابية تسفه
اراءه لأكثر. ومن الغريب انه ظل صديقاً لرجال الدين الى آخر أيامه

يقول رينان إنه تذوق لذة الايمان الخالص في مستقبل عمره ولكن هذه
اللذة لاتعد شيئاً مذكوراً اذا قورنت باللذة التي تذوقها وهو يبحث
وراء الحقيقة

اشتغل رينان لغير الدين أيضاً. وقد كون لنفسه رأياً أراه غريباً هو
« ليست اللغات هبة من الله كما يزعم البعض ولم تتطور عن اشارات وأصوات
كما يزعم البعض الآخر لكنها وجدت منذ وجد البشر » وليس قصده أن
يقول أن اللغات الحالية لم تعرض للتطور بل قصده يقول إن البشر كانوا
منذ البداية يتفاهمون بالفاظ وجل. والاغرب من ذلك أنني قرأت لاحد

تقاده ما يأتي « أنا ما دمننا نجعل ما كان عليه الرجل البدائي لا يمكننا قضا
أو تعزيز رأي رينان هذا »

حاز درجة الدكتوراه في الادب بعد ان قدم رسالتين أحدهما لاتينية
والأخرى فرنسية . وكان موضوع الثانية « ابن رشد ومدرسته » وابن رشد
في اعتقاده ليس أكثر من قنطرة انتقلت عليها تعاليم أرسطو من عصر الى
عصر . وهو يرمى ابن رشد بتهمة زج آرائه الشخصية ضمن الآراء التي قلها ،
لكنه يعترف بالاثـر المحسوس الذي كان لمدرسته في انقلاب الفكر الاوربي
وله رأي فذ عن امريكا اذ يقول انها تعيش متطفلة على أوروبا فتأخذ منها
فنونها وعلومها دون أن تنتج بذاتها شيئاً من ذلك

يقرأ في الشاهنامة حنين الفردوسي الى عهد الزرادشتية وأما الف ليلة فهي
فكرة تقرب الى فكرك ما كان عليه عهد الرشيد من الميل الى الخلاعة

أما ابن بطوطة فلم يأت بشيء يستحق الذكر لان رحلته كان من السهل
جداً القيام بها في وقت كان التسول فيه من أسهل السبل ، لتيسر مشقة الانتقال
بين أمم لغتها العربية ودينها لا يفرق بين الاقوام الذين يعتقونه . ولأجل
أن تكتب مثل رحلة ابن بطوطة الآن ما عليك الا أن تسير في مجاهل السودان
الاسلامي ثم تقيده ما تراه

ظهر العنصر الآري قبل ٤٠٠٠ عام في أواسط أفغانستان والعنصر السامي
في أواسط بلاد العرب فكان لكل منهما لغة وعقلية مخصوصة . ومن مميزات
الآريين الاشراك والساميين التوحيد ولم يتوصل الساميون الى التوحيد
عن طريق العقل بل عن طريق الغريزة فقط ، فالآري الاغريقى آله للبحر
وآخر للاصـلات وآله للحرب . وأما السامي فجمع الاختصاصات كلها في
شخصية فردة أسماها « ايلوهم » أو الآلهة ومفردها « ايلوه » الله وبالتدريج
تعود على أن ينطق الاسم المفرد ليدل على الجمع وليس معنى ايلوه غير الرب
والسيد والملك وقالوا عنه أيضاً بعل ومولوخ وكل هذه المترادفات لها معنى
واحد . رأى الآريون الله في الطبيعة . وأما الساميون فقد فصلوه عنها وما

عليك الا قراءة أول سطر في سفر التكوين لتتحقق من ذلك « في البدء خلق الله السموات والارض » والسليويون أبعد الناس عن وضع الاساطير. وان من لوازم عقلية الاساطير التفلسف وهذا ما نرى له أثراً عند الهنود واليونان ولايس عند الساميين. وللحياة البدوية المسيرة بزعامة واحدة، والغير قادرة على اشادة المعابد العاجزة عن القرلة والكتابة دخل في ذلك. لان الاقتضاب كان لازماً في كل شيء ففكرة الله يجب أن تكون بسيطة والمبادئ الدينية كذلك أيضاً. فال سامي المحب للبساطة ومال البحث وراء نظريات عويصة بل ماله ومال النقش والتصوير. فذاكرته لا تحمل كل هذا. أليس تراها قد خلص أساطير بابل ليسهل عليه حفظها في ذاكرته وهو ينتقل من مكان لآخر ؟

* *

الفلسفة تجبر محبها علي التسليم بعدم وجود ما يمكن تأكيده والبحث عما وراء القبر هو بحث عما هو غير موجود (ولكن في مكان آخر يقول) يجوز أن يكون وراء القبر جزاء للروح تناله بقدر التضحية التي تقدمها أرواحنا

أما مرمى الطبيعة فكأن ظنه عنه أولاً طيباً ولكنه لم يلبث حتى شك فيما إذا كان للطبيعة مرمى لأن العالم رواية خص كل منا بدور يتقن تمثيله دون أن يشعر بأنه يفعل ذلك (ثم يعود ويقول) ان هم الطبيعة هو ايجاد التناسق والتوحيد

ان من المستحيل علينا معرفة المسبب الأول ومعرفة نهاية الانسان . ومع ذلك لا نتمنى ذلكم عنهما كثيراً بسبب وبغير سبب

الحق والطبيعة والجمال ثلاث يستحق العبادة لأنه يؤدي الى السعادة يجب ان نعمل الواجب دون ان ننتظر من وراء ذلك أى جزاء عليه يشكر الاب السماوى لانه لم يختر ان يجاوب جواباً شافياً على شكوكه حتى لا يكون الايمان الصحيح بلاجزاء ولا تصبح الفضيلة أمراً تخمينياً ولو كان الأمر الهاماً فقط لأملأت القلوب طامها ونجسها بالايمان على حد

سواء. ومعنى هذا انعدام حرية انتقاء الخير من الشر. فكيف اذن يبلو الله السرائر و يمنحنا الاتقس؟

كان فى شبابه متفائلاً ثم انتاب متشائماً ومع ذلك تجده يبحث «الاذكاء» على محاولة ان يكونوا متفائلين حتى يشاطروا بقية الناس ما يتنعمون به من السعادة

واليك مثل من تقدمه العالى

انجيل يوحنا يحوي حقائق تاريخية عن حياة المسيح . اما ما يعزى فيه الى المسيح من التناظر فيظن رينان انها لا تختلف كثيراً عما يعزونه لسقراط وافلاطون ومن رأيه ان يوحنا لم يكتب الانجيل المعزوا اليه . وفى انجيل يوحنا اختافت وجهة النظر الى المسيح تماماً. فلم يظهره الكاتب بالصورة التى تحاول اظهاره بها الاناجيل الاخرى، ففيه لم يصور المسيح بصورة انسان تعرض للتجربة والخطيئة بل كجوهر الهى حل جسم انسان ولم يمل نحو الخطيئة ابداً

كذلك لم يحاول كاتب انجيل يوحنا أن يثبت ان المسيح هو من كان ينتظرة اليهود بل صورته كصاحب شريعة تناقض شريعة « ياهوا » اله اسرائيل . ولم يذكر فيه أيضاً ان المسيح ولد وان له شجرة نسب وانه تألم . أما الذى كتب سفر ايوب فلم يسلم بنظرية « القضاة » القائلين بان الفلاح الدنيوى يلزم السيرة الحسنة والعكس من ذلك عدم النجاح فى الدنيا فانه يلزم السيرة الفاسدة

يقول ان أسس المسيحية واليهودية وضعها الناس ان هدم بيت المقدس من أقوى الأسباب التى أظهرت المسيحية كدين مستقل فبعد وقوعه انقطعت الصلة بينهم وبين اليهود فسنحت الفرصة بعدئذ لالتقاء المسيحية بذاتها فى حضن الدولة الرومانية

كان ملوك مصر الرعاة ساميين فلما طردوا وجلس على العرش مصريون استعبدوا بقايا الساميين خصوصاً فى عهد رمسيس الثانى (لويس الرابع عشر

المصري) ولكن لما ضعف خلفاؤه أفلح أولئك المبيد في الخروج من مصر . ومع ان رينان لا يجزم بوجود شخص اسمه موسى الا أنه يفترض وجود من يشبه عبد القادر الجزائري على رأس أولئك القوم . واحتفظ الساميون مدة وجودهم في مصر بسبغة معتقداتهم والصقوها بالهجل الذهبي والحية المقدسة وغيرهما من آلهة المصريين وكان لهم آلهة أسمرد « بهوا » وهنالايتما لك رينان من أظهار امتعاضه للدرك اندي هبط اليه اليهود عند ما فكروا في جعل بهوا آلهة وطنيا لهم دون آلهة المصريين . ذلك لانهم صوروه شريراً وجعلوا تعاليمه تحت عي الانانية الغدر والتوحش ثم يقول ولكن من حسن الحظ أنه لما استقر بهم النوي صرعت آلهة فلسطين الاخرى ذلك الآلهة السيء فحل مكانه « ايلود » الواحد الأحد الذي اكتب فيما بعد أحسن الصفات

انك تنهم حقيقة الملك سليمان عندما تقرأ أناشيده فملكته نسخة قديمة للمملكة لويس الرابع عشر الفرنسي لا أكثر

كان أنبياء بني اسرائيل أول من طالب المستبدين جهاراً بحقوق الناس هذه تتف من آراء المترجم بسطتها وأنا أعتقد بأنني أعطى القارىء فكرة عامة عنه

مات رينان وهو يؤكد لمن حوله بأنه سيموت سعيداً وأن ليس في الموت ما يخافه وودع امرأته قائلاً إنه لا مناص للاستسلام لحكم الطبيعة الذي يسري على كافة الموجودات

تأملات في الحياة والموت

تلخيص محاضرة الاستاذ دونان في المجمع البريطاني لترقية العلوم التي الاستاذ دونان خطاباً عنوانه « سر الحياة الخفي » بدأه بالقول أن قد تم للأرض تكوين قشرة صخرية منذ ألف مليون سنة ونيف. ظهرت فيها كائنات حية من نباتات وحيوان تطورت بالرقى شيئاً فشيئاً عن أسلافها البسيطة الضئيلة. وان نتاج هذا الرقى هو عقل الانسان. وقد كانت الحياة حقاً هي السر الخفي الاعظم ودراستها أكبر الدراسات جمعاء. وأن تفهم ظاهرة الحياة سيكون حتماً الفخار الذي يتوج هامة العلم وفي هذا السبيل فكل دراستنا ومعارفنا الكيميائية والطبيعية ما هي الا الخطوات التمهيدية فهل هذا الشيء الذي ننعت به بالحياة طفيل ساحر غريب منبع عمل منبعث بذاته وخارج عن حظيرة القانون أو ملاك هابط من كون مجهول لا سبيل لنا الى تفقه كنهه؟ وفي زماننا هذا أصبح علم الفسيولوجيا العام (علم وظائف الاعضاء) العلم الاساسي للحياة في تطبيقاته لعلوم الطبيعة والكيمياء البحتة والطبيعية وانا بمتابعتنا أبحاثها ودراساتها وسعينا المتواصل واصلون شيئاً فشيئاً الى حل معقدات هذا السر الخفي. فأكبر علماء الفسيولوجيا العامة شأننا بمحاولون بالتطبيق الدائب الدقيق الكمي الوصول تدريجاً الى تكوين عامل شامل لمجموع هذا العلم

ورغماً من الاستكشافات الهائلة الخاصة بالمجموع العصبي وقائدة الغدد اللاقنوية (Ductless Glands) والهرمونات (Hormones) فتفهم العلاقة المتبادلة الديناميكية المتألفة بين مختلف الاعضاء وأنسجة الكائنات الحية مازال يواجهنا ويعترضنا كأحدى أسرار الحياة الخفية. ففي نظام طبيعي كيميائي لا يختص بالاحياء بلغ بنا التفكير أنه لو عرفنا طرق العمل والعلاقات المتبادلة بين الأجزاء

المكونة لمجموعها وأحوالها وصلنا إلى تكوين كامل شامل لهذا المجموع فهل الوحدة المنظمة الديناميكية لكائن حي شيء مستحدث ومخالف لذلك اختلافا جوهرياً؟ فربما لو استطعنا أن نشاهد مشاهدة حقيقية وتتابع الحركات المختلفة ووجوه نشاط ذرة كيميائية مفردة مركبة تعمل في وسيط موجب قد يؤدي بنا للبحث إلى كشف شيء قد لا يكون مبيانياً كثيراً لذلك الكائن الحي. بيد أنه مهما كان الأمر لا بد لنا من التأكد من هذا الشيء وهو أن الحقيقة متى تبينت لنا سوف تنحصر في شيء قابل للقياس والتعبير الدقيق في قالب رياضي. ولو أنه لهذا الغرض الأخير قد يستلزم الأمر اختراع نوع جديد من الرياضيات الخلية الحية ما الذي يحويه غشاء خلية حية؟

هذا مكنون هيكل سر الحياة الخفي. فلو أتيح لنا أن نحلل ذلك ونفقهه لأمكننا أن نحل المسألة الأولى الهامة (وهي المسألة الحقيقية الوحيدة) في علم الفسيولوجيا العام. فدراسة طبيعة الخلية الحية ونشاطها والكائنات ذات الخلية الواحدة هو ميدان علم الحياة الحقيقي في يومنا هذا. فالخلية الحية تحوى نظاماً يعرف بالبروتوبلازما ولو أنه لم يتوصل إنسان إلى تعريفها بعد. فكل شكل من أشكال الخلايا في أنواع الكائنات يحوى بروتينا واحداً أو اثنين خاصين به. والعناصر المكونة الأخرى هي الماء والكlorيدات والبيكاربونات وفوسفات الصوديوم والبوتاس والكالسيوم بخلاف بعض المواد الأخرى خصوصاً تلك الأجسام الخفية المعروفة بالانزيمات التي تزيد التفاعلات الكيميائية داخل الخلايا نشاطاً ومن الغريب أن التفاعلات الخلية الحية تحوى داخلها بذور الموت وهي هذه الانزيمات التي يقال عليها Autolytic (أو اللاقطة القادرة على تكسير المركبات البروتينية وتحليلها بواسطة الهدروجين فأشباح الموت كامنة في كل وحدة من أجسامنا الحية بيد أنه ما دامت الحياة يقظة. فاجتاحتها مشدود وثاقها وأفواهاها الفاغرة المتأهمة مسدودة مغلقة

وهناك شيء على جانب عظيم من الأهمية والدلالة في المحلول الفروي

(Colloid) للنظام البروتوبلازمي مما لم يصل أحد الى كشف حقيقته . ولا مناص معه من وجود بناء داخلي تعطف فيه الذرات البروتينية كحلقات طويلة متحركة وجحافل مستعدة للعمل السريع المنظم . وفي حالة من النشاط المستمر وما زالت وظائف التأكد والتمثيل وطرده الفضلات قائمة بعملها بينما الخلية الحية تتبادل الجهود والمواد بينها وبين الوسط الذي تعيش فيه والتوازن الذي يظهر ثابتا لا حراك به هو في الحقيقة توازن ديناميكي او نشيط عامل .

الا ان معضلة تواجهنا هنا وهو انه اذا تقذ البزير في سيارتك وقف محركها . بيد أن الآلة نفسها لم تمت ولم تتفكك اجزائها مباشرة . ولو حرمت الخلية الحية من الاوكسوجين او الطعام ماتت وتحملت اجزاؤها فما السر في ذلك وما هو الموت الخلى به ؟ فاذرات والجزئيات والايونات ما زالت موجودة . وقد أبان لنا العالم ما « يرهوف » ان كمية الطاقة الموجودة في البروتين الحي ليست بأكثر منها في البروتين الميت . فهل تسرب دافع حي او قوة من قوى الاشباح وغاب عن أعيننا خفية

وهنا وفي هذه النقطة نفسها على الباب الذي يفصل ما بين الحياة والموت كان الفزيولوجي الانجليزى الكبير الاستاذ « هل » على وشك اكتشاف ذي اهمية قصوى إذا لم يكن قد توصل اليه بمد بالفعل . فقد ظهر من ابحاثه في الخلايا العصبية التي لاقاعدة لها وفي العضلات ان التركيب المنظم لهذه الخلايا هو تركيب يجمع بين الكيمياء والديناميكي يقوم بمداد هذه الخلايا بالاوكسجين (أى بالاوكسيد) لحفظ كيانها . وهذا النظام او التركيب الذرى من شأنه الميل الى التناقص والاقتراب من الفوضى الحيوية الكيميائية وانهار النظام . ويتطلب الأمر نأ كسدا مستمرا لحفظ هذا النظام الخاص او التركيب الذرى المنظم لحياة خلية حية . ولذا فالآلة الحيوية تخالف تماما كل الآلات الميكانيكية العادية وكما أنه قد يكون من التسرع القول الى أى مدى تسفر هذه النتائج عن أن تكون عامة بيد أن المحاضر يعتقد بمظيم

أهميتها وعموميتها. واننا قد بدءنا ندرك ولو ببعض الغموض لأول وهلة الفرق بين الحياة والموت. أي لب معنى الحياة نفسها وذلك لأول مرة في تاريخ العلوم .

أصل الحياة : واختتم الاستاذ دونان محاضراته بالقول ان هناك مدرستان من التفكير في أصل الحياة. احدهما تقول بأن الجراثيم الحية وصلت الى سيارتنا (الارض) بالصدفة تماما. والأخرى تعتقد أن الحياة نمت من مادة غير حية وذلك في ظروف وأحوال خاصة

وقد قام الاستاذ بالي من جامعة لقربول على سبيل المثال بتجارب عدة وأنتج مواد مركبة مصنوعة من عناصر. ولوتوصلنا الى تواصل تام واستدامة في الاحجام والنسب بين كل ما هو حي وما هو غير حي فهل هناك حقيقة نقطة يمكننا أن نقول عندها « هنا حياة » « وهناك لا حياة » بين أن ذلك سيكون من الأشياء التي ينطوى التصريح بها على الخطر والمجازفة في الوقت الحاضر. الا انه متى توفر الأمل توفر مع احتمال البحث العلمي. ومن ذا الذي يحد من اتساع مدي الاشتكشافات التي في مقدور العلم الاتيان بها في مستقبل الأيام !

لما قرأت نيتشة

للقائد الفرزدق : اميل فاجيه

من أعضاء الاكاديمية الفرنسية

يتفق غالباً أن يشرح الفيلسوف خلقه حين يبسط آراءه . ويتفق أيضاً أن يجعل الفيلسوف من عواطفه نقطة ارتكاز يستقي منها أفكاره . ولما كان موهوباً « بملكة تبديل تلك العواطف الى أفكار فهو يعمل من جماع تلك الافكار مذهباً » . وما المذهب الا الفكرة العامة للفيلسوف .
فاذا أحال الفيلسوف عواطفه الى فكرة عامة نظر الى ماحوله وتناول بالنقد كل ما يعترض تلك الفكرة . ويتناولها بالنقد الدقيق وبشدة لان مذهبه ليس في الواقع سوى عاطفة مستبدة به . وهو في غضون ذلك النقد يهتدى الى آراء مؤيدة لفكرته العامة

وتلك هي خطة السير التي اتبعها نيتشة في تكوين مذهبه . وهي خطتنا أيضاً في تعرفه ودراسته . وانما قرأت نيتشة بطريقة رسمتها لنفسى . وسواء أ كانت هذه الطريقة صالحة أو غير صالحة فلم يكن لي غنى عنها لقراءته حتى لانهاية . وأريد أن أقول قراءته ودرسه .

أظهر صنمات نيتشة الخلقية أنه كان مخلصاً ومتكبراً وشديد الوطأة على خصومه .. كان مخلصاً صادقاً يمت الخبث وذات الضمير غير المستقيم الذي هو ضرب من الخبث والمكر . كان مبتغاه أن ينظر في أعماق الآخرين بوضوح وبذلك الوضوح المطلق ينظر في نفسه أيضاً وفي المفكرات والمذاهب . وهو ماحله على السخر من المانيا التي تعد الغموض فضيلة . وكان من شأن هذه الصراحة الفكرية انها حضته على أن يرفع النقاب دائماً عن كل شيء . وان يتسائل على الدوام « ماذا وراء هذه الفكرة ؟ وماذا يخنى ذلك المبدأ . »

ولم يكن لديه شيء أهم من كشف العاطفة الداخلية وإظهارها مجردة .
ولقد افضت به صراحته الى ان يكتب ويقول اشياء مناقضة لفكرته .
العامة بل ان تلك الصراحة قد صبغت كل ما كتبه بصيغة الاعتراف والاقرار
كان متكبرا الى أقصى حدود الكبرياء مقتنعا كل الاقتناع بتفوقه الفكري .
وكان يعتقد انه اسمى تفكيرا من الجميع وتملكه هذا الاعتقاد الى حد انه كان
يرى ان كل ما كتبه انما كتب للمرة الاولى وان سائر الافكار التي اخرجت
للناس لا قيمة لها البتة . ولقد اعتقد ايضا ان الرأي المستغرب (المناقض
للمألوف) سبيل الى الحقيقة .

وانما تأتي تعطشه الدائم الى الاستقلال من تلك الكبرياء . لم يكن يطيق
اني نير او اي قيد لا من الناس ولا من الاشياء ولا من العادات المتبعة أيضا .
وقد اعترف بان طبيعته لم تخلق الا بحيث لا تطبق سوى العادات المتقلبة
حتى فيما يختص بحاجات الصحة الطبيعية .

وأخيراً تولد من صراحته وكبريائه نوع من الجرأة المحمودة والحرية
المقرونة بالشجاعة الادبية والاقدام على الجهر بالرأي جعله مشاكسا ميالا الى
الى العراك والكفاح . كان الرجل الذي يقول لك « اخطأت » من قبل أن
تحدثه . ويقول لك من بعد ان تحدثه « انا واثق من رأيي كل الثقة » .
ومن هنا تأتت كل متناقضات « نيتشه » . كان يتصف بالكثير من خلق
الفيلسوف « جوزيف دي ميتر »

كذلك كونت الطبيعة « نيتشه » فقد ولد المانيا دون ان يطلب ذلك
وألقي به باديء الامر في أحضان الرومانتيسم ومدرسة التشاؤم وفي
مذهب « فخر » . وقد عبد كل ذلك من قبل ان يتنبه لنفسه . كان « جونه »
« وشونيهور » و « فخر » اساتذته الاول بل معبوداته . ولقد تأثر
في البداية كل التأثر من الرومانتيسم الالماني الذي يختلف كل الاختلاف
عن الرومانتيسم عامة ولا أقول خيراً ولا أسوأ منه . وانما أقول انه مزيج من
الاحساس الرقيق والعاطفة الحارة ومن الحلم الحزين الحلو . ويغلب الشعور

على الخيال في الرومانتيسم الالماني . وانغمس نيتشة في التشاؤم الذي هو نتيجة طبيعية لذلك الرومانتيسم الذي طال مدى اعتناقه واستعماله والذي غمره ذلك الشعور ببؤس الاشياء الدوي .

وبقي فردريك نيتشة زمناً طويلاً متحمساً لموسيقى « فخر » التي هي في الحقيقة موسيقى حية تصور الحياة بما فيها من تهيج وثورة وكال . وتصورها على الأخص في طموحها الى الراحة .

وبالاختصار كان نيتشة رومانتيكياً كملت فيه كل عناصر المذهب . وقد لا يستطيع الفرنسي أن يتصور بوضوح معنى استكمال عناصر المذهب في الفكر . ونحن كلما بمدنا عن الرومانتيسم الفرنسي كان أظهر وأوضح . وازداد اقتناءً بتلك الحقيقة . وهي ان الرومانتيسم الفرنسي أشد وضوحاً ونظاماً وحياة وحرارة . وان أكبر ممثليه قد اشتركوا في تكوينه . وانه جد متفائل عند زعيميه الكبيرين اللذين رفعوا رايته . ومتشائم من ناحية ثورته لا غير . ولم يكن هناك فلاسفة يعربون عن القليل من التشاؤم الذي انطوى عليه . وما كان « كونت » ولا « رنان » ولا « تين » متشائمين وأخيراً لم تكن ثمة موسيقى رومانتيكية فرنسية بالمعنى الصحيح . وعلى هذا الاعتبار اذا اتخذنا الرومانتيسم الفرنسي مثلاً لوجب علينا أن نطلق على الرومانتيسم الالماني اسماً آخر . ولوانا اتخذنا الرومانتيسم في القرن التاسع عشر مثلاً للرومانتيسم الالماني لاحتوجنا ذلك الى أن نطلق على الرومانتيسم الفرنسي اسماً آخر .

ولست لدينا في فرنسا فكرة عما كان عليه الشاب الالماني الرومانتيكي حوالى سنة ١٨٧٠ ذلك الشاب الذي غمره الرومانتيسم من كل نواحيه وبكل تأثيراته يتلقاه في الشعر وفي القصة والفلسفة وفي الموسيقى وفي الحديث والوطنية ويسره أن يرى الرومانتيسم شيئاً المانيا في جوهره وأنه جزء من الذخر الوطني ومجد المانيا القومي . وكذلك كان فردريك نيتشة قبيل سنة ١٨٧٠ .

ولم يكن ذلك في مزاجه . بل ربما كان ذلك في مزاجه الى حد ما .

فقد كان ممرضاً سهل الانقياد الى الحزن كثير الغلو سريع التأثير بكل ما هو جليل وهائل . وهو الى ذلك مشتم لم يوفق الا بصعوبة الى ترتيب أفكاره ترتيباً مادياً . وهو ذاتي الى حد الشطط . شديد الميل الى الادب الذي يكون اقراراً واعترافاً .

على ان نيتشة لم يكن رومانتيكياً في كل ما فكر وكتب الا نسبياً . بل لقد كان في بعض أقواله مناقضاً لرومانتيكية . كان ذا فكر إيجازي . سيال الى القاعدة . وهو بكبريائه أريستوقراطي . واذا كان الفن مافتيء أريستوقراطياً فان الفن الرومانتيكي أكثر شيوعاً وهو يوجه الى العاطفة لا إلى الآراء . وقد كان نيتشة مستقلاً ومهاجماً . وبينما كانت المانيا كلها رومانتيكية اتخذ ذلك حجة للتحويل إلى مذهب آخر . فتحرر من التقيد بالجماعة . وقد ذكرنا انه يمتد كل قيد .

تحرر من تأثير فرنسا باديء الأمر ثم تحرر من تأثير اليونان . أما من جهة التأثير الفرنسي فقد قاده اليه « جوته » الذي كان يحبه حباً جماً . وليس من الممكن مع ذلك المبالغة في تأثير « جوته » على « نيتشة »

وانا لنتبين « جوته » في كل مناحي « نيتشة » وفي أدوار تطوره الرئيسية . وتلمح شبح « جوته » المضيء يفيض دائماً على الفيلسوف الحديث . ولقد كان نيتشه دائماً التجوال في افياء « جوته » محاولاً بنجاح أحياناً الى تخطي تلك الافياء .

ومهما يكن من تحرره من التأثير الفرنسي فقد قرأ « مونتاني » الذي امتدح مزاياه وطريقته في معالجة الشيء بعينه بأسلوب جديد أكثر من مرة . وقرأ « باسكال » الذي استشهد به كثيراً و« لاروشفوكول » الذي تولى بنفسه طبع « عظامه » بتعليقات مستفيضة . وقرأ « كورني » الذي تعمق في فهمه كل التعمق . و« فولتير » و« فوفنارج » و« لا برويير » و« شالفور » و« فوتينيل » و« ستندھال » . وقد فتنه أولئك المؤلفون وارشده الى طبيعة فكرته الحقيقية . ولذلك نستطيع أن نقول ان نيتشة كان كلاسيكياً .

فقد جرت يراعتة بسميغ الفن الكلاسيكي فقال انه ليس ثمة أدب ذاتي وازم متى تكلم التأليف فما على المؤلف إلا أن يسكت. كان من انصار الحقيقي . ولكن ليس كل الحقيقي : فان النائر المجيد لا يستعمل الا ألفاظاً من لغة الحديث ولكنه يحاذر أن يستعمل كل الفاظ تلك اللغة، وكذلك يتألف الانشاء البليغ — ولعل شاعر المستقبل لا ينشد الناس الا اشياء حقيقية ويهمل مادون ذلك من الاوهام واشباه الخقائق . وهو ماتجأت فيه قوة الشعر القديم . والحقيقة المرغوب فيها انما هي الحقيقة المختارة . ولقد نعثر على نظرية كاملة للفن الكلاسيكي الفرنسي مبعثرة الاجزاء في تآليف نيتشة وهو منذ ان وثق من ان الوضوح والترتيب والاختيار — من قواعد الكلاسيك — قد كان شبه وحى انزل عليه ففتنه واستاثر بلبه فعبد طريقة القدماء . وآلى على نفسه ألا يحترم طريقة أخرى .

تري هل فرنسا هي التي قادته الى اليونان أو أن اليونان هي التي اعادته فيما بعد إلى فرنسا ؟ الظاهر أن نيتشة درس الاغريق والفرنسيين في وقت واحد . قال إنا حين قرأ « مونتانية » و « لاروشفوكول » و « فونتينيل » وعلى الاخص كتابه « محاورات الموتى » « وفوفنارج » « وشامفور » نصير اقرب الى التقدم منا لو أننا قرأنا ستة مؤلفين آخرين من شعب آخر . فان أولئك الكتاب الفرنسيين قد أحيوا بتآليفهم روح القرون الاخيرة للعهد القديم . وان اجتماعهم ليؤلف حلقة هامة في سلسلة النهضة « رينسانس » العظيمة المتصلة . فقد ارتفعت تآليفهم فوق كل تغيير طرأ على الذوق الوطني وفوق الالوان الفلسفية . انها لتحتوي على أفكار حقيقية تفوق كل ما احتوته كتب الفلسفة الالمانية مجتمعة ولو اني أردت أن أصيغ لها مديحاً قريباً الى الفهم لقلت انها لو كتبت باليونانية لكانت مفهومة من اليونانيين . » وبتقدار ما اثني « نيتشة » على وضوح الفرنسيين انتقد بمرارة غموض المفكرين الالمان ومبالغتهم وخشولتهم . وخص بنقده « جوته » و « شوبنهاور » . ويبدو من ذلك ان تأثر نيتشة بالفرنسيين نباهه عن الرومانتيك الالماني بل لقد ابعده عن المانيا نفسها .

منذ ذلك الوقت جعل نيتشة يتساءل عما إذا كان لدى ألمانيا كتاب كلاسيك اعنى كتاباً عباقرة غير محدودى الفكر ذوى آراء عامة لاصلة لها بمصر ولا بمكان. وقد سيطروا على المستقبل بسمو افكارهم وقوة تعابيرهم لكي يبقوا على الدهر. ولكي يظلوا عظماء لا تختفي انوارهم من بعد خمسين سنة من موتهم. ومن الممكن ان يكون « نيتشة » قد ابتداءً ينكر وجود اولئك العباقرة. وفي رأى له جاء في كتابه « انساني جد انساني » للآداب الالمانية سنة اجداد عظماء قد شاخ من بينهم خمسة حتى لا مرد لشبابهم. واستثنى منهم « جوته »... ولكن ماذا أقول عن الخمسة الآخرين ؟ لقد شاخ « كلوبستوك » فى حياته. ولم يعد احد يقدر اى قيمة جديدة لكتاب حياته التفكيرية « جمهورية العلماء ». وكان من سوء حظ « هرذر » انه كتب تأليف جديدة لم تلبث ان طوتها الشيخوخة. واما « فيلاند » الذى بث الادب الالمانى بعثا جديداً فقد خبا تأثيره بموته. وما زال « ليسينج » حيا الى اليوم. ولكن بين شلب العلماء فحسب. وقد خرجت تأليف « شيلر » من ايدي الشباب لكي تسقط بين ايدي صغار الصبية الالمان الخ

وكذلك كان يزداد نبو « نيتشة » عن ألمانيا بل عن الثقافة الجيرمانية وصار يشعر بالانقياد الى مواطن الوضع واجواء الحرية. فى ذلك الوقت حوالى سنة ١٨٧٠ - اهتدى الى اليونان. ترى هل كان حدث لديه الميل الى الثقافة الاغريقية « اليلينيسم » وهو بعد طالب فى الجامعة ؟ انه ليهمننا ان نقف على حقيقة ذلك. على ان التربية الفكرية الوحيدة ذات القيمة انما هي التربية الثانية التى يعطيها المفكر لنفسه. وان الميل الحقيقية، الميول العميقة التى تبقى مدى الحياة هى التى تتكون من سن العشرين الى الثلاثين وقد ذكر نيتشة فى مقدمة كتبه « اصول التراغوديا اليونانية » انه تعشق الثقافة الاغريقية حوالى سنة ١٨٧٠. وان تعشقه العميق لها بلغ حد العبادة وكان ذلك بالنسبة اليه مطلع فكر جديد. بل لقد كان اطلعه على الادب الاغريقى بدؤ الازمة الفكرية والادبية العظيمة التى اتت به

ولقد أراد « نيتشة » ان يقف على الاصول العميقة لفن التراغوديا عند الاثينيين . الاصول السيكولوجية لذلك الفن والحالة النفسية التي يوجد بها عند الذين يعالجونه مؤلفين كانوا أو ممثلين . فاستطاع أن يكون فكرة — غير صحيحة في نظري — ولكنها مبتدعة وهامة وغزيرة النتائج عن الروح الاغريقي . وتمثل بهذه الفكرة وقتن بها وجعل منها مذهباً فلسفياً واجتماعياً وخافياً . وفي الحقيقة ان « نيتشة » كله في كتابه « أصول التراغوديا الاغريقية » .

أما الفكرة التي كونها « نيتشة » بسد محاولات وغموض غير قليل عن الفن التراجيقي الاغريقي والروح الاغريقي فانها تتلخص فيما يلي :

كان هناك عنصر بشري لم يحب غير الجمال والحياة . وقد أحب على الاخص الحياة . الحياة القوية المرحية المتجسمة المقرونة بالظفر والمجد . وهو ما يطلق عليه اسم الروح الاغريقي . الا أن ذلك العنصر أحب ايضاً الجمال والبراءة ونبيل الموقف والاباء والشمم وهدوء النظر . وهو ما يطلق عليه اسم الروح الابولينية (نسبة إلى ابولو) . وتجتمع هاتان الحالتان في المخلوق الاولمبي . والاوليب هو مقر المخلوقات السامية . الاحياء الذين أوتوا غاية القوة ومنتهي الجمال . والذين أوتوا النعيم المقيم . خالدين مرفهين بكل ملاذ الحياة الابدية . فالاولمبي هو المخلوق السامي الذي اجتمع له الجمال والنبيل والعظمة والخلود . هو نموذج اليوناني وقد توخى اليوناني في حياته وفي فنه الاقتراب من ذلك المثل الاعلى . وعمل على ان تجتمع في الطراغوديا حالتا العنصر الوسط والعنصر الاولمبي . وقد وضع الحالة الاولى في الاناشيد والحالة الاخرى (الابولونية) في الاشخاص . وعلى كل حال فقد توخى قالباً من قوالب الفن اجتمعت فيه الحياة والجمال واتحاداً عميقاً . وحيث تبدي الجمال حياً متحركاً عاملاً . وحيث تجلت الحياة في الجمال . وفي الجمال دائماً وفي كل ضروب الجمال . الموسيقى والشعر ونبيل المواقف اتحاد صميم للحياة والجمال في التراغوديا اقترب به الاثينيون إلى المثل الاعلى الاولمبي .

وحتى في حياتهم بالذات سعى الاغريق في تحقيق ذلك الاتحاد الذي كان امنيتهم . حققوه في عملهم الحربي (الفتوحات) وعملهم السياسي والاستعماري وعملهم الاداري . وكانوا يحملون مع كل ذلك الفن دائماً . فن الشعراء . وفن الحفارين . والمهندسين . وفن المصورين . ولقد تمضت اليونان حياتها وفنّها على العالم ، وكانت ترى العيش في الجمال الغرض الاسمي . وأرادت ان يعيش العالم على مثالها . يعيش في الجمال . ذلك كان شغافها وإرادتها الدائمة .

ومن الممكن ان نعد التراغوديا الاثينية الواسطة الى ذلك . بل لقد كانت الصلة بين سماء اليونان وارضها . وكانت التراغوديا الاوليمبية تقول للناس . كونوا اوليمبيين . لتكن الحياة والجمال على الارض كما هما في السماء (الاوليمبي) . الحياة والجمال السماوي ترشد اليهما التراغوديا على الارض .

— ولكن ألم توضع في التراغوديا اليونانية اشياء كثيرة . أ ولم يسمع الاثينيون إلى شيء آخر في تراغوديا غير استمطار الدموع الغزار كما قال « هوميروس » وارضاء حساسيتهم ؟

قال « نيتشة » : كلا . حسبك ان تقرأ « أفلاطون » و « ارسطو » لكي ترى كيف كان الاغريق يفهمون الطراغوديا في جوهرها حتى في حالة عدم اتفاقها فلقد نفي افلاطون الشعراء من جمهوريته خشية ان يعتري التلذذ العنصر اليوناني القوى المراح . خشي على اليونانيين من تأثير مبالغة الشعراء في التباكي والعويل المصطنع . ولكن جاء ارسطو على تقيض أفلاطون دائماً ودافع عن تراغوديا مؤكداً أن التأثير في الناس بأشياء مصطنعة يطهرهم من تلك الحساسية الكاذبة التي يصطنعها الشعراء . ويرجعهم إلى الحياة القوية المريحة . ويتبين من هذين الرأيين أن الحكماء إنما ارادوا عنصراً قوياً عاشقاً للحياة وكلاهما أراد أن لا يكون للفن تأثير مما كس فيضعف ويخمله .

واضاف « نيتشة » إلى ماتقدم أن ذلك الذوق في العنصر اليوناني إلى الفن الابوليني إنما هو ذوق مفعم بالتأثير الحزين المروع مظهر لاجوس

الانسانى . دال على أن لاخوف من وطأة ذلك البؤس والألم على العنصر اليونانى القوى .

وأنه لا يتطلب خواتيم مفرحة . ولا أكاذيب متفائلة . وانه عنصر واثق من نفسه كل الثقة بحيث يرى البؤس الانسانى ويجد فيه مسرة تنطوى على الجمال الغنى لا تؤثر فيه اى تأثير موهن . وأنه من الممكن ان يسر برؤية البؤس الانسانى سرورا يتفق مع رجولته وقوته . تأثير صحى يتخطى به « المقابر الى الامام » حسب تعبير « جوث » . ولم يكن العنصر اليونانى يتطلب من الفن عزاء ولا مخدر انما كان كسائر العناصر القوية يستسيغه على انه علاج مر ومطهر .

تلك هي الفكرة التى ظفرت بها « نيتشة » عن الفن الاغريقى . وهى التى تأملها فزعزعت عقيدته فى كل ما حصل عليه من المعلومات . فلقد علموه الروماتيسم الالمانى اى فن الاسى والعيول . فلما اهتدى الى التراغوديا اليونانية رأى عنصرا قويا وفنا للجمال بعيد الغور شديد الاتصال بالحياة القوية المنبعثة . وهو ما يناقض الروماتيسم وقد علموه التشاؤم اى الاعتقاد بان الحياة شر . فلما اطلع على ثقافة الاغريق رأى فنا وعنصرا ثملا بحب الحياة . فنا وعنصرا متشبعين بالتفاؤل

علموه موسيقى فتن بها فى اول الامر ولكنه صار الآن يحجبها لضعفها وانوثتها . وقد اطلع على فن وعنصر حيث يستشعر من الموسيقى روح الحياة المتحمسة الشديدة وحيث تقترن بضروب من الرقص الدالة على الرجولة والفرح والبطولة فاحس نيتشة بان عقيدته فى معلوماته الاولى قد تزعزعت وانهد ركنها .

ولم يكن ذلك بلا اسف احس به « نيتشة » حين ارجع البصر ككرة الى الوراء . صار فى حالة ازمة . فانه برغم كبريائه ومزاجه المشاكس الميال الى العراك عهد الاسف الذى يحسه المرء حين ينفصل عن بلده او عن حزبه او ناديه . اسف لم يسلم من الشهور به اى انسان ذى شخصية . تقول انه برغم

كبريائه لم يكن يخلو من وداعة واحترام للمعلم يتميز به كل تلميذ ألماني . ولم يلبث ان حذر نفسه من كل التأثيرات التي ثقلت وطأها وتجرد بالشجاعة الاصلية فيه من كل سيطرة للأفكار التي حصلها . واخذ يواصل طريقة بمفرده قال « ولما ابتدأت السير بمفردي جعلت انتفض . ولم يفض على وقت قصير حتى مرضت ومللت البقاء في حالة الوهم الذي تكابده نحن معشر المعاصرين وسط كل ما يثير حماسنا .

مللت واشمأزت نفسي من التخلف والتسوية والحماسة الفارغة في ذلك الرومانتيسم . وتلك الاكاذيب الايديالية واضعاف الضمير المتغلب على التأثيرات الشائعة في العصر الحاضر . واحسست انه قضى على أن اكون أكثر انفرادا من ذي قبل .



دعا نيتشة الناس جميعا الى حب الحياة . الحياة القوية الفعالة . وحب الجمال المنطوي على القوة . قال « ابذروا الحياة في كل مكان . والى الحياة وجهوا جهودكم . ضعوا أكبر مقدار من الحياة في هذا العالم » ولم يكن نيتشة سوى صورة مهتاجة من « جوث » وظل يعتقد انه اذا كان للعالم حاسة فانها حاسة الجمال ولا يمكن أن تدرك الا على أنها مظهر للارغبة في الجميل . وايس هناك من يفهم الحياة غير الفنانين . ونحن اذا أردنا في آخر الامر أن تفهم العالم على اعتبار أنه مظهر للعدالة أدركنا في الحال عقم مجهودنا لانه من الثابت أنه ليس في العالم مظهر للتعدل . واذا أردنا أن تفهم العالم على أنه مظهر للخلق الحسن لم نلبث أن نرى رجاءنا قد ضل لانه ينبغي لنا أن نتفق على أنه ليس في العالم ظل للاخلاق . واذا أردنا أن تفهم العالم على أنه مظهر للصالح والطيبة وان تقول مع افلاطون « ان الله خلق الدنيا طيبة منه وكرما » انحدرنا إلى مهاوى السخر لأن من المحال إدراك أن قوة عظيمة تخلق المخلوقات طيبة منها لكي يتألموا .

الا أن الاعتراضات تندرج ووجود المحال تتلاشى حين ننظر الى العالم على اعتبار أنه مظهر للجمال . وأما مسألة الشر في الارض فانها لا تكون متى قلنا ان الجمال سبب الوجود . والجمال وحده ينزه الخالق من كل شيء لانه فنان . قال أنه لا يمكن أن يكون الوجود منزهاً إلا اذا اعتبرناه مظهرآ للجمال وان العالم الذي لا يقبل الادراك على اعتبار أنه مظهر للعدالة وللصلاح والخلق « موراليتي » يصير قابلاً للادراك متى نظر اليه على أنه مظهر للجمال وهو الجمال في اسمي مظاهره (وقد ناقض نيتشة هذا الرأي فيما بعد . على أن متناقضات نيتشة يمكن الفصل فيها) والاحساس بالعالم انما يكون في تتبعه والاتجاه اليه . الاتجاه الى الحياة والى الجمال والى الفرح . وانه ليس أجل من الاتصال بالارض وعدم الاعراض عنها والاخلاص لها .

« استحلنكم أيها الاخوان أن تخلصوا للارض . ولا تصدقوا الذين يزنونكم بآمال فوق الارض انهم يدسون لكم السم من حيث لا تشعرون . انهم ممن تعبت منهم الأرض لانهم يعيشون بحياتهم وحياة الناس . اخواني . كونوا مخلصين للارض بكل ما عندكم من فضيلة واحبسوا فضائلكم عن التحديق الى أسوار الابدية فكم من فضيلة ضالة بين الارض والسماء . فاعيدوا مثلي الفضيلة الضالة الى الارض .

وقد رأي نيتشة ان واجب الانسان ان يترقى الى ذاتيته ان يصل الى ما يحس أنه قد صار اليه . والغرض أن نجيب دائماً نداء الوجود . وليس الغرض أن تقبله على علاته لان ذلك ضرب من احتماله . الغرض أن نحببه وان نعتقه بشغف .

وفي الحقيقة اننا اذا فكرنا في التشاؤم ومذهب المثل الأعلى « الايدياليسم » والمسيحية وسائر وجوه التجرد من العالم كما هو لما رأينا فيها غير صور الاتجار انما على الاقل من عوامل التفرقة . ان الانسان لينتقل من الحقيقي الى الخيالي كما ينتقل الشعب من المدينة الى الجبل المقدس وهو انما يسميه مقدساً مجرد انه يعتزل فيه . لانه ضريح .

وشأننا في الوجود أن نقبله بسرور وان نذهب في مذهبنا وان
نساعد علي ترقيه ومجد حركته وانزانه وتاسبه . قال « إني لأرغب في
الدنيا كما هي . وأرغب فيها دائماً . ولا أفناً أقول » :

هات : ليس لي وحدي بل لجميع النظارة
علي أنه لا يكفي أن نرضى بالدنيا لكي نرضى بك . يجب أن تكون
مستعداً لحبها وكفاحها في وقت معاً .

ولقد تنقلب هذه القاعدة للحياة ضدك . فانك حين تسعى للحياة القوية
المتسعة المدي تلتقي العناء والالم والجرح . ولكن اليس التفاؤل التام الصحيح
يحمل معه الشر ؟ اذن يلزم أن نعيش في خطر . (وهي أجل عبارة نطق بها
فهم إنساني) يلزم أن نعيش في خطر لكي نتذوق الحياة في أكمل صورها
بل لكي ندري ماهيتها .

« صدقوني ان السر في أن تحصدوا من الحياة اكبر مقدار من السرور
انما يكون في التعرض للخطر . شيدوا مدائنكم على مقربة من « الفيزلاف »
ارسلوا سفنكم الى البحار التي لم يجزها أحد . عيشوا في حرب مع أمثالكم
ومع أنفسكم . اغتصبوا بالقوة مالا تستطيعون امتلاكه أنتم يامن تنشدون
المعرفة . وسرعان ما يمضي الزمن حيث تسرون بالحياة مخيفين وسط الغابات
مثل الخرافات الشاردة »

اما الموت فلا مزية فيه . انه جزء من الحياة . وغايتها وجزائها . واذا
كان هو آخر شعلة من الحياة فانه اسمى شعلة . قال « ان اجل حياة للبطل
هي ان ينضج للموت في ميدان الكفاح » ألا ايها الموت : اين مجدك ؟
لعمري اني لا اراه . اني لا تنصر واكون مجيداً بالموت .

ولقد خص نيتشة نصف كتاباته تقريباً بتمجيد الحياة وحبها . وهو ما
لا يحتاج الى شرح . وهو جميل من وجهة الفن . حب الحياة في الجمال والجمال
في الحياة .

والى هنا لا تزال فكرة « نيتشة » عند حدود العاطفة . ولقد سحره
 كمنان جمال الحياة الاغريقية كما فهمها فصار عاشقا للجمال والحياة الطائفة
 القوية . وتوصل من ذلك الى شعوره العام بالوجود . وانه لا بد للانسان
 من ان يعيش بكل قواه وان يخلق الجمال الحي في شخصه وفيما حوله
 باستعمال قواه كلها استعمالا جريئا . وهو رأى صائب .
 ولم يفت « نيتشة » ان يلاحظ جميع العوائق التى تحول دون الحياة
 فى القوة وفى الجمال . الحياة كما اطلع عليها فى تاريخ الانسانية الاغريقية .
 وقد تناولها بالهدم دفعة واحدة . ومعنى تناولها بالهدم انه برهن على استحالة
 أو سوء نتائج وظلم ما اشتملت عليه النظم والآراء الانسانية من معارضة
 التفاؤل ومنع الانسان دون أن يعيش فى حرية وفرح وقوة وبطولة وجمال .
 اما تلك العوائق فلا تكاد تحصى . أولا : احجام الانسان وتردده فى البحث
 عن الحقيقة . احجامه وتردده امام المعرفة . فلسنا لعمرى مفكرين صادقين
 صريحين . انا لتخوف من الحقيقة . بل ربما كنا نمتقها كما قال « باسكال » .
 ويندر أن نتناول الحق بجرأة . ذلك لانا نعلم انه لا يخلو من أخطار . واخطاره
 توازي مسرانه . وانه لمن الممكن أن نكتب تاريخاً لم يكتب وهو تاريخ «دون
 جوان المعرفة » . وليس هو تاريخ « مونتانية » ولا « سانت بييف » ولا
 « رنان » . إن التاريخ الكامل لدون جوان المعرفة انما ينحصر فيما يلي
 « لقد أخطأه حب الاشياء التى اطاق عايرها والسكنه ذو عقل وشعور جم »
 فنعم بسيد المعرفة وطاردها إلى أقصى الكواكب واسماها (وهذا يتف
 تاريخ « مونتانية » و « سانت بييف » و « رنان ») وحتى لم يبق لديه فى
 آخر الامر شيئاً يصيده إلا ما هو جد مؤلم فى المعرفة مثل المدمن الذى ينتهى
 الى شرب « الابسنت » ممزوجاً بالماء . وهو من أجل ذلك ينتهى به الامر
 إلى الرغبة فى الجحيم وتمنيه . وتلك لعمرى آخر معرفة تفتنه . وإذ ذاك لا بد
 له من الوقوف عند حدود الابد . إذ ذاك يصير نزيل الحجر . ويتمنى عشوة
 من ليل المعرفة . عشوة لن تهبط اليه قسمة ! لان دنيا الاشياء بأسرها لن
 تجد بلغة تعطيها ذلك الجوعان المتعطش »

وانه لمن السهل أن ندرك ذلك التخوف من الخيبة التي توقف الانسان عند بداية البحث الشخصى عن الحق . ولقد نهتدى في هذه الدائرة الى الجبن العام للانسان . إنه جبان أمام الحقيقة . ولكنه لا ينبغي أن يكون الانسان جباناً لان خشية الهزيمة انما هي في الواقع هزيمة قبل خوض المعركة . انما يتحتم البحث عن الحقيقة ببسالة وبحب جم لها . حب سابق للمعرفة يوازي حب ذلك الامير الذي تعشق أميرة بعيدة لم يرها . وليس للحياة معنى في غير البحث عن الحق . وانا لن نظفر بالحياة صالحة طيبة الا منذ الوقت الذي تذوقها فيه على هذا المعنى قال نيتشة « كلا » . ان الحياة لم تخب رجائي : لقد وجدتها أغنى مما كنت أظن وأحب الى نفسي وأشد خفاء منذ اليوم الذي علمت فيه أن الحياة يمكن أن تكون تجربة لذلك الذي ينشد المعرفة . وتكون مجرد تجربة لا واجباً ولا قدراً محتوماً ولا خديعة . وان المعرفة تفسها التي تكون للآخرين سريراً للراحة أو سبيلاً الى الراحة والاهو انما هي عالم مليء بالاخطار والانتصارات حيث يكون للعواطف الجريئة الباسلة مقامها في الرقص وفي اللعب : لعمرى أن الحياة وسيلة للمعرفة وبهذا المبدأ حين نجعله في صميم القلب لا نستطيع أن نعيش ببسالة فحسب ولكننا نعيش أيضاً في فرح ومتاع . وكيف نريد أن نسر وأن نضحك ونبلغ الغاية في الاستمتاع والفرح اذا لم نرد في بادىء الامر الحرب والفوز؟ .

انما يلزمنا أن نبحت عن الحق بصدق واخلاص وان تعشق الحقيقة لذاتها مهما كانت . بل ينبغي أن نحبها لذاتها وانما لكي نعارضها ونعاديها . ولا بد للانسان من أن يناقض نفسه .

وحسب هذا الرأي أن يفسر متناقضات نيتشة — وهو انما يناقض نفسه عن صدق واخلاص . ويلزم ان يتقبل المرء تقيض رأيه ونقص ذلك النقيض وتقدير قيمته .

على أنه ينذر أن يكون في الناس ذلك الاخلاص في البحث عن الحقيقة . وهم بوجه عام يريدون أن يخذعوا ويخذعوا . ولقد ضرب نيتشة المثل

بصدقه وإخلاصه في البحث عن الحقيقة . وفي رأيه ان الانسان شقي وانه يحتاج الى ألا يزيد في شقائه بدم اخلاصه للمعرفة . وان حب ما ليس بالحق أو الجبن في تمحيصه عائق ضد الحياة في القوة وفي الجمال . وأنه يتحتم القضاء على ذلك العائق .

ثم أشار نيتشة الى العادة فوصفها بأنها تعترض الوصول الى الحق والى المعرفة بل الى الحياة القوية المميزة بالجمال . وقد أراد بالعادة ما يسمونه بالتقليد « تراديسيون » . فان الانسانية تعيش في ماضيها الذي تلقته بالعادة . وان ذلك الماضي ليس سوى خطأ محض . قال ان الانسان يربى باخطائه . وان تلك الاخطاء قد صارت أساساً لطبيعته لا يستطيع ان يتجرد منها . وانها تدوم وتطول وتصادف حقائق تختلط بها وتختلف بذلك اخطاء جديدة أشد خطورة مثل كل خطأ يمتزج بالحقيقة ويحمل على شيء من التصديق . وان نشأة الانسان باخطائه يجعله يحى حياة ناقصة مبتورة . ومن هنا كان ادراكه لقاعدة للحياة لا تقبل التطبيق أو تطبق تطبيقاً سيئاً وتساعد على أن تعطيه فكرة ناقصة عن نفسه . ويقال من جهة أخرى انها تساعد على خلق الصفات الخيالية مثل المقدرة على النظر الى المستقبل او ادراك ما فوق الطبيعة . ومن شأن هذه الاخطاء ان تثمر قواعد للحياة تبقى مع الانسان وتعمل على خدعه وغشه .

ويشعر من جراء ذلك ايضا انه في علاقة كاذبة بالطبيعة والحيوانات . ويحس بانه جد مختلف عنها . وان ثمة تباين عظيم بينه وبين سائر الطبيعة . هذا الخطأ او النظر الكليل يوجهه في اتجاه غير صادق . اتجاه مضل .

ويكاد يكون الخطأ مهد للانسان . ومنشأه يرجع الى العادة التي تحفظ في الانسان المذهب كل ما هو طبيعي ولازم للانسان الفطري .

وليت الامر كان مقصوراً على العادة . فهناك ايضا اللغة . اللغة التي هي لسجن الفكر . اللغة التي تسجن فكر اناسي اليوم في فكر اناسي الماضي . اذ لا تبيح للمحدثين ان يعربوا عن آرائهم الا في الفاظ الماضين . انها لا تهب

فكرتني حين تصدر الا المنفذ التي صدوت منه افكار اجدادى الغابرين :
لقد تضطرتني الى اخذ رأى ديكرت للاعراب عن رأى : فاللغة عامل محافظ
على الاخطاء القديمة او الحقائق القديمة . انها لخطر عظيم على الحرية الفكرية
ولعل اهم عائق انتقده « نيتشة » وانهم من اجل ذلك بانه فوضوى انما
هو المجتمع الحديث . ولم يكن « نيتشة » فوضوياً ولا عدوا للمجتمع .
ولكنه رأى بحق ان كل المجتمعات الحديثة بل كل المجتمعات منذ زمن
طويل تعترض مذهبه على خط مستقيم : وتعترض مذهبه بطبيعة تكوينها
ونظامها نفسه . فان المجتمعات العظيمة ملكية كانت او ديموقراطية لا ترمي
الى جعل الانسان يعيش في حرية وفي قوة وجمال . انما غرضها ان تساعد
على أن يعيش اكبر عدد ممكن من الناس : وهو ما يدرك من سيرها العام
ولا قدرة للمجتمعات الحديثة الا على تمكين جميع الناس من حياة بسيطة
محدودة تعين على التوالد والتكاثر وأن يكون لكل مركزه الصغير
وكوخه ودائرة تطوره المحدودة ولعل المثل الاعلى لكل مجتمع من تلك
المجتمعات لا يتعدى المثل الاعلى لمدير احدى المستشفيات الذى يقيس درجة
الهلواء الذى لاغنى عنه للمرضى .

وقلما تهتم المجتمعات الحديثة للنوع مقدار اهتمامها لاكم . انها لا ترغب
فى عمل شئ عظيم ولا جميل حتى ولا صالح انما ترغب فى اخراج كثرة
عددية .
(للكلام بقية)

التفكير والاعتقاد

عن وه. ولينسون

لا يجهل الناس حقيقة شيء أكثر مما يجهلون حقيقة دينهم فهم يقادون منذ طفولتهم قسراً لينهلوا التعاليم الدينية وسيف النعمة مساط فوق رؤوسهم يتحيلونه على وشك فصلها إذا هم لم يتظاهروا باستغائه ما يردونه من ماء القداسة . هكذا ينشأ الظنل واجفوا إذا ما كبر غرس بذور الرهبة في قلوب صغاره فيصبحوا مؤمنين ليس عن اقتناع نتج عن تفكير حر بل رهبة من نار السعير

وإذا ما خالج انسان الشك قال المتدينون ان ابليس قد تقص الشاك والويل لهذا التعيس اذا لم يخف شكه واصبح مرثياً يوم الناس بانه قديس . ليس من أكبر المصائب أن يجبر الانسان على وأد إدراكه وهو الامر الوحيد الذي يتميز به عن سواده من الحيوانات ؟ ان لرجال الكنيسة جواب واحد على أسئلة « لماذا وكيف » وهو ينحصر في الحث على الصلاة وطلب المغفرة . والويل للانسانية اذا وقعت صريعة الايمان اذ تصبح ضحية الجهل والتعصب المخجلين كما كان الحال كذلك في المبدأ وكما صارت اليه الانسانية في عصور أوروبا السوداء فان ما ارتكبه محاكم التفتيش من المخازى والمظائع ليس الا نموذجاً — مصغراً — لما كان يجري في العصور الدينية حين كان الجهل سائداً والاضطهاد حاكماً

ان في محاولة الضغط على التفكير الحر مثل للتقدم والمدنية ان لم يعن ذلك دفع البشرية الى التقهقر وجعل البشر قطعاناً كالماشية تتبع من يقودها الى لا قصد والى لا غاية وانه لمن المدهش أن نرى الناس في هذا العصر الذي لم يعد (للخازوق) ولكسر العظام وللحرق سيطرة فيه متمسكين بمراسيم

الاديان ظاهراً ، ليس خوفاً من رجال الدين فهم محتقرون وآرائهم سخيفة لا ينازع في سخافتها أحد ، بل من باب العادة فقط وارضاء لغريزة القطعان المتسلطة على الضعفاء . اليس من الغريب أن نجد الاباء يحرصون أولادهم على المراءات وبمعنى آخر إلى عدم احترام النفس ؟ اليس من اكبر المصائب ان يخاف العاقل من مواجهة الحقيقة وان يتظاهر بالغنى والجهل والسخف كي يرضى أمثاله من الجبناء الذين يخشون الظهور أمام بعضهم بحقيقة ما يعتقدون . هناك فرق بين « جرب وابحث » وهي صيحة العلم وبين « آمن وصى » وهي صرخة الايمان وانك إذا شككت في قصة بقاء يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام اعتماداً على البراهين الحسية والاختبارية محتقرك الناس ادم تصديقك ما يحويه كتابهم المقدس كلمة الله المنزلة من لدنه ويتساءلون مندهشين كيف يجراً صعلوك مثلك على الشك فيما قاله الله واذا سألتهم كيف علموا ان هذا الكتاب منزل من عند الله غضبوا واستخفوك واذا تنازلوا أجابوك باحتقار قائلين انهم علموا ذلك من الكتاب المقدس وعبثاً تحاول نفهمهم بان الاستشهاد ببعض ما يطلب اثبات صحة كاه ليس الا لغوا قالوا إنه ليس بالمعقول أن يخطيء السلف وتكون أنت وحدك المصيب . ولكن لا ينفي هذا ان المطلوب هو اثبات تنزيل الكتاب قبل أن تهتموا الناس بمخالفة ما يقوله الله العليم (خففوا من حماسكم واعلموا - اذا كنتم تجهلون - ان الكتب مملوءة بخرافات ومتناقضات لا يستيفها العقل) ألا خففوا من حماسكم ودعونا نسير الطريق أمام الافهام لتقوم بعملها أحسن قيام .

وقد يسألني سائل للاتيان بانموذج من الخرافات والمتناقضات الممثلة بها الكتب المقدسة وأنا أرحب بهذا الطلب وأجيب

ذكر في سفر التكوين (من التوراة) الذي تعزي كتابته لموسى ان العالم بدأ عام ٤٠٠٤ ق . م أي كاد ان يكون عمره ستين قرناً لا اكثر في حين ان العلم يقدر عمر الارض بنحو ٢٠٠٠ مليون عام وتوصل العلماء الى

حكمهم هذا من تقديرهم لعمر الصخور بحوالى ١٦٠٠ مليون عام وكانت الكرة الارضية قبل ذلك جسماً ملتبهاً أخذ يبرد شيئاً فشيئاً وبدأت فيه الصخور بالتصلب وفي هذا العهد لم تتواجد الحياة على ظهر البسيطة لانهم لم يجدوا أحافيرها في الطبقات الدنيا من الصخور وعبثا يحاول العلماء الوصول الى معرفة وقت نشوء الحياة ولكنهم يظنون انها بدأت في الأنهار والمستنقعات بحالة غاية في البساطة

وقبل ان تكتشف فكرة التحول كان الدينيون يهيمنون في غياهب الجهل مدلين بأراء سقيمة عن التكوين فتصور هول الضربة التي واجههم بها أصحاب النظرية الجديدة خصوصاً وقد قالوا ان الحياة تتغلغل آلاف القرون في التاريخ وأثبتوا قولهم بالمتحجرات التي عثروا عليها . حقيقة لا يدعى العلماء أنهم اكبر من ان يخطئوا ولكن ليس معنى هذا أنهم لاشك مخطئين واننا اذا قارنا بين هدف الدينين وأقوال العلماء نجد تخبطات الاول قائمة على غير أساس في حين نجد لاقوال الاخيرين براهين حسية يستيفها الفكر دون أن يتعرض للخوف اذا لم يسلم بسحتها هذا في حين أن الأولين ينسبون مايقولونه الى موجود لم يثبت وجوده بصرف النظر عن عدم وجود ماثبت صلته بهذه الآراء حتى اذا كان موجوداً

تدعى الكتب السماوية ان الله خلق العالم (وفيه آدم) في ستة أيام ثم تعب فاستراح في اليوم السابع ونشط بمد ذلك خلق حواء ثم قال لا آدم لاتأكل من ثمر هذه الشجرة فانغوت الحية حواء التي اقنعت آدم بوجوب الاكل منها ففعل ونتج عن ذلك هبوطها من الجنة وانك لو اطلعت على سفر التكوين يكون من السهل عليك ملاحظة انه قد كتب باقلام ثلاثة أشخاص وليس بقلم الله وهذا اثبات كاف بانه ليس بالمنزل ولا بالموحي به فان كلام الله العليم القادر لا ينسخ بعضه ولا يحوي تكراراً ولا تنقيحاً واليك مثل لما قلته لك فقد ذكر في سفر التكوين

في البدء خلق الله السموات والارض (فالسماء قد خلقت)

وفي اليوم الاول خلق الله النور (ثم خلق بعد ذلك الشمس كما ستري بمد)
وفي اليوم الثاني خلق الله السماء (التي سبق وخلقها في البدء) وفي اليوم
الثالث خلق الاعشاب (دون أن تكون هناك شمس) وفي اليوم الرابع
خلق الشمس والقمر والنجوم (وذلك بمد أن خلق النور ، ومصدره الشمس
ولا أريد أن أذكر هنا ان اعمار النجوم تتفاوت عن بعضها بملايين السنين .
بل اكتفى بما سبق وذكرته وأضيف مسائلاً كيف نمت الاعشاب قبل
ان تكون هناك شمس تسلط حرارتها على الارض) وفي اليوم السادس « خلق
الله الانسان على صورته وعلى صورة الله قد خلقه ، ذكراً وانثى خلقهم هو »
(فكيف خلق ذكراً وانثى في حين أنه مذكور أن حواء قد خلقت بمد
ما اراح الله ذاته في اليوم السابع فهل معنى ما سبق ذكره ان الانسان الاول
كان ذكراً وانثى معاً) ويجدر بي أن اذكر أن الكلمة التي ترجموها (الله)
هي ايلوهيم (اللهم) وايلوهيم هذه هي جمع للفظه ايلوه ومعناها الآلهة ترجمت
بصيغة المفرد قصد التمويه وليس هناك شك في أن العبريين كانوا مشركين
غير موحدن وذكر في ٢ - ٥ « ولم يكن هناك رجل يزرع الارض » مع
ان آدم كان موجوداً وذكر في ٢ - ٧ « وجبل الرب السيد الانسان من
تراب الارض » فهل هذا الانسان الطيني هو غير آدم أم المقصود من
ذلك هو التكرار المناقض لما سبق قوله ؟

كذلك تجد وأنت تطالع ذكراً لشجرتين مجرمتين شجرة الحياة وشجرة
المعرفة - معرفة الخير والشر - وذكر أن الله قد خلق آدم « ليحفظ
الجنة ويرعاها » أي ليعمل فيها فكيف دعا الله عليه بمد ما ارتكب الخطيئة
بالمهبوط « ليأكل بمرق جبينه » وهو أمر غير حادث لانه كان يعمل في الجنة ؟
اسمع أيضاً : ولما خلقت حواء وراها آدم قال « يترك الرجل أباه وأمه
ليلتصق بامرأته » فكيف يجرؤون على اتهم آدم بهذا القول حين كان مجهل
معني الابوة والامومة والبنوة ولم يكن قد أكل من شجرة المعرفة حتى
يعرف ويستنتج ما قاله لمجرد رؤيته انتهى

وتظهر بعد ذلك على المسرح حضرة الحية وتتكلم ، اجل ولتنطق بلغة آدم وحواء ، فتقول للمرأة « إنك لن تموتين » في حين أن المفهوم من سياق القصة أنها كانت تمريضها على اكل ثمرة شجرة المعرفة وليس ثمرة شجرة الحياة . كذلك مذكور ٢ — ١٧ بأن الله هدد آدم بالموت إذا اكل من الثمرة (ومعنى هذا ثمرة شجرة الحياة) مع أن آدم أكل من شجرة المعرفة فقال الرب « اصبح الرجل كواحد منا يعرف الخير والشر وحتى لا يتناول من شجرة الحياة ليحيا » فيمكن لنا ان نستنتج من هذه الفقرة ان آدم اكل من شجرة المعرفة وليس من شجرة الحياة فخاف الرب ان يأكل آدم من شجرة الحياة ايضا فيصير واحدا (منهم) فمن هم ؟ هل المقصود من هذه الفقرة انه سيصير واحدا من الآلهة ؟ ليس من السهل استنتاج ان الشخص الذي كتب هذه الفقرة لم يكن موحدا ؟ قلب معي سفر التكوين فانك تجد كل الاصحاح الاول مع ثلاث فقرات من اصحاحه الثاني تحوى لفظة يا هوا (ومعناها الله) وقد ذكرت ٣٥ مره لم تذكر بينها ولا مرة واحدة لفظه ايلوهيم (الآلهه) التي تترجم ايضا بمعنى الله ولكنك تجد ان ايلوهيم اخذت تظهر في ٢ — ٤ ضمن الكلام ويصبح من السهل عليك بعد ذلك ملاحظة ان هناك فقرات ذكر فيها الله باسم يهوا فقط في حين ان هناك فقرات ذكر فيها باسم ايلوهيم فقط ويقول النقاد ان ذلك من اقوي البراهين على وجود مدرستين احدهما تتبع الآله يهوا والاخرى تتبع الآله ايلوه مزجت اعتقاداتهما معا بعد ذلك في سرد القصص ويقولون ان ياهوا هو اسم اله المدرسة السابق من الاخرى — يقدررون وجودها في القرن التاسع ق . م — وانه بمرور الزمن اصبح الاسمان مرادفان لبعضهما وعلى اساس هذه الفكرة وغيرها بنى القائلون بعدم كتابة التوراة في عهد واحد رأيهم خصوصا وانهم يبينون ان الترادف حدث في العهد بين اشعيا وارميا

والآن اريد ان اخلص لك هذه القصة عساك تجد فيها شيئا ملفتا للنظار

(١) خالق الله الانسان

(٢) اخطأ الانسان

(٣) حكم الله عليه وعلى نسله بالتكفير عن الخطيئة

(٤) ولما ازدادت شرور النسل أسف الله على ذلك فارسل ابنه (الاله)

ليقيم بين النسل

(٥) قتل نسل الانسان ابن الله

(٦) ولأنهم اترفوا هذه الجريمة عني الله عن الجريمة التي اترفوها جداهما الاولان ولم يكن لهم صلة بها ومعنى هذا ان الله اراد ان يرتكب آدم الخطيئة واتهم نسله بارتكابها فجازاهم على ذلك وهم ضعفاء وابرياء ولم يفعل جدهم الاول الا ما اراد الله ان يفعلوه فالخطيئة موجودة اوجدها الله كما اوجد آدم وانه عرف ان آدم سيرتكبها وعلى فرض انه ارتكبها وانه مسئول عنها بالرغم من انه لم يكن مخيراً بل مسيراً فلم لعن الله ملايين الملايين من نسله ومع ان الله علم بان النسل سيقتلون ابنه ارسله اليهم ولما قتلوه لم يعاقبهم وهذا عدل بل بالعكس صفع عنهم لجرم لم يكن لهم يد فيه أليست هذه تصورات عقل وحشى غير منظم لم يلج شعاع العطف في قلبه ولم يعرف معنى للعدالة؟ فهل من المعقول ان صاحب صنعة يعذب كل اتباعه لان اثنين منهما خالفا ارادته ولم يقتل هؤلاء الاتباع ابنه يكون فعلهم هذا مبررا له كي يصفح عن جرم الشخصين اللذين خالفاه

ط . هـ . حنين

ابراهيم باشا

شخصيته وأعماله

تكلم كثيرون عن ابراهيم باشا وكتبوا عن بطولته فصولاً إضافية واسهبوا في وصف مزاياه العسكرية ولكنهم لم يستطيعوا رسم صورة كاملة لهذه الشخصية العظيمة ومع أن تاريخ ابراهيم باشا مرتبط تمام الارتباط بتاريخ والده محمد علي باشا لأنه لا يمكن التكلم عن أحدهما بدون ذكر الآخر فلو قلنا عن محمد علي أنه القوة المدبرة فلنا الحق أن نقول عن ابراهيم أنه القوة المنفذة ولو وصفنا محمد علي بالسياسي القدير لقلنا عن ابراهيم إنه القائد الحكيم إلا أن لكل منهما شخصية ممتازة وعمل خاص لا مندوحة عن اظهاره حتى يأخذ كلا الرجلين حقه ويرد الحق إلى نصابه

إن تاريخنا مفصلاً لابراهيم يجب أن لا يقل عن عشرة مجلدات وإن يشتمل على وصف تام للحروب التي اشترك فيها والمعارك التي ادار رحاها واخطط الحربية التي اتبعها والأعمال الإدارية والسياسية التي باشرها وحياته الخاصة وأخلاقه وطباعه واطماعه وآماله لأن ابراهيم ليس من كبار القواد لا غير . بل هو من أفذاذ الرجال في الحرب والإدارة والإصلاح ولا أكون مبالغاً إذا قلت أنه لولا حدة طبعه وشدة بطشه لفاق محمد علي في السياسة والدهاء . ومما يمتاز به علي محمد علي حبه لجنوده ومشاركته لهم في السراء والضراء وسهره على مصالحهم واغداقه النعم على المخلصين من رجاله والعفو عن سيئهم ومعاملته بالرأفة وكونه لا يميل إلى التأنق في المعيشة والتظاهر بالتخففة والعظمة ولكنه مع ذلك عالي النفس ، كبير الهمة معجباً بنفسه نخور بأعماله عظيم الآمال ، كبير المطامع . وسأمر في هذه العجالة على تاريخ ابراهيم لعل فيما اكتبه ما يعزى كل مصري على أن يطلب تاريخ هذا الرجل

العظيم كطلب التاريخ الكامل في كتبه العربية والافرنجية وينقش أعماله على صفحات قابه ويجمله نموذجاً لجميع أعماله

ليس لدينا معلومات صحيحة عن طفولة ابراهيم وصيته . ولكننا نعلم يقيناً أنه وهو دون العشرين صدر فرمان سلطاني بتعيينه دفتردارا على مصر . وهذا المنصب من أهم مناصب الدولة بعد منصب الوالي وملتوليه الاشراف العام على شئون البلاد المالية وجباية الضرائب والعشور وتسديد مطلوبات الدولة . ويجب أن يكون صاحب هذا المنصب متضلعا في الحساب والادارة والكتابة والانشاء . فاختيار ابراهيم لهذا المنصب يدلنا على أنه كان على علم كاف بما يجب معرفته في ذلك الزمان . وفي أثناء وجوده في هذا المنصب أوفده والده لمسح أراضي الصعيد وتقرير ضرائبها والقضاء على أسباب الثورة والفتن في تلك البلاد . فقام بهذه المهمة خير قيام . وبعد وفاة أخيه طوسون باشا ، عين واليا على جدة مع قيادة الحملة ضد الوهابيين ومن يعلم شيئا عن نجد والحجاز وجوهر الملتهب وفيافيها الشاسعة وجبالها الوعرة وما عليه الوهابيون من فرط الشجاعة والاقدام واستماتتهم في الدفاع عن عقيدتهم وحرصهم على بقاء الحرمين في أيديهم يدرك عظيم التبعة التي ألقيت على عاتق ابراهيم . سافر ابراهيم الى الحجاز وهو يعلم انه ذاهب لقتال قوم صناعتهم الحرب لا يتركون سلاحهم ليلا ولا نهارا صيفا ولا شتاء سلما ولا حربا دأبهم الغزو ودينتهم شن الغارات وليسوا بمجد منظم يمكن استطلاع خبره وحذر قوته ومعرفة وجهة سيره وهدف رميته . يختبئون في الكهوف والجبال ويندسون في الاوغال وبين الرمال حتى اذا ظننت الارض خالية منهم وتابعت سيرك مطمئنا اذا بالارض قد ملئت من فرسانهم ورجالهم . واذا أسلحتهم تعمل في جنودك قبل ان تلتقي اليهم أمرا أو تنحويهم نحواً فلا تعلم امن السماء نزلوا أم من الارض قذفوا . لا يرهبون مدفعاً ولا يخشون بندقية ويرون الموت في الحرب شرقا ومجدا وحتف الانف ذلة وعارا . يصيحون صيحات مرة اربابا لاعدائهم وتشجيعاً لانفسهم . فلو أمكنك رغم هذه

المباغنة أن تلم شعث جندك وتهيبهم للقنال . وأدرك المغيرون انك ستنال منهم منالا أظارتهم الرمح من أمامك وانشقت الارض فابتلعتهم فمضوا من من حيث أنوا تاركين ضحاياهم بين قتيل وجريح ذاهبين بما وصلت اليه أيديهم من خفيف المتاع .

فقل لى بربك أتمكن . والقوم كما ذكرت ، لقائد أن يظهر عليهم فى بلادهم وبركز الوية نصره على مشارف معاقاتهم ؟ لم يذكر التاريخ قائداً غير ابراهيم تقى فى قلب جزيرة العرب واضطر أهلها الى الخضوع والاستسلام وقد كانوا ينقضون انقضاض النسر على فرائسها فبتهم أعداؤهم وفتحت لهم الجزيرة أبوابها وأوشك العراق والشام أن يقعاً فريسة لهم وأحجم قواد الدولة العلية فى هذين البلدين عن لقاءهم . كل هذا كان يعمه ابراهيم تمام العلم بل أنه كان يعلم أن أخاه طوسون لاقى الالهوال فى حروب الوهابيين الاولى حتى كادوا يظفرون به . فبدلاً من أن يثبط ذلك من عزمه ويفت فى عضده لم يزد الا شجاعة واقداماً فاوغل فى قلب نجد ودك حصونها ومعاقليها حتى وصل الى الدرعية فلم تثبت أمامه إلا بضعة أشهر وفتحت له أبوابها وخضع له عبد الله بن سعود . وانتهت الحرب بما هو معلوم . ورجع بطلنا الى مصر بين حفاوة الشعب واعجاب العالم . فلم يكدر ينفض عنه غبار السفر حتى أوفده والده الى السودان لمساعدة أخيه اسماعيل فى اخضاعها ولنظيم حكومتها . وبينما هو قائم بما وكل اليه فاجأتة الحمى فاضطر للعودة الى مصر ولكن اقامته لم تطل اذ دعى الى حرب المورة فذهب اليها وكان من بطوله ما صير أوروبا وجعلها تحقد عليه وتنفق على اغراق أسطوله على ما هو مشهور . ولم تنقض سنتان على رجوعه من مورة حتى كلف بغزو الشام وكانت أكبر حرب باشرتها مصر فى كل تاريخها دامت تسع سنين وحصل فيها كثير من المعارك الشهيرة وامتد سلطان مصر على فلسطين وسوريا والناضول وشمال الجزيرة وأظهر ابراهيم فى هذه الحروب أنه لم يكن قائداً لا غيره بل كان مصلحاً كبيراً وادارياً حازماً وسياسياً خطيراً وأسر ما يزيد عن عشرين باشا واستولى على

أكثر من ثلاثمائة مدفع وقد أثار إعجاب العالم مقام به في تلك السنين من الإصلاحات الإدارية والزراعية والصناعية رغمًا عن أنها كانت سنين ثورات وقتن وحروب ولولا أن تعداد ذلك يستغرق المجلدات لبيت طرفًا منه. وقد كتب الأفرنج كثيرًا من ذلك ولما وجدت الدول وخصوصًا المجلترة أن إبراهيم سيركز رايته في الاستانة وأن جميع الممالك العثمانية ستصبح في قبضة محمد علي وإبراهيم وأن ذلك يقضى على أطماعها ويضيعها أمام دولة إسلامية فتية قوية تألبن عليه وحاربته واضطررته إلى الرجوع إلى مصر وترك البلاد التي ليس فيها موضع لقدم لم يرو بدم المصريين ورجع إبراهيم بعد ذلك حاتقًا غاضبًا وكانت صدمة انهيار صرح آماله عظيمة أودت بصحته فلم يعيش بعد ذلك إلا سنوات قليلة قضاها في التداوى. هذه لمحة من حياة هذا البطل التي لم تدرس حق الدرس كتبها عنها تثير من حمية علماء التاريخ في بلادنا فيوجهوا همتهم نحو هذه الشخصية العظيمة

مؤرخ

الرابطة الشرقية

كان الاحد ٢١ اكتوبر سنة ١٩٢٨ يوم احتفال جمعية الرابطة الشرقية بصدد اول عدد من مجلتها فدعت نخبة من انصارها وممثلي الصحف والمجلات لمشاركة اعضائها في هذا الاحتفال

بدئت الحلقة بكلمة افتتاحية ألقاها حضرة صاحب السعادة احمد شفيق باشا ثم عقبه الاستاذ على عبد الرازق رئيس التحرير بكلمة متواضعة ابان فيها آمال الجمعية وما ترجوه من نشرها لمجلة « الرابطة الشرقية » لسان حالها. وهل لهذه الجمعية الاكبر الأمل في عقد اوثق الصلات بين مختلف الامم الشرقية ؟ أليس هذا مبدأ سام يحبذه كل شرفي ؟

كنت اظن ان انتشار الرغبة في التفاهم بين ابناء هذه البلاد وضيوفها من الشرقيين قد حركتهم للانضمام إلى الرابطة الشرقية للتعاون على العمل المشترك ولكن خاب ظني عند ما صرح الخطيب بان عدد من قاموا بهذا الواجب لا يزال دون القليل . وكم سررت عند ما شاهدت بريق الرجاء متجلياً في كلمة خطيب الجمعية وهو يقول « إن كل عمل كبير لا بد وأن يبدأ صغيراً » . هذه هي صيحة الحرب التي اتخذتها الجمعية شعاراً لها وهو نعم الشعار

و « العصور » ترحب بشقيقتها « الرابطة الشرقية » وترجو لها تمام النجاح في نشر مبادئ هذه الجمعية بين أمم الشرق

وما كنا ننتظر مناشدة متكلم الجمعية لرجل الاقلام كي يفتقدوا المجلة بصراحة النقول كلمتنا . لان مبدأ العصور دائماً هو افهام قارئها حقيقة ما تحويه المطبوعات من مادة سواء كانت جيدة أو غير جيدة . وانا نلاحظ ان المجلة متنوعة المواضيع لدرجة لا يمل معها القارئ وانها ترمى إلى تعضيد حركة التجديد في الشرق كما وان لها مراسلون في بعض البلدان الشرقية وأملنا أن تعم مراسليها شيئاً فشيئاً في بقية الاقطار

وقد نصت الجمعية في قانونها على أن المجادلات الدينية والمنازعات السياسية خارجة عن حدود وظيفتها ولكن هناك شبه اصطباغ بالصبغة الإسلامية لا أعرف إذا كان قد نتج عفوا أو قصدا ولكنه يجدر بالجمعية محاولة أن تكون شرقية لا أكثر ولا أقل وأن تعمل على جذب عدد أكثر من المسيحيين وإن تعقد صلاتها مع اليهود والبوذيين وغيرهم لأن الشرق يحوى جماعات متعددة الأديان وأنا تؤمل أن لا تنجح الجمعية لتعزيز رأى سياسى سواء أفى مصر أم فى الخارج إذ يجب عليها أن تظل دائما فوق التحزب وأن تجذب نحوها اتباع مختلف الأحزاب فاتها تعمل للعموم وليس لفئات مخصوصة ونحن ننتظر أن نرى فى القريب العاجل عدة طبعات للرابطة الشرقية بلغات الشرق المختلفة وعندها يتيسر لهذه الجمعية المهمة تنفيذ برنامجها الواسع المملوء بالمشاريع المفيدة

الى الملحدین

ایہا الاغواء الافاضل

سلاما وتحية . وبعد فاني أرغب اليكم ان تقرأوا بتمعن مايتى :

حدد النحويون وعلماء اللغة العربية الالحاد بانه الكفر بالله وعدم الاقرار بوجوده . وهكذا الفرنسيون فانهم قالوا ان معنى الالحاد —Atheisme— نفى وجود المبدع الاول لهذه الكائنات العجيبة فيتضح من هذا أن الحادكم الذى عنه تحامون منحصر في رأيكم عن وحدة الكون وانكم لاتؤمنون برب السماوات والارض من اتفقت الناس على عبادته . فادعواكم بانكم لاتقصدون معناه هذا فقط بل انكم ترغبون في تنوير افكار الناس كما يتركوا ما هم عليه من الجهالة والغبوة فردود من حيث ان الالحاد بمعناه المعروف لايعنى مثل هذا الاصلاح بل يعاكسه على خط مستقيم واليكم السبب —

ان العوامل التى قادتكم الى اعتناق الالحاد ليست هي عوامل إلحادية بالمعنى الظاهر اى صحة نفى الخالق لان الحمد الذى وصلتم اليه في رقيكم هوحد غريب عن هدف عوامل الالحاد ، بل لان هنالك في زوايا الكيان الاجتماعى مجموعة عوامل تكيف الافراد بصور تختلف عن الصور التى تكيفهم بها العوامل الاكثر شيوعاً وقوة . فهذه المجموعة العوامل في زوايا الكيان الاجتماعى هي التى دفعت بكم الى الخروج عن حدود الاعتقادات العمومية فرأيتم مارأيتم من الخرافات والالوهام وكنفرتهم بآله الجماعة من الناس وقتلتم ان مصدر هذه الشرور بقاء الحالة على ما هي فرحتم تنادون بغير ترو ببطلان الاديان رغبة منكم في نفع الناس واعلاء مستوهم الادبى . فالالحاد هنا لادخل له برقيكم لانكم لو فتشتم في نواحي حياتكم لرأيتم ان الفضل في تحريركم لا يرجع اليه لأنكم قد اعتنقتموه بعد خروجكم عن حد الحياة العمومية ونبذتم الخرافات والالوهام . فاذا رغبتم الى الناس ان يكونوا مثلكم

١ كثر حرية وجرأة وجب عليكم ان ترشدوهم الى تلك الناحية التي تكيتم فيها
وصرتم قادرين على طرح الاعتقادات العمومية جانبا اما انكم تهاجمونهم
بهذا النوع من المبادئ وتريدون منهم ان يمشوكم في الطريق الذي تسلكون
فعمل لا يدل على التعقل وبعد النظر لان الناس لو ألدوا لما قدروا على فهم ما تفهمون
وعلى عمل ما تعملون حيث ان السري ليس في المبادئ التي تعتنق بل في العوامل
التي تكيف الانسان وتتحكم في مصيره ومنحاه . ولما كان الاتحاد بمعناه
المعروف صفة للرزائل والنقائص فإن الدعوة اليه لا تفيد شيئا بل تنفر الناس من
المبشرين به وان كانوا أحسن القوم لان الجماعات لا تفكر ولا تبحث والناس
تسير حسب آراء الجماعات . هذا ما دعاني أن أورد على البعض منكم عند ما نادوا
به على صفحات هذه المجلة لأنى مع معرفتى ان الذى تعبده الناس هو من اختراعها
فانى أعرف ان الانسان لا يقدر أن يعيش بدون آلهة وأوهام وكلما تطور تطورت
هذه الآلهة والاهام معه حتى عند ما يخلع حياة الجماعات يخلع معها هذه السخافات
ولا يعود يلتفت اليها .

ابراهيم حداد

بيروت ١٩ أكتوبر سنة ١٩٢٨

أبسمي

أبسمي للبدر في طلعه عله يجذبنا نحو السماء
 وأبسمي للنجم في حيرته عله يمنحنا نور الصفاء
 وأبسمي للزهر في بهجته نكتسب منه شذاذ والرواء
 وأبسمي لليل في ظلمته وبلوج الصبح فالكل سواء
 وأبسمي لي يشرق النور بأفق حياتي
 ويغني طير آمالي عذب النغات
 أبسمي ! أبسمي ! أبسمي !

قد رأيت الزهر يبدو من تلافيف الكمام
 وسمعت الطير تشدو في ترو وانسجام
 من ثنائيك رأيت النور فاجتزت الطريق
 وشربت النور خمرآ في كؤوس من عتيق
 ودخلت المعبد القدسي، والكون غريق
 في الدجي . فتقدمت ، وصليت صلاتي
 فأبسمي لي يشرق النور بأفق حياتي
 أبسمي ! أبسمي ! أبسمي !

قد رأيت البدر يعلو فوق هاتيك الربى
 وجمال الليل يجلو عن فؤادي الكربا
 فتخفيت عن النفس ، وجردت فؤادي
 من ثياب للأمانى شابهها بعض الفساد
 فاذا بي أسمع الروح لناجي ، وتنادي
 إصعد الآن الى عرش على الدرجات

قابسى لى يشرق النور بآفاق حياتى .

إبسى ! إبسى ! إبسى

لم أكّد أبغ آفاق الجّمال
وأراني تحت ظل من كمال
راكماً للحب . . . فياض الجلال
لم أكّد أبغها حتى احتواني
مشرق الآمال، وضاح الأمانى

وإذا بي بين أنوار . وأنغام . وغيد
وإله الشعر يلقي بينها هذا النشيد
« أنظر الأنوار تبدو من نواحي العرش فخرا »
« فاجعل الآمال كساً واشرب الأنوار خمرا »
« واملأ الآفاق شدواً وانشد الأفلاك شعرا »
« إنها تبسم لك إنها تبسم لك »

ورأيت الفجر يمشى فوق أشلاء الظلام
ورأيت النور يفشى سر هاتيك الأنام
ورأيت النوم يغرى الأنجما
وهى ترعى الأفق بالطرف الكليل
قابسى للفجر أيضا مثلما
تبسمين الآن ، فالفجر جميل
إبسى ! إبسى ! إبسى !

حسن كايل الصيرفي

تأملات في الأدب والحياة

لما فرغت من درس كتاب « أميل لود فيج » الذي سماه « بن الانسان » وخصه بالترجمة عن حياة عيسى بن مريم العظيم ، تابعت درس الموضوع من الوجهة التاريخية ؛ لشغف أحسنه وميل شديد الى الوقوف على تاريخ ذلك العصر ، عصر الانبياء وعصر المعجزات . ولا أنكر القارىء أنى كنت أشعر بميل شديد إلى قراءة الحوادث المتتابعة في حياة عيسى وحياة الذين عاصروه ، وعلى الاخص عند ما كنت أقع على تحليل معجزة من المعجزات التى تنسب الى عيسى أو عمل من الاعمال العظيمة التى تروى عنه ، أو قول مأثور من أقواله التى قامت عليها النصرانية .

قرأت عن معجزات عيسى أنه أسكن الريح وانه شفى المرضى وانه أحيى الموتى . وقرأت أنه أعاد الحياة الى جثة رجل كانت قد بدأت فى التعفن بالفعل . ولكنى لا أكذب القارىء فى شيء . فانى اذ كنت أقرأ هذه الروايات كنت أشعر شعوراً خفياً يزيدنى اكباباً على درسها وطول التأمل منها . ولعل الانسان فيه بالفطرة نزعة ترغبه فى الوقوف على المستحيلات وكيف انشأتها العقول البشرية غير أنى ما فطنت الى شيء من أسرار النصرانية بعد أن مررت على كل تلك الخوارق التى لا تصدقها عقول بشرية لم ينتهكت قتلها ولم تغزوها التقاليد . بل قطنت الى سر أسرارها عندما قرأت رواية عيسى فى ابراء نفس « مومس » انحطت الى الدرك الاسفل من الرذائل بأن تابت توبة صادقة فخبأها الغفران . ولا جرم أن ابراء النفس معجزة أين منها ابراء الاجسام ورد الأرواح الى الأبدان

نريد أن يكون لنا لغة علمية بالمعنى الصحيح ونبحث في كيفية الوصول الى هذه الغاية السامية . ولا شبهة مطلقاً في أن اللغة العربية قد سدت حاجات الأدب والعلم والفن في العصور الوسطى . ولا ريبه أيضاً في أنها كافية لسد حاجات هذه النزعات العقلية لو أن العقل البشرى قد وقف من التقدم عند الحد الذي بلغه العرب حتى أواخر القرن الثالث عشر الميلادي وهو القرن الذي شهد آخر من ظهر من كبار مؤلفي العرب في أول انحلال المدنية الاسلامية . غير أن هذا العصر كما شهد بدأ انحلال المدنية الاسلامية شهد كذلك تكوين أول جرثومة فرخت في جو أوروبا لتكون نواة المدنية الغربية . فقد انتقلت حينذاك إلى جامعات أوروبا مبادئ أرسطوطاليس منقولة عن كتاب العرب وأخصهم بن رشد بطريق طلاب الغرب الذين كانوا يفدون من أوروبا ليتلقوا العلم في المعاهد العربية الاسلامية كما نفد نحن اليوم إلى أوروبا نتلقى العلم في جامعاتها الكبرى .

على أننا إذا ذكرنا أن القرن الثالث عشر الميلادي هو بدء انحلال المدنية الاسلامية فانما نذكر هذا تجاوزاً لأننا نعتقد أن المدينة الاسلامية حملت في تضاعيفها بزور الانحلال منذ أول تكوينها . غير أن الصبغة التي اصطفت بها والصورة التي لا بست المنشآت المادية والادبية والعلمية في مدينة الاسلام قد اخفت كثيراً من عوامل الانحلال التي ظلت تعمل على هدم كيائها منذ أول تكوينها

على أني اعتقد أن نزعة العرب إلى « تعريب » كل ما وصلت إليه يدهم من المستحدثات المادية والفنية ومجارات الذين استعربوا من الفرس والروم وغيرها من الامم لهم في هذا المضمار كان أعظم ستر تسترت وراءه عوامل الانحلال التي بثت من تضاعيف تلك المدنية . وهذه الحقيقة تجعلني اميل كل الميل إلى القول باننا إذا أردنا أن نكون لغة علمية صحيحة فلواجب علينا أن نجاري الاساليب التي اتبعتها العرب في عصور نهضتهم الأولى . وهي ولا شك

أساليب ارضت نزع العتول في ذلك الزمان فلها عندى من هذه الوجهة اعظم المبررات .
على أن نهضة العرب العلمية الادبية كانت اذا قيست بنهضة التصراية في
اوروبا مصبوغة بالكثير من خروب التسامح الدينى والعقلى . لهذا تجد أن
العرب لم يأتوا من التعريب فى المفردات ، بل ضحوا كثيراً من أساليب
اللغة فى سبيل التعبير الحرفى عن المعانى التى تقلوها إلى فقههم فى الفلسفة
والعلوم . وهذا التطرف ان كان غير محدد الأثر ولم يفد العربية فائدة كبرى
غير أنه يصح ان يتخذ دليلاً على تحرر عقولهم وعلى استعدادهم لتضحية أساليب
اللغة فى سبيل تنمية الفهم والمعرفة . والبرهان الأقوى على هذا تلك التراجم
التي خرجت من يد حنين اسحاق واسحاق ابنه وحبيش الاعسم وغيرهم من
المترجمين فى العصر العباسي . تلك التراجم التي ضحيت فيها اللغة العربية
وأساليبها أى تضحية ابتغاء النقل على أمة صورية .

هذا التسامح الكبير كان مضرراً باللغة ولكنه كان مفيداً فى تربية نشء
اصطبغ بالصبغة اليونانية السريانية واستطاع بعد قليل تكوين مدارس لها
أثرها الخالد على تاريخ الفكر .

أما اليوم فلسنا فى حاجة الى تضحية كثير من أسلوب اللغة على ما اعتقد .
والسبب فى هذا على ما يخيّل الى أننا أوقف على أسرار اللغات التي نترجم عنها
من مترجمى العصر العباسي وغيره من العصور ، ولذا نلاحظ أن اللغة العربية
بين أيدينا أطوع فى التعبير واسهل فى التباد ، لا لاننا أوقف منهم على أسرارها
بل لاننا أوقف على أسرار اللغات التي ننقل منها .

غير أنه ينتقصنا شيء واحد توافرت لدى العرب أسبابه . ينتقص فى ناحية
المراجع العليا التشجيع وينقصنا فى ناحية أنفسنا حبنا للعلم لذاته لانتأجه
المادية . أما اذا توافرت لدينا الأسباب فنتا نستطيع أن نكون لغة علمية عربية
صحيحة تكفى حاجات العلم الحديث .

يقولون بان الشرق تنقصه الاخلاق ويقولون بانه ينقصه الاتقان . كما يقولون بان الشرق في حاجة الى اصلاح ذات النفوس على وجه عام . غير اني ارى أننا احوج ما نكون من هذه الاشياء الى تشرب روح الفن . وما اقصد بروح الفن دراسته ومعرفة تاريخه . ولا اقصد أن يكون الفن حرفة عند جميع الناس او مرتزقاً أو مهنة يمتهنونها . بل اقصد بتشرب روح الفن ان يصبح كل انسان فناً بميوله المكتسبة .

يجب ان يتعود الشرقيين النظر الى اعمالهم نظر الفنان الى فنه . وبذلك يكتسبون روح الاتقان ويحبون العمل لا لاجل مزاياه المادية أو عوائده الملية ، بل يحبونه كفن يجب اتقانه أولاً . ولا جرم أن ذلك يعود بكسب مادي مضعف ذلك لان الناس يحبون الفن ويحبون الجمال بغرائهم . فإذا تسربت روح الفن وروح الجمال الى المنتوجات والمستحدثات عاش الفن وأزهر واصبح الفن قاعدة الحياة .

*

* *

الفرق بين الانسان في عصوره الاولى والعصر الحاضر من حيث النزعات العقلية ، أنه في ازمانه الغابرة كان يحتاج الى الاعتقاد ، اما الآن فانه يحتاج الى الشك .

اكتفى الانسان في عصوره الاولى بان يعلل الاشياء تعليلات ظاهرية بما أوحى اليه تصوره . اما في العصر الحاضر فإن النقد قد استوى على عرش العقل البشري حاكماً بامرهم . ولهذا فنحن احوج الآن الى الشك منا الى الاعتقاد

*

* *

بين النزعة الدينية وفكرة وجود الله رابطة عقلية قوية . فانه لا يمكن أن تعثر على دين من غير أن تقع فيه على فكرة وجود خالق . ولقد دارت المعركة قديماً بين العلم واللاهوت وما نتصد به سوى المذاهب الدينية التي أصبحت في

نظر اربابها مقدسة كمتون الدين الاصلية . اما اليوم فسوف تدور المعركة كما يقول .
 الاستاذ جوليان هكسلي ، حول فكرة وجود خالق ، أو بالاحرى حول فكرة
 وجود الله . على اننى لا ادري كيف تدور المعركة حول فكرة وجود الله وهو ليس
 في الازهان أكثر من فرض ضرورى تقتضيه الكفايات العقلية فى الانسان ؟
 فرض من تلك الفروض التى لا يستطيع العقل أن يحتفظ بالفته وتماسك نواحيه .
 من غير أن يعتقد بصحته اعتقاداً الزامياً لا اعتقاداً اقناعياً . اذن يخلق بمن يقول .
 إن المعركة القادمة ستدور بين العلم وبين فكرة وجود الله ، انه يقول بأن المعركة
 ستقوم بين صفتين عقليتين ؛ احدهما تكرهنا على أن نفرض وجود الله فرض ضرورة .
 والاخرى تحاول التخلص من ذلك الفرض

* *

إذا استطاع الذين يؤيدون الاديان أن يثبتوا صحة التنزيل انتهت المعركة
 القاءة بين الدين والعلم بانتصار الدين . على أننا لا نقصد « بالاثبات » الاثبات .
 النقلى ، بل الاثبات العقلى الذى يقره العلم . لانك لا تستطيع أن تقنع « العلم »
 الا ببرهان مستمد من اساو به وقائم على طريقته . اما صحة التنزيل فقاءة على
 قبول فكرة الوحي . وعندى أن الوحي والتنزيل لم يقم عليهما الى الآن دليل
 يصح أن يطمئن اليه العقل .

*

* *

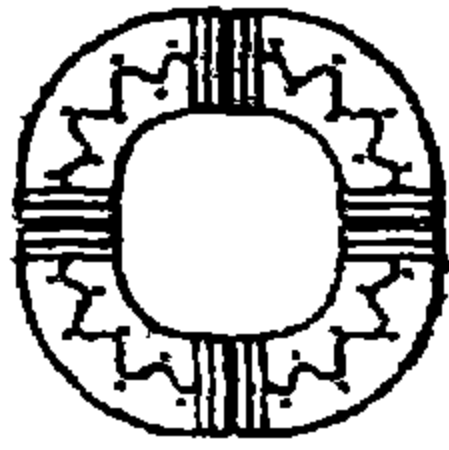
فى التاريخ امثال كثيرة تدلنا على أن امماً برمتها قد فسدت وفنت بموت
 زعمائها . كما انك تقع على امثال كان فساد الامم فيها عامل من اكبر العوامل على
 على فساد الزعماء وموتهم ادياً . ولا جرم أن المثل الثانى اكثر انطباقاً على امم
 الشرق فى حالتها الحاضرة من المثل الاول

* *

اعتقد ان للفن طرفان احدهما بالغ منتهى الجمال والاخر بالغ منتهى القبح

خالفنان الذى يخرج لك من ريشته او ازميله صور او تمثالا يبهجك جماله او
 المعنى الذى يلقى على سمعك مقطوعة تطير بك الى عالم الأثير، لا يفضل عندي
 فنان يخرج لك صورة تمثل منتهى البشاعة والقبح . ليست قدرة الاول على
 تصوير الجمال تناظرها قدرة الثانى على تصوير القبح ؟ واذا كانت الملاحظة محبوبة
 عند الناس والقبح مبغوض فذلك راجع الى الميل البشريه ، لا الى الفن من حيث
 هو قدرة على تصوير مختلف صور الحياة .

فيلوبونس



نظرية السبب الاول الشامل

أو

النسبية

للعامة ١. انيشتين

النسبية هي الجمع بين عدة قواعد نظمات وبين مجموعة رحاب لمحسوسات طبيعية مشتركة في أية طبيعة يسمح بادراكها علم حساب هذه المحسوسات. هذه القاعدة للنظمات توجد نظرية حقيقية خارجة عن حدود كل تأويل. فاذا كانت الاختبارات التي تثبتها حقيقة هذه النظرية صحيحة فيجب الاقرار بان هذه النظرية ستبقى صحيحة وتفسر الشيء اذا كانت الملاحظات التي تبديها هي أيضاً معقولة عما يخص الآراء الغير السديدة والغير الصحيحة ان كان كلاً أو قسماً منها. وهذا أيضاً ما أثبتته «فرسنل Fresnel» في عدة محسوسات بصرية وفي الاصل العنصرى الرتبى المعلن للنسبة التي تبقى خارجة عن حدود حقيقة النظريات المعلنة لتفسير الميكانيكيات أو المغناطيسية الكهربائية للنور :

العلامة « انيشتين » قد أوجد قوانين تبديع تأويل أو تفسير حركة عطارد ، أقرب السيارات الى الشمس ، وتتماها الى ظاهر النجوم الثابتة والى الشمس وما جاورها تقلا يدرك بالبصر عندما تكون الشمس مكسوفة . وهذه القاعدة للقوانين تشمل أيضاً في نفس الدرجة الحقيقة العلمية القائلة بأن قوانين «فرسنل» في البصريات تبقى أبداً الدهر في نفس الوضعية. وان الملاحظات الجديدة لا تنفي صحة الملاحظات القديمة في عطارد أو عندما كسفت الشمس سنة ١٩١٩ . فالحقيقة العلمية لقواعد القوانين هذه هي خارجة عن حدود الظفر أو الخسارة في غير تجارب أو ملاحظات كما وقع في آخر كتاب العلامة « انيشتين » عندما بحث عن نقل الخطوط . فاذا كانت هذه التجارب

والملاحظات لا تقود الى النتيجة المبتغاة فلا يعنى ان النظرية العمومية للسبب الاول الشامل لا صحة لها لان قواعد القوانين التى طابقت الامتحانات التى تحققت بوجوده عديدة ستبقى حتى يوجد غير تفسير لها. فالقيمة العلمية لقوانين العلامة « انيشتين » كبيرة ولا جدال فى ذلك فانبتعد من الانتقادات الفلسفية المبنية على المبادئ والاقتراحات التى لا طائل تحتها .

اذا كانت القيمة العلمية والعملية لهذه القوانين لا جدال فيها فيجب المعرفة فيما اذا كان أصل تطبيقها الحقيقي محدودا . كل الحقائق تستوفى عامل حب الاطلاع ولكن ليست كلها مفيدة فى كل الوجوه لانه يوجد نفس النسبة العددية التى بين نظرية النسبية والميكانيكية الاعتيادية بين كروية الارض وفن المعمارى ، والمعروف ان المهندسين ، وهم كبقية الناس المتمدنين ، يتعلمون فى صغرهم ان الارض تشبه الكرة ولكن عندما يشبون ويتعلمون اصول مهنهم ويرغبون فى بناء بيت او مخزن لا يهتمون الا بهذه الحقيقة وهى - ان الخطوط العمودية متوازية - فلا يجب ان يقال ان هذا غير صحيح او انه غير مدقق لان هذا التلفظ المضاد للشائع من الآراء يجعل صاحبه سخريه بين الناس ، ولكن لا يجب التوقف عن اثبات الحقيقة خوفا من الناس بل يجب الجهر بان الغلط لا يجب ان يوجد . واذا وجد فهو بكل معنى الكلمة باطل : يوجد نفس العلاقة التى بين اقيسة البيت وكروية الارض ، بين اقوى سرعة الميكانيكيات ، كسرعة القذائف او ذرات الغاز ، وبين سرعة النور ، فلا يجب التوقف عن التصريح بان المختصين بعلم سرعة المواد المقذوفة كبقية الناس عندهم كل المؤهلات لفهم نظرية السبب الاول الشامل . ولكن هذه المؤهلات ينقصها شئ مهم وهو المنفعة القريبة وحكمهم حكم كروية الارض والمهندسين الذين يرتكبون الخطأ بالتغافل عن حدود الميكانيكية المكمل لنظرية السبب الاول الشامل لان هذه الحدود هى التى تصل بين السبب الاول الناقص المحدود والسبب الاول الشامل الغير محدود ، فيجب القول ليس فقط بكروية الارض بل بتغير انحاء اهليليجيتها « Ellipsoide » فى حال

معرفتهم هذه التغيرات وابتدائهم في التحقيق العلمى سيكونون أكثر رفعة عند ما يقولون ان الارض كروية وليست مسطحة :

في الميكانيكيات السماوية تقسها حيث السرعات أعظم جداً مما هي عليها في الميكانيكية الارضية لا تتحول أكثرية الحساب المطلقة « Calcules » الى لاشيء بتدخل الازمنة المكملة التي ارتاها العلامة « انيشتين » هذا فقط في أقل عدد الحالات حيث هذه الأزمنة تكون حقيقية فالمختص بعلم الفلك يجب أن يعرف الواقع لكنه لا يلتفت اليه عادة بل يتركه جانبا كأنه لا قيمة له . فالقيمة العملية التي لا جدال فيها والقيمة العملية المحدودة هما أول النتائج التي تبين الخلاصة النقية لكن هذه الخلاصة ليست قريبة من افهام الناس لانها النقطة المهمة في النظرية والصورة المصغرة لها والمعينة الوحيدة لقيمتها ليس بالنتائج الملخصة من القوانين بل بالملاحظات الظاهرة الغريبة من حيث اعلانها لأول مرة . فهل نحن حقيقة تجاه نظرية جديدة عن العالم تقلب عدة أسس في المعرفة ويجب أن نعدها أبدية ؟؟؟ يقول الميسو « اميل بورل Emil Borel » في المقدمة التي كتبها لكتاب العلامة « انيشتين » الترجمة الفرنسية أنه يسمح لنفسه برفض الجواب على عدة مسائل عمومية من حيث أسبقيتها المحدودة في المسافة والزمان والتي تدعنا تتساءل عما اذا كانت النظرية الجديدة تشمل كل نواحي العالم التي ندركها وانها ستدوم أجيالا . ويقول أيضاً انه يعتقد انه اذا كان يوجد كائنات صغيرة في المجرة بالنسبة الى نقط الماء التي نحددها فسيكون معجب بنفسه بطلبه حذف الملاحظات المعدولة عن باطن نقطة الماء الذي يبنى أساس علم الكرة الارضية ومعادنها وحيوانها ونباتها وأيضاً انه ليس بمستحيل أن يكون اعجابه بالعلامة « انيشتين » مانع يمنعه عن تعليق الحواشي على فكرته في ان العالم يرى دفعة واحدة كما في الفصل ٣٠ و ٣١ و ٣٢ وما قاله في غير فصول مما هو ليس بمجديد ولا بغريب . وقال أيضاً يجب على كل حال ان نعرف ان العلامة « انيشتين » هو العالم الوحيد الذي ترفع عن الميول السيئة وان فيه كل التواضع مادامنا نقاش

ونعمل قبل ان نفي ما علينا من دين . فأترب « لاجرانج Lagrange » و « لابلاس Laplace » قد اعتقدوا ان الميكانيكية التي قال بها « غاليليو Galileo » و « نيوتن Newton » هي أبدية . وهما الآن تنقض في الدور الاول تقريباً فالنظريات الاكمل التي كانت وضعت ما كانت ترى إلا نظريات وقتية . وهما الآن وقد حفظها لنا الاجيال تظهر كأنهن ماورثناه عن سبقتنا ، وهذا الحفظ الذي يظهر مجرداً عمل دفعة واحدة . فالمسائل تساعد المعرفة على الظهور فيما إذا كانت قواعد نظرية السبب الأول عندها في نفس الوقت نفس القيمة العلمية التي توجد لها الخلاصة وفيما إذا وجب أن تعطى هذه الخلاصة أهمية في العلوم كالأهمية التي كانت لقوانين « نيوتن » منذ « نين خلت . وقد علمنا « بوانكاريه Poincaré » أنه يوجد طريقة أخرى للحفظ وهي أن بعض قواعد الانظمة والاعداد التي لا تحصى للتعابير والانتخابات لهذه التعابير لا تبين طريقة واحدة معقولة مع أنها تسير معها جنباً الى جنب . ومع هذه كل فقد قال ان هذه الطريقة تدرك بسهولة وقد طبقها على حركة دروان الارض حول الشمس واطلقها اخيراً على التعبير عن افكاره الغير الصحيحة ولم يتوقف عن القول بان حركة دروان الارض حول الشمس في حالة يمكننا تصويرها في كيان العالم الحسى — فإذا كان هذا فلا مانع بمنعنا عن استخدام لغة « بوانكاريه » التي تساعد على التعبير من حيث وضوحها ودقتها والقول بان نظرية النسبية تظهر في الوقت الحاضر سهلة للغاية :

في القرن التاسع عشر كان اكثر العلماء رفعة يجمعون بين النظريات والافتراضات لتثبيت صحة ما كانوا يسمونه — حركات المادة والاثير — وللتعبير عن عدة خواص المحسوسات النيرة . هذا اعتقاد باطل ومع أن لاصحة له البتة فقد بقي حتى قام « لورنتز فيتزا جرال د L. Fitzgerald » وابصر النور الحقيقي لأول مرة في ليل العلم المدلم لكن كان مازال يوجد صعوبات جمة باقية من جهة المحسوسات وأهميتها والجذب العمومي الشامل فيما اذا

كان سببى فى العلم كشرعية خفية وغير مدركة أى بدون ارتباط حقيقى مع النظريات العلمية الطبيعية — فظريية السبب الاول الشامل توضح هــ هذا الامر من حيث انها تملك هذا السر وهى بكل معنى الكلمة اكثر قربا من الأفهام من بقية النظريات الطبيعية المعروفة ولهذا ستبقى الى أبد الدهر

وقال المسيو أميل بورل أنه يعرف أن أخصام العلامة انيشتين سيتساءلون عما اذا كان من اللازم اللازب قاب أحسن آرائنا وأصوبها لمعرفة هذه النظرية وعما اذا لم يكن بالامكان الجمع بينها وبين الآراء القديمة بواسطة تحويل قليل يباحق هذه الاخيرة وسيقولون أما علمنا بوانكاره ان كل قواعد المنظمات تعبر دائماً عن لا نهاية النواعد فكيف بواسطة هذه القواعد للمنظمات ثبت أبديية هذه النظرية مع أن كل ظواهرها تدل على غرابتها وبعدها عن الحقيقة؟

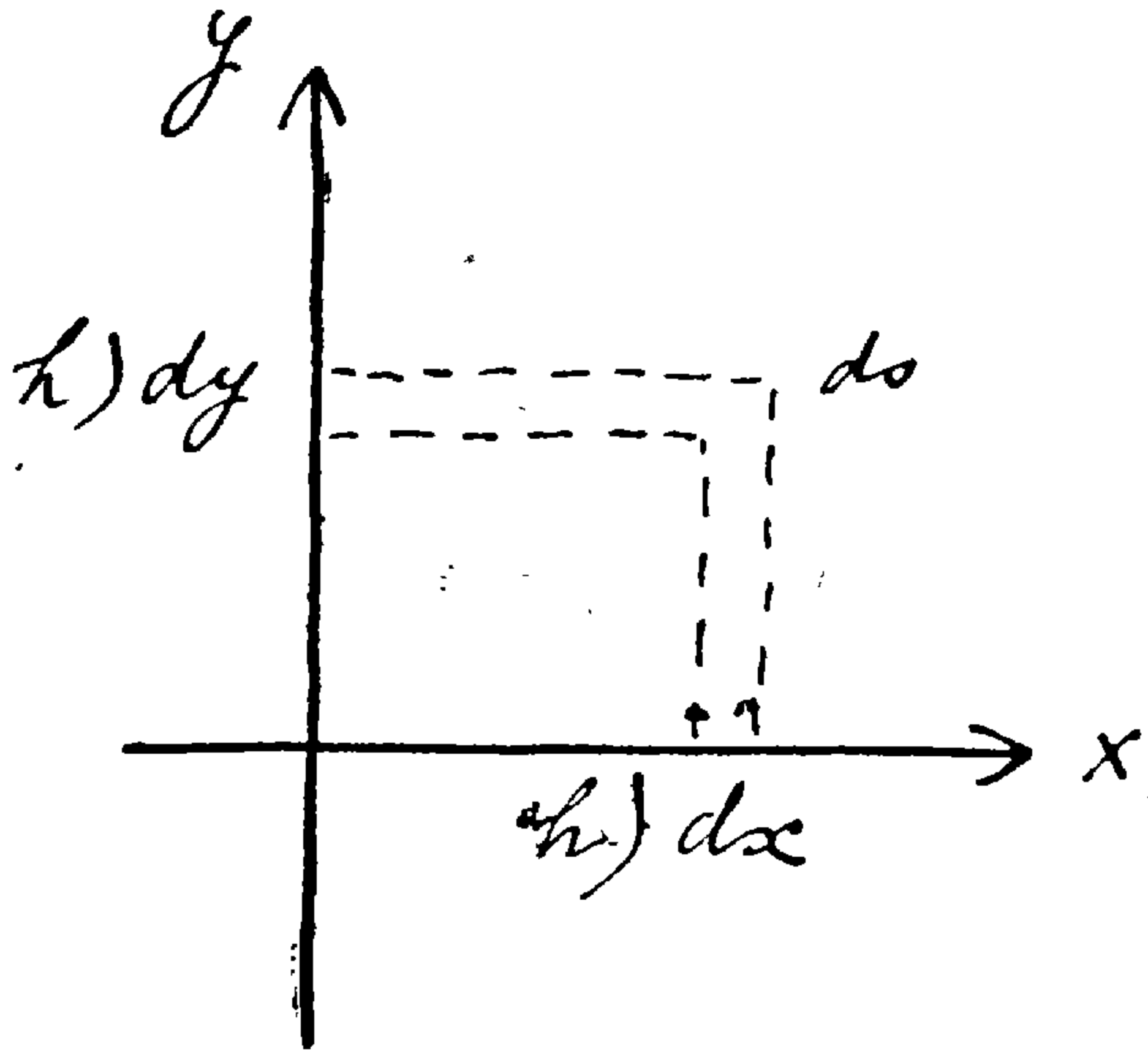
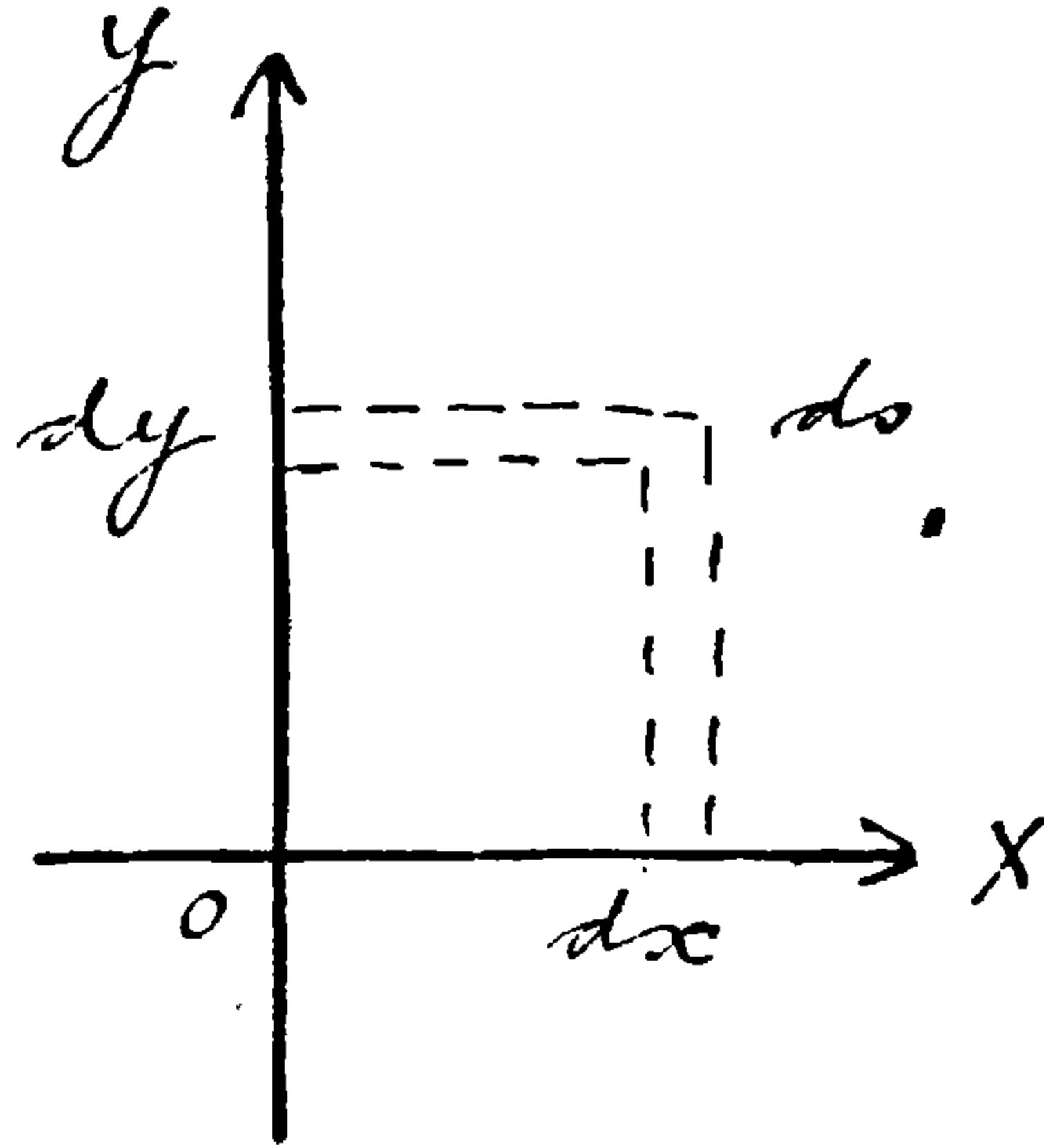
هذه الاعتراضات لا يمكن أن يجابوب عليها من ناحية عسرة الفهم لانها أصعب من قاعدة المساواة حيث ترمى النظرية العمومية لاسبب الاول لزيادة مدارفنا عن الوقت . ويمكن أن تكون أصعب من قاعدة المساواة الميكانيكية السماوية حيث تظهر الأرض كأنها ساكنة وإلكن ربما ظهر التعبير النظرى كمقدمة واضحة لتضية صعبة الادراك وغريبة من حيث جديتها وأهميتها ما جرب انسان أن يفتش بدافع تشويق نظريات بوانكاره عن التغييرات يجب أن تعدل فى قانون الميكانيكية الذى تدرسه الجامعات وفى قانون نيوتن لكى تهر الحركات الظاهرة فى النظام الشمسى عن سكون الأرض وأيضاً لم يدل واحد ممن درسوا علم المساواة بين الكميات « Equations » على وجود نظرية تبر كل التعبير عن هذه المساواة الا العلامة انيشتين فى نظريته . فقارثو كتاب العلامة انيشتين سيقولون كيف يمكن أن تكون ماسكة العقل التى تقودنا للتخيل باننا حائزون على معرفة الوقت من ذاتيتنا خارج حدود المكان حسنة باعتبارها بسيطة وقديمة وشاملة على عدم صحة ملاحظاتها السائرة المعمولة فى كل أدوار التطور البشرى ؟ لان هذه الملاحظات باطلة وقيمتها قيمة تلك التى تقول إن الأرض مسطحة

وترجح تشبيه الخطوط العمودية المكونة من نقط قريبة لبعضها بالخطوط المتوازية المعمولة من اتباع الرأي القائل بالتوازي في الخطوط العمودية ولكن فالتنتيجة النهائية لا تعرف إلا بواسطة تأمل صحيح في مجموعة الموجودات وان كان هذا التأمل من ملكة العقل الضعيف لانا تقدر بواسطة التأمل ان نعرف صدور الوقت العجيب .

ويقول أيضاً المسيو اميل بولر لنلاحظ مثلاً رسماً الاصول فيه عندها الشكل الاصلى — « $ds^2 = dx^2 + dy^2$ » فاذا افترضنا أن هذا الرسم تحقق في مادة لينة دقيقة جداً وحملت كل نقطة منه حالة طقس مختلفة فاصوله الخطوطية ستصير « $ds^2 = h^2(dx^2 + dy^2)$ » حيث « h » تبين رتبة مكونة من شئ من « x » وشئ من « y » والاصول الخطوطية حسب الشكل الثانى تطابق اى سطح كانت:

(أنظر الشككين في صحيفة ٤٣٩)

فاذا أردنا ان نخرج (ارض أى سطح نريده تكون قد أخطأنا فيما لو استخدمنا اقيسة تكون الاعداد التى نضعها أمام الكمية المضروبة للتوسيع « Coefficient » هي نسبها التى للمادة التى توجد السطح لانا لا نرى شيئاً من تشويه صورة المادة فالنسبية لا تعمل الخطأ لانها تبين وجود مكان للتمييز فى نفس سطح الشكل الخطى « Lineaire » للملاحظ الاقدار الخارجية المرتب القواعد الغير الممكن تحويلها وللملاحظ الاقدار الداخلية الذى لا يرتب الا القواعد الممكن تحويلها وفي البراهين التى تعمل حسب الشكل ثمرة واحد والشكل ثمرة اثنين، لا يبدل حالة الزوايا التشويه الحاصل فى كل نقطة بواسطة الامتداد الا انه يجب الالتفات الى غير محسوسات طبيعية يكون انكماشها كما قال « لوزتر » يبدل الطول حسب سمتة Azimut وتكون كنفرة من المواد التى تبدل حالة الزوايا بكل الوجة — انما اذا كانت الحالة الطبيعية تؤثر فى الشكل فى الكميات المقدرة وفى الآلات التى تقدر فمن الواضح أن الملاحظ الموضوعى لا يراها كما هى دائماً . فبوتكاره اظهر هذا الامر فى مواضع عديدة



وفي صور مختلفة وهو مطابق لروح نظرية النسبية حيث تقول إن شرائع الأكوان
 هي خارجة عن حدود الحركة أو أبدية القواعد في الأقيسة الداخلية نجد دائماً
 أن المساحة التي نحددها عندها كل الأصول التي قال بها « أوكليد » فمقر
 الخطوط المختلفة لا يمكن أن يدرك أن من الملاحظ الخارجي الوجود في حالة

غير مقيدة وهذا الملاحظ الخارجى غير موجود . هذه هي الصعوبة التى تظهر للذى يقرأ اول مرة فى كتاب الالة انيشتين فصل « المولىسك » والجواب عليها سهل جدا . فالملاحظ الخارجى لا يمكن ان يوجد ابدا اذا لم ترتب الاقيسة الهندسية الاجسام الجامدة فهذه نظرية النسبة هو الجمع مرة واحدة بين الهندسة « Geometrie » والقوى المحركة الميكانيكية « Mecanique » والكهربائية المغناطيسية « Electro-Magnetique » وعلم البصريات « Optique » وناموس الاتقال « Gravitation » وهذه الثلاث الاخيرة يعرفها العالم الطبيعى والفلكى لانها تتحقق بالتثبيت مرة بعد أخرى . ويقول المسيو اميل بورل انه لا يشك بصحة الاساليب القريبة لعلم الحساب المختلف التى قال بها « ريشى Ricci » ولا فيسيفيتا « Levicivita » والى تؤدى الى احسن وسيلة توضح خلاصة نظرية النسبية . وهذه الاساليب ليست شائعة ولكنها قريبة من الافهام من حيث ان « داربو Darboux » قال عنها انها احسن نموذج فى نظريته عن السطوح السطوح الظاهرة وانها ضرورية للوصول الى منتهى خلاصة التطبيق . فالبحث فى المسائل العمادية الميكانيكية لا يدل دائماً على الخروج عن حد المساواة القانونية وانه محصور فى الكهربائية الاصطلاحية « Electrotechnique » ولا يتعداها الى المساواة التى قال بها ماكسويل « Maxwell » وهذه التحقيقات تقال كثيراً من القيمة العمومية للمساواة القانونية والمساواة التى قال بها ماكسويل ولكنها لا تقال شيئاً من قيمة نظرية السبب الاول الشامل مما ترمى اليه من وجود حالات خصوصية وان كانت هذه الحالات تدرس فى الاساليب العمومية أحياناً بكل بساطة وبطرق أصح مما فى الاساليب العمومية الشائعة . ويزيد المسيو اميل بورل على قوله بأنه يسر باعلانه وفاء النذر الذى نذره المتشوقون لرؤية تكميل البناء الجليل الذى اشتغل فيه بونكاره ولورنتز وكلمة الالة انيشتين .

الشاكية

هي آلام نفسية أبقيتها كما جاءت أمواجاً متلاحقة من
غير تنسيق لأنى أحسبها فى شكلها هذا أقرب الى
اندفاعات التفكير وفورات النفس

بعد انى أردى فهبط رمسى	يتساوى غدى ويومى وأمسى
جدث فيه كل دهرى ليل	ما لاضواء فجره من بحس ^(١)
ظلمة فوق ظلمة أنا فيها	أبدأ مصبح كما أنا ممسى
أتأبى بفقدى الحس فى مو	تى وفقدان الحس مالا يؤبى
تعتري جسمي هزة كلما فك	رت انى يوماً سأفتد حسى

فى الخضم الطامى ستنكس فلكى	صخرة فى طريقها أى نكس
لا تلمنى اذا خشيت عليها	غرقا فهى اليوم تحمل رأبى
أترى عن عقيدة أن جسمى	سوف يخضر عوده بعد يابس
ولكل امرئ من الموت كأس	وسأحسو عند النهاية كأبى
انها كأس ثرة كل حى	إن أتى يومه لها متحى

لم أزل بالحياة صباً وان نو	ت بستين من سنى وخس
اشمط الرأس مثلما سار ماش	تحت شجراء بين ظل وشمس
أتملى الحياة فى كل يوم	بين برء من السقام ونكس
تركتنى الايام أرعس حتى	انكرت عين من يرانى رعس ^(٢)

وعلى الشيخ الصيف يعدو بحر وعنيه الشتاء يسطو بقرس^(١)

خيل لي احمد على الشدائد والاو صاب ربابهدي الوري ويدي^(٢)
يمنع الناس مابه يسعد النا س ويعطي جمًا ويعري ويكسي
قلت هذا ما لست أفعل شيئًا منه حتى أردى فدعني وتعني
أنني إن حمدت ربي على ما أتشكي منه أ كذب نفسي

حالا كنت آسيا للرزايا غير أن الايام المرء تندي
غارى ضاحكا بجانب باك وأرى مأتمًا بجانب عرس
كم على الارض قد خات من قرون وهي لا تشكو وحشة بعد أنس
رب قبر عليه أطلقت دمي بعد ان طال للمدامع حبي
هو في زورتي سلامي عليه وهو شعري الذي يشايح حبي
أيها الراحل الثوي سلام قل اذا كنت اليوم تسمع جري^(٣)
هل الفت الردي وهل أنت في الموت كما لست ميتا متأني
انا النازلون حولك قوم ولقد خلوا من حقد يعاب ودلس
أخمرتهم عن الكلام المنايا ولقد كانوا قباها غير خرس
ابني في جوار رمسك رمسا حبذا في جوار رمسك رمسي

أزفت ساعتي فاني سأردى وسيردي معي رجائي ويأني
يشترون الجنان بالدم والنا ر واني لا أشتريها بفلس
فانما الدنيا جنة لسعيد وجحيم لذي شقاء وبؤس

ملك فيها الحياة ما طبت عيشا
ويمح هذى الخراف ماذا تلاقى
ولقد يأتى الرجس من لا يرى الر
ارشدوني فقد ضللت سبيلي
ولقد أذكر الحوادث سوداً
كل شيء فلا تبعها ببخس
من ذئاب بين الحضيرة طلس
جس وان شنعوا عليه برجس
بين طرد للحادثات وعكس
في ربوع على الفراتين درس

أيها الحب أنت أول حسي
أيها الحب أنت خيرى وشرى
رب حب نزعته من فؤادى
لى أحباب يهتفون بذكرى
وأراد الحساد خفضى بانسيا
سلقوني بالسب حيناً ومروا
فى حياتى وأنت آخر حسي
أيها الحب أنت سعدى ونحى
فكأنى اقتاع باليد ضررى
ثم أعداء يفرحون بتعسى
عزوها الى ترفع رأبى
ثم كروا إلماً يريدون نهى

ولقد عاب لاجهالة شعرى
انا لم انظم القصائد غراً
رب هاذ يظن لاجهل منه
وحسود يعيب شعرى باسم
وحقود من الاسافل غر
شغبوا حتى قال متبر لا
أى عار على ان قلت شعراً
لم أكن حتى اليوم أقرض إلا
نفر هجسهم يخالف هجوى
لابن آوى يوماً أو ابنة عرس
انه جد نابه ، جد نطس (١)
مستعار فعل الجبان الأخرى
وائيم من الاصاغر نكس
تشغبوا فالأمر تحت الدرفس
لست فيه مقلداً غير نفسى
مابه ، كان قد تعلق حسى

قبسوه من قول من سبقوهم ومن الشمس والكواكب قيسى

قد غرست التجديد في النشء حتى
في الأولى يحتفون حولي قد يخط
ومن الرزء ان أعاشر رهطا
انا إما حضرت فالقوم خرس
لا تؤمل اذا حذقت بقاء
انما ترتقي الشعوب بارغا
ما أرى أن يطيب لي العيش إلا
بين جن يبدون في زى انس
كاد لولا الجود يثمر غرسى
ىء فهمى وليس يخطىء حدسى
لم يكن جنسهم يلائم جدسى
واذا لم أحضر فهم غير خرس
لبناء يعلى على غير أس
م رجال أولى دهاء وبأس
ين جن يبدون في زى انس

حبذا الليل والنهار وان كا
انما هذه الطبيعة سفر
هي سفر درسته وسأهذى
وستبقى نجومها بازغات
ثم تذكو مكنن نجوم
مرقت كالسهام تخرق أبعا
انها لا تقر في جبة منه
ركبت رأسها تجوب الموامى
يا لها من عوالم كسفين
نا يحيثان بعد سمد بنحس
لم تجد حروفها فوق طرس
مرغما قبل أن أتم درسى
ثم تنى بعد البروغ بطامس
تترأى في موكب منبس
د فضاء حدوده فوق حدسى
كخيل فوق الصحاصيح شمس
أبها شىء من جنون ومس
قد جرت في بحر ولما ترس

ولعل الوجود من بعد حين
واقعد كنت بالطبيعة أشدو
ينجلي أمره لنا بعد لبس
يوم ما كان ذكرها غير همس

تخذت من نسج الخمائل سترًا
وتجلت لنا من الستر ترنو
يا لها من حسناء أيقظت الحـ
أتغاضى عن وجهها ثم ألقى
وإذا ما ابتسمت من جدل بي
قدرى يا حسناء بالله حبي
وإذا ما أردت حرباً وأزعمه
إنه خير من ستور الدمقس
بعمود فيهن ومضة قدس
ببما في عيونها من نفس
من حذار عليه نظرة خلس
فهي تجزى على ابتسامي بعبس
أنه حب بالغ غير وكس^(١)
تعداء رميت سيفي وترسى
ابن جلا

ليس الضوء مادة

تحية واحتراما . لم يقل لنا الاستاذ النابه صاحب مجلة العصور في رده في عدد سبتمبر علي مقال الاستاذ سلامه موسى بعنوان « الحب والجمال » تحت أي فرع من فروع المادة الثلاثة يضع الضوء .

ولست آمل في هذه المجالة أن أشارك حضرة الاستاذ المفكر بحته وتفكيره ولا أن أنوب عن الاستاذ سلامه موسى في الرد عليه من جهة اثبات موضوعية المادة اثباتاً علمياً لا حواسياً . وغاية ما أطمع فيه من حضرة أن يدلني على بحث علمي وتجارب عملية أجريت في اثبات ماديه الضوء . أما اذا كان برهانه الوحيد هو ما يستند عليه في تفسير قول سير جينز فاني لا أعدّه كافياً للحكم علي أن الضوء مادة — حتى سير جينز لم يقل صراحة أن الضوء مادة . ولعله حين يقول أن الحرارة والضوء يحملان ثقلاً معيناً إنما يقصد بذلك معنى مجازياً وبطريق غير مباشر . أعني أن لتأثيرهما تأثيراً لا يقل عن تأثير المادة بالجاذبية . ولا أظنه يعني خلاف ما قصد نحن بمانه برعنه بتحول الطاقة Transformation of Eneergy إذ يمكننا بواسطة هذا التحول أن نستخدم كلا من الضوء أو الصوت كما نستخدم الحرارة سواء بسواء بواسطة تحويل الطاقة الحرارية الي طاقة ضوئية أو العكس بالعكس وأي من هذه الطاقات تعمل شئاً لا يقل عن عمل المادة (البخار مثلاً) لهذا الشغل .

ولا أكون مخطئاً اذا ذكرت جملة في هذا الموضوع كان الدكتور جرای استاذ الكيمياء بمدرستي الطب والصيدلة حتى انضمامهما للجامعة يلقيها علينا عند الكلام في هذا الموضوع وهي :

One Must pay for energy as he pays for matter

أما من جهة قول سير جينز « أننا اذا حرقنا طناً من الفحم فانما نحصل علي جزء من مليون من الرطل ضوء أو حرارة » فهو قول يحتاج الاستاذ الى

اثباته أكثر مما يحتاج الاستاذ سلامه موسى الى اثبات وجود المادة علمياً . . .
 لنفرض أنه يوجد ميزان كيمائى يزن هذا الطن ؟ (وهذا محال طبعاً) اذ أن
 الميزان الكيمائى اذا استعمل كثيراً فى وزن عشرات الجرامات لفقدت أكثر
 حساسيته . ولعل الاستاذ يقول إنه يقصد بذلك النسبة فقط أى أن ثقل
 الضوء أو الحرارة الناشئتين بالنسبة للجسم هو كنسبة جزء من مليون .
 جزء من الرطل الى طن . لنفرض أن هذا صحيح ، وأن الاستاذ جيز لم يعمل
 على هذا الطن باجمعه تجاربه فى ثقل الضوء . ولنأت بدلا من هذا الطن بجرام
 واحد من الفحم فنزنه وزناً فى غاية الدقة بواسطة ميزاننا الكيمائى ثم
 نحرقه بعد ذلك . ولنفرض أننا تمكنا بعد الحيلة والاحتراس من جمع كل
 ما ينتج بعد حرقه من الغازات والابخرة الناتجة من اتحاد مواده باوكسجين
 الهواء . ثم حسبنا بعد ذلك كمية الاوكسجين وخصمنا ثقلها وأمكننا بعد
 العناء من معرفة المواد الرمادية الباقية ومعرفة كميتى الكربون والهيدروجين
 المتحدتين باوكسجين الهواء، فكيف يمكننا أن نجمع الغازات الاخرى المتولدة
 (فى درجات الحرارة المختلفة) التى مرت عليها هذه القطعة (أعنى بهذه
 الغازات الميثان والايتان والبروبان و . . . الخ ثم الاسبتلين والاثيلين
 والبروبلين و . . . الخ) يمكننا حقيقة أن نجمع كل هذه ولكن
 بطريقة Dry distillation ولكن الاستاذ جيز يريد اتحاد باوكسجين الهواء
 ليزن الضوء الناشئ ويأبى العلم أن يطاوعه على ذلك . ولكن لنذهب مع
 الاستاذ ولنفرض وجود هذا الجهاز العجيب فتمكنا بعد اللتيا والتى من
 جمع الطريقتين فى واحدة . وشاء القدر أن نزن كل متخلفات الجرام فأين هذه
 الميزان الكيمائى الذى يمكننا أن نزن به ١ على ٠٠٠ / ٠٠٠ / ٢٤٠ / ٢ من
 الجرام وكيف نضمن أن لا يكون هذا العدد هو فرق الخطأ فى دقة الميزان
 بين الكفتين وقد يكون أضعاف هذا الخطأ فى أدق الموازين الكيمائيه
 فى العالم

أما من جهة ثقل السطح عند وقوع الضوء عليه فلا أظنه كذلك حقيقة

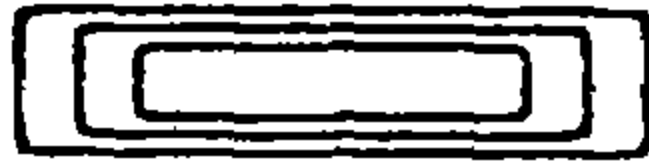
وان كان فقد يرجع تعاليله الى ضغط الموجات الضوئية نفسها كما هو الحال في الصوت . ولو كان الضوء مادة لكان الصوت كذلك بل ومن باب أولى وليس الصمم الناشئ من قصف المدافع والالتفجارات الهائلة إلا نتيجة موجات هذا الأخير . بل ليس تداعى المباني وأنهارها إلا نتيجة تخلخل موجاته وتضاغطها وأرجو أخيراً اذا كان لدي حضرة الاستاذ صاحب العصور من البراهين العلمية ما يثبت مادية الضوء أن يذكر في رده اذا كان يضع انعكاس الضوء من الاسطح اللامعة مع الضوء المنبعث من منبعه وأن يذكر كذلك عند انعكاس شعاع ضوئي من مرآة اذا كان هذا الشعاع يتأثر في سيره بجاذبية الارض كما هو الحال في القذيفة مثلاً .

واختتم بتقديم اجلالى واحترامى .

بها ٢٧ - ١٠ - ٢٨

جورجى اسكندر

دبلوم في الصيدلة والكيمياء



هل العلم يحتضر

قد أصبح من الميسور على كل فرد الانتفاع بالاختراعات والاكتشافات العلمية في كل ما يحتاج اليه من الضروريات والكماليات . وكذلك تقليد الموجود واستعماله استعمالاً حسناً الامر الذي لم يكن متيسراً حتى نهاية القرن الثامن عشر أيام بدأت طرق التفكير العلمى تتسرب من الافذاذ الى العامة . واذا فرض أن الانسانية رجعت القهقري فستبقى هذه الوسائل تحت أمر الناس لمدة أخرى غير قصيرة . ولكن لا يمكن القول بدوامها اذ قد يحدث ما يؤدي بالموجود منها فلا يمكن للخلف إعادة صنعها

ولا خلاف بين الناس في أنه يوجد فرق بين « موجد العلم » وبين « المستفيد من العلم » ونلاحظ مع الاسف أنه كلما زادت المدنية انتشاراً تشد مقاومة « المستفيدين » لكل تجديد يراد ادخاله على الموجود من النظريات العلمية . وهكذا يمكننا القول بأن مدينتنا بدأت تدخل في دور التاريخ

صحيح أن الروسيين واليابانيين مع عامة الشعوب الاوروبية وغيرهم أخذ يقبلون على « العلم » بنفس الحماس التي قوبل بها في القرن السابع عشر ولكن قد مل كنهه العلم متابمة البحوث التي كرسوا حياتهم لاجلها فبنتنا نشاهد النائين عن بيئة الثقافة الغربية يقدسون العلم أكثر مما يقدسه رجاله .

أصبحت « المادية العلمية » لدي الباشفيك صورة من البروتستانتية في أوائل عهدها ، تقدر ويمنع الناس من التحول عنها وبات نيوتن في نظر أولئك المتدينين « ملهما » بكل ما في الكلمة من قوة وبذلك وضعت عثرة يعسر تخطيها في طريق العلماء المشككين

ومن الاسباب التي صبغت العلم بصيغة الرجعية تشجيع الحكومات

له فانصرف هم أغلب الطلبة عن متابعة البحوث الى الدفاع عن حالته
الراهنه وأصبحوا لا يقديرون للعلم قيمة أكثر من محاولة اثبات انه يفوق
ما عداه من منافسيه

ويجب أن نعرف تماماً أن العلم في ذاته لا يزال من أقوى المؤثرات
في التغيرات العالمية المتتالية التي أثرت في أوروبا وأفريقيا وآسيا وذلك
بالرغم من جمود العلماء . لقد تسرب اليأس الى قلوب كهنة العلم العظيم
ولو كان العلم شيئاً قائماً بذاته لكان الامر ولكنه عرضة للهجوم في أي
وقت ، فاذا لم يرجع الذين استكانوا وأدركهم السأم الى أنفسهم ويستعيدوا
تقنهم القديمة بالعلم لا بد لنا من مواجهة نهاية للمكتشفات والاختراعات
العلمية وهذه النهاية التي تأتي دفعة واحدة لوجود شبه رغبة للعلم
في الشرق في حين بدأ الغرب يفقدها بل ستحتاج الى قرن أو
أكثر قليلاً

وقد بدأت فكرة علم الخطأ أو بمعنى آخر « الايمان العلمي »
تأصل في نفوس الناس ولكن هناك فرقاً كبيراً بين هذا النوع من
الايمان الجديد والايمان الاول الذي بنى عليه العلم قد سلم العلماء
المتقدمون بصحة أشياء عدوها من البديهيات

« نظام الطبيعة » الامر الذي لو امتنعنا عن التسليم به لسقط العلم سقطة لا
قيامه له بعدها وليس معنى هذا ان ايماننا أصبح كإيمان الاغريق ، فهناك
فرق بين علومهم التي اهتموا منها بالنهاية وبين علومنا التي اهتمنا بها
بالبداءة ، هم الذين توصلوا الى ايجاد فكرة « بالتقدير » وهي اساس نظرية
« ليست الحوادث الا نتائج لقوانين الطبيعة » التي لا تزال تمسك بها .
وكذلك اسس الرومان « القوانين الوضعية » وقالت المسيحية بان « الله يعمل
حسب قوانين معلومة » في حين أنها ادعت بأنه موجد تلك القوانين . فمن
كل هذه الاراء انشأنا ما نسميه « القانون الطبيعي » احد ضروريات
العقلية العلمية

ويجب ان لا نكرر أيضا ان الاوهام والخرافات قد لعبت ادوارا مهمة في تاريخ نشأة العلوم فقد تسبب نجاح كبلر — الفلكي الالماني الشهير — عن الهواجس التي تملكته وهو في مستقبل العمر فمال الى عبادة الشمس على النسق الزرادشتي . وكذلك أتى وقت درس فيه الناس المذاهب الوثنية نكالية في المسيحية واحتجاجا على الفظائع التي ارتكبتها في العصور المظلمة مما عاد على العلم بفوائد جمة . ويعود الفضل فيما اكتشفه « بيكون » الى ايمانه بخرافة حجر الفلاسفة الذي اهتم باكتشافه فعثر على منزلته في العلم مصادفة واتفاقا وكل هذه السوابق مهدت الطريق للبحث الجدي الذي أتى بمد ذلك . وكان العلماء في صدر عصر العرفان كلما احتاجوا الى برهان لا ثبات ايمانهم العلمي التفتوا الى الرياضيات المؤسسة على البديهيات . واذ كان الامر كذلك فهل سيتيسر للعلم الوقوف على قدميه لو جذب من تحتها الاساس الذي قام عليه وبه تغذى ؟

نجح العلم في هدم المعتقدات لانه زاد قوة الناس وهذا ما شجع العلماء على زيادة البحث بين تصفيق الناس وحماستهم . ولكن الان وقد كثر الناس عن انيابهم واصبحوا يعارضون كل جديد لانه يهز اقتصادياتهم ولانهم تدينوا بما عرفوه من النظريات العلمية وقف مرتبكا لا يعرف ماذا يصنع خصوصا وان نظرية النسبية اجبرته من جهة اخرى للبحث عن مواضيع طالما استخف بها وهز كنفه لها احتقارا . ولكن يجب عليه الآن ان لا يفعل بل يبحث في « الزمان والقضاء والحركة » وليس هذا فقط ، بل قد يحوي علم النفس كل من علمي الفسيولوجيا (علم الاعضاء) والاحياء — الكيمية وهكذا قد انكشف العلم ورأينا نظريات تنشئ فلسفة جديدة .

فبقاء العلم والفلسفة الجديدة بعد الان في سلم مسلح لوقت طويل قد اصبح في غير الامكان، اذ يجب أن يكونا اما صديقين او عدوين . وتتوقف صداقتهما على امكان نجاح العلم في الامتحانات التي تضعها له الفلسفة . واذا

لم ينجح العلم فلا بد لهما من الاقتتال حتى ينهزم احدهما فينفرد الآخر
 بالحكم في العالم
 وكيف يتسنى للعلم التغلب وقد وصل الى ما هو عليه بفضل جمود العلماء
 من جهة وبفضل تقديس الناس لنظرياتهم وعدم رغبتهم فيما يستجد منها من
 جهة أخرى

ملخصة عن الانكليزية

ط . ه . حنين .

فصول في النقد والادب

— العفاد —

على أثر ظهور ديوانه حديثاً اقبل الأدياء على تقديمه فمنهم من اعطاه حقه ،
ومنهم من بنحسه اياه . على ان الباخسين لم يكونوا بنظرنا باخسين الا لانهم ارتكبوا
في المدح شططا ، فما كان تقديمهم تقدماً صحيحاً ، انما كان مدحاً وكفى . ولاننى
ان مدحهم كان رهبة منه او تملقاً إليه ، مما قد ظن به البعض ، بل نعى ان
المعيار الصحيح في النقد قد فاتهم ، وانهم قد اخذوا بشهرته ، فخيّل إليهم ان
صاحبهم قد بلغ من الأدب المثل الأعلى ، فكان في نظرهم الأمام الأوحـد
في عالم الأدب .

والحق ان صاحبهم قد ادرك شهرة لا يستهان بها ، ولقد بلغ في نظر
الأكثرية مكاناً عالياً ، على أن الشهرة ليست دليل قاطع على سمو منزلة المرء في
عالم الأدب المجدى ، فكم من شهرة كانت واسعة فبددها نقاد مجيد ان عاجلا
او آجلا ، والحق ان هذه النهضة الأدبية ان ظلت على حالتها الراهنة ، فلن
تصيب نجاحا ، وستظل تتعثر في سيرها ، وان اصابته ثمة نجاح فانما قد تصيبه
عفواً واتفاقاً ، ذلك لان النهضة الأدبية ان كانت باحتياج لشيء فان احتياجها
للقاد المجيدين لشديد ، هم الذين باستطاعتهم ان يحسنوا القياد ، وهم الذين كما
اشرفوا على ذلك او مهوى حولوا النهضة عنه ، وساروا بها في الصراط المستقيم ،
لنأتى اكابها ، وتقطف ثمرها ، هم النعمة الذين بمقدورهم ان يميزوا بين الطيب
والخبث يميزون بينهما لينبذ الخبيث ، وليقبل على الطيب ، ولكن لا يخذل الحق
ويعلو عليه الباطل ، هذه مهمة النقاد ، وهى مهمة لها مسؤوليتها ، ولها سرها .
فتش عن كل نهضة ادبية اثمرت تجد ان الفضل كل الفضل فيما اعطت من أكل
للقاد القديرين المخلصين عائد ، وهامهم في بلاد الغرب ، يتصدرون للزعامة ،

ويسرون بالهضة الأدبية سيراً حثيثاً ؛ كتبهم محترمة ، وحكمهم مقبول ، يخلصون كل الأخلص في عملهم ، ويتفانون كل التفانى في اعلاء شأن قلمهم ، لا يدعون للمدعين مجالا يستولون منه على عقول السذج لبناء شهرتهم ، بل ترى النقاد سرعان ما يحيطون بهم ؟ وسلاحهم اقلامهم ، وذخريتهم عقولهم : فيبددون شملهم تبديداً ، ويحطمون ماشيدها من عروش تحطيا .

فإن استطاع النقاد ان يبنى شهرته قائما هو مدين في صون هذه الشهرة الى غياب النقاد الماهرين كما هو مدين أيضاً الى السذاجة البالغة التي لم ينبج منه في عصره الا من عصم ربك .

وكم صقنا كثيراً ، وكم ابتهجنا ، وكم زال عنا من سجوف اليأس سجنف ، عند ما وجدنا بين النقاد اقلية ، لم نسمع منها من قبل شيئاً ، هذه الاقلية هي بحق مدركة ، فقد اسمعتنا اخيراً ، شيئاً طريفاً ، شيئاً ذا قيمة ، في عالم النقد والأدب ، فدل ذلك على وجود نقاد عندنا لا بأس بهم ، وانهم ان يلاموا على شيء فانما يلامون على سكوتهم الطويل وترك المدعين يصولون ويجولون وهم في غفلة عنهم .

ومن هذه الاقلية الأديب ذكرى ابراهيم فقد قرأنا له نقداً في السياسة اليومية عدد ١٢ نيسان سنة ١٩٢٨ ، فكان في تقده عن العقاد حصيناً ، وفي معياره صادقاً وفي تمحيصه جريئاً بريئاً . هذا الأديب وهذا اول نقد قرأناه له لم يكن في تقده اقل براعة من نقاد الغرب ، ولادونهم جدارة وفهماً وادراكاً وجراًة هذا الأديب وليس له من الشهرة شيء ، قرأنا تقده فاجللناه ، وتال عندنا مكانة لم ينلها المكثرون من الأدباء المدعين الذين يجرون ورأهم من الشهرة الزائفة اذبالا طوالا . اغتبطنا بهذا الأديب ، وما كن اغتباطنا به الا عن تقدير لمعياره واقرار بنفاد بصيرته وصدق حكمه . اغتبطنا به فعلمنا ان الربوع لم تبخل علينا بالنقاد المدركين بارهم تباخلوا علينا وعلى انفسهم فكانوا باللوم والتعنيف جديرين !

والآن لنعد الى العقاد ، وانا والله في حيرة كيف ادرك هذا « المعقد » في الورى شهرته ، وما الذى بذله ثمننا لهذه الشهرة ، واى جديد مستطرف ابتكره ، واى مؤلف قد جاء به ، حتى نقول انه دفع في سبيل هذه الشهرة ثمننا باهظا او عملا خالداً . هل التحرير في الصحف اليومية والاسبوعية من وسائل ادراك الشهرة والخلود ، ان كان كذلك فما أكثر المشتهرين وما أكثر المخلدين !!!

ام جمع مانشر في الصحف من مقالات متباينة في مجلدات هو من السبل المؤدية الى الشهرة والخلود ، ام هو النقد الغير برىء ، والتهجم على كبار الكتاب والشعراء ، هذا النقد وهذا التهجم اللذان يقطران غيرة وحسداً ،

ام هو التعقيد ولوك ماتقوله الفلاسفة . وترديد اسماءهم . واثبات مصطلحاتهم والأتيان بأقول لهم دون هضم وفهم كقوله « ان الجمال هو الحرية » أو « هو تغلب الحرية على الضرورة » ومات كله ، كل ذلك من مميزات شهرته ووسائل خلوده . . . فان كان كذلك فيالها من شهرة زائلة ويلاه من خلود موقوت !!

والا ارونى اين هي مؤلفاته الخالدة ، ومجلداته التى تفيض بخطراته ، وذات نفسه وروحه ، ورسالته ، وتصويره ، وادراكه للجمال وفنه الفذ الصحيح !!
ارونى اين هي رواياته التى استطيع ان اجد فيها شيئاً من روعة الجمال ، وسحر الففن ، وسير الأبطال ، وما تكنه النفس ، وما نجيش به الصدور .

ارونى اين هي رواياته وكتاباتة التى استطيع ان اجد فيها شيئاً من جمال النيل وارض الكنانة الناطق ربيعها بأبلغ فنون الكلام والتى يسير على « الموهوب » ان يستيوى سماءها الصافية ونيلها الرقاق .

دعونى المس في نثره روح الكاتب الحساس التى تتجلى في خطرات منصور فهى او ارونى في شعره روح الشعر التى تقنصت بشوق ، او وحي الشعر الذى أنطق حافظ ، ارونى شيئاً من ذلك لأحسه وألمسه ، اما فصوله ومطالعاته ومراجعاته فنعرفها ، وان كانت هي من مميزات شهرته وخلوده ، فيالها من بضاعة لا تستحق

اخلود ، وياله من بخس بذل في سبيل شهرة !!

أليس من العيب على هذا الجيل ان جاء مؤرخ نقاد بعد سنين ليفحص آثار الذين نالوا درجة اخلود في هذا العصر الذي ينتج انه عصر النهضة الأدبية ، فيجد أن في طبيعتهم العقاد ، وان كل ماله من بضاعة لا يؤهل درجة اخلود ألا يسخر من هذا العصر ومن أهله كيف يبيعون درجة اخلود السامية بثمن بخس ، ألا يشك في وجود جامعات راقية شيدت لنهضة الأدب واساتذة قديرين لاعلاء شأنه ، ألا يشك في مقدرة رجله كيف يسمو فرد من بينهم وهذه البضاعة بضاعته لزعامة الأدب فيطأطئون له لوروس كباراً ، ألا يحكم على هذا العصر انه عصر أقرب الى الرجعية منه الى النهضة الأدبية ، وان آفته القحط في الرجال والعبقريه ، ألا يحق له ان يسخر من فتنا وذوقنا ومعيارنا وسذاجتنا جميعاً ؟ ؟ ؟

والعظمة منزلة سامية حري بنا الان نجود بها الان يستحقها عن جدارة واستحقاق ليكون ذاك العظيم جديراً بالتقدوة عند الناشئين والمتأديين !

والعظمة ان جدنا بها على الدعى عن غير جدارة لانخون انفسنا والحق ، وروح العصر فحسب ، بل تمنى على الناشئة التي ستتبعنا ونجنى على انفسنا ايضاً منذ ما يقوم من بين تلك الناشئة حصيف يميز الغث من السمين فيهرأ بنا ويترك لأتباعه مجالاً للهرؤ والسخرية بنا .

وها انا بعد اعان لاملأ رأيي واقول بصراحة ، دون حسد او رياء او انتقام او مجاملة او تهجم بل عن اخلاص وكفى : ان العقاد ليس « بالكاتب الموهوب » الذي يستحق ان يتنعم بدرجة العظمة وبنعمة اخلود .

ولكن ما هو ان لم يكن كاتباً ؟ ؟ ؟ أهو شاعر ؟ ؟ ؟ استغفر الله . . . كلا كلا وماهو بشاعر ، ومن يعلن انه شاعر لايجن على الشعر فقط بل على ذوقه وعذابه من آله الشعر يؤمئذ لشديد !

وهناك من يعيب العقاد في شعره غياب شيء سموه « العاطفة » وفاتهم أنهم

كانوا في تسمية هذا الشيء مخطئين . . . هذا الشيء لو ادركوه لسموه « روح الشعر » وهو المفتقد في « شعر العقاد » - وای شعر ؟ ؟ وما هو بالحرى الانظم والشعر لعمر ك لا يشتري بثمان بل يوهب. ومن هنا كان تطاول العقاد الى جملة وهو غير موهوب تطاولا ماباء من وراءه الا بالفشل المبهين !!

ويعيب العقاد على الشعراء الذين بذوه فسخر منهم أنهم يتملقون في مدحهم. وان النصف لعاب على نفسه - في نظمه - التشبيب المزيف ، فهو لا يتملق في المدح بل يقترب شيئاً ادا ، ذلك لأنه يأتي الى الحب فيتعلق إليه ليوهمك انه احب وان ماتقرأ من « نظم » « ومن « وحى الحب » ، والله يعلم انه لم يحب او ان احب فاما قد اصطدم الحب عنده بصخرة صماء محرومة من الشعور والعواطف !! ولو كان العقاد كما يقول اصحابه موهوباً لكان حصده من حبه شيئاً معجزاً وجاد بالشيء الثمين . . . فالحب وحى ينطق الجواد فخرى به اذن ان ينطق من احترف الكتابة والكن شاء ربك ان يكشف الوعاء . . .

ولو كان العقاد شاعراً ينطق عن وحى لقرأت كثيراً من شعره ؛ على الأقل في الاسبوع مرة على صفحات تلك الصحف التي يحرر فيها ، لأن الشاعر الملهم لا يجد من بد من نشر شعره وتقديمه على نثره . . . ولكن الآية في العقاد معكوسة وعكسها دليل على انه في ذات نفسه يعتقد انه ليس بالشاعر !

فهذا الكاتب قد برع بشيء وهو التدليس والأيهام والغموض . . . أما التدليس فانه ماهر فيه ؛ فتماه يشترك في أسمى المجالات الغربية لا لينتفع من موادها او لينشر من مستطرفاتها كلاً ؛ بل يستهدى على اسم العظيم الذي نال عند بني قومه اجلالهم وتقديرهم ليروح يستوعب ما قيل في ذاك العظيم من مدح وماسرد فيه من أقوال وماترجم عنه من اعمال وما قيل في كتبه و . . . و . . . اجل . يستوعب هذا كله لالشيء الا ليتخذ عند بني قومه آلة للتدليس ليوهمهم انه ذو اطلاع واسع ، فيدس اسم هذا العظيم في كلماته ماشاء له التدليس ، ويلوك في آرائه -

مدون استيعاب او هضم ، ويردد في ذكر مؤلفاته دون مطالعة او فهم ، ويخاط في اصطلاحاته او ينقل هذا كله نقلاً عما ترجم لذلك العظيم في تلك المجالات الأجنبية ، والتي يكون مشتركاً بها ، هذه المجالات كم يحرض على اخفائها عن صاحبها وهيئات ان تظفر منه بذكر اسمها ، انه لا يفعل كيلا يفتضح امره !

اما ابهامه وغموضه فقد اشكل امرها على الأدباء وحيراهم ، فمنهم من اتخذ ذلك المثل القائل « والخفي اعظم » لهم شعاراً ، فقالوا ان لا بد ان وراء هذا الغموض وهذا الأبهام عظمة لم تستوعبها مداركنا وعليه مادمنا قاصرين عن ادراكها فالتصور هو منا وليس منه . . . هؤلاء السذج ظنوا بانفسهم سوءاً ، وبغموضه خيراً ، فمنحوه العظمة بلاهة . ومن هنا ترى ان العقاد كان مديناً لشيء مفوه لهذا الغموض ولهذا التدليس جد مدين . . .

واني لا أذكر اني قرأت للسيد مصطفى صادق الرافعي جملة هي بحق مضحكة لما فيها من مهارة في التشبيه والتصوير ، فقد قال « وقد حيره غموض العقاد » شيئاً استطيع ان اتقل فحواه دون نصه وهو : « ان القدر كان جد منصفاً باعطائه اسم « العقاد » اذ علم ان « التعقيد » لا بد ان يكون يوماً ما من صفاته وميزاته . - وما هو بحق اقل منه تعقيداً ولكن السرف في الشهادة انها شهادة تعقيد صادرة بشأن معقد من أمام المعقدين - تلك الجملة قرأتها للرافعي وقتئذ ولا ازال اذكرها مستغرقاً بالضحك كما ذكر لي اسم العقاد ، ولعمرك ان كان « أمام المعقدين » يشكو من « تعقيد العقاد » فماذا بقي للبسيط الغير معقد ان يقوله ؟ ؟

وهناك فئة اخرى تنعت العقاد بالكاتب لالشيء الا لأن اسلوبه - في نظرم - يحكي اسلوب المقفع وابن العميد ، والجاحظ . . . و . من القدماء الذين يجلون ، هؤلاء لا يجلون العقاد الا لأسلوبه . . . وجدير بك بعد ان تهزأ بهم وبمعيارهم وبأسلوب صاحبهم ايضاً .

اما وان العقاد ليس بكاتب ولا بشاعر موهوب فما هو اذن ؟ ؟ اللهم اني

لا ادري واني لجد مختار في شأنه واعلمه يكون « محدثاً » بتشديد الدال ، بالأدب او « راوية » وإيجازاً ان هو الا محرر صحيفة ذو شخصية معقدة لا أكثر ولا أقل ، ولعل القدر الذي ساقه للتحرير في الصحف اليومية لم يبخسه حقه فالعظمة الحقيقية لا تستقر الا بالمعظيم الحقيقي وان استقرت بغيره بنظر البسطاء فما هي بعظمة ان هي في نظر المدركين الا بهرج ذائل ! !

وما انس لا انس سخرיתי من العقاد عند احتكاكه بعلامة العراق الزهاوى فهو قد التمس فرصة من اقرار طه حسين وهيكل في بحوثهما عن النثر والشعر تلك البحوث التي ادلينا بما عندنا من رأى بشأنها — من انه هو الشاعر الذي يمتاز شعره بالفلسفة وان بين الشعراء المعاصرين ليس هناك من شاعر في شعره فلسفة الا « العقاد » في مصر « والزهاوى » في العراق التمس صاحبنا هذه الفرصة وراح مجباً من جهة لتفرد بالفلسفة وحاتماً من جهة لان له في هذه الميزة شريكاً اذن فما عليه الا أن ينزع هذه الشراكة من شريكه ليتفرد بالعظمة التي ليس لها من شريك ؛ انظر ماذا فعل : انه نشر استفتاء من أحدهم يسأله فيه ان يعطى عن شعر الزهاوى وفلسفة رأيه : أهو بحق ممتاز ام هو لا يستحق ثمة شهرة فاعجب كيف أتى هذا الاستفتاء من بعضهم في وقت بلغ فيه مرجل حقد العقاد حده ؛ لأن كان هذا الاستفتاء مزيفاً فليس بغريب صدوره من العقاد أو بدافع منه ، وان كانت الظروف هي التي ساقته فليست هذه اول صنيعه لها عنده اذ ذاك سعى العقاد ، وكيف لا يسعى الى الخط من شأن الزهاوى لأخراجه من حلية الشعر والفلسفة معاً صفر اليدين ولكن اتظن ان الزهاوى استاذ الفلسفة ، قبل ان يخلق العقاد ويتحلها لنفسه ، سكت له عن تهجمه لاوربك لقد أعطاه درساً مفيداً اذ ذاك ظهر العقاد امام الزهاوى كالمسوخ الذي يبارز عملاقاً أو كالتلميذ الذي يحاج أستاذاً أو كالقرزم الذي يتحدى جباراً ، ولقد كانت مساجلتها العمر ك مساجلة مضحكة تبيانها ولما حوت من حكمة الحكيم يخطط المهازير وفق الفيلسوف ومشاكسة المغرور .

والغريب في العقاد انه لا يقر بعظمة فرد مبرز في الأدب من بني قومه المعاصرين . ذلك لانه يحرص على ان تكون الشهرة مقرونة باسمه لا يزاحمه فيها مزاحم ، وما دأبه الا ان يتهم على البارزين فيزدري بهم . . . فادب المرحوم المنفلوطي في نظره ادب ضعيف ؛ كأن شدة الأحساس عنده من وسائل الضعف كما فهم خطأ عن نيتشه ، وشعر شوقي ركيك ، والزهاوي ليس بفيلسوف . . اما المدح فانما يكماله لادباء الغرب وفلاسفة لاعن فهم وتذوق بل لانه يعلم انه كاسب من وراء مدحهم وذكر اسمائهم رجاء لنفسه ، وانهم لن يقاسموا العظمة في محيطها لعل طاغور لم ينل عنده مكانة الا لانه بعيد عنه او لأن عظمته أخرجها عطاء الغرب فكان حقاً عليه ان لا يتبجح بالانكار لكي لا يسقط فيه . . . فهل رأيت أنانية أبلغ من هذه الأنانية . . . ولعمرك انها لانانية مرذولة قد بلغت حداً وليس وراءها من مزيد !!

ولعل لم يكل المدح جزافاً لصاحبه المازني الا بعد ان اخذ منه عهداً ان يكيل له الكيل كيابن والصاع صاعين وهكذا فلتكن المتاجرة والا فلا . . . والعقاد هو جد متكلم على هذه الشهرة التي احرزها فهو يعض عليها بنواجذ ويسعى لاستبقائها ماشاء له الغرور والباطل والويل لمن ينازعه عليها او لمن يكشف عن ستاره ليظهر للناس حقيقة امره ؛ اذ ذاك يكيل له من بضاعته السب والشتم والسخرية بالكيل الوافر . . . ولكن نسي موقفه مع العلامة الكرملي الذي بين عن الكثير من مغالطاته وكشف عن عجزه عند نقده لديوانه . . .

ألم يكن موقف العقاد موقفاً معيباً لا يقره نقد ولا يقره ادب ، انه لم يخرج من آداب النقد والمناظرة فحسب ، بل قد تسفل الى درجة لم يحترم عندها شيخوخة ذاك العلامة الجليل بما كانه له من سب وشتم وقبح ، وماذا يفعل العاجز غير هذا يلتجئ إليه استبقاء على شهرة اصابته عفواً وما هو بأهل لها . . . أليس النقد قليلين في هذا المحيط واقل منهم اوائك الذين يقولون الحق وان استهدفوا لخطر السب والشتم . فاذن هين على العقاد محاربة اوائك ماداموا متحفظين ، يفضلون

«السكوت على الاستهداف للنقد القاذع الذي قد يصيب اشخاصهم ، وما على انعقاد كلا نهض منهم ناهض الا ان ينهال عليه سباً وشتماً حتى يسد عليه منافذ الطرق باصاليب من شتمه وقبحه ، ليكون لغيره عبرة كي لا ينسج على منواله ؛ وهكذا فعل مع الكرملى ولكنه في هذه المرة لم يحدد الا فشلاً وعاراً في نظر المدركين ، وان اصاب في بعض مواضع الدفاع ! !

ولقد تبعه لهذا الأمر الفيلسوف الزهاوى في رده على العقاد حيث قال .

لا اعلم لماذا يهاب الكتاب الاحتكاك بهذا الكاتب ولماذا يتعاشون التعرش به ، فان كان تطاوله هو المهاب فاني ارضى بما يصيبني منه في سبيل اعلاء الحق وازهاق الباطل ! !

ولقد تراءى لاحدهم من المعجبين به ان ينقده على اثر ديوانه نخط حديثاً نشره بالسياسة الاسبوعية رقم ١١٠ تاريخ ١٤ نيسان سنة ١٩٢٨ واتخذ له في حديثه قريباً وهمياً وكأني به قد ادرك ان هناك نواقص في شعر صاحبه ليس بالمستلح ذكرها عند مدحه فذكرها على لسان قريبه الوهمي وراح من حسن ظنه يخلق لها الأعذار والأسباب الواهية ، ولكن اتظن انه ارضى صاحبه العقاد مع ما كان في مقاله . من مدح لامبروله ، كلا ، فالعقاد على اثر قراءة حديثه وقد ذاك النقد المستتر في المقتطف راح يعيب عليهما عدم الإدراك وراح يعطيتهما في « الحقائق الشعرية وكيف يجب ان تفهم » درساً على زعمه ! ! !

فهل لقيت ابلغ وقاحة وغروراً من هذا كله ؟ ؟ ؟ فهو لا يرضى عن احد الا ان يقول له انك امام الكتاب ومعجزة الشعراء بلا مدافع ولا مزاحم ! ! ! ويأليت غروره وقف عنده هذا الحد بل راح - في درسه - يقيس شعره بأبلغ شعر ، وشخصه بأعظم شاعر عرفتة اللغة العربية من قديم الازمان للآن ، وديوانه بأعظم ديوان ، وشيطانه بأمر شيطان « ايضاً » ، ويتحدى من يكذبه ونحن اولاء نكتفي بهذا وبما املاه علينا الحق ، ونترك العقاد ، مادح نقده ، يقرىء القراء السلام

أفزع جرائم القرن التاسع عشر

(وقفت في يدنا مجموعة تشتمل على بيان واف لتسع
جرائم ارتكبت في أوروبا في القرن التاسع عشر
والتي تعتبر بحق أفزع جرائم ذلك القرن. فرأينا ان
نطابق للقراء في قالب قصصى يعنى التفاصيل دون إطالة
بالتقصير)

١ - التورع بالجريمة

في صباح اليوم الثانى عشر من شهر اكتوبر عام ١٨٦١ وجدت فتاة
- موصوفة في سجلات بوليس باريس أنها من الساقطات (ونترك للقراء تفسير
ذلك لانفسهم) - ومقتولة في عنقها . وعنقها مقطوع من تحت احدى
أذنيها الى ماتحت الاذن الاخرى. وقد قرر الطبيب الشرعى أن الوفاة حدثت
على أثر خنق . وعلى ذلك فان المبروح التى أنزلت بجان هريس يصح أن
تعتبر اغراقا في الجريمة . اذا كان اللابث على ارتكابها هو السرقة فحسب.

والحق أن الطبقات الدنيا في فرنسا - وهي التى تنتمى جان
هريس اليها - قد اعتاد أهلها على الادخار والاقتصاد مما يثير طمع الاشرار
فيهن . كما سبرى القارىء الكريم قدامه .

ولم يعرف من التحقيق الذى جرى في هذه الجريمة أن القاتل سرق شيئا ،
على أن ما ثبت قطعيا هو أنه كان عليه الوقت الكافى للسرقة دون أن يخشى من
ازعاج المقتولة اياه حيث انها قد ماتت تحجب الخنق . ومادام تقطيع الجثة لم يكن له لزوما
فان الجريمة قد اتخذت صفة خاصة - وحرار البوليس في تكييفها . ومع ذلك فقد
نغالى اذا قلنا ان باريس اهتمت بهذه الجريمة لأول وهلة

بل إن ارتكاب جريمة أخرى مماثلة بعد أحد عشر شهراً من وقوع الأولى يثر
 رعباً كبيراً . وكانت الضحية الثانية «مرغريت لافى» تنتمى الى طبقة المنبوذات .
 كذلك . ولاقت حتفها بنفس الطريقة مثل جان هريس . وأسقط في يد البوليس فى .
 هذه الحادثة كما غلب على أمره فى الأولى . وهو لم ينكر هذه الحقيقة بل اعترف
 فى صراحة انه ليس لديه أثر يستدل منه على الجرم . وربما كان قصده أن لا يجعل
 الجمهور يتأذى بنار الانتظار .



ومضت ثمانية عشر شهراً أخرى . ونسى الجمهور بتاتا جان هريس ومرغريت
 لافى . وحتى البوليس لم يعد يذكر عنهما الا القليل . الى أن كان اليوم الرابع
 من شهر فبراير سنة ١٨٦٤ اذ وجدت فيه ساقطة ثالثة اسمها لينويل مقطعة تقطيعاً
 فظيماً فى الغرفة التى كانت تسكنها فى ربع متخرب تقرر تازلت لتوسيع الشارع
 المعروف الآن باسم شارع الأوبرا

وهذه المرة نشطت العاصمة الفرنسية نشاطاً حاداً . وعندما أعلن البوليس
 - ملما حدث فى الجريمتين السابقتين - عجزه عن اقتفاء أثر المجرم . ضج الجمهور
 وطالب برفت رجل البوليس جملة واحدة . وبديهي ان هذا الطلب لم يكن يقل عن
 طلب اسقاط نابليون الثالث عن العرش . بل قد يكون الامر الثانى أقرب منا لامن
 الأول . وانما لسنا نغط هذا الامبراطور فضله . فنقرر هنا انه اشترك قلبياً فى
 الاسى والمطالبة بدم الضحايا فى هذه الحوادث

واستدعى المسيو كلود - رئيس قوة البوليس السرى - الى التويلرى (١) -
 وبالرغم من كفاءته المشهودة فانه قد اعترف بعدم قدرته على حل معميات هذه
 الجرائم . وكل ما استطاع أن يزعمه فى شيء من الثقة هو أن الجرائم الثلاث قد -

تأقترفتها يد واحدة . بنفس العجراة . مصحوبة بنفس الاحتياطات من عدم وجود أى أثر يدل على الفاعل . وقل « اذا كنا حاصلين على أدق الاوصاف للقاتل ، واذا كانت هذه الاوصاف تشير الى أقبح الوجودوا أكثر الجنوم تشوبها و أشدها مسخاً فاننا لن نستطيع بواسطتها معرفة المجرم من بين المليون ونصف المليون نسمة من سكان باريس . اللهم الا اذا كان ينتسب الى فئة المجرمين معتادى الاجرام . وأنا شخصياً واثق أنه لا ينتسب الى هؤلاء . وإنما هو شخص مصاب بجنة في عقله . وفي الاوقات العادية يكون عاقلاً كبقية الناس . فالصدقة . . الصدقة وحدها هي التي ستوقعه في أيدينا » - وقد برهنت الحوادث التالية على صدق وجهة نظر المسيو كلود . فان الصدقة . والصدقة وحدها هي التي أوقعت جوزيف فيليب في يد العدالة

وقد كانت هناك ثلاث نسوة على الأقل في موقف يستطعن معه إعطاء وصف للقاتل . غير أن خوفهن من انتقامه كان يمنعهن عن ذلك . فلما انقضى ذلك الخوف . واصبح القاتل غير قادر على ضررهن . أدبن شهادتهن ضده كما سيجىء . على أنه قد اشتهر عن الفرنسيين أنهم لا يميلون كثيراً إلى مساعدة رجال البوليس . وقد نشرح لك أسباب ذلك في فرصة أخرى

فانه في أول مارس من العام نفسه رافق فيليب الفتاة (١) هيلين ميراند حيث رضيت أن يذهب معها الى منزلها . على أنه لم يكذباً أرض غرفتها حتى ندمت على ذلك أشد الندم . ثم تركت الرجل الغريب في غرفتها ونزلت الدرج واستودعت إحدى صويحباتها الساكنة معها في المنزل مدخراتها البالغة ثلاثين فرنكا . قائلة لها انها لا تشمر بالارتياح لهيئة زائرها . ولقد صدقت نبوءتها اذ حاول الخبيث خنقها . ولم ينجها من شر الخاتمة التي لحقت من تقدم منها الا مقاومتها الشديدة اليائسة . لأنها كانت طوال الوقت محاذرة منه . فما كادت

(١) يطلق لفظ فتاة عند الافرنج على كل آنسة او سيدة لم تتزوج

تبدو منه أول بادرة منبهة عن نواياه الحقيقية حتى صرخت بأعلى صوته . فغادر الشرير الغرفة بهدوء . وحينئذ ، بدلا من أن تذهب هيلين إلى البوليس لتبافه الحادثة ، اكتفت بتحذير فتاة أخرى تحترف نفس المهنة !!

ومهما يكن في الأمر من غرابة فإن الحقيقة هي أن أغلب هاته الفسوة التعسات اللاتي يدرن حول الحى المعروف — شارعى دوميل وسان جوزيف — يظهر أنهن كن يدرسن أن الرجل الذى يبحث عنه البوليس بشأن مقتل جان هريس ومرغريت لافىولينويل هو ذلك الذى يحوم حولهن اثناء الليل . فيمنعن الخوف عن قبول أى مبالغ منه مهما كان جسيما ومقدما — ومع ذلك فلم تكلف واحدة منهن نفسها مؤونة ابلاغ أمره الى البوليس



ولم تقف الحوادث عند هذا الحد . فقد ظهر فى الخامس عشر من شهر ابريل التالى أن قائمة الضحايا زادت واحدة . وذلك على الرغم من أن احدى صديقات جولى روبرت — الضحية الرابعة — وهى الفتاة مورجاندا كانت قد رفضت قبل يومين من مصرع صديقتها قبول دعوة فيليب لمراقبتها . على انها — كما قدمنا — لم تخبر أحداً بذلك الا بعد أن قبض عليه . وأمنت شره وجولى روبرت ، ولو أنها لم تكن من طبقة أرقى من الطبقة التى اختيرت منها الضحايا الثلاث السابقة ؛ كانت تمتاز على زميلاتنا من بعض الوجوه ، فقد كانت تقيم في منزل مؤسس تأسيساً حسناً ، فضلا عما كان عندها من الفساتين الغالية ، وخمسين جنيتها من ورق البنكنوت — وهذا يؤيد نظريتنا السابقة من أن أفراد الطبقة السفلى فى فرنسا يميلون الى الاقتصاد والادخار

والظاهر أن المجرم فتش دولاب الملابس تفتيشاً بسيطاً فحسب . لأنه لم يعثر على النقود التى كانت قد نقلت الى مكان آخر . وربما أنه لم يشأ الإقامة طويلا . وقد كان يستطيع أن يفعل ذلك دون خوف . فإن الجثة لم تكتشف

إلا بعد ستين ساعة من وقت الوفاة. وقد كان حتى هذا بمجرد صدقة . إذ كانت جولي روبرت قد أعدت العدة للانتقال من منزلها في يوم اكتشاف جثتها. ولذلك فإن سائق العربّة الذي حضر لنقل الاثاث هو الذي أبلغ الحادثة إلى رجال البوليس . ولولاه لبقيت الجثة في مكانها أسبوعاً أو شهراً دون أن يعلم أحد عنها شيئاً

ثم يقول الفرنسيون ان نظام وضع البواب على المساكن هو الحماية لأرواح السكان وامتعتهم . فانظر إلى ماقاله لى صديق مفرم إلى حد ما بالمتناقضات، وقد أقام ردحاً من الزمن ليس بالقصير في باريس : « إن خير وسيلة تضمن بها سهر البواب على حياتك وامتعتك هي ان تبقى دائماً مديناً بأجر ثلاثة شهور لصاحب الملك الذي تسكنه » ولكن جولي روبرت كانت فتاة تدفع المستحق عليها في حينه . وعلى ذلك فإن البواب « لم ير شيئاً . لم يسمع شيئاً . لا يعرف شيئاً »

وفشل البوليس كالعتاد . وبلغ من حضور ذهن المجرم واحتياطة أن غسل يديه في صحن قبل أن يفتح ادراج الدولاب حتى لا يترك عليها أثراً من أصابعه الملوثة بالدماء

واجتمع رؤساء الشرطة في مكتب كبيرهم المسيو كلود . وجعل كل منهم يقترح تدبيراً . والمسيو كلود صامت يصغى . وأخيراً هز رأسه في كآبة قائلاً : « إننا لو رصدنا له مائة سواء من البوليس السرى الرسمى أو المتطوع . في مائة موضع . لما استطاعوا القاء القبض عليه . وها أنذا أخبركم ماذا يحدث لو فعلنا ذلك . إنه سيعلم بأمركم فيترككم وشأنكم في الحى الذى تتربصون له فيه . ويذهب للعمل في حى آخر . ومن يدرىكم متى يكون ذلك ؟ فقد تمضى شهور قبل أن تعاوده النوبة . والحق أنه لا أمل لنا في القبض عليه مادامنا لم نغتر على أى أثر له من سكن أو مندبيل أو قبعة . كما أنه ليس له شريك يخدريه ويسلمه »

وكان الميسوكلود صادقاً في استنتاجاته هذه أيضاً . فقد انقضت أربعة أشهر على الحادثة الرابعة . ونقل القاتل ميدان أعماله من قلب باريس الى حدودها الشمالية الشرقية . ووجدت ماري هيلي في الحادى عشر من شهر أغسطس من نفس السنة في حالة مماتة لاحوال الضحايا التي تقدمتها . على عنقها نفس الآثار . ونفس الجرح الخفيف من تحت إحدى أذنيها الى ماتحت الاذن الاخرى ... الخ ... الخ . وبالاختصار يظهر ان القاتل قد وطن نفسه على الاستخفاف بالبوليس . وكأنما كان يلقي قفازه في وجهه



وانتشر الرعب في كافة انحاء المدينة العظيمة . وجعلت الطبقة الدنيا من المنبذات تزال تجارتها بفرائص مرتعدة
وقد أدى هذا الرعب الى الحصول على وصف للقاتل . ولكنه لم يؤدي الى القبض عليه . إلا أنه كان على كل حال أول بصيص من نور تفتحت عليه أعين رجال البوليس

فقد حدث بين الساعتين السادسة والسابعة من صباح اليوم السادس من شهر نوفمبر من السنة ذاتها ، ان سمع سكان شارع سان مرغريت .. الواقع في حي سان انطوان - صراخا عاليا مربعا صادرا من احدى غرف الطابق الثانى وشارع سان مرغريت هذا . والأزقة والحوارى المجاورة له . كانت ولا تزال تقطنه جماعات ملتقطى الخرق والاشياء الرثة البالية . وهذه الجماعات لم تعود على حسم مايقوم بينها ، من نزاع أو خلاف عائلى بالطرق الودية . ولذلك فان الصراخ مهما تعالى وتكرر . ومهما اقترن بقرعة كسر الأواني والصحون . فانه قلما يسترعى أى التفات من الجيران . ولا يجلب تدخلا من أحد منهم بأى حال وهم بالطبع لم يخرجوا على المؤلف في الحادثة التي نحن بصدددها . بالرغم من رنين صيحات طفل عالية صادرة من أعماق قلبه فيكاد يغطى على صراخ امرأة ممتزجة به

وبعد عشر دقائق مر جماعة من العمال . وشاهدوا خيال امرأة في اثنافئة المفتوحة ممسكة بصلفتها . تفرج شفتها ببطء ويقتازع حلقها عن أصوات هائلة . وبينما كان العمال ينظرون الى فوق اذ بذرف ساخنة تتساقط على وجوههم . فيمسحونها ويتبين لهم انها حمراء . فيقولون « لقد بكرت اللعينة بالشراب » . وهكذا يحسبونها خمرًا . فينهبون الى حال سبيلهم

وبعد برهة . بينما كانت البوابة تكسّس الدرج اذابها وجدت مفتاحا في كومة الزباله عند نهايته . فلقطته وسلمته الى حبيب مدام مادج - الذي يتفق حضوره في هذه اللحظة - وقالت له انظر ! هكذا تضيع المفاتيح » . ولا تشير بحرف واحد الى الصيحات التي سمعتها هي وجميع أهل المنزل في مخدع مدام مادج . فلم يحفل بها واحد منهم

ولسنا نصف المنظر الذي وقعت عليه عينا الخيب عند ما دخل الى مخدع حبيبته . فقد جاء وصف هذا المنظر في صحف باريس مفصلا . ويتبين منه ان المعركة التي قامت بين المرأة وقاتلها كانت هائلة . لان قطة اتفق وجودها على انفراس وقتئذ قد سحقت سحقا . وقطعت الام وطفلها أربا أربا . وقال شاهد عيان ان « الدم انشأ بركا حقيقية » . وظهر ان القاتل قتش دولاب الملابس كالعتاد . وحمل ما خف حمله وغلائمه . وكذلك النقود . على أنه لم يترك وراءه أثرا يستدل منه عليه

وقد كان عقب وقوع هذه الجريمة بثمان واربعين ساعة ان وصل الى البوليس بيان مسهب به وصف للقاتل بتوقيع جوزفين فوش التي كانت قاب قوسين أو أدنى من الوقوع بين مخالب فيليب في مساء السبت الذي قضت مدام مادج نحبها في الصباح التالي له . وها هو نص بلاغ الفتاة فوش بمخذافيرد . وهو مؤرخ في ٨ نوفمبر سنة ١٨٦٤ :

« في مساء السبت الماضي حوالي الساعة الحادية عشرة تقدم مني رجل

مرتد جلبابا في شارع سان مرغريت . قريبا من مسكني . وطلب مني ان آخذه الى غرفتي . وما أن دخلنا الغرفة حتى عرض على ساعته الفضية وسلسلة وقطعة ذهبية بعشرين فرنكا . واخبرني انه ليس لديه نقود صغيرة سوى فرنكين وطلب مني ان أصرف القطعة الذهبية . فلم أشأ ان اتركه في الغرفة وحده لاسيما أنه ذهب الى السرير تورا وتمدد فوقه . فتركت المفتاح خارج الباب وقلت له اني اشعر بتعب وظأ شديد . والحق اني كنت ارتعد من قمة رأسي الى اخصى من الخوف . وكان هو يرتعد كذلك ويبدو عليه القلق والتردد . وخيل الي أنه يهم بالاقدام على عمل . فلما ادركت هذا زاد خوفي وبالاخص ان صحتي ليست جيدة مطلقا . كما اني لست على شيء من القوة . ويحتمل ان يكون هذا ما اطعمه في عندما وقع نظره على وهو يحدث مدام ماذج . فتركها وجاء ليحادثني . وقد لاحظت وقتئذ انه أخفى شيئا صلبا طويلا في أحد جيوبه . ولما نزلت معه الى حانوت الخبازة لصاحبة المنزل الذي اسكنه صممت على انتهاز الفرصة للهرب منه وأشرت للسيدة بذلك ففهمت اني خائفة . وحينئذ أعطتني شمعة . وأفسحت لي طريق بابها الخاص وراء خوان الخمر الكبير وانتهرتني بصوت أجش « هيا اذهبي الى غرفتك ونامي » كأنها ارادت أن تفهمه أنني أقيم معها . فدخلت وما زلت خائفة اتمثل عينيهِ الواسعتين . ووجهه القاتم المتجهم الذي عليه قليل من آثار الجدري . وأثر طويل لجرح قديم بعرض جبهته . وشعر مجدع وشارب من نفوش — كل ذلك جعلني أرتعد كالريشة في مهب الريح عندما دخلت الى غرفة صاحبة المنزل . على أن ما أفرغني اكثر من هذا وذاك هو الوشم الذي على ذراعه اليسرى . وهو عبارة عن زهرة تحتها هذه الكلمات مولود في ساعة منحوسه » الى هنا انتهى البيان الاول لجوزفين فوش على أنها — بعد حين — عندما قبض على جوزيف فيليب كانت طريحة الفراش في مستشفى تعالج مرضا خبيثا أصاب عينيها . ومع ذلك قنأ عرفتة لأول وهلة عندما ووجهت به . ولم

ترد كثيرا على ماجاء في بلاغها الا ما كان من أجابتها على اسئلة المحقق الذي ذهب لتلقى شهادتها. فقالت عن أسباب خوفها انها ليست واثقة تماما متى بدأ يساورها هذا الخوف الذي بلغ اقصاه عندما استلقى فيليب على الفراش فآخذ وجهه صورة جهنمية . وانها في الوقت ذاته وقع نظرها على الوشم الذي على ذراعه فظنته احد المساجين خارجا حديثا بعد وفاء المدة المحكوم عليه بها وبالطبع «أنفت من ملامسة مثل هذا الرجل » واختتمت شهادتها بالعبارة الآتية : « وذلك هو السبب في أني تجنبيت هذا الوحش الضاري الذي قضى على صديقتي وطفلها. لقد بكيت بكاء مرا على أختي وابنها . فكم اكون مسرورة حين أرى رأس هذا الوجد تسقط في صندوق الزبالة » . وصندوق الزبالة هذا هو السلة الموضوعة بجانب المقصلة

وكانت جوزفين فوش تعتقد انها اذا لم تكن قد رفضت ما عرضه عليها فيليب فإن صديقتها مادج ما كانت تلاقى حتفها على هذه الصورة . فهي (جوزفين) قد رأته بمحادث صديقتها اولا . ثم تحول إليها . وبعد حادث حانوت الحمار صعدت جوزفين الى غرفتها ونظرت من خلال النافذة المطلة على الشارع تراقبه . فرأته يعود الى مدام مادج

يبدأ استنتاجات جوزفين قد نقضتها شهادات الخبراء اثناء المحاكمة . اذ قال هؤلاء ان فيليب قصد في تلك الليلة ان يقتل امرأتين : اذ كانت النوبات التي تعتريه فتجعله يتشوق الى القتل قد نمت وكبرت فاصبحت ضحية واحدة لا تشبع نهمته

وكان ضروريا ان تنقضي بضعة أشهر قبل ان تسقط رأس فيليب في صندوق الزبالة . فلقد قال المسيو كلود من قبل إن مجرد معرفة اوصاف القاتل ليست كافية للاستدلال والقبض عليه . وكان يشاركه في هذا الرأي قاض من اقدر قضاة التحقيق الذين انجبتهم دوائر التحقيق الجنائي الفرنسي على مدى الزمن هو المسيو دوجونيه . وهو لا يزال يشار اليه بالبنان الى وقتنا هذا

فلما اشتد هياج الجمهور عقب نشر التفاصيل التي وردت في بيان جوزفين فوش دون ان يقبض على القاتل . وجعلت الصحف تنادى بلسان الشعب طالبة الاسراع في وضع العدالة يدها عليه زاعمة ان مهمة البوليس اصبحت سهلة جدا بعد علم البوليس بوصف القاتل — لما حدث ذلك وضع الميسو كلود — وعاونته الميسو «دوجونيه» — ردا جديرا بأن يحفظه رجال البوليس في العالم اجمع ليحيبوا به على نقادهم الذين لا يبنون تقدم لعجز البوليس على اساسات فنية او منطقية . فقالوا « انتم تقولون ان مهمتنا اصبحت سهلة جدا بعد نشر اوصاف القاتل . ونحن نعترف بذلك ولكن على شرط ان تعدونا بالأا تغضبوا ولا تسيئوا فهم غايتنا اذا كنا نلجأ — لارضاء عواطفكم الى القبض على كل شخص واسع العينين . قاتم اللون متجههم الوجه الذي عليه قليل من آثار الجدرى وأثر طويل لجرح قديم بعرض الجبهة . وشعر مجعد وشارب منفوش . وبالطبع يسمح لنا الى جانب هذا بدخول المراقص الخاصة والمحافل العامة وأى مكان نرى ان نظرقه للبحث عن شخص بهذه الاوصاف . لأن هذه الجراء ولو انه ظهر ان أغلبها كان مصحوبا بالسرقة فأتنا نعتقد ان الدافع الرئيسى لارتكابها هو شىء آخر غير السرقة . حيث قد ثبت من الكشف الطبية على الضحايا فيها ان الموت يقع اولاً على أثر الخنق ، ثم يعمد القاتل الى قطع رقبة ضحيته وهي ميتة . وهذا يدل بوضوح على ولع بالجريمة . على ان هناك طريقة أخرى لتسهيل مهمة البوليس أيضا . هي ان يصدر مرسوم ملكي بقانون يحتم على افراد الشعب من الذكور لبس اكمام لا يزيد طولها على خمس سنتيمترات الى سبعة من الكتف . حتى بذلك يمكننا بنظرة واحدة أن نرى اذا كانت ذراع الرجل موشومة . نخول لنا الساطات الى جانب هذا دخول البيوت وتفتيشها ، اذا المنتظر ان يختفى المجرم المطلوب داخلها اذا ما علم بالغرض من هذا القانون »



فهذا الرد ليس بارعاً فحسب . بل أنه منطقي كذلك . بيد أن اتساع نطاق

نشره — مع احتوائه على استنتاجات البوليس وقضى التحية بشأن المجرم — قد يكون ذا أثر في التقليل من قيمة جهود البوليس التي يبذلها عادة في طي الكتمان على ضوء مثل هذه المعلومات

وفي الحق ان البوليس الفرنسى قد درج على خطة في مباحثه الجنائية قلما وجد لها نظير في الممالك الأخرى . فهو لا يضع العقبات ولا يقيم المراقيل في طريق الصحفي النشيط الذى لا يألو جهدا في اطلاع قرائه على أقصى التفاصيل وأحدث الأنباء . حتى انه (اى البوليس) يطلب في بعض الأحيان مساعدة الصحافة له في حل معميات الجرائم العويصة واماطة اللثام عن اسرارها . وقد حدث فعلا في عهد كانر — حلف الميسوكلود — انه كان الفضل لصحفى في اكتشاف جريمة من أظلم الجرائم واعتدعها (١) . وبالطبع فان البوليس الفرنسى لم يضع هذه الخطة اعتباطا . فان المعروف هو انه ليس هناك من هو اكثر اهتماما من المجرم نفسه بمتابعة قراءة تفاصيل جريمته كما تنشرها الصحف . وكثير من المجرمين قد دفعهم الاهتمام بما يدور حول جرائمهم — لاسيما إذا كان في هذه الكتابات أثر يشير اليهم — الى الكتابة للصحف عبارات يحاولون بها تضليل البوليس والمحقق وتحويل نظرهما عن الطريق الصحيح المشار اليه . ويلزم في مثل هذه الأحوال ان يكون محرر الجريدة نفسه ذكيا . يدرك ما بين السطور بلمحة . وحينئذ يكون المجرم كمن يسلم نفسه بنفسه

على أن فيليب قد علم بنشر تفاصيل اوصافه في طول البلاد وعرضها . وان جمهور باريس فضلا عن بوليسها قائم قاعد في طلبه . فلم يحرك ساكنا . ولم يكتب حرفا للصحف . وإنما ذير ميدان العمل ومديده الأثيمة للغرب في مواطن أخرى . وقضى أكثر من أربعة عشر شهرا آخر يتركب جريمته مرارا وتكرار بشجاعة أحرزت اعجابا بقدر ما أثارت من فزع

(١) وسنشر هذه القصة في حينها

كان حتى سنت أو نور أيام صولة الامبراطورية الثانية (١) اكثر ارسنوقراطية مما هو الآن . وشارع فيل لافيك معتبر من أحسن شوارعه . ولكن القارىء الذى لا يعرف القليل عن الحياة الباريسية ولو من الأوصاف التى يطالعها عنها في الصحف والقصص يستطيع أن يخبرك كيف يجاور الفقراء الأغنياء . والادنياء النبلاء في مساكنهم . والحق أنه ليس في العالم مدينة اكثر خلطاً بين طبقات ساكنيها من باريس وعلى الأخص احياءها الممتازة الواجهة

أذن فلا غرابة أن نجد المنزل رقم ٥٤ منسا بين قصور شارع فيل لافيك هذا . مع أنه ليس منها في شيء ولكنه على كل حال بغاية معتدلة . يسكنها فريق من أهل الطبقة الأقل من المتوسطة . وعدد من صغار مستخدمي الحكومة في وزارة الداخلية التى يفتح بابها الخلفى في نفس هذا الشارع . وبعض ذوى المرتبات السنوية الضئيلة .. الخ .. الخ . وفي نهاية قناء وزارة الداخلية الخلفى يوجد مكتب يقيم فيه ضابط قطة البوليس . والديديان الذى يقف على بابه يستطيع أن يرى الداخل الى العمارة رقم ٥٤ والخارج منها .

وكانت فيكتور ماري بودو تقيم في مسكن صغير يحتوى على عدة غرف في الطابق الثانى من العمارة . وفيكتور هذه ربما تكون أحسن حالا من معظم أفراد طبقتها على أنها لا تمتاز عليهن سواء في مظهرها أو في أخلاقها .

وفي الطابق الثالث منها في مسكن صغير مماثل لمسكن فيكتور يقيم تاجر متقاعد . ناهز السبعين من العمر . اسمه مالوازي . ويرجع تاريخ علاقاته بفكتور بودو الى عشرين عاما خلت . والظاهر أنه كان يحبها كثيراً . ولكنه مع ذلك كان يسمح لها بالاستمرار في مزاوله مهنتها الخجلة .

وللحياة سبل ووجوه متعددة في العواصم والبلاد الكبرى في مختلف الممالك .

(١) اول امبراطورية فرنسية هى التى اقامها نابليون بونابرت . والثانية هذه هى التى اعانها حفيده نابليون الثالث في ٢ ديسمبر عام ١٨٥٢ الى ان سقطت اثناء الحرب السبعينية المشهورة في ٤ سبتمبر عام ١٨٧٠

لا سيما باريس التي اذا لم يكن المرء يكتب عنها في رسالة غرضها استعراض الفضائل على ضوء ضدها لتندى جبينه عرقا اذ يصفها ويخطها قلمه

وفي مساء اليوم الثامن من شهر يناير سنة ١٨٦٥ حوالى الساعة الحادى عشرة منه يظهر أن فيكتور التقت بقاتلها في شارع فيل لافيك ذاته . فقد قال الديدبان الذى كان واقفاً ساعتها على باب وزارة الداخلية الخلفى أنه رآها يدخلان المنزل سويا . وزاد على ذلك قوله : والظاهر أن الرجل يعرف المنزل جيداً لأنه سبقها فى الدخول اليه » وبعد ساعة ونصف ساعة كان مالوازى ينقر على باب ضابط نقطة البوليس . ومن ثم أخبره أن فيكتور بودوق قد قتلت في مكانها وكان منظر الغرفة عندما دخل اليها الضابط رفقة مالوازى مفرعاً للغاية . فقد كان الجسم لا يزال حاراً وهو ملقى على أرض الغرفة الثانية من المدخل . وكان ظاهراً أن فيكتور خنقت أولاً لأن لون وجهها كان قائماً . ثم جرت رقبتها من تحت إحدى أذنيها الى الأخرى . وكانت السجاجيد غارقة بالدماء . واختفت أغطية الفراش البيضاء وأكياس المساند الملطخة بآثار الدم . وقلب دولاب الملابس رأساً على عقب . وبالجملة فقد كان كل شيء في الغرفة دليلاً محسوساً على شدة الكفاح بين الضحية وقاتلها . الذى لم ينس حيطته المعتادة من غسل يديه قبل أن يعتمد الى تفتيش أنحاء المكان . وقد ثبت هذا من عدم وجود أثر لأصابعه حيث فتش وتقب . وبينما وجد صحن كبير مملوء ماء ورديا في ركن من الغرفة . على أن القاتل في هذه المرة قد فاته ما لم يفته في المرات السابقة من حيطته تلك هي أنه نسي الموسيقى التي قطع بها أوصال ضحيته

ووقعت الشبهة أولاً على مالوازى ولكن ما عرف عن قوة فيكتور وشدة ساعدها . فضلا عن أنها لم تتجاوز الثامنة والثلاثين من عمرها . بينما حبيبها القديم كان على العكس من ذلك تماماً . يضاف الى ذلك ما عرضه ما لوازى نفسه في سبيل التدليل على حزنه الشديد على فقد حبيبته فضلا عن برائته - كل

ذلك قد أقنع الضابط المحقق ببراءته وتصديق البيانات التي أقامها متطوعاوها كما:
 قضى ملوازي ذلك المساء مع جماعة من أصدقائه — ذكر أسماءهم
 ووصل إلى المنزل قبل الساعة الثانية عشرة عند منتصف الليل ببضع دقائق.
 فخرج في طريقه إلى مسكنه على باب فيكتورا بودو. فلما لم ترد شعر في نفسه
 بدافع حرك يده فأدارت أكرة الباب الذي يفتح رأساً على غرفة الاستقبال
 السابقة لغرفة النوم. ولم يكن الباب مغلقاً بالمفتاح. فأنفتح بأدارة الأكرة.
 وحينئذ نظر ملوازي فرأى رجلاً أجنبياً واقفاً أمام المرأة يصلح رابطة رقبته.
 فانسحب ملوازي بفطنة عازماً على العودة بعد فترة قصيرة. وعندما عاد كسابق
 عزمه وجد المنظر الموصوف قبلاً

ولم يكن البوليس بحاجة إلى الحدس والتخمين لمعرفة القاتل ليفكتورا. فقد
 كانت جميع الدلائل تشير إلى أن هذه الجريمة قد اقترقتها اليد التي ذبحت
 المنبذات السابقة لها. ولم تساعد موسى الخلاقة التي ذبحت بها فيكتورا وعثر
 عليها البوليس على الاستدلال على أثر. لأنها كانت من تلك الأمواس العادية
 التي تباع في كل مكان. ولم يكن عليها من علامة سوى وشم المصنع الذي
 أخرجها. ولم يفده شيئاً أن كيس نقودها سرق وبه مائة فرنك ذهباً. فقد
 كان الكيس هدية من ملوازي. ومن الجائز أن يتخذ قرينة إذا وجد — ولكنه
 يجب أن يوجد أولاً

*

* *

وسلم البوليس بمجزه في هذه الحادثة كالمعتاد. إلى أن كان اليوم الحادي
 عشر من شهر يناير — أي بعد ثلاثة أيام من الحادثة السابقة — حيث قبض
 في ضوء نهار ذلك اليوم على رجل في حي سنت جرمين. وقد ضبط بينما كان
 يجري ووراءه مطارده. فاعترض طويته شرطى الدورية في ركن شارع جاكوب.
 وألقى القبض عليه. ولما سيق إلى مركز البوليس وفتشت جيبه وجدت معه

سكينة طويلة حادة من النوع الذى يستعمل فى الموائد الكبيرة .

و وجد معه كذلك كيس مسند صغير من قماش كثيف رمادى اللون .
وهو رجل معتدل القامة له مشية عسكرية ولا يبدو عليه انه جاوز الخامسة والثلاثين .
والتهمة التى قبض عليه حينئذ من أجلها هى الشروع فى قتل وسرقة مدام
ميدى . وهى رسالة تقيم فى شارع أرفور

وكان المتهم مستخدماً عند تاجر أطارات ومذهبانى يدعى دأنجلتير .
حانوته فى شارع السين . والمجنى عليها فى هذه الحادثة — مدام ميدى كانت
ولا تزال من عملاء هذا التاجر . وقد عرفها المتهم وعرف مكانها — وهو محل
عملها فى الوقت ذاته — من تلك الطريق

وبعد ظهر ذلك اليوم الحادى عشر من شهر يناير عام ١٨٦٥ ذهب المتهم
إلى دار مدام ميدى وقرع على بابها . ففتحت له السيدة بنفسها . وحينئذ اعتذر
لها عن زيارته زاعماً أنه فى مرة سابقة نسي — لا يدرى إذا كان عندها أو
عند سواها — بعض الأدوات . وطلب إليها أن تسمح له بالبحث فى مكتبها .
ودخل ودار قليلاً فى الغرفة وحينئذ أخرج كيس المسند من جيبه — وهى
تراقبه من طرف خفى — ثم تقدم منها وسألها عما إذا كان هذا الكيس لها .
فضئت السيدة أنه إنما يريد مداعبتها على أساس هذا الادعاء الواهى .
فأشاحت عنه بوجهها . وانكبت على عملها . فلم يضع الرجل الوقت . وانقض
عابها . ورمى كيس المسند فوق رأسها . واضعاً إحدى يديه على فخما . ومحاوفا
خنقها بالأخرى . فسقطت مدام ميدى على الأرض ولكنها كلفت كفاح
المستئيس لتخلص نفسها من بين يدي المعتدى عليها فكرزت بأسنانها على
أصابعه بآخر قوتها حتى كادت تقطعها

وكان رسام زميل لها . يفصل مكتبه عن مكتبها حائطاً رفيعاً . قد سمع صيحات
الاستغاثة . وحاول أن يدخل لتجدة زميلته . على أنه وجد باب مكتبها مغلقاً

بفتح من الداخل . ققرع جرس مكتبه وواصل قرعه فلما لم يفتح له أحد ذهب
 فأطل من النافذة مناديا البواب ، ثم عاد الى باب زميلته يقرعه قرعا متواصلا .
 ففتح هذه المرة من الداخل . وبدأ منه رجل هادى . منتظم الهيئة . وتقدم
 الى الرسام المضطرب قائلا : « لا تتعب نفسك أيها الصديق . فهى مريضة
 وأنا ذاهب لاستدعاء الطبيب » . قال ذلك ونزل الدرج بهدوء تام .
 على أنه ما كاد يبلغ أسفله حتى كانت مدام ميدي قد أفاقت قليلا من انغماسها
 وجعلت تصيح في صوت منهدج « قفوه . . . قفوه . . . اقبضوا عليه ! » فطار
 عدد من جيرانها الذين كان صراخ جارتهم قد أزعجهم - طاروا جريا وراءه
 وأخيرا قبض على جوزيف فيليب في زاوية شارع جاكوب



واقضت عدة ساعات عليه في السجن ولم يخطر ببال أحد مطلقا أنه هو
 نفس الرجل الذى أوقع الرعب والفرع في باريس أربع سنوات متوالية أويزيد .
 فلم يعرف ذلك حتى فتشت غرفته وشاورت المسيو كلود الشكوك في أمره . وقد
 قال رئيس البوليس بعد ذلك في هذا العدد : « من تلك اللحظة . ومن تلك
 اللحظة فقط أصبحت مهمتنا سهلة »

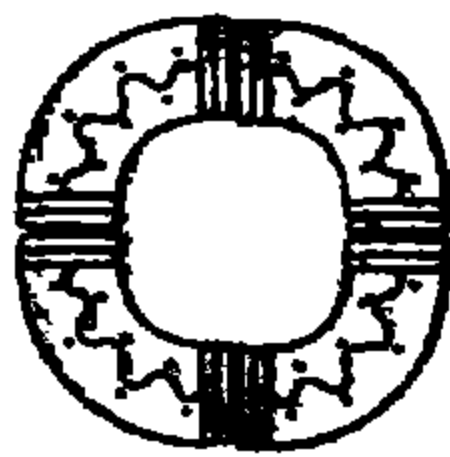
وبالرغم من أن تمضير القضية قد استغرق خمسة أشهر . فانه لم يبق
 ثمة أدنى شك في أن جوزيف فيليب هو مرتكب جميع تلك الجرائم
 وكانت أكبر الأدلة على أدانته في الجرائم السابقة على مصرع فيكتور بودو
 وهى شهادات الفتاة فوش وكواعة . وخياطة . وشهادة الاولى قد اثبتناها بنصها
 فى أثر سردنا قصة الضحية السادسة من ضحايا هذا الشرير . وتتلخص شهادة
 الثانية في أنها نظفت لجوزيف فيليب ثيابا ملطخة بالدماء فى تاريخ يتفق مع
 تاريخ ارتكاب احدى الجرائم . وشهدت الثالثة بانها ثنت حرف منشفة لجولى
 دوبرت . وقد ضبطت هذه المنشفة عند جوزيف فى مسكنه . وقد أصر فيليب

على انكار معظم التهم التي وجهت اليه . ومع ذلك فان سلوكه في السجن كان داعياً الى الاحترام . وشهد كثيرون من رؤسائه السابقين أنه كان خادماً أميناً نشيطاً مثابراً على عمله . وأن الخمر هي التي بدأت بتقويض حياته الهادئة الودعة . وأصابته بتلك النوبة والولع بالقتل وسفك الدماء

وكان منظره وهو واقف في القفص يوم المحاكمة يطابق تماماً الوصف الذي أعطته عنه جوزفين فوش . وقد حكم عليه بالاعدام في الثامن والعشرين من شهر يونيو عام ١٨٦٦ ونفذ فيه في منتصف شهر يوليو التالي

وقد لقي حتفه برياً جاش وفي الحق أن المسيو كلود وكثيرين غيره من الاختصاصيين الثقات ممن أقبلوا على دراسة نفسيته دراسة متينة أثناء سجنه . أعربوا عن رأيهم في صراحة « أنه كان مسروراً بموته » لان حياته دون أشباع نهمة وارضاء ولعه تكون متعبة له ومضنية

احمد مختار



فهرست الموضوعات

ص	
٣٢١	تولستوى
٣٢٧	الرومانيتسم
٣٣٨	هل تذهبين ؟ قطعة شعرية رشيد ابوب
٣٣٩	اليمين — من اغاني بليتيس حسن كامل الصيرفي
٣٤٠	تلفراف حرب السبعين عمر عنايت
٣٤٣	نشوء الغريزة
٣٤٤	ذكرى لبنان — قطعة شعرية
٣٤٥	الرجعى الوراثية عن الاوبرافر
٣٤٦	هل امريكا مفرطة الغنى حسين محمود
٣٤٥	بين الدين والعلم
٣٤٩	خطاب مفتوح — الى اخوانى الاتقياء بندلى البيلافى
٣٥٢	الانتاج والمدنية
٣٥٣	رباعيات الخيام السيد جميل صدقى الزهاوى
٣٥٨	أمار الفكر الغربى — ابن الانسان اسماعيل مظهر
٣٧٦	العلم والصناعة — من خطاب الرئاسة
	لجمعية تقدم العلوم البريطانية
٣٨٠	هل تسود المرأة العالم ع . ع
٣٨٣	عيناك — قطعة شعرية ايليا ابو ماضى
٣٨٤	جوزف ارنست زينان — من كتاب الثورة الفكرية لعمر عنايت
٣٩١	تأملات في الحياة والموت. من محاضرة الاستاذ
	دونان في جمعية تقدم العلوم البريطانية - م . ر

تابع الفهرست

ص	
٣٩٥	لما قرأت نيشة — للناقد الفرنسي اميل قلجيه
	(تظهر بقية البحث في العدد التالي)
٤١١	التفكير والاعتقاد — عن هـ — وليمسون — ط . هـ . حنين
٤١٧	ابراهيم باشا — شخصيته واعماله مؤرخ
٤٢١	الراية الشرقية مندوب العصور
٤٢٣	الى الملحدين ابراهيم حداد
٤٢٥	أبسى — قطعه شعرية حسن كامل الصيرفي
٤٢٧	تأملات في الأدب والحياة فيلوبونس
٤٣٣	نظرية السبب الشامل — او الذنبية ابراهيم حداد
٤٤١	الشاكية — قصيدة عصماء ابن جلا
٤٤٦	ليس الضوء مادة جورجى اسكندر
٤٤٩	هل العالم يحتضر ط . هـ . حنين
٤٥٣	فصول في الأدب والنقد ابو النجا
٤٧٢	افضع جرائم القرن التاسع عشر — قصة تلخيص احمد مختار

فهرست العصور

ص	
٣٢٤	الكونت تولستوى
٣٢٦	تولستوى في حجرة عمله
٣٦٢	يوحنا المعمدان في الأردن
٣٦٨	عيسى يشفى المرضى
٣٧٤	فوق الصليب
٤٣٩	شكلاان تمثليان لبيان النسبية

ANCORA IMPARO



العُصُورُ
٥٨-٩-٤٨

ديسمبر ١٩٢٨ اعرف نفسك بنفسك : فيتاغورس العدد ١٦ مجلد ٣

أثر المناخ

في مستقبل الامم

مترجمة عن مقال بقلم الزوورث هونتنجتون

- ١ -

يتوقف تكون الامم وانحلالها على خمسة مؤثرات اساسية . اولها المؤثر الجغرافي
وثانيها البيولوجي أو الحيوي وثالثها الانثروبولوجي أي الانساني ورابعها الاجتماعي
وخامسها البسيكولوجي او النفسى . وقد يباين بعض هذه المؤثرات بعضاً ويختلف
تأثيراً في طبائع الامم . ولكن كلاً منها لابد من ان تؤثر فيه بقية المؤثرات
الآخري تأثيراً ما . غير انى ارى ان المؤثر الجغرافي يكاد يكون اكثرها استقلالاً
واقلاً اتصالاً ببقية المؤثرات التى عددناها . وعلى الرغم من ان الانسان
يتأثر جد التأثير بتغيرات الطقس على اختلاف درجاتها ، من زهرير العصور

الجليدية الى رمضاء هذا العصر ورياحه السميكية ، فانه لا يستطيع أن يغير من الطقس فيجعله أكثر ملاءمة لرغباته ، واشد موافقة لحاجاته ، او يمنع تأثيراته الجلى في حالاته . غير انه بجانب هذا يستطيع ان يقطع الغابات ويملوها عن سطح الأرض ، ويقدر على أن يقتل الحيوانات ، وان يضعف عناصر الأرض ، وان يحتمل في العضويات التي تنشر الأمراض ، فيحد من توزيعها الجغرافي بالوسائل العملية .

اما المؤثر البيولوجى او الحيوى فيختص بكل العوامل التي تهذب ضروب الوراثة الانسانية ، كالتغير الفجائى والانتخاب بصورده العديدة . طبيعى وغير طبيعى ، والزواج وتلاقح السلالات البشرية . وجماع هذه العوامل الطبيعية وغيرها ، هي العدة التي يعتد بها المؤثر البيولوجى لتظهر آثاره في حياة الانسان وكذلك المؤثر الانثروبولوجى أى الانسانى ، فانه يتضمن كل العدد التي يتسلح بها الانسان ازاء القواسر الطبيعية المباشرة كطعام والكساء والسكن والأدوات والفنون والاختراعات الميكانيكية

أما المؤثر الاجتماعى ، وهو ذلك المؤثر الذى يتناول كل المنظمات الانسانية والعلاقات التي تقع بين الافراد الذين هم تابعين لجمعية معينة ، فذا أسرة قريبة بالمؤثر الانثروبولوجى ، بل يكاد يكون مندباً فيه : أما أوجه النشاط الاخرى التي تبدو في أفق الاعمال الانسانية فيتضمنها المؤثر النفسى أو البسكيولوجى . ومن هذا المؤثر يتكون ما نسميه «روح العصر» Spirit of the age تلك الروح التي تغل متراوحة غير مستقرة على الرغم من كل المؤثرات الأخرى .

ويصعب عليك أن تعين في كثير من الحالات الى أى مؤثر من هذه المؤثرات يعود حدوث ظاهرة ما من الظاهرات الانسانية لان هذه المؤثرات قد تشترك في احداث كثير من الحالات التي نشاهدها . والواقع ان السبب في اخفاق الكثيرين من الفلاسفة في وضع مذاهب ثابتة في فلسفة التاريخ راجع

الى انهم لا يجمعون لهذه المؤثرات في مذاهبهم قيمة متسلسلة متكفئة . فهم لا يسمون بين تأثيراتها وبذلك يخفقون في إدراك قيمة نتائجها . ونجد أن كثيراً من المؤرخون والفلاسفة يذهبون الى أن المؤثر البسكولوجي هو أعظم المؤثرات فعلاً واثبتها نتائجاً ، واليه يعززون الجزء الأكبر من الظاهرات التي يقعون عليها في نظام الاشياء الانسانية . بينما هم يعززون الجزء الآخر الى عامل اقتصادي يرون أنه نتاج لمزيج من الفواعل الجزئية التي تعود الى المؤثرات الانثروبولوجية والاجتماعية والجغرافية . وموقفهم هذا أشبه بموقف عالم فزيولوجي يعتمد قائماً الى مناقشة يتناول فيها بحث الجهاز العصبي ونظام الدورة الدموية والتنفس على اعتبار ان هذه الاشياء وحدة كاملة ، ثم يهمل الكلام في نظام التغذية والاجهزة التناسلية وما الى ذلك من نظمات الجسم الانساني .

أما الغرض من مقالنا هذا فمحاولة نرمي بها الى القول بأن الاكتاب على كتابة التاريخ من تلك الوجهة النظرية التي توحى اليها تلك المؤثرات الكبرى التي أهمل شأنها المؤرخون والفلاسفة ، قد يمكن أن يزودنا بما نستطيع به الافصح عن كثير من مشكلات العصر الحاضر .

*
*
*

أن من أكبر مستكشفات العصر الحاضر أثراً الوقوف على تلك السنن البيولوجية الخاصة بالحدود المناخية وفعل المناخات المختلفة في الاحياء . ولقد عرف الباحثون أنه خضوعاً لقانون « الحدود المناخية » وخضوعاً للمؤثرات المحيطية او بالاحرى مؤثرات البيئة بالتبعية لذلك القانون ؛ قد يحدث أن يصبح تأثير المناخ ذريعاً ، حتى لقد يتعذر معه أن تحتفظ الحياة بكيانها وقوامها ، فإن قليلاً من الحيوانات والنباتات ما يستطيع أن يقاوم حرارة تبلغ درجة ١٠٠ بميزان فارنهایت ، وأن أكثر الاحياء تموت سريعاً من تأثير البرودة الشديدة أو الجوع إذا ظل الاحترار — Temperature — على الدوام تحت درجة التجلد .

كذلك تتم في المستكشفات الحديثة على ما يدعوه الباحثون « قانون الحد المناخي الأفضل » — Law of climatic Optima — ويقصدون به أن المؤثر المناخي له حد أفضل يتراوح بين درجتين احترازيتين معينتين . أما الأغلبية الكبرى من الأحياء فيواقعها « حد مناخي أفضل » يقع بين درجتى ٤٠ و ٩٠ بميزان فارنهایت . أما النباتات فله الحد المناخي الملائم لها لا يتعدى ارتفاعاً عن ٨٠ درجة بميزان فارنهایت . في حين أن دبية القطب وغيرها من الحيوانات التى تأهل بها المحيطات فلا يتعدى درجة ٤٠ هبوطاً . على أن « الحد المناخي الأفضل » الملائم للنماء أو للنشاط الطبيعى أو للتأمل العقلى قد يختلف اختلافاً يسيراً واقماً بين إحدى هاتين الدرجتين . غير أن هذا لا يؤثر في القانون العام ولا يخل بقاعدته الأساسية . ولا يغيب عنا بعد هذا أن البعد عن طرفي « الحد المناخي الأفضل » تكون نتيجته انحطاطاً في القوى الحيوية . وكما ازداد البعد عن هذا « الحد » كلما قلت الحيوية . فلإنسان قد يشعر أولاً إذا ما بلغ أحد طرفي هذا « الحد المناخي الأفضل » بأن عيشه غير هنيئ لان المناخ شديد البرودة أو شديد الحرارة . فإذا أخذ يبتعد عن أحد الطرفين قاته يكون أكثر تعرضاً لعدوى الأمراض ، وأقل قدرة على العمل . ثم يتبع هذا اختلال في الوظائف الفزيولوجية ، لانه إذاك يضطر الى الإفراط في اجهاد عضلاته بالنشاط المستمر ليدفأ في البرد ، أو يجبر على ان ينبك رقبته وقلبه وبشرته ليمنع الحرارة الداخلية من ان ترتفع ارتفاعاً كبيراً في مناخ حار . وأول ما يحدث لدى الابتعاد عن أحد طرفي « الحد المناخي الأفضل » ان تزداد نسبة الوفيات بين الاطفال ، مما يستدعى ان تزداد نسبة المواليد ايضاً بنسبة الوفيات ليتمكن الاحتفاظ بنسبة غير زائدة ولا منقوصة من النوع .^١ وجماع هذه العوامل لها نتائجها الكبيرة ولو ان الناس قليلاً ما يفتنون اليها . اما نتيجة بلوغ أحد طرفي « الحد المناخي الأفضل » فاما الموت واما العجز عن التناسل .

هذه القوانين البيولوجية في إحدى القواعد الأساسية التي يقوم عليها توزيع المدنية وقيام الأمم وسقوطها فوق الأرض . وقد يكون الإنسان شيئاً أكثر من حيوان . ذلك محتمل . أما الأمر الذي لا يحتمل شكاً فكون الإنسان شيئاً أقل من حيوان . فإن أوجه نشاطه الفزيولوجي تخضع لذات القوانين الطبيعية التي تحكم في بقية الكائنات العضوية التي تعمر هذه الدنيا . أما البرهان الأقوى على هذا القول : فتلك الاختبارات الاحصائية العديدة التي تناولت الإنسان في علاقته بقانون « الحد المناخي الأفضل » . فقد دلت هذه الاختبارات على أن أنسب احتراز يمكن أن يتحمله البيض في شمال الولايات المتحدة إذا يكتسبون بكساء خفيف وإذا يكونون ساكنين في مناخ لا يتحرك هوائاً ، لا يمكن أن يزيد على درجة ٦٦ بميزان فارنهایت . فإذا كان الهواء أكثر جفافاً أو إذا كان متحركاً ، فإن ارتفاعاً قليلاً في الاحتراز يجهلهم يشعرون بأقصى حالات الضياء . فإذا اكتسوا بكساء صفيق أو كانوا مكبيين على العمل ، فإن هبوطاً قليلاً في الاحتراز يكون أكثر ملائمة لهم .

ودلت الاحصارات العديدة أوضح دلالة على أن الصحة العامة تكون على أتمها إذا كان متوسط الاحتراز خارج المنزل حوالي ٦٤ درجة بميزان فارنهایت ليلاً ونهاراً . أما داخل المنازل فإن احترازاً يبلغ ٦٠ درجة يكون باعثاً لهم على النشاط في العمل وكثرة الانتاج . أما الأطفال ، سواء أفي باريس أم نيويورك ، فإنهم يكونون أكثر من الحياة نصيباً إذا كان الاحتراز حوالي درجة ٥٦ أما لاعبي كرة القدم والمدين يضطرون إلى استخدام مواهبهم العقلية فن هبوط الاحتراز قليلاً عن هذا الحد يكون باعثاً لهم على أشد الاغتياب . فإن القوى العقلية قد لا تنشط نشاطها إلا عندما يشعر الإنسان بأنه ينتفض جزئاً وهو يتفزع على لاعبي الكرة في أحد الملاعب . غير أن طلاب العلم والمفكرين قد يجهدون في

عقولهم من النشاط وفي نفوسهم في الهمة قدراً كبيراً اذا بلغ الاحترار درجة ٤٠ خارج المنازل . فاذا اعتبرنا المعدات الحديثة في الملابس والمساكن وجدنا أن الحد المناخي الافضل في الولايات المتحدة يتراوح بين درجتى ٦٦ و ٤٠ بميزان فهرنهايت تبعاً لطبيعة الأعمال . على ان هذين الحدين أبعث على العمل منهما على الكسل ؛ وأكثر ملاءمة للتناسل منهما للصحة . وأشد موافقة للنشاط العقلي منهما للنشاط الجسمي .

إن الوجود الفردى والتناسل والمدنية ، ثلاث حالات من اخص حالات الحدود المناخية التى يقوم عليها بحثنا هذا . فاذا نظرنا في الانسان المتمدين في العصر الحاضر وأممنا النظر في حالاته المحيطة به حكمنا ان الحدود المناخية التى ينتهى عندها انتشاره لم توجد بعد في سطح الكرة الارضية . فانك لا تستطيع مثلاً ان تعين مكاناً بالغ من البرودة أو الحرارة ، أو الجفاف أو الرطوبة ، أو هبوب الرياح أو سكونها ، أو التواتر أو التغير ، حداً لا يستطيع معه افراد من النوع البشرى أن يعيشوا تحت قواسم الشديدة . ففى الأزمان الأولى وفي العصر الجليدى على الأخص ، كان نصف الكرة الأرضية فى درجة من البرودة يتعذر معها على الرجل الممجى الذى لم يتسلح بمعدات المدنية أن يعيش فيها ، وان لا يتجمد دمه فى عروقه فيصل به الى الموت . وحتى عصرنا هذا تجد بقاعاً كفرنيلاندا والاقطار المنجمدة الجنوبية ، قد لا ينجو من صقيعها رجل متمدين فى البيض هبىء بكل معدات المدنية من الموت برداً إلا ويكون قد اجتاز عقبة كان فيها بين الموت والحياة ، اذا هو حاول ان يعيش فى تلك الاقطار سنة بعد اخرى . ففى امثال هذه البقاع يتعذر على اسر برمتها ان تعيش فيها . وانه ليكون بمثابة حكم بالانتحار اختياراً أن نحاول أن نعضد أسرة برمتها فى بقعة من بقاع الجمد الجنوبي ، مأمً نستقوى على تأثير البرودة فيه بمبيئات مادية غير متيسرة لنا فى العصر الحاضر . ولا يقل عن هذه المحاولة نزقاً ولا ينزل عنها حقاً أن نجرب حياة أسرة فى « وادى

« الموت » حيث يرتفع ميزان الحرارة غالباً إلى درجة ١٣٥ فارنهایت ، وحيث يكون فصل الصيف عبارة عن عذاب مستمر لان الأنسجة الحيوية تشعر على الدوام بتعطش إلى الماء مهماقيع الانسان منه ومهما جرع من كمياته . ففي مثل هذه الاقطار يستطيع رجال من اكنعات مهيااتهم الجسمية أن يعيشوا وأن يقاوموا فعل المحيط . اما الامهات والاطفال فذلك عليهم من اعسر الاشياء . فان الحدود المناخية التي يستطيع معها التناسل والانتاج أضيق كثيراً من الحدود المناخية التي تيسر فيها الحياة الفردية . على أنك كلما اقتربت من تلك الحدود المناخية التي تيسر عندها وجود الحياة الفردية أو استطاعة التناسل ، ازداد الاستعداد للأمراض وتضاعفت بنسبة الوفيات وقل متوسط العمر . وفي هذا دليل قاطع على أن النوع الانساني ليس فيه من مخزون القوة الحيوية قدرًا زائداً عن الحاجة بمقتضى البيئة التي ينشأ فيها أفراد . ففي البقاع المتاخمة للجمد والجليد تستنزف قوى النوع في سبيل المحافظة على الذات ازاء البرد القارس القتال ، وفي الصراخ الذي يلجأ اليه الافراد إذ يغتدون بغذاء غير كاف وعلى قدر ما يمدح لهم به المحيط . أما في البقاع التي تشتد فيها الحرارة فان النشاط الطبيعي للأجسام يسبب إرتفاعاً سريعاً في درجة الحرارة يحدث شعوراً مستعصياً بالتعب والانهك ، أو على الأقل زهد في الميل إلى أى عمل من الاعمال أزيد مما تتطلبه الحاجة في القيام بما يحفظ الحياة أو يعضد الاسرة . في حين أن ازدياد مخزون القوة الحيوية ، وازدياد المخزون من الثروة بالتبعية لذلك ، من الاشياء الاولى التي تقوم عليها المدنية . ولا جرم أن استنزافهما ، على ما يظهر ، يؤدي إلى أضعاف القدرة على التقدم والارتقاء مادياً وروحياً ؛ بل إنه قد يفنى هذه القدرة فناء تاماً . وهذا على أكبر المرجحات هو السبب الذي يعرفنا لماذا تكون الحدود المناخية التي تحد من انتشار المدنية اشد حدة وأبعد أثراً من تلك الحدود المناخية التي تؤثر في التناسل أو في الحياة الفردية .

وعلى الضد من هذا نجد الحال إذا نظرت في الحدود المناخية الملائمة للحياة إذ نجد أنهم عامل من العوامل الكبيرة المؤهلة لازدياد مخزون القوة الحيوية. فإن نظام الحياة العليا يمكن أن تنال ويمكن أن يتمتع بها الإنسان ، ومع ذلك تترك من وراءها محتاجه من جهد قدر من النشاط كاف للاختراع ووضع الأفكار الجديدة والقيام بأعوص الاختبارات العلمية ، وما الى ذلك من الأشياء . فكل شخص لا يعمل عملاً يدوياً لتأدية واجب الانتاج في الاغذية أو الأكسجة أو المأوى ؛ يعتبر قوة حيوية مخزونة في جوف المجتمع .

إننا أحرار في أن نقوم بأعباء الدور الذي نريد القيام به في سبيل الأخذ بناصر المدنية وترقية شؤونها ونظاماتها . أما هذه الحرية فنستمدّها لدى الواقع من وجود عدد عديد من طبقات المجتمع الدنيا فيها من النشاط قدر يكفي لتزويدنا بما نحتاج اليه من طعام وغيره من الحاجيات المادية التي تزيد عن حاجة عائلاتهم فننتفع بما يزيد عن حاجياتها ، عائلات أخرى . على أنهم لم يستطيعوا هذا الانتاج الزائد عن حاجتهم الا لانهم يعيشون في بيئة مناخها أكثر قرباً في المتوسط المرغوب فيه ، وأشدّ بعداً عن الحدود المناخية التي تستنزف قوى الحياة .

إن السنن الطبيعية التي تصدق على الحرارة تصدق أيضاً على نسبة الرطوبة والاستعداد للتغيرات المناخية . فإذا أردنا أن نختبر حقيقة هذا القول بطريق عملي استبان لنا بالاحصاء الحسابي الذي يتناول العلاقة بين الصحة ومتوسط الرطوبة ، أن الهواء المشبع بنسبة معتدلة من الرطوبة هو الأنسب لمطالب الحياة ما لم ترتفع درجة الحرارة . وكذلك نجد أن البقاع ذوات المناخ الجاف هي في الغالب أمكنة تسترد فيها الصحة ويتمتع فيها بالعافية ؛ لا لأن الجفاف في ذاته مفيد بل لأنه يجعل الحياة خارج المنازل مستطاعة محبوبة . فإن المتوسط المرغوب فيه من الرطوبة في مناخ لا يزداد احتراؤه عن درجة ٧٠ لا يمكن أن يزيد عن ٨٠ الى ٩٠ في المائة . وعلى هذا نجد أن أكثر الايام ملائمة يوم ناد أثناء الليل

واحتراز لا يزيد عن ٦٠ درجة ، ولا يزداد احترازه في النهار ولدى الظهيرة عن ٧٠ درجة أو أن يزيد قليلا مع نسبة الارتفاع من الرطوبة . لا تزيد على ٦٠ في المائة . على أنه يمكنك أن تلاحظ سيرا الأيام حتى يمر بك يوم من هذا النوع وأنت تشعر بمقدار ما يتمشى في جسمك من صحة وما يسرى في روحك من فرح وابتهاج .

وان مناخاً ثقل فيه التغيرات لمناخ يكاد يكون أقصى ما يتطلبه المسنون والضعفاء . أما ما تتطلبه الصحة على وجه عام ، وما يلائم العمل المنتج المستمر والانتاج المفرط ، فمناخ مختلف عن هذا تماماً . فقد يلاحظ دائماً ان العمال الذين يشتغلون « بالقطعة » في العمل ينتجون قطعاً أزيد في يوم ينزل احترازه عما ينتجون في يوم يظل احترازه مطرداً على وتيرة واحدة أو يرتفع قليلاً . أما الدليل الأكبر على صحة هذه النظرية فنستمد من احصاء الوفيات اليومية في مدينة نيويورك . فان الاحترار اذا قلت تغيرات درجاته من يوم لآخر خلال فترة مقدارها عشرة أيام مثلاً ، فن نسبة الوفيات تميل الى الصعود ، بصرف النظر عن الفصل السنوي نفسه . فإذا ازدادت تغيرات الاحترار وأمعنت في الخدمة . فان نسبة الوفيات كذلك تكون مرتفعة ، ولكنها لا تبلغ نسبة الحالة لأولى . وبين هذين الحدين المفرطين ، من ضعف التغير الاحتراري الى المبالغة فيه ، يكون الحد الافضل .

أو كما يقولون « النسبة الذهبية » . ففي خلال فصول الربيع والصيف والخريف تكون نسبة الوفيات في مدينة نيويورك على أقلها عندما يكون معدل اختلاف الاحترار من يوم لآخر لا يتجاوز ثلاث درجات فقط . أما في الشتاء حيث تضطرب التغيرات الاحترارية المفرطة الناس الى المحافظة على أنفسهم والمبالغة في التمدل والتدثر تكون نسبة الوفيات على أقلها عندما يكون معدل اختلاف الاحترار لا يتجاوز أربع درجات إلى خمس . ومن هنا نرى أن قابلية المناخ للتغير السريع ، مثلها كمثل الاحترار والرطوبة ، لكل منها حد أفضل ، فمحمل الصحة الانسانية اذا بلغت إحدى حديه المفرطين قلة وكثرة على مقتضى الحالات .

أما وقد وقفنا على طبيعة الحدود المناخية القصوى وحدودها الفضلى ، وجب علينا أن نبحث تأثيراتها التي تختلف باختلاف الأماكن واختلاف السلالات البشرية . فان مثل هذه الاختلافات لجالية الظهور ، ولكنها لا تنبع من الاثر ذلك القدر الذى ينسب اليها الناس عادة . فالذين يعيشون فى فنلندا مثلا يتمتعون بحد أفضل متشابه للحد الذى يتمتع به سكان صقلية مثلا . ومع كل هذا لا يشعر الفنلانديون أبدا أنهم على ما يرغبون من دفيء ، لان احترار المناخ فى بلادهم لا يبلغ الحد الافضل حتى فى شهر يولييه . فى حين أن فصول الصيف فى صقلية تكون على الدوام دفئة جافة منزهة عن العواصف . وتجد فى مقاطعة فلوريدا بأمريكا ان لتفانى التبغ الذين هم من أصل « كوبي » — نسبة الى جزيرة كوبا — يكونون اقدر على العمل اذا كان احترار المناخ أزيد خمس درجات عن الحد الذى يرغب فيه عمال نيو انجلند . اما الحالة فى اليابان فتدل ، على قدر ما بين أيدينا من الاحصاءات ان الحد الأفضل بالنسبة اليهم يكون أقل مواءمة لامزجتهم ، عندما يكون احتراره أزيد قليلا عن الحد الملائم لامزجة الاوروبيين . وكذلك تجد بين زنوج الولايات المتحدة الامريكية أنهم لا يتمتعون باحسن صحة الا اذا كان متوسط الاحترار بنسبة خمس درجات أزيد عن الحد الاسط الملائم للبيض . فهل هذا الفرق الضئيل معناه أن الزنوج قد تطبعوا بالمناخ (تأقلموا تجاوزا) فى امريكا ؟ اذا كنت تعتقد بهذا فانظر فى حالات جزيرة جاوه . فى هذه الجزيرة سلالة عاشت منذ أبعد العصور التى لا تعرف لها حدا تحت تأثير مناخ رطب وفى بقعة تلى خط الاستواء مباشرة . ولا شبهة مطلقا فى أن اسلافهم قد عاشوا مئات من الاجيال فى مناخ لم ينزل متوسط احتراره عن ٨٠ درجة على مدار السنة . ومع كل هذا نجد أن نسبة الوفيات بين الجاويين الذين هاجروا الى مرتفعات باردة من الارض تقل عن نسبة الوفيات بين أهلهم

الذين خلفهم من ورائهم في مآهلهم الأصلية !! والحد الأفضل في الاحترار المناخي بالنسبة لهؤلاء الاستوائيين والزنوج أيضاً لا يبعد كثيراً عن درجة ٧٠ بميزان فارنهایت . ومع كل هذا فإن المشاهدات التي بين يدينا ، على وهنها وضعفها وقاقتها ، توحى إلينا بأنه حتى السلالات الاستوائية قد تبتلع بارتفاع قليل ، لارتفاع كبير ، في درجة الرطوبة وبمعدل وسط من التغيرات المناخية . ومن هنا نجد أن الحد الأوسط في المناخ إن اختلف بين سلالة وأخرى ، فإن هذه التغيرات لا تعد شيئاً إذا قسيت بالتغيرات المناخية التي عاشت في ظلها كل سلالة منها خلال أجيال غير معدودة من الزمان .

جماع هذا الاعتبار تدفعنا إلى التأمل من عدة احتمالات ممكنة . واحدى هذه الاحتمالات وأكثرها خطورة أن سلالة من المخلوقات الانثروبودية كانت تعيش في بيئة يلائمها مناخها ملائمة جعلتها على اتم الكفاءة لتحمل اعاصيرها بحالاتها . ولما بدأ عصر دارت فيه عجلة النشوء دورة سريعة ، اخذت صفات هذه السلالة من الارتفاع فبلغت الأفق الانساني . ومن ثم تكاثرت وانقسمت إلى عدة سلالات أخرى ، لا يزال بعضها موجوداً على سطح الأرض حتى هذا العصر . اما المناخ الذي نشأت فيه هذه السلالة الأولى فلا بد من أن يكون مشابهاً للحد الأوسط لمناخ العصر الحاضر . أي أن متوسط الاحترار فيه كان على الغالب مقارباً درجة ٧٠ وإن اشد شهور السنة حرارة كانت تبلغ ٧٥ أو ٨٠ درجة واشدها برداً كانت تبلغ درجة ٦٠ لا غير . وكانت الرطوبة مرتفعة ارتفاعاً ما ، كما كانت العواصف كثيرة المهبوب إلى درجة يحدث معها كثير من التغيرات المناخية من غير أن يصل هذا التغير إلى حد الإفراط . اما هذه الحالات فإن فلوريدا الوسطى في العصر الحاضر أحسن مثال لها . فمن نحو ثلاثة ملايين من السنين ، عند ما كان اجداد النوع البشري الاقدمين على وشك الاندماج في الصورة الانسانية المعروفة لنا ، وعند ما كانت تخرق قارة آسيا خابجان عميقة

من البحر تمتد كأذرع فوق سطحها مسافات كبيرة ، كانت الحالات المناخية ، على اقوى الاحتمالات ، مشابهة للحالات التي أتينا على وصفها في بقاع مثل « إيران » ومقاطعات « التبت » التي كانت اذ ذاك من الاراضى المنخفضة .

ولدينا رأى يغلب أن يكون صحيحاً ، وان لم تثبت صحته على صورة قطعة ، هو ان ارتفاع المنخفضات الاسيوية خلال العصر الجيولوجى الاخير وارتفاع احترار مناخها ، كانا سببين من اكبر الاسباب التي ساقى الى الاسراع فى ترقى السلالات البشرية التي قطنت تلك البقاع ، وساعدت اصول الانسانية على أن تنقسم الى قبائل وأن تأخذ في الهجرة من مكان إلى مكان . ومنذ ذلك الحين ساقى اخبرات المتواليه النوع الانسانى الى الضرب فى بقاع لم يكن له عهد بمناخها وحالاتها الطبيعية . ولكن نتساءل هل تكفى عشرات الالوف من السنين لان تحدث فى الانسان قدرة على التطبع للمناخ (التأقلم تجاوزاً) تطبعاً تاماً .

الحقيقة أنها لم تكن كافية ، حتى ولا بعض الشيء . فان قوة المكافأة التي حازها الانسان والقدرة التي نالها على تحمل المناخات المختلفة لا تزال آخذة من التكوين حتى اليوم ، وأن الانسان اليوم ل ذو قدرة على أن يتقى تأثير المناخ ، حتى ليلوح له أنه لا يوجد على ظهر الكرة الارضية من سلاية حية يختلف حد المناخ الأفضل بالنسبة اليها بقدر اختلافه بالنسبة لأجداد الانسان الأوائل . وبعبارة أخرى نقول إن الانسان ، على العكس من بقية الحيوانات ، يستطيع أن يكفى بين حاجات حياته وبين قواصر المناخ بالطرق الصناعية فى أكثر الأمر ، وبتغيير ضئيل يطرأ على استعداد الجسمانى . غير أنه لا يجب أن نغفل عن أن المكافأة الصناعية على أشد ما تكون من النقص حتى أنه ليتعذر على النوع الانسانى أن يعيش فى مناخ تنزل حالاته عن الحد الافضل طبيعياً أو صناعياً . إن جنوب إنجلترا الشرقى واحترار المناخ فى الصيف لا يتجاوز ٦٤ ولا ينزل عن ٤٥ فى الشتاء ، والرطوبة فيه على ارتفاع كاف وتغابراته الجوية كثيرة وان كانت غير هوجاء ، يعتبر مكاناً تصل

حالات الحياة فيه الى الحد المثالى عند المتمدنين . وفي الغالب أيضا ان قبائل
فطرية من أصول الانسان الاول كانت قد نالت درجة من المكافأة شبيهة بتلك
التي حازها سكان جنوب إنجلترا الشرقى عند ما كانت تقطن فى اماكن من
الكرة الارضية يسامت ارتفاعها منطقة فلوريدا . غير أن أكثر النوع البشرى
يعيش فى بقاع تشتد فيها الحرارة أو يقرس البرد أو تطرد فيها الحالات اطرذا
يبعدها عن الحد المناخى الافضل المرغوب فيه ، بل ان هذه الحالات قد تبلغ
فى بعض البقاع الحدود القصوى من الافراط والانصراف .

هذه الاعتبارات تزودنا بمنطوق جديد من الفهم نستقوى به على درس طبيعة
المشكلات الاجتماعية والمناخية . لاننا اذا عرفنا الحقائق المتعلقة بالحد المناخى
الأفضل وبالحدود القصوى ، لا يصعب علينا بعد ذلك أن نضع خرائط تظهر
عليها الى أى حد يفترق مناخ البقاع الارضية المختلفة عن الحد المناخى الاوسط
ولا جرم أن هذه الخرائط تكون مشابهة للخرائط التى وضعت بالفعل والتى أظهر
بها مقدار اعتدال الصحة ومقدار الارتقاء الانسانى من طريق الاحصاءات
الدقيقة . أما التوافق بين الحالات التى تدل عليها هذه الخرائط فلا يمكن أن
يكون قد أتى اتفاقا ومن طريق المصادفة . وهذا يدل على أن المناخ مؤثر جوهري
فى توزيع درجة الصحة التى يتمتع بها النوع البشرى توزيعاً جغرافياً ،
وان الصحة والنشاط الجسمى واستعداد الناس لان يتمتعوا بقدر
من الثروة أزيد من الحد الوسط ، ومقدرتهم على أن يقوموا باعمال وأن
يؤسسوا منشآت أرقى من تلك التى يحتاج اليها مجرد الاحتفاظ بالذات ، انما
هى من العوامل الكبرى التى تساعد على الارتقاء الانسانى

هذه اعتبارات تنطق حقائقها بانها أكثر انطباقاً على قياس المنطق
من أية اعتبارات أخر . ولكن ماذا نعرف عن الماضى ؟ اليس نشوء المدنيات

القديمة في مناطق تقرب من حدودها خطوط العرض السفلى دليلاً قوياً ينقض
النظرية المناخية من أسسها ؟



نقف من البحث عن هذا الحد . وموعداً ببقية العدد التالى . وسيدور
البحث حول هذا السؤال العلمى الخطير الذى اختتمنا به هذه المجلة .



وحي الطبيعة

جلا الصبح لعينيا جملا يملأ الدنيا
ملأت به فؤادى عدا له يبرأ أو يحيا
إذا ما كنت بالأأس عن الغادات محيا
إذا شمن من بعد لوين الكشح لى ليا
وخلن «عمامتى» شيبا بناصيتى وفوديا !
فقد أصبح منى الحس ن ملء الشعر والرؤيا
وقد أصبحت اهزأ من ك يالىلى . وياريا . . !
قصدي كما شئت جمالك غاب واستحيا !
«الحاجرى»

علم النفس

وكيفية تطبيقه في التجارة

افن لا احد الا ؛ من الذين درسوا العلوم التجارية العالية يشعر أن في مقدوره تفهم المقصود من عنوان هذا المقال. وكذلك أعتقد أن جيل الكثيرين. بهذا الموضوع هو السبب في اتفاقهم لمبالغ عظيمة في شراء احتياجات من الممكن الحصول عليها بأسعار أقل كثيراً

كثيرون هم الذين يقصدون المحال التجارية دون أن يكون لهم طالب معين فالبعض يريد أن يشتري له ثياباً دون تحديد ما يريد شراءه ، وهؤلاء يتسببون في إفساد قوى موظفي المحل ، دون داع ، الأمر الذي يلجئ أولئك المساكين إلى النكابة بالزبون والعمل على توريطه ، هؤلاء هم صغار الباعة . أما الواقفون منهم على سر الصنعة فهم الذين يقطعون منه أجراً على الوقت الذي يجبرهم على إضاعته في تقلب البضاعة له سدى . فالشخص الذي يقضى حاجته في ساعة من الزمن ملزم في العرف التجاري أن يدفع أجر من يخدمه ستة أضعاف ما يدفعه ذلك الذي ينهى عملية شرائه في عشر دقائق فقط . فالذي يابح محلاً لكي يشتري شيئاً غير معين سينتقل بالطبع من مكان إلى آخر إلى أن يقع في قبضة عامل يفهمه . أما إذا كان غرض الشاري أن يأخذ صنفاً دون أن يحدد بالضبط ما يريد منه فهو أيضاً يأخذ وقتاً غير قصير ، ولو كان يشغل من وقت التاجر أقل من سابقه . فالأول ينتقل بين فرع الجزم وفرع البياضات وفرع الخردوات وفرع الاقمشة . بينما يجوب الثاني منطقة الاقمشة فقط وهي أضيق . اننى قد وجدت بالاختبار أن أحسن ما يجب اتباعه هو أعمال الفكرة على شيء معين . مثلاً (جزمه كشف اسود لماع بقيمة لا تزيد كثيراً عن جنبه مصرى) فانا دائماً أعين للعامل ما يريد ولا اذكر الا الحد الأدنى للسعر ، أو

بمعنى آخر أضيف على أوصاف الجزمة « وان تكون بثمانين قرشاً تقريباً » مع
أنى مستعد لدفع جنيته

هنا يأتيك البائع بما عنده لتختار ما تريده. وفي الغالب يحاول أن يعطيك نوعاً جيداً
لينتهى منك بسرعة، وذلك كي يلتفت إلى غيرك. هذا من جهة ، ومن جهة أخرى
لكي يكسبك لأن من صالحه أن تكثر زبائنه المهينون الذين هم من شاكلك .
وبالطبع سيحاول أن يبيعك زوجاً أعلى من الثمن الذي تعينه ولكنه حتى في
هذه الحالة يحاول التوفيق بين صالحه أولاً وصالحك ثانياً . وقد يكون قصده
الوحيد من ذلك ترويج صنف يعود عليه بربح أكثر كنتيجة لارتفاع نسبة
المعمولة أو الربح العائد عليه من بيع هذا الصنف

وليفهم القارئ اننى أعنى بالتاجر ذلك الذى يصح تلقيبه بذلك ولا
أقصد قصيرى النظر من الذين يزجوا بأنفسهم فى الحرفة فيمعنون فى
النهب والسرقة واخرتهم الافلاس لاشك

ولكن حذارى من ان تحاول الدخول فى الفن مع التاجر لانه حتى اذا
كان بمجهل الصنف الذى يبيعه فبالاقل وقوفه على المواصفات التى ترسلها اليه
المصانع تجعله اعلم منك بالصنف المتخصص هو لبيعه مدة من الزمن قد
تكون طويلة

وانك عند ما تدخل دكاناً للاقتصا مثلاً يكون القميص الذى تلبسه هو
المقياس الذى يضعه التاجر نصب عينيه وهو يعرض عليك بضاعته . فلو كان
قميصك بثلاثين قرشاً يعرض عليك اصنافاً بسعر مماثل او يزيد قليلاً عن سعر
ما يراه عليك . فياك ان تقول له « ما هذه البضاعة الميئة ائتنى بمثل هذه »
(وتشير الى قميصك) لانه يقدرك فى هذه الحالة حق قدرك فيأتى لك
(بفورمة) أخرى من نفس البضاعة المعروضة عليك ويقول مثلاً « لدى
نصف دسته فقط من هذا النوع وقد بعنا منها مائة . دسته خلال هذا الشهر
وسأقدمها لك هدية لاسرك . اما ثمن القميص الواحد فخمسون قرشاً لا اكثر
وقد كنا نبيعه بخمسة وسبعين » فاذا رأك متردداً اضاف وهو يعرض عليك

(فورمة) أخرى من نفس الصنف او ربما أعلي قليلا « او اذا شئت جرب هذا الصنف فهو جيد جدا ولكن ثمنه مرتفع قليلا وصدقني ان فلان باشا وافئتك تعرفه أخذ منه دستتين « بالطبع ستجد نفسك بين امرين ، اما ان تشتري ذي الحسين قرشا نهربا من دفع نقود كثيرة او اذا كانت معك مالا وفيرا تسأله ان يخبرك عن ثمن الصنف الاخير . وسيحاول التأثير عليك فيسألك عما اذا كنت عازما على شراء كمية كبيرة حتى يحاسبك على سعر الدسبة ٥٠٠ در ٧ جنيه ثم يزيد قائلا « ان ثمن القطعة الواحدة سبعين قرشا » وهنا تتجلى درجة غباوة المشتري فقد يندفع لشراء كمية لا يحتاج اليها بسعر منخفض حسب ظنه وقد يحاول أن يبالغ البائع فيؤكد كدأه عازم على شراء كمية ولكن يجب عليه أن يجرب الصنف أولا . وفي كلا الحالتين يقع الشاري في التلغ نتيجة لادعائه

ومن عادة البيوت التجارية أنهما تقسم كل صنف الى ١ - ١ و ١ - ب
 ١ - ح الخ أو ١ و ٢ و ٣ مع تقسيم الصنف الآخر ١١ و ١٢ و ١٣ و ١٤
 وغيره ٢١ و ٢٢ و ٢٣ فاذا فرض أنك من لابس الصنف الثاني فهو يعرض عليك ١١ فاذا وجدك مدعيا أو جادلا عرض عليك ١٢ أو ١٣ من نفس الصنف ولكن بسعر أعلا لينال أجرة وقته المضيع سدى

لنتقل الآن الى الموددة في تجارة الجورابات مثلا يحوى كل صندوق ست جورابات كل زوجين منها أو كل زوج يكون بلون واحد . فاذا كان سعر الصندوق ثلاثين قرشا فإن بيعه بسعر الزوج ثمانية غروش فيه ربح للتاجر

ولكن ما الذى يمكنه أن يصنع وكل الناس يتهافتون على « لحم الهوانم » فاذا لامر له من جمع هذا اللحم من كافة الصناديق وحشره فى صندوق واحد . وكذلك يفعل بالالوان الاخرى فيضع كل لون منها على حدة ثم يعين بعد ذلك للحم الهوانم ١٣ قرشا ويعين للساوى الفاتح ، وهو اقرب الالوان اليه ، ١١ قرشا والابيض ٩ غروش والبنفسجى ٧ غروش

والاسود ٥ غروش وذلك كي يعوض من جهة خسارته لعدم الاقبال على
الالوان المنضوب عليها ولكي يحفظ خط الرجعة لنفسه إذا انقابت الموضه
من جهة أخرى

وأتمس ضحايا الموده هم تجار الجزم لان (بوز) الجزمة دائم التغير
وبرقتها كذلك لا تدوم على حال، هذا بصرف النظر عن لونها و(فورمتها)
وكعبها الخ. ولسوء الحظ تتعنت المصانع في موضوع الترفه لا تبيع نمرادون
أخرى بل تبيع (بالسيري) بالمجموعة وهي تتكون من مقاسات متنوعة
والنمر العادية هي أكثر ما تجويه المجموعة كما وانها أكثر الاصناف
رواجا وأكثرها موضة أيضاً وأما لابسو النمر الكبيرة فحظهم هو العامل
الأول في رفع أو تخفيض الثمن. فالولا ان عدد هذه النمر الكبيرة
قليل فاذا كان هناك زوجان (١١ في ٦) مثلاً وسبقك رجل كبير
القدم لا بد وان تدفع سعراً عالياً للزوج الباقي، بعكس ما اذا كانت نمر
البرتيته (الطلبية) الماضية لا تزال مخزونة جنباً لجنب مع نمر الطلبية الجديدة
في حين أن هناك طلبية في الطريق ففي هذه الحالة يباع لك الزوج برخص
وربما بأقل من سعره الاصلي. هذا هو السبب في أنك تقرأ في كتالوجات
المصانع أن ثمن الزوج يساوي ٨٠ قرشاً بينما تأخذه من التاجر بمبلغ ١٥٠
قرشاً. ويعود ذلك بالاكثر الى الموده ودلالها. نصيحتي لك أيها القاريء ان
(١) تحدد مطلوبك بالضبط وتقدر القيمة التي تود أن تدفعها وذلك

قبل أن تدخل المحل

(٢) لا تتفلسف لثلاثت للناجر جهلك

(٣) لا تتبع الموده بل سر على عكسها تماماً

(٤) اشتر ما تحتاجه من محل واحد دائماً كي تعرف فيه

(٥) ومن شخص واحد لكي يفهمك

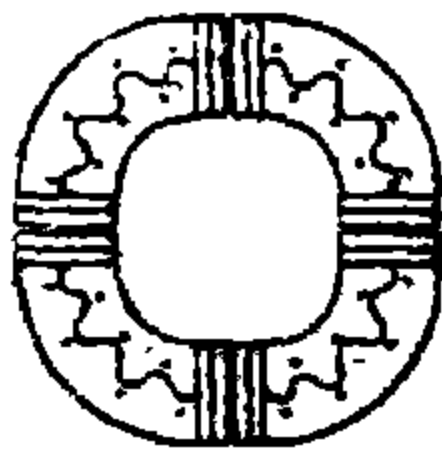
(٦) عامل هذا الشخص دائماً. واجتهد ان تكون ظريفاً معه واره أنك

(٧) اذا فعلت ذلك والفتما بعضكما البعض ، سيأتى وقت غير بعيد يبشك فيه أسرار السوق فمثلا يسر اليك « لدى جورابات لقطه » أو « فيه بضاعة مكن ورخيصة » فاقدم على الشراء عندئذ حسب نصيحته واعطه كم قرش اذا كلفته بتسديد ثمن البضاعة عنك أو اذا سارع وقدم لك الربطة باحترام . ولكن احذرا أن يرى البخشيش أحد من رفاقه

ويمكنك من ثم أن تمر على المحل كلما ثقل جيبك واجتهد أن تبسم للعامل فابتسامتك سؤال ، له جواب ان وجد . واذا لم يوجد فلا بأس من أن تشتري قطعة صابون بقرش أو بكرة خيط ثم ارجع من نفس الطريق ...
وانى أنصحك أن لا تنتظر حتى تصير فنلاتك مثل الغربال . فربما تكون السوق عندئذ سيئة أولا تكون هناك فرص لينبهك كي تنهزها وذلك عند ما تكون في حاجة ماسة الى شىء معين

صدقنى أن صداقتك للبائع تعود عليك بنحصر قدره ٢٥ في المائة على الأقل وذلك على أحسن بضاعة يعرضها المحل

حسين محمود



لكم عقلكم

ولي عقل

ليسمح لي قارئى المحترم ببضع دقائق أحتكم فيها اليه . . أين اجمال فيما يأتى ؟ بل ما هو معنى ما يأتى ؟

« كل يوم أعوم قواربى الورقية على الجدول الفياض واحداً أثر واحد . وأكتب عليها اسمى واسم قريتى بأحرف غلاظ سود وأرجو أن يعثر عليها انسان في أرض أجنبية فيعرف من أنا . وأشحن قواربى الصغيرة مما ينميه بستاننا من زهر الشيولى وآمل أن تصل أزهار الفجر الى البر أثناء الليل سالمة . انى أحمل قواربى الورقية على ظهر الماء ثم انظر الى السماء قرى السحب الصغيرة تنشر شرعها المستفيضة الناصعة ولا أعلم أى صاحب من صحابى يرسل تلك السحب من السماء لتبارى قواربى في حلبة السباق . وإذا جن الليل خبأت وجهى بين ذراعى وطقت أحلم أن قواربى الورقية تسبح طاحة تحت كواكب الظلماء . وعلى قواربى هذه تسبح جنة الكرى وما بضاعتها الا حداثتها المملوءة بالاحلام »

فاذا وجد القارئ الفاضل في ما سبق روحاً شعرية أو اذا استنتج منها أى معنى — ولا أصر على أن يكون معنى سامياً — فليطو الصحيفة لان قراءة ما سياتى ليس فيها فائدة له .

أما الذى يوافقنى على ان هذا الكلام المخصوص ليس غير هراء ديجته أنامل شخص سخي، فاقدم الى هذا الشخص الموزون مسألاً ماذا يكون جزأى واحداً اذا فرض — فرض فقط — وكنت أنا الذى كتبتة ؟ وإنى أقسم بكل

إيمان باننى أعقل من أن أخط حتى ماهو أقل سخافة مما كتبته نقلا عن غيرى فى هذا . ومن المضحك أن هذه السخافات قد ترجمت (مع ٢٥ قطعة مثابها) قبل أحد ادبيتنا المشهورين ونشرت كلها تحت عنوان « قطع ختارة فى الفن والأدب »

وانى أراهن بشأن واحد فقط على اننى إذا ذكرت اسم الكاتب الاصلى لما لولى غاب نصرائى ظهورهم فى قئين ومن أنت أيبا الغبي حتى تنتقد شكسبير أو هيجو أو ذلك اخندى أو هذا الايطالى أو ذيك الانبانى الشاعر الفيلسوف المفكر العالم ال . ال . ال . وإذا فرض ووقف الى جنبى وفرد واحد فقط بعد ظهور اسم الكاتب أو كد لك أنه يفعل ذلك على الحساب الجارى لنظرية « خلف تعرف »

ونولا الخوف من محدد العصور خبرت اسم هذا الخيف الذى أخذت أخذاء الجوفاء تكتسح العقل والرزانة . وبالله عليكم ليس هذا الكلام نوع من « الجاز بند » فى فن الكتابة هجم عليه الناس لانهم احد اثنين . أما متعب من التفكير الجدى يقرؤه لاجل اضاءة الوقت فقط وأما مقاد يتحرك حسب ما يتحرك غيره ليثبت أنه سليم الذوق مثقف ؟

وبهذه المناسبة أذكر اننى دعيت ذات مرة لحضور حفلة موسيقية وكانت الظروف تضطرنى الى حضورها رغم اننى كى أمثل ضائفة مخصوصة . ويشهد الله أننى لا افهم من هذه التنتنات شيئا بالمرّة ، هذا مع وجوب الاعتراف باننى فى بعض الأحوال فقط أنهم وأنا جالس بدون أن نشعر

ضربت لاوتار دوراً طويلاً جداً للغاية فشاهدت علامات الاهتاء متجلية على وجوه الجالسين حولى فجلست أنا أتثاءب وأنا ابذل الجهد العظيم كي لا يلاحظ الناس جهلى « بالمفنون الجميلة » ولكن لسوء الحظ امسكتنى سيادة عجوز متلبساً بالجريمة فلما انتهى الدور وارتفعت الجالية ضالمة « لانكور »

قلت لى السيدة باشفاق . . . أظن ليس لـ سيد اذنًا موسيقية ؟

قلت . . . ربما . . . نعم . . . قليلا

قلت أن هذه القطعة قلموزارت اسمها — هنا ذكرت الاسم ولكنى نسيت

فلنفرض انها قلت (البحر يضحك لى)

قلت نعم . . . أجل تذكرت فقد سمعته ذات مرة فى الاوبرا

المصرية . حقيقة جميل جداً . وهنا شرع الموسيقيون يوقعون « الانكور »

فانسحبت إلى بيئة ظننتها أقل ميلا إلى الفن ولكن هالتي تحرك الرؤوس وتوقيع

الارجل متابعة للنفحات فلما انتهى الدور علت الصيحات مطالبه « بالبيس »

نخوفاً من أن اهاجم هذه المرة أيضاً ملت نحو احد المتحمسين وقلت له حقيقة ان

هذا الدور جميل . فاضهر اندهاشاً عظيماً وجاوبنى بفتور قائلاً جميل ! . وماذا تنتظر من

بتهوفن ان ينتج ؟ اظن ان حضرتك لست ملما بالفن فهذا هو دور «الكمل فى

الملاح صدف (مثلاً يعنى) . فكنت اسقط على الارض من الدهشة وطننت ان

صاحبنا (غاباوى) قد حضر حديثاً فلم يسمع الناس وهم يطالبون دور « انكور »

فوليت له ظهري هذه المرة وانا اشعر بانتصارى عليه وكانت الموسيقى قد بدأت

تعرف الدور الثالث ولما انتهت سارع الناس الى مستر كلارك رئيس الفرقة

يهنئونه . فلما اجد بدا من الاقتداء بهم وكنت اعرفه معرفة جيدة فتعمدت ان

اهنئه اخر الكل . فددت له كلمتا يدى ورغبة فى التهويش ابتسمت ثم قلت .

حقيقة قد احسنتم وخصوصاً توقيع القطعة الثانية

قل . القطعة الثانية ؟ ! اى قطعة

قلت . التى عنوانها « انكور »

قل . انكور ! ! اتمرح ؟

قت . (مرتبكاً) لا لا ابدا اقصد القطعة التى ضربتموها قبل قطعة بيس

قال . (ضاحكاً) ولكن يا عزيزي ليس معنى انكوبويس الا طلب
للاعادة فنحن لم نوقع الا قطعة واحدة

قلت . (مراوغاً) ها ها . انما قصدت مما زحكت فقط وذلك لأنني
سمعتها في الاوبرا المصرية قبل عامين فوجدتكم توقعونها احسن مما توقعتها فرقة الاوبرا
قال (مندهشاً) الاوبرا ؟ مستحيل ياسيدي لا يمكن أن تكون قد سمعتها هناك
قلت (مسيئاً الفهم) ولماذا ؟ أو تظن ان قطع بيتهوفن اعظم من ان
توقعها فرقة الاوبرا ؟

قال بيتهوفن ! ؟ ماذا جرى لك ياسيدي هذه ليست له

قلت (معتدراً) اوده قصدي موزار . . .

قال ولكنها ليست لاحد غيري فانا الذي الفتها منذ شهرين وقد درست
عليها الفرقة وعرفت امامكم لأول مرة . فله يسعني والحالة هذه الا ان اكون
حريصاً بقيمتها اني لم أشرف بمعرفة الاوبرا المحترمة الا من خارجها . وقصصت
بعد ذلك عليه قصتي من اولها . فضحك ملء شذقية وقال لي انت الوحيد الذي
تجهل الموسيقى فكل الحاضرين اجعل منك ولكنتهم مراوون . ان اسم هذه القطعة
« تعالي لي يا بطي » (مثلاً)

وصدقني يا حضرة القاريء انني حاولت كثيراً ان اقلد حركات قردة البشر

في الاستحمام والاستهجان فاختفت

حسين محمود

فهل من مرشد ومعلم لوجه الله ؟



لما قرأت نيتشة

للقائد الفرنسي : أميل فاجيه

أعضاء الأكاديمية الفرنسية

— ٢ —

ولعل هذا يرجع إلى تكوينها بالذات خارج كل نظام سياسى . وهي تشعر أو تحسب أنها تشعر بأن الناس يجتمعون لكي يحموا انفسهم من العدو المحتمل . ولكي يعيشوا فى أمن وسعادة . لالكي يعيشوا معرضين للخطر فالمجتمع الحديث لا يتجاوز فى مهمته دعوة اكبر عدد ممكن من المخلوقات إلى الحياة . وهذا من شأنه ان يضيق المكان ويؤلف عائقا ضد الحياة فى الجمال وفى القوة والخطر . (لابد من ملاحظة مذهب نيتشة فى أن يعيش الانسان فى خطر) قال « عديدا لا يحصى من الناس يأتى العالم وقد خلقت الدولة لـ طحجين من بينهم . انها تجذبهم وتستخدمهم وتمضغهم ثم تمضغهم وتجميل من فضائلهم زينة لها » .

اذن فالمجتمعات الحديثة — وهي حديثة منذ أقدم ازمنة التاريخ — مناقضة لمذهب « نيتشة » . وهو من أجل ذلك لم يحجم عن أن يكون من بعض نواحيه عدواً للمجتمع وعلى الأخص ظهر بمظهر العداء للمجتمع . فقد صادف لحظات اضطرته الى أن يجابه المجتمع بالعداء ويقول « إن الحياة كما أدركها يمكن أن تكون هي الحياة الفطرية . وانه ليس من الميسور ان تتوفر وتتحقق فى صورتها الكاملة الباهرة الا فى الحالة الطبيعية . او فى الفطرية للجمعيات غير المنظمة التى يطلق عليها اسم الحالة الطبيعية . وفى الحقيقة ان النظام الاجتماعى نفسه هو الذى يعادى مذهبي » . ولا اشك فى أن نيتشة قد استطاع أن يحدث نفسه بذلك وان لم يكن قد كتب فى أحد تأليفه وهو

المفكر انتهى لم يبال أن يقيد أفكاره بجماعة وبسالة لا نظير لها . ومن الممكن أن يكون قد اقتنع — وربما عن خطأ — أن هناك عنصر هو العنصر اليوناني مثلاً قد نظم جميعته وخلق الحياة الحرة الجميلة القوية . فلم يقف عند حدود النكرة المعادية لمجتمع .

ويتضح مما تقدم أن نيتشة لم ينتقد أي عائق لمذهبه بأشد ما انتقد المجتمع الحديث . المجتمع النفى . المجتمع الذي لا تتجاوز أقصى غايته أن يوفر لا كبر عدد ممكن من المخلوقات البشرية سعادة جزئية شنيعة تشتر منها النفس . تلك الجمعية هي الوحش الأسود أو إذا شئت فسمي التطيع الأسود (كما سمي نيتشة عامة الشعب) وهو ما سخر منه نيتشة سخر نارياً تتجلي فيه آيات بلاغته . أما ما ينبغي ذلك المجتمع الحديث فلا يتعدى شيئين متناقضين في طبيعتهما : العدالة والمساواة . على أن مانسميه عدالة إنما يردده بينما الدنيا قد خيمت عليها عواصف انتقامنا . العدل فينا هو التعطش إلى القصاص والخذل بالثأر . أما الإرادة في المساواة فذلك مانسميه فضيلة ونريد أن نصعد صيحاتنا ضد كل ما هو قوى . لعمرى أن اقبح عنصر لهو ذلك العنصر الذي يتحدث دائماً عن العدل . أنه ليبذو على وجهه سمات الجلادين . فاحذر كل الحذر من جميع أولئك الذين يتحدثون كثيراً عن عدالتهم كلا . لست أريد أن أخطأ بدعاة العدالة والمساواة . ولقد حدثتني العدالة فيما تحدث أن الناس غير متساوين » .

ولقد ظل نيتشة يعد الاشتراكيين مثال العنصر المتصف بالفضيلة المحدود . الرأي المسمى إلى الجماعة . عنصر عاشق للمساواة والسخف والقبح وكل ما هو مستغرب في الحياة ومعادها بل كل ما يهدم الحياة ويقضى بانحلالها . أما الديموقراطيون فقد عدهم من أنصار الظلمات الباردة . واعتقد أن الاشتراكي هو الديموقراطي المتبع للمنطق . مخلوق يعيش في الظلمة أهم ما يشغله أن يحمي كل ما ينير في الشمس .

وأشوأ ما في الحياة أن الاقوياء فيها . أولئك الذين أوتوا موهبة التدبير والادارة يرتضون التضامن مع السطحين ويرون ضرورة وجودهم

ومشروعية رغباتهم وأخيراً الاشتراك معهم . قال : « ان الحياة ينبوع فرح .
ولكن في كل مكان يستقى منه السفهاء يستحيل ينبوع الى سم زعاف . . .
على انى أتساءل عما اذا كانت الحياة في احتياج الى السفهاء ؟ » وكان نيتشة
من أشد المفكرين احتقاراً للطبيع المنظم (الشعب) . كان من عباد
القوة .

وبالتضامن مع السفهاء السطحيين تألفت الدولة الحديثة . الدولة التي
تعمل على السطحيين . وهي الدولة المناقضة للطبيعة ولكل جمال فنى .
وتحسب انها معبودة . وتؤكد انها معبود جديد .
على انها تعيش با كذوبة . انها تزعم انها الشعب . وهي أكذوبة
لا تطاق . أن لدولة حيوان مفترس من شر الحيوانات المفترسة . ان الخالقين
الذين يعبدون هم الذين يخلقون الشعوب ويشهرون فوقها إيماناً وحباً .
وكذلك يخدمون . انما الهدامون هم أولئك الذين ينصبون الشراك للأغلبية
ويدعون ذلك دولة . ويشهرون على ذلك سيفاً ومائة لهوة . «
وتلك لعمرى هي الدولة الحديثة . انها تقنع الشعب بانها منه وأنهم مثلته .
وبهذه الذريعة تهبط به دون ان ترفعه . وتنيمه دون أن توقظه وتبعثه .
وتتركه في خموله وفطرته دون تعودة النظام . وتفعل ذلك وتريد معه أن
تكون معبوده . وتزعم أنه ليس في الارض من هو أعظم منها وأنها أصبع
الله الأمر !

أن المجتمعات الحديثة بذوقها في خلق الكثرة العددية من المخلوقات
والسفه والسخف والدولة المعبودة بميلها إلى المساواة وكرهاها الطبيعي لكل
سمو شخصى ليس أكثر من انتحار بطىء للانسانية . ولا تكون الدولة
الا حيث يكون الصالح والطالح يستقى السم وحيث يفضل كل منهما عن نفسه
وحيث يدعى انتحار الجميع البطىء حياة ! «

« ولطالما مررت وسط ذلك الشعب فاحس بان نظري يقصر ويظل
يقصر بسبب مذهبه في السعادة وفي التفضيلة . انه يسير ببطء فيعوق من
يمشى على عجل في الزحام . . . والحصول ببساطة على سعادة جزئية . هو ما

يسمونه الرضى والقناعة . وليس للشعب فى الواقع غير رغبة واحد هي ألا يسىء اليه أحد . وهذا ما يسمى فضيلة . على انه فى الواقع جبن أنهم ليجعلون من الانسان الحيوان المنزلي الانسان ، ويعدون السخف اعتدالا . وبالاختصار انتهى نيتشة من النظر الى المجتمع عند اعتبارد عائقا لمذهبه . عائقا للحياة فى الجمال وفى النور . عد المجتمع هبوطا الى معالم الظلمة .

قال الناقد اميل فاجية فى خلاصة موجزة ان نيتشة لم يكن فيلسوفا خالقا . وانه لمن الممكن ان نجمع أفكاره كلها من « جوته » و « لاروشفوكول » و « رينان » . واما ناحية الابتكار والخلق فيه فقد تستلج وتعد فى منتهى الجمال . ولكنه من جهة اخرى عامى يحمل على كراهته بالنظر الى تهجمه وعدم مبالاته . وتطرفه احيانا فى الرأي نظير قوله ان فى كل عمل عظيم جريمة عظيمة . وسمو « بيرون » الروحى على الانجيل (!) ولو ان « رينان » وصل الى هذا الحد من الغلو فى رأى اصار ممقوتا .

لم يكن « نيتشة » خالقا ولكنه كان فى منتهى الذكاء . الذكاء الحديد المتفوق . وهو مع ذكائه جريء عنيف فى الحق . فياض بالفكر . كثير المتناقضات ولكنها جميعا قابلة للحل والتأويل .

ولقد قال انه ليس ثمة شىء بلا قيمة وتوصل الى احراز شبه سيطرة فكرية . وقال انه ليس للاشياء نهاية ولا معنى وقد اراد ان السهرمان هو الغرض المراد من الحياة . وقال انه ليس شىء حقيقى ، وانه يلزم خلق تقديران حقيقية . وجوهر فلسفته ان الحق هو ما نهتدى اليه عن طريق القاعدة التى نخلقها للحياة . وان المفكر لا ينبغي ان يتحدث الا عن تربية نفسه لا تربية الآخرين وأن تربية النشء انما تكون تجربة تباشرفى غير المعلوم . وان من واجب الانسان ان يؤلف افكارا شخصية لانها وحدها تدوم وتثبت .

على ان نيتشة استطاع ان يعطى بكتاباته درسا للعالم . درسا يشمل حقائق جديدة استكشفها بالبحث . وكان فى بحثه « دون جوان المعرفة » ومخاضا فى سبيل اصطياد التفكرات

وبالرغم من أن أفكاره الأدبية والفنية غير ذات اتصال متين بفلسفته فأننا نرى ضرورة النظر إلى آراء الفيلسوف الحرة المستقلة في الأدب والفن .
 أما ينبغي أن نذكر قبل كل شيء أن نيتشة «كلاسيكي» من أنصار الثقافة الاغريقية . وهنا يتجلى لنا تأثير «جوته» و «رينان» في صاحب كتاب «زاراتوسترا» . وقد سبق لنا القول بأن من الممكن الاطلاع على جوهر فلسفته في «جوته» و «رينان» و «شوبنهاور» . ولقد نشأ «نيتشة» اغريقياً منذ الصبا . تعشق الثقافة اليونانية من سن العشرين . وهي أساس تعليمه .

وكان من نتائج ذلك أنه شغف بدرامات «فخر» التي اعتقد - عن صواب - أنه استكشف فيها التراغوديا الاغريقية . على أن ذلك لم يمنعه فيما بعد من نقد درامات «فخر» التي وصفها بأنها كزهرة الخريف بين بدائع الروماتيسم .

وأفضى به ولوعه بالثقافة الاغريقية الى حب الادب الفرنسي في القرنين السابع عشر والثامن عشر . وحتى الازعاج «موتاني» الذي رأى فيه خلفاً للاغريق أكثر منه خلفاً للرومانيين ، ومن هنا أيضاً كانت مذهبه في القوة المقرونة بالبساطة .

ولقد بلغ من عبادته للقوة أنه كان يصف «الفنان» بالمرضى . ولكنه مريض ممتلئ قوة فعالة وفيض خالق يهب الجمال أصدق قوالبه وأبدعها . وبعد فإن «الفنان» انسان شاذ ذو حالة خاصة يمكن أن نسميها حالة تهيج فوق الطبيعة . إنما يخلق الفنان الاحوال الاستثنائية الشاذة . الحالات المرتبطة أشد الارتباط بالظواهر المرضية الى حد أنه يظهر أنه ليس من الميسور ان يكون الانسان فناناً «أرتيست» دون أن يكون مريضاً . تلك الحالات الفزيولوجية في الفنان تكاد تكون شخصية ثانية . وهي أولاً : الادمان على المسكر أى زيادة الشعور بالمقدرة والضرورة الكمية الى أن يجعل الفنان من الاشياء وسيلة لاتساعيه وكلمه الذاتى . ثانياً : الاحتداد المتناهي . أى احتياج الفنان الى التخلي عن شيء من ذاته بإشارات وحركات

تتم عن حالة ثورية شديدة . ولا بد لنا من تصور هذه الحالة على أنها رغبة قوية تدفعنا الى التماس من ذلك التوتر الخارجى بحركات عضوية عنيفة . ثم هى فى الوقت ذاته اتصال غير اختيارى لتلك الحركات بالظواهر الداخلية (التصورات والافكار والرغبات) ثالثاً . المحاكاة الارغامية التى هى ألا يقر للفنان قرار حتى يرسل الى الملأ ما يتصوره وما يدور فى خلدده . كأن تكون صورده تولدت فى الخاطر تعمل على ازعاج الفنان وتوقف ارادته وتجعله فى عى وصمم عن كل ما يدور فى الخارج . هذه الحالة الشاذة من فرط القلق والتهيج . هذه الحمى الخاصة هى ما يتميز به الفنان عن الرجل الدنيوى العادى . فان الاول يخدم تهيجه بان يولد ويعطى . أما الثانى فيخدمه بأن يتلقى ويأخذ . وليس التباين بينهما لا غير بل هو أيضاً مستحب ومرغوب فيه . ولكل منهما نظر خاص . فانت اذا طالبت الفنان بأن يكون عند نظر المتفرج والناقد اما تطالبه بهدم قوته فى الخلق والابتداع . ولقد يشبه ذلك ما بين الجنسين (النساء والرجال) من التباين . فانه لا يجوز أن تطالب الفنان الذى يعطى أن يكون امرأة تتلقى وتأخذ . وما يزال الجمال الذى عندنا الى الآن فنا نسوياً لان الرجال الذين يتلقون نسبياً فى دائرة الفن هم الذين صاغوا للناس تجاربهم بشأن ما هو جميل . على أن الفنان الخالق هو من لا ينظر الى الخلف بل لا ينظر الى شىء قط . اما ينبغى له أن يعطى . وهذا لفخر الفنان العاجز عن النقد .

وحين يكون الفنان قديراً على النقد لا يكون لهما ولا دسما انما يكون... «محدثاً !» (مودرن) . ويتصف الفنان أيضاً بأنه إلى حد كبير غير شخصى . وفيما عدا الفن الشخصى وغير الشخصى الفن الصادق الصحيح . وعلى هذا الاعتبار يكون غير الشخصى « امبرسونيل » لان شخصيته الاختيارية لا تدخل ولا ينبغى أن تدخل فى عمله او كما قال نيتشة « يجب على المؤلف ان يسكت حين يتكلم عمله » . والفنان من جهة أخرى شخصى لان شخصيته الحساسة ومزاجه وذوقه يشيع دائماً فيما يخرج للناس من بدائع .

وتناول نيتشة بالنظر الفنون المختلفة فقال أنها دليل على عجز الفنان وأنها تشهد على عدم ثقة الفنان بمقدرته فاستعان بتجالف الفنون وتمازجها كما يفعل الشاعر حين يستعين بالفلسفة والموسيقى حين يستعين بالدرامة (يشير إلى فننر) والمفكر حين يستعين بالبيان (ولعله في هذا يشير إلى نفسه) وكذلك الأسلوب المتغل بالبلاغة أو بالحشو إنما يعد ضعفاً في المكاتب أو الفنان في أى مدرسة وفي أى عصر وفي أى حضارة . فالفن في أوجه الاسمى هو الفن في بساطته . والفن الكلاسيكى أبداً بسيط . ولا يمكن أن يولد الفن الكلاسيكى الذى هو فن الجمال والبساطة والنظام لأول محاولة . وما الفن الا استعمال للذكاء وتجربة له . بل هو ثمرة الذكاء المتحد بالعاطفة .

*

* *

وانتقد « نيتشة » الرومانتيسم الالمانى مر الانتقاد فوصفه بأنه فن متعشش الى الهجوع قال « إن الالمان حين أرادوا أن يجلبوا اليهم اهتمام شعوب أوروبا الاخرى خلعوا عنهم ثقافة ليس لهم نظيرها اليوم ولم يجيئوا بتلها سوى مآثره الجنون السياسى والوطنى في عقولهم . واؤكد أن الثقافة الالمانية قد خدعت الأوروبين وأنها ليس جديرة بالالتقيد ولا بالاهمية التى يعلقها عليها بعض الامم الاخرى .

ونعتقد مع ذلك أن نيتشة لا يخلو من شيء من المغالاة في حكمه على الثقافة الالمانية .

وعجيب أن ينوء « نيتشة » بالنقد على الثقافة في حين يرفع الى المقام الأسمى كاتباً من الدرجة الثانية مثل « سترن » ويفضله على « ديدرو » لمجرد ان « جوته » شهد بأنه أشد كتاب عصره حرية . ولكنه أهمله في آخر الامر بأنه استاذ الابهام والغموض .

واشد ما امتدحه « نيتشة » في الفن الوضوح . وهو كما علمنا قد تعشق منذ صباه البيان الاغريقى والوضوح الفرنسى . ولقد يعد هو نفسه مثلاً أعلى في الوضوح . وان نيتشة خير بلفاء عصره . انه فنن في أسلوبه . بسيط

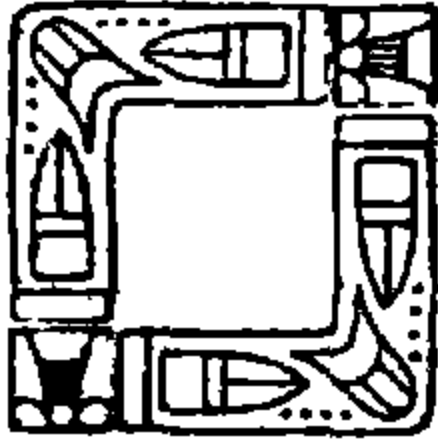
فلسفته ببلاغة الكلاسيك . ولقد أعرب عن تآزده من أسلوب « شوبنهاور » .

*

* *

ان هنا تنتهى من المقال الأول في فلسفة نيتشة ملخصاً من كتاب « اميل فاجيه » وهو من خير ما كتب في هذا الموضوع وسنشفعه بمقالين آخرين يتاخر فيهما بقية الكتاب . ثم نبداً بتأخير كتاب الاستاذ « هنرى ليخبر جيه » في الموضوع نفسه لكي تجتمع لدي قراء « العصور » فكرة عامة كاملة عن مذهب فردريك نيتشة . وهو المذهب الفاسف الذى لا ينبغي ان يجيله أحد في عصرنا . وما عرف عنه حتى الآن قليل لا ينفع غلة

عبد الحميد سالم



عاصفة فكرية

يعتقد أكثر الناس أن المنظمات الاجتماعية الحاضرة . كنظام الزواج والعائلة البيتية والقرابة الخ . إنما هي نظمات مقدسة وأبدية . لأن الله هو الموصى بها ولكن هذا الاعتقاد باطل كغيره من الاعتقادات التي لم يقدّم الدليل على صحتها . وسأبين في بحثي هذا قيمتها من حيث فوائدها الواضحة أن المنظمات الاجتماعية أو التقاليد الاجتماعية عوامل منجّمة في منح الناس ومصيرهم وأصل كل المدنيات وما تحت ستار هذه المدنيات من فظائع تشعّر لها الأبدان . ولما كانت الانقلابات تبدل في وضعية هذه المنظمات أو التقاليد فنسبتها عند الأمم تقاس بنسبة ما التاب هذه الأمم من الانقلابات . وقد تتوحد في نظر الباحث من الربع الأول في القرون الوسطى وما بعد هذا الربع بزمان وجيز لأنها كانت وقتذاك في أول عهد تطورها وفي فجر حياتها الذي أضاء أمم الغرب إشعاع من نور السعادة خليل . فقبل ذلك التاريخ لم يكن من نظمات متباينة في الغاية والواسطة كما يرى الآن بل لم يكن من اختلاف بين تقاليد الشرق وتقاليد الغرب إلا القليل الذي لا أهمية له . وقد بقيت وحدة بعض التقاليد إلى الآن وبقاؤها كان من ارتباطها بالدين . ولكن التي لم تكن مرتبطة بالدين أو مرتبطة به وصلها الناس فقد تطورت وتفرعت حتى أنها طمت على غيرها ووسمت الأمم الغربية بموارق بين بعضها وبينها والأمم الشرقية هذا أصل الاختلاف في التقاليد الحاضرة ومنه يتضح أنها ليست مقدسة ولا أبدية كما يعتقد أكثر الناس . أما أصلها وتقديسها والنسب بأنها أبدية فيرجع إلى أقدميتها وكفى أنها أول أعمال الإنسان الاجتماعية التي عاينها بنيت هذه المدنية .

كما افترقت في حالتنا الحاضرة أقف حزينا مضطربا . فكيف أعمل كما أعرف الناس فساد نظام العائلة البيتية ؟ وماذا أصنع لكي أبين لآخواني في البشرية التعاسة المتأثية من نظام الزواج الحاضر ؟ بل ما العمل

تهدم هذا البناء المشيد على أكتافنا لاشيء سوى لسكنى البعض وهذا البناء هو نظام القرابة؟ —

نظام العائلة البيتية فاسد : نعم فاسد وفساده أصل كل تعاستنا . هذا ولد صحيح البنية — قوى العضلات . مات والداه وتركاه بلا معين . فتش عن طعامه فلم يجده . فتش عن لباسه فلم يجد اللباس . مرض . مات : ما سأل عنه أحد . وهذا ولد . مريض الجسم . لا حول له . أبواه من الاغنياء . ربياد ثم علماء . ولكن ؟ . هو ضعيف الجسم وضعيف العقل . لم يستفد من الفرصة التي سنحت له . ذهب والتجأ الى المحيط الذي يضم أمثاله . وهذا المحيط علة علل الاجتماع . هناك في ذلك المحيط صرف القوى . قوى الماديات . التي ورثها عن والديه . فتواء من حيث يجب أن يهدمه . ويجعله يفوز في ميدان تنازع البقاء على غيره الاصلح منه

ونظام الزواج . هذا النظام الاجوف . لم لا يصلح بقطع صلته من تلك الزمرة التي ادعت ملكيته ؟ وربطه في قانون سام شريف . قانون الشرف والوجدان وعزة النفس .. والقرابة . لماذا تبقى علي صورتها الحاضرة ؟ . كل الناس أقرباء واخوان . وكل الناس هم الغير ولهم مني واجب واحد هو ما قال فيه شوبنهاور . « الواجب تجاه الآخرين » . لا فرق بين أخى وابن عمي والصيني والهندي والاوروبي . الكل عندي أعزاء وأحباء ولهم المقام الرفيع أما — أنا — فلا يوجد في الكون من يشاركني عواطفى وميولى واحساساتى به ونحوه — هو أنا — وأنا ليس الا واحداً وقيمته قيمة كل هذه العوامل التي لا تحصى وهذه الا كوان وما يرى وما لا يرى — أنا — كلمة تهزنى فرحاً وسروراً وتغلا قلبي قوة وترفعنى الى حيث لا يندرى أحد من البشر — الى قمة نظرتى في الحياة وأصلها ونشوتها ومصدر هذه المحسوسات ونهايتها .

تبا لهذه النظم التي تقيد البشر وتجعل بينهم الفوارق وتغلا قلوبهم حقداً على بعضهم . وهى ما ان دامت تدوم العوامل التي تصير الناس في مثل حالتهم الحاضرة التعمسة .. أنا لا أرضى نظاماً من كل هذه النظمات ولا أقبل تقليداً من جميع هذه التقاليد . وانما أعمل على هدم الاثنين كما يتحرر الناس ويعرفون معنى الحياة وقيمتها وأهميتها .

بيروت — ابراهيم حداد

حول المبدأ البهائي

سؤال وجواب

أتيت اليكم كسائل ومستفسر ولست منتقداً أو مدافعاً لأنني لست ممن يعتقدون بالاديان

ولذا أود أن تجيبوني على الاسئلة الآتية توصلاً للحقائق لا غير. اذ أنني ممن يعرفون جيداً أن الاديان قد جلبت للعالم الانساني ويلات، وحطمت مدنيات عظيمة. وكتاب المؤلف الافرنسي «فولني» أكبر شاهد على هذا كل ذلك درس كاف لنا لكي نكب على الاديان لما كان شأننا أولاً ومع هذا كله أود المصوّل على ما يقنع العالم عند ظهور أي مبدأ كان. هل هو نافع للعالم أم هو ضار. أم هو لا هذا ولا ذاك، لتلايقع الانسان في مثل الشباك التي وقع فيها من قبل

قرأت العصور العدد ١٠ مجلد ٢ فوجدت مقالات بهذا الصدد ولكن كلها لم تشف غليلي. فمن هذه المقالات مقالة تبحث عن تاريخ أصحاب المبدأ البهائي، وبما اني لا أعرف عن هذا التاريخ ليس شيئاً سوى أن البهاء وعائلته كانوا قد تهاجروا من ايران الى بغداد. وسجلات الحكومتين الايرانية والعثمانية (الساخطة) تثبت ذلك. وكذلك سجلات سفارة روسيا تثبت. حيث أن هذه الحكومة أخذت على عهدها أن توصله سالماً الى العراق. وعليه قد رافقه العسكر القوزاقي الروسي حتى حدود العراق.

أما غاية هذا المذهب فلم أعرف عنه شيئاً بل اني أكرهت علي أن أترجم بعض المدونات عن هذا المبدأ من العربية الى اللغة التركية. وبهذه المناسبة وقمت على شيء منه وهو الذي أريد ان اسميه مبدأ التعاب والتجدد.

أنني وجدت الكتاب الاقدس والالواح التي كتبت وسجلات بحينها

ونشرت بوقتها بين أتباع المذهب متشابهة لا فرق بين نسخة وأخرى . فعليه
إذا اعتمدنا وقبلنا صحة هذه المدونات نجد تعاليمها كما يأتي :

أول درس أعطاه يختص بالسلم والصالح العام . وتشكيل محكمة دولية تفصل
في الخلافات الواقعة بين الدول .

والدرس الثاني ان يكون التحصيل الابتدائي اجبارياً . ومن لم يمكنه
ذلك فتقوم بتحصيله محافل هذا المذهب .

والدرس الثالث هو أن المعلم له أن يأخذ إرثاً من تلميذه . وهذا الحال
يشوق المعلم ان يدرس للتلاميذ بكل نشاط .

والدرس الرابع هو دعوة العالم إلى مساواة المرأة والرجل وتعليمها لان
المتعلمات سوف يكن أمهات للجيل المستقبل .

والدرس الخامس دعوة العالم أجمع إلى تأسيس لغة عامة سهلة التحصيل
للتفاهم بسهولة حيث كل أحد يتمكن من تعلمها مع لغته الأصلية ولا يضيع
أوقاتها ثمينة لتحصيل لغات متعددة .

والدرس السادس دعوة العالم إلى الوحدة من دون نظر إلى اللون والملة
والوطن لتستفاد (الاخوة) وتزيد .

والدرس السابع يدعو العالم فيه ان تكون القارات الارضية وطناً
عمومياً للعالم أجمع .

والدرس الثامن يدعو العالم فيه ان لا يكون الفقير مدقماً حيث ان صاحب
المعمل يمكنه ان يعطى حصة ما من ملكية المعمل للعامل ، وبهذه الصورة
يكون قد استفاد الطرفان . فالعامل يشتغل ليستفيد من الربح
وصاحب المعمل يستفيد من عمل العامل .

والدرس التاسع منع الحروب

وأمثال هذه الدروس موجودة في كتب المبدأ البهائي .

ولم توجد الصحف والمجلات إلا لمنفعة العالم الانساني بكل معنى الكلمة
فاني أرجوكم أن تحكموا في كل درس أعطاه بهاء الله . هل هو أول واحد

تكلّم به أو أخذ من الأديان السابقة ؟ فإذا كان الثاني فلماذا ؟ ومن أي دين أخذ، وكيف كانت العبارة بنصها الأصلي : وهل هذه الدروس تفيد العالم اليوم أم لا ؟ وكيف تفيد أو كيف لا تفيد

وبهذه الصورة تكونون قد خدمتم الإنسانية خدمة تذكر فتشكر . لأن من يقرأ أو يسمع عن هذا المبدأ فيري ما يخلب لبه يقبله فوراً . فلكي لا يقع من هذا القبيل شيء ، فعلى المجلات أن تتدبر الأمر وتفسح مجالاً لمن يمدح المبدأ ولمن يذمه بشرط أن يكون المدح أو الذم موافقاً للعقل وأن لا شكركم سلفاً

بهنام سلمان

بغداد العراق

العصور — لا نرى في المبدأ البهائي شيئاً جديداً ، بل هو خليط من المبادئ الدينية والانسانية ، أراد واضعوه ان يكونوا من مجموعها ديناً جديداً . على أننا لا نستطيع أن نعرف كيف أن ديناً يمكن أن يكون له أثر الأديان الأخرى ، وتقصد بها الأديان العظمى ، كالنصرانية واليهودية والإسلام والبوذية وغيرها : من غير أن يقوم على ذات الأسس التي قامت عليها تلك الأديان . وما تقصد بالأسس إلا القواعد الأولية . أي أصول الأديان ، وهي لدى الواقع قائمة على أشياء مما فوق العقل . أما كل المبادئ التي ذكرت في هذا السؤال ، فهي من أقدم الأشياء التي تطالع اليها الباحثون والفلاسفة والمصلحون منذ أقدم الأزمان ، ومن قبل أن يعرف الإنسان للأديان المنزلة أقل أثر . وعلي هذا نجد ان البهائية عبارة عن فكرة مرنة كل المرونة تحاول أن تجمع كل جديد وكل قديم تحت الشمس لتكون ديناً . فهي في الواقع (انسيكلوبيديّة أديان) لادين واحد .



الفلسفة

ما الذي نستفيد من الفلسفة ، وهل هي أكثر من تخبطات يقصد من لو كها إضاعة الوقت ؟ وكيف لا تكون مجموعة من التخبطات ما دامت تدور حول مواضيع لا يمكن حلها ؟

خفص قليلا من حديثك يا صديقي واعلم بأن للعقل عليك حقوقاً يجب الاعتراف بها مثل الحقوق التي للجسد . الا تسلم بأن للعقل حقاً كالجسد ؟ ان محاولة الفلسفة متجهة صوب المعرفة التي ترمى الى الجمع بين نتائج البحوث العلوم المختلفة . ولكن لا يشعر بهذه الحقيقة غير القليلين ، في حين يشعر الناس بحقيقة العلوم لأنها تنتج لهم فائدة محسوسة سواء وقفوا على نظرياتها ام لم يقفوا ، بعكس الفلسفة التي لها فوائد غير مكشوفة .

يقول « العمليون » ان الناس في حاجة الى الغذاء والملبس فتركونا ايها الخياليون ووفروا علينا الوقت الذي ننفقه في الاصغاء الى هذر كم . ونحن نستسمح حضرات « العمليين » في بضع دقائق لنقول يجب ان لا تنسوا ان « علم » النلك كان يوماً ما فلسفة وان « علم » النفس كان ايضاً كذلك ولا اريد ان ازيد على ما قلت . فالفلسفة المسكينة تناضل جهدها في جمع الحقائق الى ان تتوفر لديها اصول كافية ثم تجمع هذه الاصول لتكون علماً قائماً بذاته . فهل بعد ذلك تجراًون على مداومة تكرار فائدة الفلسفة ؟ حقيقة هناك وجه من الفلسفة يرمى الى ترويض العقول البشرية لا أكثر ، وهذا الوجه يرمى الى حل معضلات ليس في حيز الامكان حلها ، وعلى فرض انه تيسر حلها يكون ذلك ضد سلام البشرية وراحتهم . فمثلاً

١ - هل الخير والشر يهمان الكون ام يهمان البشر وحدهم

٢ - هل يوجد آله ؟

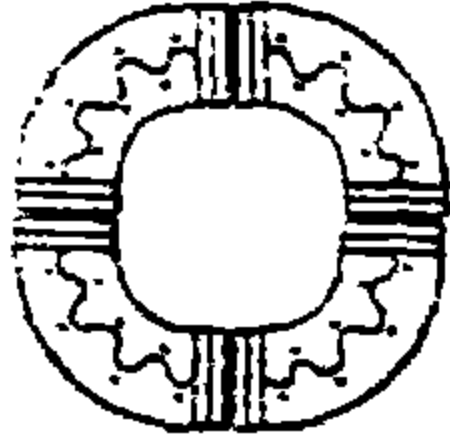
٣ - هل الوجدان من لزوميات الكون ام انه قد انبثق صدفة على سيار صغير منه فقط؟

٤ - هل للكون مرمى وخطه متوحدين ام ان لكل ذرة منه مرمى وخطه مستقلة

فمن يشعر ان في أمكانه الاجابة على امثال هذه الاسئلة اجوبة قاطعة ؟ وهل يا ترى من صالح العالم الوصول الي نتيجة حاسمة في مثل هذه المواضيع ؟ أم هل يكون من صالح العالم اهمال بحث هذه المسائل بينما نحن نكتشف في طريقنا مواداً لبناء علوم جديدة؟

ولماذا نضيع اوقاتنا في لعب الشطرنج مثلاً ولا نضيعه في البحث المنتج ؟
الليست مناقشاتنا الفلسفية مفيدة بالاقول في تذكيرنا بأن هناك من يعتقد بشيء اسمه الخير او الشر او الله او الوجدان او شيء من هذا القبيل؟

حبيب الياس



بين الصحف والمجلات

١ - السياسة الاسبوعية : مات البطل العظيم ثروت

تخبط كاتب هذا المقال (محمد أفندي ثروت بكوريوس آداب من امريكا) أى تخبط فى الصفحة التى حاول فيها اظهار ألمه لوفاة الزعيم المرحوم ثروت باشا قال « وها أبناء هذا الجيل يتخذون من موتك نظرية جديدة . » قال العلماء قديماً ان آراء الرجال تتوسع بعمليات السنين أى أنه كلما دار الفلك دورته وكلما نهض عام على اتقاض عام اتسعت دائرة المعرفة الانسانية ولكنى أخافهم فى هذا الرأي وأقول أن الموتى ما برحوا يحكموننا حتى اليوم على حين أنهم بين طيات أكنافهم مدرجون »

فالذى يقرأ النقرة الاولى لاشك يتلهف للوقوف على النظرية الجديدة وبمتابعة القراءة يعثر على نقطتين الاولى « تتسع دائرة المعرفة الانسانية بمرور الزمن » والثانية (وهي التى بدعي حضرة البكوريوس أنه قائلها) « ان الموتى يحكموننا حتى اليوم » ولكنى لا أرى تناقضا بين النقطتين مطلقا لان الذى ولد بعد افلاطون بقرن من الزمن كان يعرف بالطبع ما عرفه افلاطون وزيادة على ذلك عرف أيضاً ما عرفه منمكرى المائة سنة التى تخللت العهدين هذا أولا وثانياً نظرية (البكوريوس من امريكا) ومعناها أن بعض آراء افلاطون لا تزال متبعة منا حتى اليوم . فإين هو التناقض بين النقطة الاولى وبين الاكتشاف المدهش ؟ !

وهل هذا الاكتشاف هو النظرية الجديدة التى يتخذها أبناء هذا الجيل من موته ؟

ثم قارن ثروت بكافور ولكن بدلا من الدخول فى الموضوع رأساً أخذ يندب أجل يندب بحقيقة معنى اللفظة فاسمع ما يقول « ابكوا

حتى تبللوا ترى مصر بدموعكم يا سكان هذا الوادي ، أبكوا فقد اختفى
بالامس نجم كنتم في حاجة الى نوره الفياض ، وابتحبوا فقد كان القدر قاسياً
عليكم عندما طعنكم في سويدائكم تلك الطعنة النجلاء ، أو بعد اختطاف
السماء لتلك الروح السامية وذلك العقل الجبار في تلك الآونة الحرجة ضرباً
من الفتك أشد وانكى من طعنات الخديعة والغدر ! رحماك يا قدر !

فالبرغم من وجود استعارات وكنيات وغير ذلك من مواضع البلاغة
والبديع والبيان جديدة على الملمين باللغة العربية ظن أن هذا كلام (معدد)
وليس كلام رجل يخطب في جيش بعد ان سقط قائده في ساحة النضال
ومثل هذا القول تنتظره من رجل خالي الوفاض من الدرجات العلمية، اذا أراد
أن يتكلم عجز عن ضرب الامثال وعن استنتاج العظات وعن الحث على
الاقتداء بالراحل العظيم .

وبعد أن استمر يؤبن الفقيه علي النسق السابق تقل شيئاً عن تاريخ
استقلال ايطاليا انهاه بتلخيص ما فعله كافور وهو
١ . أرسل جنوداً من سردينيا ليشاركوا في حرب القرم وبذلك استطاع
أن يشتري عطف فرنسا الخ .

٢ . انضمت فرنسا الى سردينيا في حرب ضد النمسا سنة ١٨٥٩ وأضيفت
لومباردي الى المملكة السردينية في نظير سافوي ونيس التي ردت الى فرنسا
(كلام مفهوم)

٣ . انضمت ايطاليا مع بروسيا ضد النمسا وأخذت البندقية .

٤ . انضمت نابولي الى الحرب وصارت سردينيا مملكة ايطاليا

٥ . سحبت الحامية الفرنسية من روميا .

ثم أردف حضرة البكوريوس قائلاً « هذه لمحة من تاريخ ايطاليا تعرف
منها ماذا فعل كافور لامته ولو أننا راجعنا تاريخنا القريب لاستطعنا أن
نتبين وجه الشبه بين البطلين العظيمين كافور وثروت »

ليس هذا تحبب استدلال واستقراء كما يقول المنطقيون ؟ وهل يأتري
كان الحزن سبباً في هذا اللغو فانه كثيراً ما يعقل الالسة العذبة ويلجج
الاقلام الفياضة والله في خلقه شؤون

٢ — السياسة الاسبوعية : شاعر النيل

القي السيد محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي العربي ووزير معارف دولة سورية « قراءات » من ديوان حافظ ابراهيم واسمى ما فعله « محاضرة » فاذا كان ما تقدم وتكرم به حضرة صاحب المعالي يسمى محاضرة في عرف المجمع العلمي العربي فاننا سيد المحاضرين كيف لا وفي امكاني اللقاء محاضرة عن بيرون وعلم الجمال وهيجو والتاريخ وسبندر وعلم الاجنة ومكدوجال والعقل الباطن والبوذية واللغة الارامية والنشوء والارتقاء والاقتصاد وشوقي وعن كل ما لم أحظ به من علوم الاولين والآخرين وذلك على نسق حضرة صاحب المعالي وزير المعارف ورئيس المجمع العلمي السووي . واني لا أزال أتساءل اذا كان معاليه قد أجهد نفسه بنقل ديوان حافظ أو أنه استصحب الديوان ذاته على المنضدة وأخذ يقرأ محتوياته على الحاضرين . فاننا امام أحد امرين لا ثالث لهما ، أولهما أن يكون الحاضرون غير مامين بالقراءة والكتابة ، أو أنهم أصغوا لمعالي الوزير ورئيس المجمع العلمي من أجل سماع ما كان يمكنهم مطالعته وهم مستلقين في فراشهم يستزيدون مما يريدونه ويشربون صفحاً عما لا يستيفونه . أما الحكم عليهم بالجلوس أكثر من ساعتين لسماع أقوال يمكنهم قراءتها وهم متكئين على الارائك ، ففي نظري جزاء صارم غير عادل واستهتار عظيم واشعر أن من واجبي شكر السياسة الاسبوعية لانها وفرت على جيبى الفقير أكثر من نصف ريال بتيسيرها لي امتلاك نسخة من ديوان حافظ بقرشين اثنين لا أكثر . فبالله ماذا لم يحتاج حافظ على هذه المزاحمة غير المشروعة؟

ان الذي أفهمه من المحاضرة عبارة عن درس المحاضر لشخص المحاضر عنه وتقدم لما انتجته قريحته مع المقابلة بين أقواله وأقوال رصفائه لاجراج سمينه من غثه وأما عملية « الكر » هذه فتقرب مما يسميه الانجليز « قراءة نبذ » وفوق كل ذي علم عليم

٣ - السياسة الاسبوعية . كيف كنت عفريتاً

أظن المازني يريد أن ينشئ نسقاً جديداً في الأدب العربي ولكنني
أأحذره ملتفتاً نظره الى انه قد وجد شخص اسمه سليم مركيس كان يتبع
هذا النسق « البارد » فهل يا ترى لم يمتليء دماغ المازني بشيء جديد ليعكسه
الى القراء فأخذي عرف هذا الهرف ؟

ان ايا من الذين لهم صلة بالمازني يلاحظ ان حضرته متشائم او بالأقل
سوداوي لا يستطيع السامع نكتته وحتى لا يجذب الى حديثه فإله ومال
الخوض في مواضيع جوفاء رغبة في اثبات أنه خفيف الدم حاضر النكتة
سريع البداهة ؟ ولم لا يتابع نسقة العادي في مخاطبته السحالي والشعابين ؟ بل
لم لا يقدم على حصد الهشيم وتقليع حطب القطن فقد يجد عندئذ من يستلذ النسق
الذي يتبعه منذ مدة غير قليلة من الزمن ؟

أرجو من المازني عدم المؤاخذه لو قلت أن صنعة المهرج (البلياتشو)
من أصعب المهن ، فهي في حاجة ، مثل أي مهنة أخرى ، لاستعداد
طبيعي لا يتصف هو به . وبالطبع ليس الذنب بذنبي اذا انا قت بمظاهرة
أطالبه فيها بالسكوت . ولكن يظهر أنه لن يسكت لانه لا يقرأ ، ولانه أيضاً
قد تعب من الانسحاب الى صحراء ليبيا أو صحراء العرب (لست أعرف
أيهما التي يقصد) ليقدر زناد أفكاره النيرة . ومن يدري ربما تكون
زخافات الصحراء قد جفته الآن . فاللهم اجمع شمل المتأفرين رحمة
بعبادك التمساء .

٤ - ثروت باشا

أولاً - المقتطف عدد نوفمبر سنة ١٩٢٨ - بقلم الدكتور أحمد فريدرفاعى تلميذ ثروت
باشا الروحي وكاتب سره .

ثانياً - الهلال عدد نوفمبر سنة ١٩٢٨ - بقلم الدكتور أحمد فريدرفاعى

رواًخيراً خدع الصديقان زميلي محرر المقتطف وزميلي محرر الهلال . نعم

خدعهما الدكتور أحمد فريد رفاعي خدعة لو أنها جازت عليهما في مجال حرب،
والحرب خدعة ، اذن لوقعا أسيرين ، ولطلب الدكتور رفاعي عنهما فدية
كبيرة لو اتبع قانون الحرب في العصور القديمة ، أو ترك لهما سيفيهما لو اتبع
قانون الحرب في العصر الحديث :

نعم خدعهما شر خديعة ونشر في المقتطف مقالة عن ثروت باشا خفية
وعلى غرة من محرر الهلال ، ونشر في الهلال مقالا عن فقيدنا الكبير قبل
لمحرر الهلال على الأقل إنه لم يخص بغيره من الصحف والمجلات . وكم
من خدعة لنمارس هذا الميدان ، فخدعته في كتابه عصر المأمون معروفة
مشهورة ، وخدعته في الاتساب الى الجامعة دون أن يحضر فيها الا بضع
ساعات غير منكورة ، وخدعته للاموات من المؤلفين وعلى رأسهم مؤلف
نهاية الارب رحمه الله ، وخدعته لكل أدياء العصر أشياء قد تخفى على
الكثيرين ولكنها على كل حال أشياء غير مبررة ولا مبرورة .

على أنى أعتقد أن صديقي محرر المقتطف قد جازت عليه الخدعة بما
لم تجزبه علي زميلي محرر الهلال . فقد ذكر الزميل عن الكاتب أنه تلميذ
التقييد الروحي أولا ، وأنه كاتب سره ثانياً . علي انى لا أدري ما هي التلمذة
بالروح ؟ علي أنها ولا شك إحدى خدعات الدكتور فريد رفاعي وكم له من
خدعة وكم له من مخاديع . اما اذا جاز لكل انسان أن يدعي التلمذة الروحية
لميت مات فلا شك في أن من حق أن ادعي انى تلميذ افلاطون أو ارسطو
بالروح ، ما دامت الارواح لا تتحد بزمان ولا مكان . علي انى اتساءل فوق هذا
هل كان يقبل ثروت باشا رحمه الله أن يرمى بمثل هذا حيا ليجوز أن يرميه
انسان من (قطر الكاتب وحججه) بمثل هذه القرية ميتاً ؟ انى علي
يقين من أن فقيدنا كان يرفض هذا كل رفض بدليل أن الدكتور أحمد فريد
رفاعي لم ينتحل لنفسه هذا اللقب أو هذه الصفة في اعلان واحد من
الاعلانات الكبيرة التى أعلن بها عن كتابه عصر المأمون بعد أن (رصعها)
بمختلف الدعوات والصناعات . هذا عندى داييل لا ينتقض على أن هذا اللقب

متنحل لان الدكتور لم يستطع ان ينعت به نفسه الا بعد ان مات ثروت باشا
وأصبح غيره قادراً على أن يدفع عن نفسه فرية أو يرد مكيدة أو يحبط مؤامرة
يراد بها التجارة علي حسابه

أما القذيفة الثانية فنعت الكاتب « نفسه » بأنه كاتب سر ثروت باشا.
رحمك الله رحماك .

الدكتور أحمد فريد رفاعي « كاتب سر ثروت باشا » . نعم كاتب سره
لا أقل ولا أكثر . « كاتب سرفقط » . على أن في هذا افتياتاً على حق طبيعى
لرجل كبير . فاذا كان فريد رفاعي هو كاتب سر ثروت باشا ، اذن فما هي
المكائنة الخليفة بان يكون فيها عبد الحميد بدوى باشا اذا احتل فريد رفاعي
هذه المنزلة ؟ نعم يحتلها فريد رفاعي رغم أنف عبد الحميد بدوى باشا ورغم
أنف الحقيقة ورغم أنف الناس ، ولكن بعد أن نجعنا في
ثروت باشا وأصبح عاجزاً عن أن يلجئ فريد رفاعي ولا حول ولا قوة الا بالله
أتدري الى أى شىء يرمى الدكتور فريد رفاعي اذ يقول بأنه كاتب سر ثروت
باشا ؟ يريد أن يقول إنه موضع ثقته ومستقر أمله وانه كان يغذي ثروت
باشا بالفكرات الصائبة وانه كان يعرف سر المفاوضات السياسية عند ما كان
ثروت باشا يظن بكامة بها حتى على أخص خواصه ، وانه كتبها وانه ترجم
التلغرافات ورد عليها ، وانه علم من أسرار سياسة ثروت ما لم يعلم غيره وأنه
تغلغل الى صميم خلايا مخ ثروت باشا واغترف من هنالك قدراً كبيراً نقله
الى خلايا مخه ، فنقل مخ ثروت الى مخه ، فلما مات ثروت ترك هذا الميراث الحى ،
لا لأحد من أولاده الذين هم من صلبه ، ولا لأحد من الذين عاونهم وعاونوه
طوال حياته بحق ، بل لفريد رفاعي لانه استطاع ان ينقل بطريقة سحرية
خلايا مخ ثروت الى خلايا مخه ، وانه اقتطع من اعصاب ثروت اجزاء وصلها
في اعصابه ، فكان له من ذلك كل مزايا ثروت العقابية والخلقية

واي شىء يترتب على هذا ؟ يترتب عليه ان يكون الدكتور فريد رفاعي أو الدكتور
أحمد بك فريد رفاعي اعرف الناس بدقائق القضية المصرية وأوقفهم على اسرارها الخفية

وأقدرهم من ثم على معالجتها ، وأوضحهم حجة فيها ، وأدفعهم برهاناً ، وأثبتهم جناناً . وأنه الذى يفاوض الانجليز وعلى رأسهم شميرلين وبولدوين وأنه على ذلك وجب أن تحتفظ به الوزارات على اختلاف نحلها السياسية زخراً وان تستبقه كنزاً . ليكون لها كما كان ثروت المفزع والمآب ، كما ادهمت الحوادث وظل الجو من اكدار السياسة سحاب . ثم الخطوة الاخيرة من بعد ذلك ، أن يكون وزيراً ، ثم مفاوضاً خطيراً !!!

على انى استغفر الله فقد اكون ظالماً لصديقى الاستاذ صروف فانه كان فى انجلترا فى الوقت الذى طبع فيه المقتطف ، ولعل خدعة الدكتور قد جازت على غيره وفى حين غيابه وفى عزله التى اعتزلها بعيداً عن هموم الأدب ومصارع الأدب .

*

* *

ولكن استغفر الله ثانية . كيف لا يكون الدكتور فريد رفاعى كاتب سر ثروت باشا وقد أرسل اليه كتاباً يسأله فيه أن يعرف كيف حال الحمير والابقار فى مزارعه !!! ولكن لاعجب أن يصبح السؤال عن الحمير عند الدكتور كتابة سر ، وأن يكون البحث وراء صحة الابقار فخراً وأى فخر . على انى أظن ، وبعض الظن إثم ، أن فقيدنا الكبير لم يكتب للدكتور غير هذا الكتاب الذى كلفه فيه أن يسأل عن صحة المواشى والاقطان فى مزارعه ، والا لكان من حسن الذوق أن ينشر فقرات من كتاب غيره ليستدل بها على شىء يريد أن يحجى به ذكر أستاذ روحه الكبير . غير أننا لانعجب من أن ينتقل الدكتور من هذه المنزلة الى منزلة كاتب سر بالطرفة فقد رأينا كيف يريد أن يتدرج من « تلميذ روحى » الى أن يكون « روح ثروت » قد تهممت جسد فريد رفاعى . على أن هذا جائز عند أهل الكشف والصوفيين . فقد روى الكثير منهم ان النبى - زوراً وافكاً - قد تقدس أجسام شيوخهم ، حتى روى بعضهم أنه خاطب النبى روحاً متممة جسد أستاذه . كذلك يجوز التناسخ عند أهل الهند وكذلك جاز عند رهاب

الاديرة في القرون الوسطى فسموه Metempsychosis فاذا جاز عند كل هؤلاء افلا يجوز أن يقع هذا بالفعل في هذا العصر فيصبح فريد رفاعي ثروت باشا بالروح ويبقى فريد أبا الصورة !!! كل شيء جائز وفي مصر على الأخص ان لنا ابن الدكتور البكر (عصر المأمون) دليلاً قاطعاً على هذا . فكم تقص هذا الكتاب من أرواح كتاب كثرت عدتهم أحياء وأمواتاً . أما دليلاً على هذا الامر فرواية زويها عن ثقة يعرف الحقيقة كما خفيت على الناس ، لا الحقيقة كما اذيعت على ألسنة الذين هم يعرفون كيف يستغلون كل موقف ويتجرون بكل حادث حتى ولو كان ظهور كتاب مدشوت مجموع جمعاً ككتاب عصر المأمون

ذهب الدكتور فريد رفاعي الى دار الكتب وفي يده رزمة صغيرة من الاوراق لا يتجاوز عددها السبعين من الصفحات مكتوبة على وجه واحد واراد ان يطبع هذه الصفحات السبعين في رسالة صغيرة كانت في الواقع كل ما كتب في « عصر المأمون » وهي رسالته المدرسية التي سوف يتمحن فيها . وهناك كبرت الفكرة وتجسم الوهم تحت تأثير بعض الذين لا يزالون احياء يرزقون فاخذت الرسالة تتضخم وتكبر فصارت كتاباً ثم مجلداً ثم مجلدين ثم ثلاثة . ولقد تمت هذه المعجزة علي حساب كتاب لا يزال اكثره مخطوطاً وما طبع منه في دار الكتب لا يتجاوز جزء ضئيلاً من الاصل . ذلك هو كتاب نهاية الارب . وسنرى الأدباء كيف نقل كتاب نهاية الأرب الى رسالة الدكتور فريد بك رفاعي ، وبذلك تمت المعجزة الكبرى اذ تقصص مؤلف كتاب نهاية الأرب مؤلفاً لثريد رفاعي ، فكانت الروح للمؤلف القديم والصورة والهيكل للدكتور الجديد . وبجانب هذه الروح أرواح تطير بين صفحات الكتاب رواحاً وجيئة لا يصعب على الخبير أن يميز آثارها وأن يتبين ديباختها .

لقد تمت هذه المعجزة بالفعل فأى شيء يقوم مانعاً عن أن تتم المعجزة الاخرى ؟ لا شيء لدى الواقع . وسنرى .

٥ — ملوك العالم من سلالة الفراعنة

اغلل عديد نوفمبر سنة ١٩٢٨ من مقال بهذا العنوان محقق بحرفي س . م .
في المثل الذي ضربه الكاتب تمهيداً للكلام في هذا المقال خطآن.
أولهما قوله :

(١) فقد قضي داروين على الرأي القائل بأن الاحياء قد خلقت مستقلة به
وأقام البرهان على أن المخلوقات جميعها متصلة النسب ترجع في النهاية إلى أصل
واحد قد تفرع إلى الانواع العديدة التي نراها الآن بحكم التطور .
وفي هذا القول أشياء قد لا تتفق حقيقتها مع الامانة العلمية . ذلك لأن
داروين ان كان قد أقام البرهان على أن المخلوقات جميعها متصلة النسب فإنه لم
يرجعها في النهاية إلى أصل واحد بصورة قاطعة بل قال في آخر الفصل الخامس عشر
من كتابه أصل الانواع

« ان في النظر إلى الحياة بما يحوطها من مختلف المؤثرات والقوى نظرة
الاعتقاد بأن الله قد نفخها في بضعة صورة ؛ أو صورة واحدة ؛ بداءة ذي بدء
لعظمة وجلالا . وأن هذا السيار اذ ظل مدفوعاً بالجاذبية دائراً حول فلكه المرسوم ،
قد هيء بقوى أنشأت بولا تزال مجدة في انشاء تلك الصور غير المتناهية بما فيها
من مواضع الجمال وبواعث الروعة والاعجاب » .

ثم يقول في ص ٦٦٨ ف ١٥ من أصل الانواع

« هنالك مؤلفون من ذوى الشهرة وبعد الصيت مقتنعون بالرأي القائل
بأن الانواع قد خلقت مستقلة . أما عقليتي فأكثر التسامح والمضى مع مانعرف
من القوانين والسنن التي بينها الخالق في المادة والاعتقاد بأن نشوء سكان هذه
الأرض واقراضهم في الحاضر والماضي ؛ راجع إلى نواميس جزئية ؛ مثل
النواميس التي تحكم في توليد الافراد وموتهم . وأنى كلما نظرت في الاحياء نظرة
القانع بأنها أعقاب متسلسلة عن بضعة عضويات عاشت قبل ترسب أول طبقة

من الطبقات الكمبرية ؛ شعرت بأن نظرتي هذه أكثر اجلالاً ؛ وأبعث على التأمل ؛ وأدل على العظمة .

هذا كل ما قال داروين في كتابه أصل الأنواع فهو اذن لم يبرهن على أن الاحياء أصلها واحد بل قال بأنه يجوز أن يكون أصلها واحداً أو عدة أصول عاشت قبل ترسب أول طبقة من الطبقات الكمبرية . وملاحظة مثل هذه الدقائق العلمية ذات شأن كبير جداً عند العلماء .
وأما الخطأ الثاني فتوله

« وقد كانت هذه النظرية محركاً قوياً دفع بالبيولوجية الى الامام . »
وهذا القول خطأ محض من الوجهتين التاريخية والاستنتاجية . فالتاريخ يدلنا على أن ارتقاء علم البيولوجيا وتقدمه على يد الالمان وعلى الاخص من طريق علم الانقلاب الجنيني — الامبريولوجيا — كان أكبر الخطأ التي مهدت السبيل لنشوء الفكرة العممية في أصل الأنواع . فالمعروف أن الرأي العام في الامبريولوجيا كان قديماً في القرن الثامن عشر على نظرية « التكوين » — Preformation Theory — وينحصر الرأي فيها في أمرين :

أولاً — أن البويضة الاولى لا يحدث فيها أى تطور جديد كنشوء أعضاء لم تكن حاضرة لها من قبل . وبذلك تكون كل بويضة حاضرة لكل أعضاء الصورة البالغة حيواناً كانت أم نباتاً .

ثانياً — أن النماء هو الظاهرة الوحيدة التي تتميز بها أعضاء الجنين خلال نشوئه وانقلابه ، وأن السبب في اختفاء هذه الاعضاء التي يظهرها النماء راجع الى ضوالة البويضة وصغر حجمها .

وبذلك ذاع الرأي بأن كل جرثومة حية لا بد من أن تكون حاضرة لكل الاعضاء والصفات التي تمتاز بها الصورة حال بلوغها ؛ وبالاخرى لا بد من أن تكون حاضرة لكل صفات نوعها ، مستقلة عن بقية أنواع الاحياء .

وظل العلماء يأخذون بهذا الرأي الذي كان يعتبر أساسا لعلم البيولوجيا حتى قام العلامة الكبير كسبار فردريك وولف ونشر رسالته المعروفة بنظرية التوالد Theoria generationis سنة ١٧٥٩ فتضي بها على مذهب التكوين ومهد السبيل للقول بنشوء بعض الانواع من بعض اذ أبان أن البويضة لا تكون حائرة لأية صفة من صفات الفرد البالغ ، بل تنشأ فيها الصفات وتتولد بالتتابع من طريق الدور في عدة انقلابات طبيعية لا يمكن تعليل سببها بأية طريقة كيميائية أو طبيعية. وتالت من بعد ذلك المستكشفات العلمية بظهور سلسلة طويلة من عظماء الامن وعلى رأسهم العلامة الكبير « كارل أرنست فون باير » فكان من نتيجة أبحاثهم أن مهدت السبيل لظهور الرأي في أصل الانواع بالنشوء وعلى هذا يتضح أن عكس ما ذهب اليه الكاتب هو الصحيح لأن تقدم علم البيولوجيا كان سببا في تطور الفكرة في أصل الانواع وأن عكس هذا غير صحيح على اطلاق القول .



اما النظرية الأصلية التي دار حولها المآل وهي القول بأن ملوك العالم من سلالته الفراعنة، لأن الفراعنة كانوا أول من أسس الملكية في الأرض فمثابة القول بأن هذا النظام على فرض ان المصريين كانوا أول من وضع قواعده ، لم ينتحله قوم غير المصريين . فظل المصريون ملوكا وبيتة شعوب الدنيا القديمة عبيدا الى ما شاء الله . على اننا نجد ان نظام القبيلة في أحط صلاتها كان قائما على نظام أشبه بنظام الملكية منه بأي نظام آخر . وطبيعة التسلط والسيطرة ليست بفكرة ولا نظام ، بل هي في اصلها نظرة تقتضيها طبيعة الاشياء الانسانية من غير احتياج الى لفاح . فقطيع الغنم الذي يستقوى فيه كبش على بقية الكباش ويستأثر من ثم بالعدد الاكبر من النعاج هو ملك القطيع غير المتزوج بانفطرة لا

باللقاح . وهذه الظاهرة تكون اشد ظهورا في الحيوانات التي تعيش في قطعان منها في الحيوانات التي تتزاوج وتعيش على انفراد .

واذا فرضنا أن المصريين كانوا أول من اخترع فكرة الملكية فهل يعقل انهم ظلوا ملوكا حتى وزعوا على الارض كل ملوكها ولم يستقروا على أحدهم فرد واحد من أفراد الامم القديمة، واتخذ الملكية صناعة كما كانوا يتخذونها وبذلك تكون قد ظهرت ملوك من غير سلالة الفراعنة ؟

نحن نجل الاستاذين البوت سميت وبري عن أن يكون هذا الرأي، وفلسفه ظاهر، رأيهما وهو بعيد عن كل الحقائق الاثنولوجية والاثروبولوجية المعروفة . بل نظن ان كاتب المقال قد أساء الفهم وقلب الفكرة ليظهر على صفحات الهلال برأى غريب يستلفت نظر العوام من غير أن يأبه لشيء من الحقائق التي تقوم عليها العلوم . وهي كما يعرف أغلب الناس الآن شبكة متصلة الاطراف يجب ان توافق النظرية المقول بها أكبر عدد ممكن من حلقاتها قبل ان يصح القول بانها نظرية يصح ان تبحث على القواعد العلمية .



الانشاء اللاسلكى

سبق لرصيف اكتشاف ما أسماه « الاسلوب التلغرافى » فظن أنه فتح بأسلوبه هذا فتحاً مبيناً . ولكن لم يلبث الزمن أن دار دورته حتى رأينا شاباً آخر من حملة الابتدائية يكتشف شيئاً جديداً هو « الانشاء اللاسلكى » ويدعى أن مثل اللاسلكى للتلغراف كمثل الطيارة للعربة « الكرو » وبالطبع لا أريد أن أتدخل بين مكتشفي وسيلتى النقل ، إنما أقصد اظهار ضعفها المقصود من وجود مجلة متنوعة الابواب ، هو ايقاف القراء على زبد الموضوعات التى ليست من اختصاصهم . فمن عمل المجلة مثلاً اعطاء المهندس والمحامى فكرة عن علم الصحة بفرض انهما لا يعرفان شيئاً عنها ، وأن تعطى التاجر والطبيب فكرة عن ماهية القانون الدولى مثلاً ليقتفا على المقصود منه وهكذا فالنسق التلغرافى أو الانشاء اللاسلكى ليسا غير محاولتين يراد بهما التهويش على القراء واقناعهم بأن الكاتب ينكلم فى موضوع عويص لا يمكن لغير العلماء والفلاسفة والادباء المبتكرين فهمه

فقد تعذر أحد المتبحرين فى العلم اذا تبع ذلك الاسلوب أو هذه الانشاء عند الكتابة فى جملة علمية فنية صرفة . مفترضين أنه يمر على الحوادث مرا اعتقاداً منه بأنها بديهيات لا يحتاج رصفاءه العلماء الى تفهم شرحها . أما هذا فى مصر مباءة الادعاء الجاهل من الكتاب ، فلا شك فى أن هذين ، الاسلوب والنسق ، هما نتيجة لجهل الكاتب بالعلم أو باللغة التى ينقل عنها . ولذلك نجده يعضغ الالفاظ مضعفاً لانه يجهل كيف يبر عن الفكرة التى استقاها وربما - وهو الغالب - لانه لم يفهم ما قرأه .

ومن الغريب أن بسطاء القراء يعتقدون أن الكلام غير المفهوم لاشك حاو لمادة عويصة لا يتيسر فهمها الا للادباء أصحاب النعوت الفخمة الطويلة ولو عرف القراء أن هؤلاء الكتاب لم يقفوا حتى ولا على مبادئ علم من

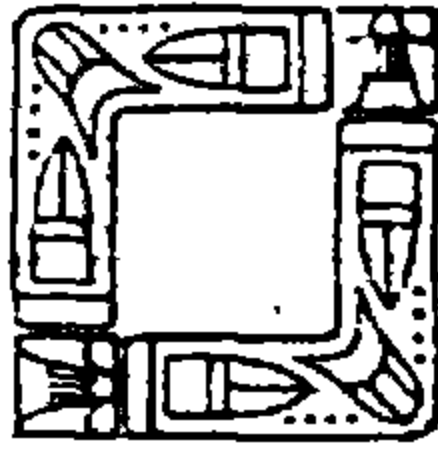
العلوم التي يحاولون تفهيم « اسرارها » لغيرهم لدهشوا وحق لهم أن يفعلوا
 ان مجرد الامام باللغة الانكليزية مثلاً يجعل الانسان اديباً في هذه البلد
 وما عليه الا أن يشتري كتاباً يبحث في مبادئ أحد هذه العلوم التي يجهلها
 مواطنونا - بفضل الازهر وعلومه - ويشتري ايضاً قاموساً ليستعين به في الترجمة
 ثم يمسك بقرطاس وقلم ويأخذ في تسويد عدة صفحات يدعى انها من
 تأليفه ، وهو محق في ادعائه لدرجة كبيرة لأن ما تحويه كتابته من النظريات
 العلمية تكاد لا تذكر من عظم التشويه الذي انتابها الكاتب الواقف تمام
 الوقوف على مبادئ علم من العلوم في امكانه الاسهاب، وتفهم القارئ ما يريد
 ان يقوله . فالتدرة على الاسهاب هي البرهان الوحيد على ان الكاتب
 يفهم ما يريد الادلاء به . لذلك تراد يحجب تجاربا عديدة ليثقل ما علق بذهنه
 لذهن قارئه وذلك بطريقة لا تحتاج الي اجهاد عنيف

ليس في امكان كاتب ان يكتب في علم النفس مثلاً الا اذا درس هذا العلم
 على مدرس لانه احد العلوم الصعبة المملوءة بالاصطلاحات الفنية . فتصور
 سيدى القارئ رجلاً من الطريق منما بالقراءة والكتابة بلغتين . يهجم على
 مثل هذا الموضوع لكى « يؤلف » فيه . اليس هذا ضرب من الغرور
 الاعمى ؟ يجب على من يريد البحث في علم من العلوم ان يقف ايضاً على شئ
 غير قليل من اصول العلوم المتصلة به . فالذى يكتب في الاقتصاد يجب ان
 يقف على اصول المنطق والاجتماع وبعض العلوم التجارية على الاقل

يمكننى انا ايها القارئ ان احاول نقل اى كتاب تريده ولكنى لا اضمن
 انك تفهم ما نقله اذا كان عن موضوع لا افهمه انا كذلك . انت ايضاً يمكنك
 ان تفعل ذلك ولكن تيقن من ان مقدرتك تظهر اذا تيسر لك تفهيم اقل قرائك
 ادراكاً ما تكتبه له وذلك دون ان نهوشه

كذلك لنقطة « التأليف » قد اصبحت حقاً لكل من يفك الخط .
 فالسارق في هذا البلد يسمونه مؤلفاً . وكل من سود صفحات كتاب بهراء
 يسمونه كذلك . ولست اعرف ما هو عيب الذى يلخص او يترجم عن غيره ؟!

اليس هذا الشخص أصدق وأشجع من حضرات « المؤلفين » لانه يريدك
 الكتاب الذي أخذ منه ليكنك من مراجعة ما نقله على الاقل لتعرف غثه من
 سمينه في حين أن الآخر - لانه واثق تماما من أنه سارق - لا يقول لك من أين
 سرق حتى لا تقتف أثره فتعرف أنه جاهل أيضاً ومدع .
 أود لو أمكن لعامائنا الفلاسفة الادباء المبتكرين نقل أسماء المراجع
 التي نقلوا عنها حتى نعرف اذا كانوا « مؤلفين » لا خزعبلات التي يسودون
 بها صفحات كتبهم او أنهم نقلوا شيئاً على علته عن سخفاء آخرين
 ع



الاقتصاد المنزلى

يجب ان لا يعزب عن بالنا ان السبب فى افلاس الاشخاص امران . عدم تنظيم ماليتهم ، وجريهم وراء التظاهر . ان الافلاس يسبب خراب العائلة وعداوة الاسدقاء ، وان الذى ابتلى به يجد صعوبات جمة لا تعد صعوبات الفقراء شيئا اذا قورنت بها

وأساس الافلاس هو الدين ، الشئ الذى لا يمكن تحاشيه الا بتنظيم الدخل والخرج . فالذى لا يوزع ايرائه توزيعا جيدا يضطر الى مد يده لاستجلاب المال لشراء ما هو ضرورى جدا له ، الامر الذى لم يحسب حسابا حين كان المال متوفرا لديه

حقيقة ان الكثيرين من الناس ليسوا بالقانعين بنصيبهم من الثروة ولكن حتى هؤلاء قد تنصلح احوالهم ونو بعض الشئ لو نظموا عملية الانفاق بنسبة الايراد . وعلى المرأة تقع اكبر نصيب من مسئولية انبهار نظام العائلة وذهاب أثر السعادة منها ، فعليها والحالة هذه ان تعمل جهدها لملافة ما من شأنه ان يثقل كاهل رب العائلة بالدين

انه لمن الصعب وضع قاعدة يمكن تطبيقها على مختلف الناس غنيهم ومتوسطهم وفقيرهم ولكن لا شك ان لا بواب الانفاق ثلاث حالات . يسهل الاشارة اليها الضروريات . وهى لا تتفاوت كثيرا فكلنا يحتاج الى مأوى والى ما كل والى ملابس ويجب ان تكون صحية ومريحة والى تربية أطفالنا والى حفظ جزء من المال استعدادا للطوارئ ، فالشخص منادى سواء كان فاحش الفنى او فقيرا ، لا يحتاج الى اكثر من فراش واحد نظيف مريح تحفظه الحيطان من لנحات البرد والحر . ومعدة كل منا تحتاج الى كمية تكاد تكون واحدة من الطعام المغذى النظيف وكلنا يحتاج الى ثياب نظيفة مهما كان شكلها لحفظ اجسادنا من المؤثرات الطبيعية

واما معنى تربية الاطفال فينحصر في تدريبهم للتمكن من الاندماج في البيئة وتسليةهم للمناضلة وللتنعم باقصى ما يمكنهم من لذائذ الحياة والمقصود من الاستعداد للطوارئ هو ايجاد ما يمكننا انفاقه عند وقوع ما لم نكن مستعدين لحدوثه كالمرض والوقفة والسرقة والحريق وخلافه . الاحتياجات وهي الاشياء التي الفنا وجودها ولكن لا يتسبب لنا عن فقدانها اى ضرر فمثلا ليس هناك ضرر من ان تقطن غرفة بدلا من غرفتين او ثلاثة او شقة او دور او منزل او سراى وليس هناك ضرر من استعمالنا لثوب واحد بدلا من ثوبين او عدة أثواب وليس هناك من ضرر اذا اكلنا صنفا واحدا بدلا من عدة اصناف وان تقوم نحن او بعضنا بخدمة المنزل بدلا من تخصيص شخص مأجور للقيام بهذه الخدمة هذه امثلة للحاجيات التي الفناها ولكننا لا نعرض انفسنا للتلف اذا اقلنا منها لو اودينا بها تماما

الكليات : والمقصود منها العمل للاستحواز على ما نلذذنا به الا حسن رغبة في الظهور بظهر يبهز غيرنا من الناس ويجعلهم يتحدثون عنا . مثل النوم على سرير أعمدته من المعدن وليس الثياب الحريرية والاكل في صحائف من الضيفى السكسنى عدة أنواع من الطعام وامتطاء السيارات الفاخرة بدلا من الترام . فلا تقطع تماما عن هذه المظاهر لا يعود علينا باى ضرر فهى مثل الاحتياجات فى هذا الصدد مع فارق هو اننا نجد فى الاحتياجات بعض الراحة واللذة الواجب تنمنا بهما جريا وراء البحث عن نعيم الحياة حتى لا تكون عيشتنا مملة تودث السأم . وذلك بعكس نقص بعض الضروريات ففيه ضرر علينا كما سبق وبينت

بعد ان ذكرت ما ذكرته يمكننى الان الدخول الى موضوع تنظيم مالية المنزل . فاولا يجب ان تقدر ايرادنا السنوى بالضبط قدر الامكان بعد حذف المنتظر بوروده خلال السنة لو كان فيه شىء من الشك . ثانيا ننظر على ورقة ما ينتظر شراءه مع ثمن كل نوع على حدة فاذا زاد مجموع هذه المشتريات المنتظرة عن

الدخل او ساواه تحذف الكاليات حتى يصبح المجموع (اقل) من الدخل
والا فنبتدىء فى الحذف من بند الاحتياجات بطريقة نسبية ومعنى هذا اننا
لا نحذف تماما بعض الاحتياجات بل فقط ننقص ارقامها، والا اذا كان الفرق
كبيرا لا مانع حتى من حذفها بمرمتها. اما اذا اضطررنا الحال الى مس الضروريات
فهذه نتيجة سيئة. ويشترط بذل الجهد فى عدم شراء حوائج اكثر من التى قررناها
أول السنة.

ومن الغريب ان الضرورى لا يختلف باختلاف الغنى. فانا لو جردنا اغنى
الاغنياء من المظاهر التى يعيش بينها لما وجدناه يتغذى ويلبس ويحتل كمية او
مقياسا أو مساحة تزيد عما هو لازم لا فقر الفقراء والتفاوت بين الحاجيات ظاهر
وأما الكاليات فتتفاوت بنسبة الثروة تفاوتنا لا حد له

فإذا قسمنا الناس الى فقراء وميسورين واواسط واغنياء ومترفين وقدرنا
ان حد دخل الاولين ٦٠ جنيها سنويا، والاخرين ١٥٠ جنيها، والاواسط ٣٤٠
جنيها، والاغنياء ٥٠٠ جنيها، والمترفين ١٠٠٠ جنيها صرفنا فى اعتبار رقم من
الارقام كنموذج متخذة أساسا لتنظيم مالية العائلة ولكنى أظن اننى عثرت على
رقم بين الميسورين والاواسط هو ٢٠٠ جنيه سنويا أقدمه كمثل . —

رجل متزوج وله طفل ايراده ١٥ جنيها فى الشهر أى ١٨٠ جنيها فى السنة
وللزوجة ٢٠ جنيها ايرادا سنويا فتكون الجملة ٠٠ جنيه

جنيه	جملة الايراد
٢٠٠	٣٠ تخصص سنويا للكساء
١٠	« « « مدرسة الطفل
١٢	تخفظ جانبا للطوارئ
٦٠	٨ تخصص لتجديد الاثاث ولمصاريف الانتقال من
١٤٠	الباقى منزل لا آخر

لوقسم مبلغ ١٤٠ جنيه الباقية على اثني عشر شهرا نخص الشهر الواحد
٦٥٠ و ١١ مليا ويضع ٦٥٠ و ١١ مليا توزع بالطريقة الآتية-

مليم	جنيه	
٥٠٠	٣	اجرة المنزل والنور (والمياه)
—	١	خزين المنزل
٥٠٠	—	مرتب خادم
٥٠٠	٤	مصاريف الاكل بواقع ١٥٠ مليا يوميا
٥٠٠	—	خدمة اضافية (غسيل ومكود) ١٥٠ م - للطفل
٦٥٠	١	٥٠٠ م مصاريف خصوصية للزوجة واج للوالد
٦٥٠	١١	المجموع

فكورد الشخص ٣ جنيه و ٣٥٠ مليم كل شهر من مرتبه البالغ — ١٥
جنيها الى البنك او الى صندوق التوفير وضبط حساب منزله بتنظيم دفتر كالصورة
المرفقة امكنه التوفير أيضا ويلاحظ ان مبلغ ٥٠٠ و ٣ جنيه يمكن انقاصه مثلا
الى ثلاثة جنيهات وخزين المنزل الى ٧٥٠ مليم . وحذف مرتب الخادم واقلال
مصاريف الاكل الى ٦٠٠ و ٣ او — ٣ فقط وكذلك المخصص للخدمة الاضافية
والمصاريف النثرية كلها يمكن تخفيضها دون ان يخل الشخص باساس الضروريات
فغرفة نظيفة على سطح احدى العمارات بايجار ٤٠٠ قرش مثلا تكون اوفق من
منزل ايجاره ٢٥٠ قرش في حارة غير صحية وقد يعترض على ذلك بان سكني
غرفة في سطح عمارة ليست مناسبة. واما الرد على ذلك فهو الفات النظر الى ان
الاصل الضروري هو وجود مكان ملائم نظيف مريح صحي. واما مسألة موضوع
المناسبة فهو امر كمالى يراد به حب الظهور

فبهذا التوزيع يمكن والحالة هذه ازادة مخصصاته واتاجها وقتا للدخل ولعدد
افراد الاسرة مع العمل دائما على التوفير فمثلا اذا كان الطفل لا يذهب الى المدرسة

ونجب ان يحتفظ بالمبلغ الى الوقت الذى يحتاج الامر الى ارساله اليها . واذا فرض
ان مصاريف المدرسة تكلف اقل من العشرة جنيهات المحصنة يجب الاحتفاظ
بالباقى على اساس انه سيحتاج الى مبلغ اكبر للمدرسة فى المستقبل . واذا زاد
عدد الاطفال يصح ان يتلافى الوالد فرق المصاريف من الابواب الاخرى بشرط
ملاحظة الضعة والتغذية والدفع والنظافة واليك الآن صورة من الدفتر الواجب
التقييد به وهو مقسم الى حساب شهرى وآخر سنوى .

حساب البنك

« صندوق التوفير »

١٨٠ ر ٤ الباقي من سنة ١٩٢٧

١٤٥٠ فوائد السنة المذكورة في ١٠ / ١ / ١٩٢٨

٣٢٥٠ ر ٤

٣٥٠٠ ر ٣ تورد في ١٥ - ١ - ٩٢٨ لوجود الدفتر بالصلحة

٦٧٥ ر ٧

٣٥٠٠ ر ٣ تورد في أول فبراير

٠٢٥ ر ١١

— ر ٤ توردت في أول مارس

٥٢٠ ر ١٥

— ر ٥ سحبت في ١٣ مارس لشراء بدلة وجورابات وخلافه

١٠٠٥ ر ١٠

١٨٠ ر ٢٤ الباقي اخر السنة منها — ر ٢٠ من وفر السنة الحالية

٤٨٠ أرباح سنة ١٩٢٨ . الخ

حساب سنة ١٩٢٨

بيانات	نتيجة شهرية		توفير	مدرسة	تجديد	كساء	جملة	التاريخ
	عجز	زيادة						
قماش للوالدة			١٢ ر —	١٠ ر —	٨ ر —	٣٠ ر —	٩٠ ر —	٧ يناير
قطعة مدرسة بايصال				٣ ر —		١٦٠ ر		٨ د
وفتر شهر يناير		١٩٠ ر						
بدلة للوالد						٤٠٥٠٠ ر	٤٠٥٠٠ ر	١ فبراير
وفتر شهر مارس		٥١٠ ر						
عجز شهر مايو	١ ر —							
حاجز قماش وخشب للصالون					١ ر —			
	٢٠٨٩٠ ر	٣٠١٥٥ ر		٦ ر —	٦٠٢٠٠ ر	٢٦٠٥٠٠ ر	٣٨٠٧٠٠ ر	
وفتر شهري	٢٦٥ ر	٢٦٥						
	٢٠٨٩٠ ر	٢٠٨٩٠ ر						
وفتر سنوي	٢١٣٠٠ ر		١٢٠ ر —	٤ ر —	١٠٨٠٠ ر	٣٠٥٠٠ ر	٢١٠٣٠٠ ر	
	٢١٥١٥ ر		١٢٠ ر —	١٠ ر —	٨٠ ر —	٣٠ ر —	٦٠ ر —	
موجوده بالبنك	٢٠ ر —							
اودعت في ١/١٩٢٩-١٥٦٥								

ثروت باشا

نشعر بان من واجب كل مصرى أن يقوم بأداء الواجب الأخير للفقيد العظيم عبد الخالق ثروت باشا . وان هذا الشعور ليزداد فى النفس أثره كلما عادت بنا الذاكرة الى تلك الايام التى كننا نفرع فيها فلا نجد غير ثروت مؤثلا فى حل المشكلات ومعالجة الكوارث ، كما عبست لنا الايام وفقرت لنا صروف الزمان فيها . وكنا نود أن نكتب فى الفقيد كلمة نوفيه فيها بعض حقه الذى طوق به عنق كل مصرى ، قلنا ان القى صاحب المعالي وزير المعارف كلمته فى جفلة التائبين اكتفيننا بنشرها . والحق أن ليس وراءها زيادة مستزید فى بيان المكانة العليا التى يشغلها ثروت باشا فى تاريخ مصر الحديث . وهى فضلا عن ذلك تكاد تكون من الاسانيد السياسية الرسمية فى هذا العصر .

على أن لا يفوتنا أن نقول بان المدرسة السياسية التى كونها ثروت باشا رحمه الله . هى المدرسة الوحيدة التى ستخلد على مر الايام ويبقى أثرها بالغا فى الحياة المصرية . فهى أشبه بالمدرسة التى كونها كبار السياسيين الاوروبيين فى كثير من الدول . مدرسة تقوم على فهم الواقع كما هو واقع ومعالجة الامور من طريق السياسة والحجة . لامن طريق العنف والشدة . فهى بحق أول مدرسة قامت فى الشرق على أسس ديبلوماسية ثابتة



(صاحب الدولة المرحوم عبد الخالق باشا ثروت)

خطبة صاحب المعالي

أحمد بك لطفى السيد

وزير المعارف

أصحاب السمو

أيها السادة

مات ثروت باشا فبكاد الوطن أسفا على مفاته من المنافع التي كن ينتظرها
من ابنه البار بعد ان بلغ مبلغه من الرشد السياسي ، ثم بكاه تقديرًا لخدمته
الصادقة في منصة القضاء ومناصب الادارة وميدان السياسة وفي كل مناحي
النشاط العقلي في البلاد . بكاه بكاء الوداع رحيم ابنه البار . بكاه الوطن وتقبل عنه
عزاء الاوطان العظيمة التي كناد كتابها بابي الدستور وبابي الاستقلال

مصر متى جد الجد تنطلع بمنة ويسرة تتخير من ابنائها رجل الموقف تلقى
اليه قيادها . تتفقد أبنائها فلا تجد ذلك الرجل الفذ الذي لا يملأ خلوه غيره .
فقدته في شبابه السياسي وهي لاتزال تنتظر منه كثيرا . فقدته فجزعت
منسابة جزع العارف بحمليه فيما مضى والذي خاب رجاؤه منه فيما يستقبل . ولقد
يموت من أبنائها كثيرون لا يحس موتهم الا في دورهم . ذلك بان التفاوت بعيد
لندي بين أبناء الوطن الواحد أعزهم عليه أنفعهم له « وخير الناس أنفسهم
لناس »

بعد ان مات ثروت وعدمنا تلك الشخصية القوية في ذاتها المتشبعة فيما
حواليها الى مدى بعيد ، المتعددة آثارها في كل جهات الاعمال العامة في مصر ،
لم يبق لنا من ثروت الا آثاره ، والا ذكراه التي نحتفل بها اليوم وهو غاية
ما نستطيع

وانى لا أدري أهل الآخرة كأهل هذه الدنيا تسعدهم نباهة الذكر فترضيهم
 بحيات الأحياء ويقتبطون بنشر آيات مجدهم وبقاء ذكراهم . أم هم فيما هم فيه من
 رضي الله لا يشتغلون بشيء مما نحن فيه . ان كانت الأولى قارحو ان نكون قد
 أدينا شيئاً من الاعتراف بالجميل لقميدنا العظيم . واذا كانت الثانية فان في درس
 هذه الشخصية المصرية الكبرى وثيقة للتاريخ وقودة حسنة لمن تسمو بهم همهم
 من شبابنا أن يكونوا كثروت باشا في نشاطه الجسم ، وخدمته الجليلة الاثر في
 نهضتنا الحاضرة

نبت ثروت باشا من منبت قوى الحيوية ، طيب الأعراق ، نابا الذكر .
 منبت جمع الى قوة الطباع التركية ذكاء البيئة المصرية ومدينتها . فان أباه
 المرحوم اسماعيل عبد الخالق باشا ابن المرحوم عبد الخالق افندي أحد كبار
 الحكام في أوائل عهد محمد علي الكبير هو في الطبقة الثالثة من احفاد رأس
 عائلتهم في مصر . وهو السيد يوسف الكرانى الذى نرح الى مصر من كران بيلاد
 الاناضول . وأما والدته رحمها الله . فهي حقيدة اغا مستحفظان مصر في عهد محمد علي
 ولد محمد عبد الخالق ثروت في بيت أبيه اسماعيل باشا بدرب الجاميزيوم
 الثلاثاء أول صفر سنة ١٢٩٠ . فلما كان في الثامنة من عمره أدخل مدرسة عابدين
 ثم مدرسة النورمال (المعلمين) ومنها دخل امتحان البكالوريا العام سنة ١٨٨٨
 فكان أول الناجحين في البكالوريا . ثم دخل مدرسة الحقوق . وكانت مدة
 الدراسة فيها خمس سنين . وكان في كل دراسته أول فرقة . وبالنتيجة كان أول
 الناجحين في اللسانس سنة ١٨٩٣

أقف قليلا عند آخر هذا الطور الأول طور التحصيل ، لا سجل شيئاً مما
 أعلم عن الحياة الدراسية لذلك الشاب الذى ظهر نبوغه على وجه التمام في هذا
 الطور بل استتم فيه مقومات شخصيته الممتازة . أو ببساطة أخرى استتم مقومات
 عظمتها التى عرفتها له البلاد

كان ثروت الطالب شاباً حسن الطلعة تعلوه - بما الجد في غير عبوس مترفعاً في
خير كبر . سهل الاخلاق دون فناء في الاغيار . بل كان في جده ومزجه معتدلاً
محتفظاً على كل حال بكرامته . نافذ الرأي في بيئته ودوداً من غير الخاس .
وهو محتفظاً من غير انقباض . محبب العشرة في رفته . وكان له في دار أبيه الفسيحة
في باب اللوق قلعة استقبال واسعة يدعو اليها زملاءه الوقت غير الوقت يذاكرون
أو يسمرون وكان هو مركز دائرتهم . اذ كان في جاذبيته وحلاوة حديثه متفوقاً كما
كان في ذكائه واجتهاده . نعم كان ذكياً حاد الذكاء ، موافقاً البديهة ، كثير الاستغفار
فوق درس الحقوق ، يمتاحي الثقافة يلتمسها في الآداب الفرنسية والعربية . واكثر
ميله في هذا الباب الى التاريخ على العموم والتراجم على الخصوص . ميل كبير
معه حتى صار في السنين الاخيرة نوعاً من الشغف : لقد رأيت في الاعوام العشرة
الاخيرة — وكنت اظن شغفه فيها قصراً على تطورات القانون الدولي والتاريخ
السياسي — يبحث أيضاً في أصول قرطاجنة ، وفي تخطيط القاهرة . وفي مقابلة
أقوال المستشرقين في السيرة النبوية . بل في أصول الفن البيزنطي بحث أهل
التنقيب لا مطالعة اخوات المتسلين .

لقد صدقت ثروت باشاً أربع سنين في طاب الحقوق ، وخمس وثلاثين سنة
في الحياة العملية بعد ذلك . ويقيني أنه منذ خرج من المدرسة الى آخر حياته لم
يتغير في شيء من أخلاقه ، بل من ميوله بل من فضائله العقلية الا ما زادت عليها
التجربة والدرس المستمر . كل ما في ثروت من الخصال العقلية أو الكيوف
الاخلاقية جاءه مبكراً وثبت له حتى التدبر لم تخلقه له مقتضيات المسؤولية في
الوظائف التي شغلها ولا الملازمات السياسية التي دخل فيها بل خلقه له ضبعه
الخصيب

تلك شخصية مستقلة بذاتها لم تطبع على شخصية أخرى . بل كان ثروت فيها
نفسه وحده ، وفي ضئي ان الحرية التي كان يتمتع بها في صفه دخلاً مهماً في حفظ

شخصيته ، من أن تؤثر فيها فتغيرها شخصيات الاغيار . ان حب أبيه اياه واعتداده به واطمئنانه على ان ثروت سوف يشغل من قومه مكانا عليا ، كل هذا جعل ذلك الشيخ الصالح لا يضيق على ابنه في شيء من حريته ، ولا يحاول أن يطبعه على مثال يتحليه كما يفعل بعض الآباء . وعلى الخصوص المعتدين بعريض جاههم أو الكثيرين في أموالهم . لذلك أخذت ملكات ذلك الشاب تنمو نموها من غير عائق وتقتضي من الطبع الطيب كما لها الخالص . كما أخذت نفسه وهي حرة سيدة تهذب من ميوله ماشاء له طمعه في الفضيلة على ضوء معرفته بمعنى الحياة وتقديره لحدود الواجب . تلك نفس زكية أمنت تهذيبها باكرا واستقلت بشخصيتها قبل الاوان . فكنت لا تجد بثروت تغييرا حتى فيما لا بد ان يفيد الزمان . بشأسته الشابة ، وابتساماته البليانية . وعلى الخصوص نظراته التي كانت تؤدي كثيرا مما يتورع أن يؤديه باللسان . كل ذلك بقي في ثروت الوزير كما كان في ثروت منذ خرج من الدرس الى الحياة العملية

واكثر ظني ان ما حفظ على ثروت رواءه وشمائله . وبالجملة كل مقومات شخصيته الفتيمة أنه نشأ في سعة وعاش وعاش في سعة . فلم يعرف بؤس العيش ولا ذل الحاجة ولم تود برواء شبه تلك المصائب التي كثيرا ما أصابت العضاء أمثاله فهو في كل شيء مسيح وحنود حتى في عظمته

دخل ثروت في وظائف الحكومة أو بعبارة أدق سكرتيرا في لجنة المراقبة القضائية في وزارة الحقانية . وكان الموظف المصري وقتئذ مأمورا ليس له من الوظيفة الا راتبه ، وعليه أن يعمل مايؤمر به . أما الاخذ بأسباب الابتكار في الاعمال والتفكير في المشاريع فذلك لا يعنيه . وأما المسؤولية عن الاعمال فهي على الأمر إذ كانت الوزارة المصرية مبطنة بوزارة من المستشارين لها الفعل وللأولى الاسم في هذا الجو المعطل للمكات المصرية ان تظهر . والمبعد لشخصية الموظف المصري عن ان تستوفي كمالها الخاص في هذا الجو . دخل ثروت في وزارة الحقانية بحمل

لوظيفته مهرا قوة عقلية، وكفاءة علمية، ورفعة أخلاقية، وبجمال فوق ذلك عقيدة
 هي أخص ما ينفع الموظف في عمله، واجدى ما يكون عليه في باب الاستقلال
 بالواجب، واحتمال المسؤولية عنه. تلك العقيدة هي ان الوظيفة ضريبة على الكفاءة
 وان الذى يرى نفسه في حاجة لوظيفة فمن ان لا تكون وظيفته في حاجة اليه . بهذه
 الكفاءة وعلى هذه العقيدة تبوأ ثروت مكان الثقة من السير جون سكوت مستشار
 الحقانية المفرد بالاثرفيها. فلم يلبث ذلك الشاب النابغة ان صار في وزارة الحقانية
 الكافي الكمال. واحتمل مسؤولية هذا الوزارة الضخمة سواء أكان ذلك في التشريع
 أم في مراقبة أحكام المحاكم الابتدائية أم انتقاء القضاة الخ . الخ . يدلك على
 احتماله المسؤولية ما كان له من السلطان، وآية السلطان انك كنت ترى ثروت هو
 وحدد المقصود في وزارة الحقانية دون سواه . بقى ثروت بك على ذلك في وزارة
 الحقانية الى ان عين مستشارا في محكمة الاستئناف . ثم مديرا لاسيوط . ثم نائبا
 عاما الى سنة ١٩١٤ اذ اختير وزيرا للحقانية . نقول ان ثروت باشا وهو نائب
 عام . كان ملاء كرسية وملاء وسامه . دنت تصرفته ووقوفه للحق في وجه أهل
 السلطان وقفات متعددة على أنه صاحب الدعوة العمومية . وأنه المسئول عنها
 في البلاد دون سواه . وهو لا يفهم للمسؤولية الا مقترنة بما يعد لها من السلطان وحرية
 العمل فتنبى الامر به الى ان كان صاحب الكرامة في الدعوة العمومية، صانها عن
 المداخلات السياسية وقصرها على أن يكون الفصل في أمرها للعبد دون السياسة
 فكانت النيابة في أيامه مغرسا صالحا ربي فيه من الشبب رجلا اكفاء كانوا بيده
 من خير نواب مصريين. تعددت فيهم صورته المعنوية . كذلك الرئيس متى كان
 قوى الشخصية تستعرق قلبه نار الواجب المقدسة . كان المثال الصالح تتطبع عليه
 شخصيات مساعديه من الموظفين

على هذه المرحلة الثانية من حياته تنف قليلا بقليل . ان واجبات الوظائف
 التي تقلب فيها وعنايته بانقاء الشبان المستعدين وتشجيعهم ليصطبغ منهم رجال

الغد . واشتغاله بمراجعة المطولات في الحقوق وغير الحقوق . كل ذلك لم يكن ايشيع
قوة نشاطه ولا ليستغرق كل جهوده التي صرف كثيرا منها في أعمال الخير
اهتم بالجمعية الخيرية الاسلامية فكان مديرا للتعليم فيها منذ عشرين
عاما الى وفاته .

اهتم بالجامعة المصرية فكان أحد أعضاء ادارتها منذ عشرين عاما الى وفاته
اهتم بإنشاء النادي الاهلي ونادي الطلبة . وبالجملة لا نعرف عملا دعى اليه
ثروت الا كان من أول المجيبين

كل ميسر لما خلق له . وقد يظهر لكم من ميزات ثروت التي حياها طبعه
والتي جئت على مجمل وصفها آنفا ان ثروت كان مخلوقا للسياسة مطبوعا عليها وميسرا
لها . ذكاء ملتبب وبديهة مواتية . وضبط لاحساسات النفس ولطف لثناء ، وروعة
في الحديث ، وصدق نظر ، ثم علم جم بما له اتصال بسياسة الامم . وبالجملة ثقافة
سياسية ثم تجربة طويلة امدى كسبها في معالجة الجزئيات ازمان الحكومة المزدوجة
على ذلك جعل من ثروت رجلا سياسة بكل معنى الكلمة . فلما دخل الوزارة
في ربيع سنة ١٩١٤ كان المنتظر ان يقوم بما أهل له من خدمة سياسية يفيد بها
وطنه ، كما أفاده في القضاء على ضيق ميدان السياسة التي كانت تجدد ظروف
الاحتلال ، غير ان نشوب الحرب الكبرى بعد قليل من ولاية وزارة رشدي
باشا جعل مصر في وضع غريب ومركز قلق وجعل بناء الآمال المصرية متوقفا
على نتيجة الحرب . ومثل ذلك الوضع من شأنه ان يجرد الرجل السياسي مهما
كانت كفاءته من الظروف المناسب لظهور مقدرته . فتمحصر هم وزارة رشدي باشا
في محاولة توقي الاضرار بقدر المستطاع . ولم يكن مستطاعا في تلك الظروف الا الشيء
القليل . من أجل ذلك لم يظهر من ثروت في السياسة ما يتفق مع استعداد الخلق للسياسة
فلما وضعت الحرب اوزارها وضهرت نتيجتها واخذت آمال المصريين في
الاستقلال صبة نهائية وتآلف الوفد . كان ثروت باشا محبذا لهذا الحركة القومية المباركة

ولما استقالت وزارة رشدي باشا احتجاجا على منع الوفد وبعض الوزراء من السفر . رفض ثروت باشا تأليف وزارة جديدة واعان انه متضامن مع زملائه بالامس في الاستقالة وفي سببها وفي وجهة نظرها . وترتب على هذا الرفض الشريف الحقيق في تلك الظروف بتقدير الوطن — ان سعى الوفد بكامل هيئته وعلى رأسه المغفور له سعد زغلول باشا الى بيت ثروت باشا ليقدروا اليه التهنئة على ايائه الوطني وآيات الشكر على تضامنه مع الوفد في حركته القومية . وكانت كلمات سعد باشا له : ان تضامنه مع الحركة القومية "عامة" يكسب الوفد قوة والبلاد أملا في النجاح . وتعلمون ان هذه الزيارة قد ترتب عليها ان استحضرت السلطة العسكرية مع رئيس الوفد واعضاءه وانذرتهم بانهم بحركاتهم يعرقلون سير الحكومة ولما جاءت لجنة مانر الى مصر كان رشدي وعدلى وثروت هم الممثلين الحقيقيين للوفد ولآمال البلاد امام تلك اللجنة . ففاوضوها مفاوضات طويلة أدت الى اقتناع اللجنة بوجهة النظر المصرية . وكففتهم بمخبرة الوفد في ذلك فأرسلوا اليه تقارير عن الحدة . هي من قبل احدهم ثروت باشا .

لم تنجح المفاوضات مع لجنة مانر . ثم لم تنجح المفاوضات رسمية في سنة ١٩٢١ وحدثت بريطانيا العظمى مركزها في مصر بالمدة ككرة التدبيرية التي أعقبت قطع المفاوضات . وكان جواب المصريين ان اعلنوا الاضراب عن تأليف الوزارة ولاشتراك مع الانجليز في حكم البلاد واشتد الانكيز في تنفيذ سياستهم واتسعت هووة الخلاف بين الفريقين . وفيما بين ذلك الوقت الظروف غلب الموقف على اعتق ثروت باشا . فكان مركزه في غاية الحرج . هنا ظهرت مواهبه السياسية باجلى مظهر . استجمع قدامه وقصد الى ان يحول هذا الظرف السيء الى مصلحة بلاده واخذ يفرض التوردد النسي حتى اقنعه بأنه لا يمكن الموقف الا برضاء المصريين وان لامتناس من حل موقف تبني به الحماية على مصر ، ويعترف لها بالاستقلال حتى يحىء الوقت المناسب لاتفاق الطرفين على مبلغ الضمانات التي تريدها

بريطانيا العظمى . وما زال بالورد الملبى حتى شاطئه وجهة النظر هذه وهو رجل عظيم اقتنع بعمل لدى دولته ما اعتقده خير الامتين

أجل . هنا ظهرت عبقرية ثروت باشا السياسية وهنا امكن القول انه رجل سياسة حننا لا يقل عن عظماء السياسة في دلو الهمة ولا في نطف المداخلة . وحسبان وسائل الخروج من المازق . والنتيجة ان ثروت استطاع بالواسطة ان يحمل الحكومة البريطانية على أن تصدر من جانبها تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٨ القاضى بانتهاء الحماية والاعتراف باستقلال مصر وسيادتها وحفظ النقط الرابع لمفادات حرية من الجانبين من غير أن يقيد البلاد بشيء . على ذلك قبل ثروت باشا تاليف الوزارة واعلن حضرة صاحب الجلالة الملك للعالم استقلال مصر . واخذ ثروت باشا في تنفيذ مقتضيات الاستقلال داخل حدوده . فنضى على عهد الحكومة المزدوجة واستبدلها بحكومة مصرية . واستقل مجلس الوزراء بمسئولية عن الحكم ووضع مشروع الدستور بواسطة لجنة اختارها من رجال القانون والاعيان وضعا تاما لا ينقصه الا تصديق جلالة الملك . ثم استقال . ومنذ اعلان الاستقلال اعلن ثروت ان الحكومة في انتظار ترتيب الحياة النيابية معتزلة ان تتمشى في كل اعمالها على المبادئ الدستورية . وسارت حكومته بالفعل على تلك المبادئ الى ان استقال بعد ان خطا بمصر هذه الخطوة الواسعة في سبيل العظمة والاستقلال حق انه انما استغل حركة مصر للاستقلال وغضبته من مذكرة كرزون واستثمر جهود من تقدمه من رجال مصر . ولكن الرجل السياسى لا يخلق من لاشيء شيئا . انما هو يستثمر المواقف والظروف ليحقق بها اطاعة القومية . وكذلك فعل ثروت الذى اؤاد حجة من ابناء الامة فاخذ ولم يعط . وقيد ولم يتقيد . وكذلك يفعل رجل السياسة

لم يقنع ثروت باشا بهذه النتيجة الباهرة . بل اضمحل ان لا يستريح قبل أن يكمل استقلال بلاده على يديه . وقد تهيأت له الظروف في وزارته الثانية سنة

١٩٢٧ في صيف ذلك العام . سافر مع حضرة صاحب الجلالة الى لندن . فبعد بعد اتفاق سابق بينه وبين المغفور له سعد زغلول باشا ان يفتخر هذه الفرصة ليتصل مباشرة برجال السياسة من الانجليز . على الخصوص وزراء الحكومة ليزيل باديء ذي بدء ماعلق باذهانهم من الاثر الذي خلفته حادثة شهر يونيه . بشأن الجيش باستغل كذلك الحفاوة التي قوبل بها جلالته الملك . فاجتمع بالسير اوسين شميرلين وزير الخارجية البريطانية . و بعد ان أعرب له عن الاثر الجميل الذي تركته تلك الحفاوة الباهرة في نفوس الشعب المصري أخذ يشرح له تفاصيل حادث شهر يونيه . وبراءة الشعور المصري من كل ما يكدر صفاء العلاقات بين الامتين . وبعد ذلك دخل وايد في أمر محادثات بشأن الاتفاق بين بريطانيا العظمى ومصر استغرقت وقتا غير قصير . ثم استمرت المفاوضات في هذا الموضوع في القاهرة . وكان ثروت باشا قد أخذ على نفسه باديء ذي بدء بان تظل هذه المحادثات مكتومة حتى يصل بها الى نتيجة مرضية . فن وصل الى هذه النتيجة أفضى بالتفاصيل الى زملائه والى زعماء البرلمان . وعندئذ يكن الدخول في مفاوضات رسمية ، والا أهمل أمر هذه المفاوضات اذا كان مصيرها الرفض توقيها للآثر السيئ الذي يترتب على قطع مفاوضات رسمية بين أمتين يجب أن يسود بينهما حسن التفاهم ويبني علاقتهما على الصداقة .

أصاب ثروت باشا ولكن الظروف الخارجة عن ارادته لم تمكنه من تحقيق ما أخذ نفسه به واودت بجهوده قبل ان يصل بها الى الغاية . فاستقال من الوزارة خوف الكرامة مشهودا له على رغم عدم النجاح بصحة النظر وعلاج المسائل السياسية بما تقتضيه من الحزم والدهاء جميعا . وفي الحق انه كان رجلا عظيمًا

خرج ثروت باشا من هذه المعركة منهوئ القوة اراد ان يجددها بالراحة وتغيير الهواء الى حين . ثم يعود ليعمل في السياسة مع اصدقائه الذين قد تضامن معهم قبل سفره على الاستمرار في تهيئة الوسائل الى استكمال الاستقلال

في صدد الالماع بذهب ثروت باشا السياسي . أوجب على الحق والتاريخ أن اصرح
ان ثروت كان ممالكا للحكومة الخاضعة متضامنا معها في الخطة التي جرت عليها
في اجمالها وفي تفصيلها جميعا . ولم يسافر الا بعد ان اطمأن على ان الامور تجري
في مجراها الطبيعي

سافر الى اوروبا بعد ان وعدنا الا تطول غيبته . ولا نعلم ما يكنه القضاء
فكانت الغيبة الابدية . اي ثروت ايها الصديق الكريم والوطني الكبير
تمية وسلاما من اصدقاء ما كان اسعدهم بك حيا . فاصبحوا وما اشقاهم بك ميتا .
تمية وسلاما من وطن كنت لمجده بناء عرفت له واجبه فعرف لك حثك .
نصرته فحباك عطفه حيا . وحرزن عليك ميتا . عظم الله أجره فيك .

قصيدة

سوفى بك

بموت في الغاب أو في غيره الأسد كل البلاد وساد حين تنسد
قد غيب الغرب شمساً لاستقام بها كانت على جنبات الشرق تنسد
حدا بها الأجل المحتوم فاعتربت ان النفوس الى آجالها تنسد
كل اغتراب متاع في الحياة سوى يوم يذرق فيه المبهجة الجسد

* * *

نعي الغمام الى الوادي وساكنه برق تمايل منه السهل والجبل
برق الفجیعة لما ثار ثأره كادت كأمس له الاحزاب تتحد
قام الرجال حيارى منصتين له حتى اذا هد من آمالهم قعدوا
علا الصعيد نهار كله شجن وجمال الريف ليل كله سهد
لم يبق للضاحكين الموت ما وجدوا ولم يرد على الباكين ما قدوا



(أمير الشعراء شوقي بك)

وراء ريب التيمال أو فجاعتها دمع لكل شامت ضاحك رصد-

باتت على الفلاك في التابوت جوهرة	تسكاد بالليل في ظل البلى قد
يفسخر النيل أصداف الخليج بها	وما يدب الى البحرين أو يرد
ان الجواهر أسناها وأكرمها	مايقذف المهد لإمايقذف الزبد
حتى اذا بلغ الفلاك المدى انحدرت	كأنها في الأكف الصارم الفرد
تلك البقية من سيف الحمى كسر	على السرير ومن رمح الحمى قصد
قد ضمها فز كما نعث يطاف به	مقدم كلواء الحق منفرد
مشت على جانبيه مصر تنشده	كما تدهلت الشكلى وتفتقد

موقد يموت كثير لا تحسبهم كأنهم من هوان الخطب ما وجدوا
شكل البلاد له عقل ، ونسبتها هي النجاة في الاولاد لا العدد



مكالم الهام بالتصريح ليس له عود من الهام بحوية ولا نقد
وصاحب الفضل في الاعناق ليس له من الصنائع أو أعناقهم سند
خلا من المدفع الجبار مركبه وحل فيه الهدى والرفق والرشد
ان المدافع لم يخلق لصحبته جند السلام ولا قوادد امجد



رباني الصرح لم يشغله تمتدح عن البناء ، ولم يصرفه منتقد
أصم عن غضب من حوله وردى في ثورة تله الابطال أو تشد
تصريحك الخطوة الكبرى ، ومرحلة يدنو على مثلها أو يبعد الأمد
الحق والقوة ارتدا الى حكم من الفياصل ؛ ما في دينه أود
لولا سفارتك المهدية اختصا ومل طول النضال الذئب والنقد
مازلت تطرق باب الصلح بينهما حتى تفتحت الابواب والسدد
وجدتها فرصة تلقى الحبال لها إن السياسة فيها الصيد والضرد
طلبتها عند هوج الحادثات كما يمشي الى الصيد تحت العاصف الأسد
لما وجدت معدات البناء ؛ بفت يدك للثوم ماذموا وما حمدوا
بنيت صرحك من جهد البلاد كما تبني من الصخر الأساس والعمد
فيه ضحايا من الابناء قيمة وفيه سعى من الآباء مطرد
وفي أواسيه أقلام مجاهدة على أسننها الاحسان والسدد
وفيه ألوية عز الجهاد بهم لولا النية ماملوا ولا رقدوا
رمى في وتد الذل القديم به حتى تزعزع من أسبابه اوتد
طوى حمايته المحتل وانبسطت حماية الله ؛ فاستدري بها البلد

ثم غير بك على ما شئت من كرم
ياثروة الوطن الغالى ؛ كفى عظة
لم يطفك الحكيم فى شتى مظاهره
تعدو على الله والتاريخ فى ثقة
نشأت فى جبهة الدنيا وفى فهمها
لكل يوم غد يمضى بروحه
رمتك فى قنوات القلب فانصدعت
لما أناخت على قامورك انفجرت
ما كل قلب غدا أوراخ فى دمه
ولم تطاولك خوفاً أن يضاهاها
فهل : رنى الموت للبر الذبيح وهل
هيبتها ! لو وجدت للموت عاطفة
مشت تذود المذايا عن وديعتها
لو يدفع الموت ردت عنك عادية

« أبا عزيز » : سلام الله ، لارسل
ونفحة من قوافى الشعر كنت لها
أرسلتها وبعثت الدمع يكسفها
عطفت فيك الى الماضى وراجعتنى
صاف على الدهر لم تقفر خليته
حتى لمحتك مرموق الهلال على
والشعر دمع ووجدان وعاطفة

اليك تحمل تسامى ولا يرد
فى مجلس اراح والريحان تحتشد
كما تحدر حول السوسن البرد
ود من الصغر انمول منعقد
ولا تغير فى أيمانها الشهد
حدائث تعد الاوطان ماتعد
يا ليت شعرى . هل قلت الذى أجده ؟

سوفى



(شاعر النيل حافظ بك إبراهيم)

قصيدة شاعر النيل

في تأبين فقير الوطن بروت بلسا

نشر هذه قصيدة شاعر النيل . وهي أدق وصف وأبدع للمقيد العظيم في حياته السياسية

لعب البلى بملاعب الألباب ومحا بشاشة ذلك الخلاب
وطوى الردى (عمر والكنانة) غافلا وزمى شهاب دهائه بشهاب

من كان يدري يوم سافر أنه
 حزنت عليه عتولنا وقلوبنا
 القلب ينسيه الغياب أنيفه
 بالامس مات أجلتنا وأعزنا
 واليوم قد غال الحماه أسدنا
 رأيا فطاح بمحكمة وصواب
 سفر من الدنيا بغير إياب
 وبكت ، وحزن العقل شر مصاب
 والعقل لا ينسيه طول غيابه
 جأها وأبدنا على الأحقاب

رأس يدبر في الحفاء كأنه
 حتى إذا أرضى النهر وتناسقت
 يمشي على سنان الحجا متمهلا
 تتناثر الاقوال عن جنباته
 لا المدح يغريه ولا يلوى به
 حلو التواضع لم يخالط نفسه
 حلو الاناة اذا يسوس . وعندده
 حلو السكوت ككوكب متألق
 يهدي السبيل السالكية ولم يرد
 قد يدبر من وراء حجاب
 آياته راع انورى بعجاب
 بين العداة الكثر والاحباب
 من شائء ومناصر ومحابي
 عن نجده المرسوم ، وقع سباب
 زهو المدل يحاط بالاعجاب
 أن التعجل آفة الاقطاب
 والليل ساج أسود الجلاب
 شكراً ولم يعمل لنيل ثواب

منه كن من نفسه لم يعد
 يزن الامور كأنما هو صيرف
 فيحل غامضها بشاقب ذهنه
 ويقيس شقتها بتمياس النهى
 متبسم وعلى معارف وجيهه
 شيم ترد الناقمين لوده
 يرضى المرتل في الكنيسة صنعه
 قلق الضعيف وحيرة المرتاب
 يزن النضر بدقة وحساب
 حل الطيب عناصر الاعشاب
 فترى صحيح قياس الاسطربلاب
 آيات ما ينطق من الاوصاب
 وشمائل تستل حقه الناب
 كسا ويرضى ساكن الخراب

يرتاج للمعروف لا مترجحا فيه ولا هو في الجميل مرابي
 يروى الصديق من الوفاء ولم يكن بالحاسد النعمى ولا المغتاب
 لم يبد فينا جازعا أو غاضبا لهم الا غضبة النواب
 وبكاؤد في يوم سعد زادنى علما بأن اليوم يوم تباب
 قامت صباب في مسالك سعيه من بعد سعد دعت بصعاب
 فظهير عند النضال وركنه أمسى حديث جنادل وتراب

لله سر في بناء ثروت سبحانه باني هذه الاعصاب
 انى سالت العارفين فلم أفز منهم على عرقاتهم بجواب
 هو مستقيم ماتوا ، هو لين صلب ، هو الواعى ، هو المتغابي
 هو حول ، هو قلب ، هو واضح هو غامض ، هو قاطع ، هو ذابى
 هو ذلك الظلم من أعى الحجا حلا ومات ولم تفز بطلاب
 أو ماتراه مفوض كيف انبرى لكبيرهم بذكائه الوثاب
 لم يأت من باب لصيد دهائه الا نجا بدعائه من باب
 ويضل يرقه ويفزو كبره بليونته ولباقة وخلاب
 ويروضه حتى يرى أسطوله خشبا تنائر فوق ظهير عباب
 ويرى صفوفه من ذكاء صففت دون الحمى تعبي أسود الغاب

وافى باقضى ماينال مفاوض يسعى بغير كتاب وحراب
 واستل من اشدق آساد الشرى علما عضضن عليه بالانياب
 خلقا خبا ضوء الهلال لطيه جم التوجع دامى الاهداب
 فاخضر فوق ربوع مصر عوده فى منبت خصب وزحب جناب
 ان وقته بعض الامانى فاذكروا انا امام محنكين صلاب

قد جاز تيهاء الامور ولم يكن
رجل يفاوض وحده عن أمة
رفع الحماية بعد ما بسطت على
واتى لمصر واهلها بسيادة
مرفوعة الاعلام والاطناب.

غفرا فلست ببالغ فيك المدى
كم موقف لك في الجهاد مسجل
في خطب مصر (لبطرس) أخذتها
الفت بين العنصرين فأصبحت
خالفت فيك الجازعين فلا انح
النوح في الجلى اجتهاد مقصر
فانا الذى يبكي بشعر خالد
قد كنت تحسن بي وترقب جولتى
وتبش ان لاقيتنى وتخصنى
فأذهب كما ذهب الربيع بنورد

أتى غرزت الى مداك ركبى.
بشهادة لأعداء والاصحاب.
مشوبة كنت على الابواب
رتقا وكنت موفق الاسباب
حزنا عليك وأنت من اترابى.
الذى داء الصبر غير مجاب
يبقى على الاجيال للاغتاب
فى حلبة الشعراء والكتاب
بالبشر فى ناديك والترحاب
تسى الرىض عليه غب ذهاب.

حافظ ابراهيم



أُخشي عليك

أُخشي عليك تنلوا الأيدي يا زهرتي . ، وتكالب الورد
وأخاف أن تمتد في جشع أيد تريك ، لمسها يردى !
قولي لرب الروض لا أمل في أن تساو من ذوى النقد
أنا للذي روت مدامعه غصني ؛ وحافظ لي على عهدى !
فاذا أبيت ثرتني بدداً وجعات روضي بعد ذا . لحدي



يا زهرتي . هل تقسمين بما أخلصت من حب ومن ود ؟
أن لا يتبع بلشداً أحد يا زهرتي إلا أنا وحدي

حسن كAMIL الصيرفي



رباعيات الخيام

مترجمة بشار فيلادوف العراق

السيد جميل صدق الزهاوي

— ٤ —

في العن (١)

— ١١٣ —

أما العشق في الشباب جلاء حياة الفتيان والفتيات
أيها الغافل البعيد عن العشق — تعشق فالعشق كل الحياة

— ١١٤ —

أما التوبة متى جاء عتلى سببها حبيبتى بالتمام
والقميص الذي له خاط وبرى مرقته حوادث الأيام

— ١١٥ —

اننى الطائر الذي كل يوم يهوى من أحب قلبي أشدو
فمع العشق في تراب ساخنى ومع العشق منه أظهر بعد

فبما خاطب به الله

— ١١٦ —

انا في حرب مرة مع نفسي انا مما قدمته ندمان
هبك يوما غشوت عني ولكن انا مما أتيت خجلان

— ١١٧ —

قلت انى معذب لك فاهرب ليت شعري أين العذاب يكون

(١) ظهرت الاجزاء الاولى من هذه الترجمة من الاعداد ١٣، ١٤، ١٥ من العصور

منك لا يخلو في الوجود مكان . وانا حينما تكون مصون

— ١١٨ —

أنا عاص فإين منك الرضاء أنا راج فإين منك الضياء
إنما وقفك الجنان على الطاعة بيع فإين منك العطاء؟

— ١١٩ —

أنت أنشأتنا وشئت لنا عصياناً ما قد أمرتنا فعصينا
كل ما نأتيه من الخير والشر فانت الذي كتبت علينا

— ١٢٠ —

أي انسان لم يجيء قط ذنباً كيف عاش الذي زكا وتوفي
ان تكافيء سوى بسوء فقل لي أين فرق بيني وبينك يبق؟

— ١٢١ —

في طريقى وضعت القام من الاشرار . وحتى استحال منها مناصى
ان عصيانى كان منك بجبر فماذا سميتنى بالعاصى

— ١٢٢ —

ان عقلى لا يستطيع وان حاسه ول عمراً في نفسه اثباتك
أنا مالى بكنه ذائك علم انما الذات منك تعرف ذاتك

— ١٢٣ —

أنا يا ربى الرحيم وان كنت لجهلى مقدما كل شين
ليس بى يأس منك اذ لم أقل للواحد الفرد فى حياتى اثنين

— ١٢٤ —

أيها الرب آثم انا فارحم لى قلبا من خفقه ما استراحا
ثم رجلا كانت الى الحان تمشى وبدا كانت تمسك الاقداحا

— ١٢٥ —

رجع العقل القهقرى واعيا . وقد سار في جميع المناهج

أنا هذه العوالم طرأ منك ملائ وأنت منهم خارج

— ١٢٦ —

بك قد تلت يا إلهي وجودي وأنا اليوم في نعيمك أرتع
سأزيدن من ذنوبي لأدري اذنوبي أم غفوك الجيم أوسع

في مطالب بيتي

— ١٢٧ —

لا تفتن بي المخافة من أن يدم الموت نازلا بي ويغشي
أنا لا أخشى الموت فالموت حق غير أني من سوء عيشي أخشى

— ١٢٨ —

قال شيخ لمومس أنت سكري كل يوم مربوطة بخدين
فاجابت أني كذاك فهل أنت كما أنت فاهر للمعيون

— ١٢٩ —

أنظروا في صداقة الكأس والا بريق مرفوعة فوق اليدين
فشفاة عى شفاة تلاقى ودم قاني من الجانبين

— ١٣٠ —

الجحيم الذي بها أوعدونا ليس الا اتعابنا أنوانا
والنعيم الذي وصفوه ليس الا ارتياحنا أحيانا
بغداد في ٢٥ كانون الثاني ١٩٢٥



تفسير الحيوانات

« تفضل حضرة ابراهيم أفندي حداد بأن أرسل اليها هذا الجدول المفصل الذي ترجم فيه أسماء الفصائل الحيوانية حسب الترتيب الحديث وأشفعه بالجدول المفصل الملحق به . ونحن نشر هذه الترجمة مع الجدول ولو أننا لانوافق على ترجمة كثير من المصطلحات . وسنعود الى الكلام في هذا في فرصة أقرب . غير أننا نود من الناقدين أن لا يفتنوا في هذا العمل العلمي بأرائهم وتقدمهم والمقصود نرحب بكل ما يصلها من رأى أو فقد أراء هذا العمل العلمى »

L'origine	١ أصل الحياة
Metazoaires	٢ حيوانات تالية
Protozoaires	٣ حيوانات ابتدائية
Rhizopodes	٤ ذات الارجل الجذرية
Sporozoaires	٥ سبورية
Infusoires	٦ قيعية
Lobés	٧ مفصصة
Amiboides	٨ أميبية
Heliozoairés	٩ شمسية
Reticulés	١٠ شبكية
Faraminifères	١١ ذات الثقبات
Radiolairés	١٢ شعاعية
Gregariniens	١٣ قافلوية المعيشة
Cacidiens	١٤ بذورية

Monocystidés	١٥	وحيدة الكيس
Polycystidés	١٦	كثيرة الاكياس
Hemococciens	١٧	بذورية دموية
Flagellés	١٨	ذات اللواحق
Rhizoflagellés	١٩	ذات اللواحق الجذرية
Eulagellés	٢٠	ذات اللواحق الحقيقية
Choanoflagellés	٢١	ذات اللواحق المكممة
Cytoflagellés	٢٢	ذات اللواحق المكسية
Ciliés	٢٣	ذات الاهداب
Holotriches	٢٤	متجانسة الاهداب
Heterotriches	٢٥	غير متجانسة الاهداب
Sans Cavité Générale	٢٦	عدية الجوف الحشوي
Coelentérés	٢٧	مزدوجة الوريقات
Hydroméduses	٢٨	هيدرومادوزية
Hydroïdes	٢٩	بوليبية
Trachyméduses	٣٠	ميدوز مشبك
Siphonophore	٣١	حاملة المدعص
Discopantes	٣٢	ذات القرص المزهر
Siphonantes	٣٣	ذات المدعص المزهر
Corallières	٣٤	مرجانية
Alchyonaïres	٣٥	ذات الثمانية اللوامس
Zoantraïres	٣٦	ذات الستة اللوامس
Aciniaïres	٣٧	شقائقية
Madreporaires	٣٨	ذات الثقبات الغير مشعرة
Acalèphes	٣٩	أكاليف
Ctenophores	٤٠	حاملة المشط

Spongiaires	اسفنجية	٤١
Calcisponges	اسفنجية كلسية	٤٢
Silicosponges	اسفنجية سيليسية	٤٣
Ceratosponges	اسفنجية قرنية	٤٤
Ascons	قربوية الشكل	٤٥
Sycons	تينية الشكل	٤٦
Leucons	بيضوية الشكل	٤٧
Hexactineilidés	ذات الستة الفروع	٤٨
Tetractinellidés	ذات الاربعة الفروع	٤٩
Monactinellidés	ذات الفرع الواحد	٥٠
Avec Cavité Générale	ذات الجوف الحشوي	١٥١
Echinodermes	مقنفذة الجلد	٥٢
Ayant des bras	ذات الاذرع	٥٣
Stelleridés	الشبه النجمية	٥٤
Bisériés	ذات المحجمين	٥٥
Quadrisériés	ذات الاربعة المحاجم	٥٦
Ophiuridés	الشبه الجنسية	٥٧
Sans bras	عديدة الاذرع	٥٨
Echinides	قنفذية	٥٩
Irréguliers	غير المنتظمة	٦٠
Clypeastroides	٦١
Spatangoids	٦٢
Reguliers	منتظمة	٦٣
Holothurides	حيوانات نباتية	٦٤
Eupodes	ذات الارجل	٦٥
Apodes	عديدة الارجل	٦٦

Vers	٦٧	ديدان
Annelés	٦٨	حلقية
Chetopodes	٦٩	ذات الارجل الشعرية
Polychètes	٧٠	كثيرة الشعر
Eerrants	٧١	سيارة
Sedentaires	٧٢	مستقرة
Oligochètes	٧٣	قليلة الشعر
Limicoles	٧٤	مائية
Terricoles	٧٥	ترابية
Gephyniens	٧٦	مالسة
Armés	٧٧	مسلحة
Inermés	٧٨	الغير مسلحة
Hirudinées	٧٩	علقية
Rhynchobdellidès	٨٠	عدية الفكوك
Gnathobdellidès	٨١	ذات الفكوك المسنة
Phathelminthes	٨٢	عريضة الجسم
Turbellaires	٨٣	مسطحة
Dendrocelles	٨٤	ذات الامعاء المتشعبة
Rhabdocelles	٨٥	ذات الامعاء الغير متشعبة
Ternatodes	٨٦	الديدان العريضة
Distomiens	٨٧	ذات المحجمين
Polystomiens	٨٨	كثيرة المحاجم
Cestodes	٨٩	الديدان الشريطية
Teniadès	٩٠	متقطعة
Bathriades	٩١	شقوقية
Memathelminthes	٩٢	الديدان الخيطية

Nematodes	٩٣ . خيطية
Acanthocéphales	٩٤ مشوكة الرأس
Mollusques	٩٥ ناعمة
Scaphopodes	٩٦ ذات الأرجل التقاربية
Amphineurs	٩٧ ذات الاعصاب الممتدة
Placophores	٩٨ ذات الألواح
Aplascophores	٩٩ عديمة الألواح
Gasteropodes	١٠٠ ذات الأرجل البطنية
Prosobranches	١٠١ ذات الفروع الامامية
Diatocardes	١٠٢ ذات الاذنين
Monotocardes	١٠٣ ذات الاذن الواحدة
Pulmonés	١٠٤ رئوية
Stylommatophores	١٠٥ ذات العيون النافرة
Basommatophares	١٠٦ ذات العيون الغائصة
Opirothopranches	١٠٧ ذات الفروع الخلفية
Tecubranches	١٠٨ سقفية الفروع
Nudibranches	١٠٩ ذات الفروع العارية
Pteropodes	١١٠ ذات الأرجل الجنبية
Lamelibranches	١١١ ذات الفروع المصفحة
Protoconques	١١٢ جوفية ابتدائية
Heteromyaires	١١٣ الغير متجانسة العضلات
Monomyaires	١١٤ وحيدة العضلة
Dimyaires	١١٥ ذات العضلتين
Asiphonés	١١٦ عديمة المدعس
Siphonés	١١٧ ذات المدعس
Cephalopodes	١١٨ ذات الأرجل الرأسية

Tétrapneux	١١٩ ذات الأربعة الفروع
Dibranchiaux	١٢٠ ذات الفرعين
Decapodes	١٢١ ذات الأرجل العشرة
Octopodes	١٢٢ ذات الأرجل الثمانية
Chardata	١٢٣ حبلية
Protocodes	١٢٤ حبلية ابتدائية
Vertebres	١٢٥ فقارية
Acraniens	١٢٦ عديدة القحف
Tunicieres	١٢٧ قيصية
Ascidies	١٢٨ ثابطة
Vertebres Supérieurs	١٢٩ فقارية عاليا
Mamelles	١٣٠ ذات الثدي
Vivipares	١٣١ ذات النسل المتولد
Placentaires	١٣٢ ذات المشيمة
Terrestres	١٣٣ ترابية
Hominiens	١٣٤ الإنسان
Voiliers	١٣٥ ذات الأجنحة
Cheidopteres	١٣٦ خفاشية
Aquatiques	١٣٧ مائية
Avec membres post	١٣٨ ذات الأطراف الخلفية
Prinnipedes	١٣٩ مسبحية الأرجل
Pas des membres post	١٤٠ عديدة الأطراف الخلفية
Sireniens	١٤١ ذات الثدي الصدرية
Cetaces	١٤٢ قيطسية
Denticetes	١٤٣ ذات الأسنان
Mysticetes	١٤٤ عديدة الأسنان

Aplacentaires	١٤٥. عديدة المشيمة
Marsupiaux	١٤٦ ذات الا كياس
Carrassières	١٤٧ آكلة اللحوم
Herbivores	١٤٨ آكلة الحشائش
Ovipares	١٤٩ ذات التناسل التبيضي
Monotremes	١٥٠ وحيدة الثقبه
Eedentès	١٥١ عديدة الاسنان
Insectivores	١٥٢ آكلة الحشرات
Rongeurs	١٥٣ القاضمة
Proboscidiens	١٥٤ الخرطوميه
Carnivores	١٥٥ المفترسة
Felides	١٥٦ الاسديه
Ursides	١٥٧ الدبيه
Viverides	١٥٨
Canides	١٥٩ الكلبيه
Mustelides	١٦٠
Ongulès	١٦١ المظلفه
Perisodactyles	١٦٢ وحيدة الاصبع
Artiodactyles	١٦٣ مزدوجة الاصابع
Siudes	١٦٤ الخنزيره
Ruminantes	١٦٥ المجتره
Primates	١٦٦ القردة
Lemuriens	١٦٧ خياليه
Simiens	١٦٨ قردة
Anthropoides	١٦٩ شبه الانسان
Vertebrès inferieurs	١٧٠ الفقاريه الدنيا

Batracicus	١٧١ الغنبدية
Sans membres	١٧٢ عديدة الاطراف
Ayant quatre membres	١٧٣ ذات الاطراف الاربعة
Anoures	١٧٤ عديدة الذنب
Urodes	١٧٥ ذات الذنب
Perennibranches	١٧٦ ذات الاطراف الدائمة
Cryptobranches	١٧٧ ذات الاطراف المختفية
Salamandriens	١٧٨ ذات الاطراف المختفية احوالات
Poissons	١٧٩ الاسماك
Cartilagineux	١٨٠ الغضروفيه
Cyclostomes	١٨١ مستديرة النعم
En partie osseux	١٨٢ ذات الغضاريف والعظام
Selaciens	١٨٣ ذات الافواه الجنبية
Requins	١٨٤
Raies	١٨٥
Holocephales	١٨٦ ذات الرأس التام
Ganoides	١٨٧ ذات الخراشيف المشععة
Chandroganoides	١٨٨ غضروفية
Ostéoganoides	١٨٩ عظمية
Dipnoi	١٩٠ شبه أسماك
Osseux	١٩١ ذات العظام
Teleostéens	١٩٢ أسماك كبيرة
Malacopteugieus	١٩٣ قرصية المسبح
Anacanthineus	١٩٤ عديدة الاشواك
Acanthoptérigiens	١٩٥ مشوكة المسابح
Plectognathes	١٩٦ متلاصق الفكين

Lophobranches	١٩٧ ذات الأطراف المتقطعة
Saus mamelles	١٩٨ عديدة الثديا
Reptiles	١٩٩ زواحف
Cloison Complète	٢٠٠ ذات الحجاب التام
Grocodiliens	٢٠١ تمساحية
Cloison incomplète	٢ ٢ ذات الحجاب الغير تام
Sauriens	٢٠٣ ضباية
Crassilingues	٢٠٤ طويلة اللسان
Brevilingues	٢٠٥ قصيرة اللسان
Fissilingues	٢٠٦ مشقوقة اللسان
Vermilingues	٢٠٧ دودية اللسان
Ophidiens	٢٠٨ حنسية
Colubriiformes	٢٠٩ ملوأة الاسنان
Proteroglyphés	٢١٠ مشقوقة الاسنان
...	٢١١ مخنورة الاسنان
Typhlopides	٢١٢ عديدة البصر
Cheloniens	٢١٣ سلحفية
Polamites	٢١٤ نهريّة
Thalassites	٢١٥ بحرية
Elodites	٢١٦ بحيرية
Testredo	٢١٧ رابية
Oiseaux	٢١٨ طيور
Ratites	٢١٩ عديدة المنقار الخنجري
Struthioniformes	٢٢٠ نعامية
Apterypiiformes	٢٢١ عديدة الاجنحة
Ayanti un brechet	٢٢٢ ذات المنقار الخنجري

Palmipedes	٢٢٣ ذات الارجل الكفية
Longipennes	٢٢٤ ضويلة الريش
Totipalmes	٢٢٥ ذات الكفوف التامة
Lamellirostres	٢٢٦ صفيحية المنقار
Impennes	٢٢٧ عديدة الريش
Echassiers	٢٢٨ شاطئية
Pattes non palmés	٢٢٩
Bec droit	٢٣٠ ذات المنقار الجالس
Rapaces	٢٣١ جارحة
Grimpheurs	٢٣٢ متسلقة
Colombieus	٢٣٣ حمامية
Gallinaces	٢٣٤ دجاجية
Passereaux	٢٣٥ دورية
Diurnes	٢٣٦ نهارية
Noctiurnes	٢٣٧ ليلية
Dantirostres	٢٣٨ مسننة المنقار
Coraciostres	٢٣٩ غرابي المنقار
Conithostres	٢٤٠ مخروطي المنقار
Fissirostres	٢٤١ مشقوقة المنقار
Fermirostis	٢٤٢ رقيق المنقار
Anthropodes	٢٤٣ ذات الارجل المفصلية
Branchiates	٢٤٤ غلصمي التنفس
Crustacés	٢٤٥ قشرية
Eentomostraces	٢٤٦ قشرية سفلية
Xiphosures	٢٤٧ سيفية الذنب
Phyllopodes	٢٤٨ ذات الارجل المورقة

Copepodes	٢٤٩ مقداقية الارجل
Ostraceodes	٢٥٠ قوقى الحافة
Ciripedes	٢٥١ ذات الارجل السلوكية
Malacostraces	٢٥٢ قشرية عليا
Eudriophthalmes	٢٥٣ ذات العيون الثابتة
Isopodes	٢٥٤ متشابهة الارجل
Amphipodes	٢٥٥ الغير متشابهة الارجل
Posophthalmes	٢٥٦ ذات العيون المتحركة
Stomopodes	٢٥٧ ذات الارجل الفككية
Schizopodes	٢٥٨ ذات الارجل المتشعبة
Decapodes	٢٥٩ ذات العشرة الارجل
Niacroures	٢٦٠ طويلة الذنب
Anouroures	٢٦١ معوجة الذنب
Brachyours	٢٦٢ قصيرة الذنب
Tracheates	٢٦٣ قصبية التنفس
Arachnides	٢٦٤ عنكبوتية
Arthrogastres	٢٦٥ ذات البطون المفصليّة
Scorpionides	٢٦٦ عقربية
Padipodes	٢٦٧ ذات اللوامس الرجلية
Pseudoscorpions	٢٦٨ عقربية كاذبة
Phalangides	٢٦٩ ضويلة الارجل
Nologastres	٢٧٠ تامة البطن
Arameides	٢٧١
Tetrapneumones	٢٧٢ رباعية الرئة
Dipneumones	٢٧٣ ثنائية الرئة
Acarneius	٢٧٤ موحدة الجسم

Tracheats	٢٥٧ ذات القصبات
Atracheats	٢٧٦ عديدة القصبات
Insectes	٢٧٧ حشرات
Broyeues.	٢٧٨ ماضغه
M. C.	٢٧٩ استحالة تامة
Nevropteres	٢٨٠ عصبي الجناح
Coleopteres	٢٨١ مفمدة الجناح
M. I	٢٨٢ استحالة غير تامة
Pseudonevropteres	٢٨٣ عصبية الجناح الكاذبة
Orthopteres	٢٨٤ مستقيمة الجناح
Thysanoures	٢٨٥ عديدة الجناح
Broyeurs & lecheurs M. C	٢٨٦ ماضغه ولا حسه استحالة تامة
Hymeeoptens	٢٨٧ غشائي الجناح
Porte-aiguilleurs	٢٨٨ ذات الابر
Port-Scie	٢٨٩ ذات المنشار
Chasseurs	٢٩٠ صيادة
Formicides	٢٩١ غلية
Apides	٢٩٢ نحلية
S. Maxillais	٢٩٣ ماصه الفك
Lepidopteres	٢٩٤ خرشفية الجناح
Papillonides	٢٩٥ فراشية
Popillus	٢٩٦ فراش
Sphinx	٢٩٧ اهرامية
Microlepidopters	٢٩٨ خرشفية الاجنحة الصغيرة
S. Labiaux	٢٩٩ ماصه الشفه
Hemipteres	٣٠٠ نصفية الجناح

Heteropteres	٣٠١ غير متجانسة الاجنحة
Homoptères	٣٠٢ متجانسة الاجنحة
Apteres	٣٠٣ عديمه الجناح
Phytophiteres	٣٠٤ ذات الاجنحه النباتيه
Dipteres	٣٠٥ ذات الجناحين
Nematoceres	٣٠٦ خيطي القرون
Brachyceres	٣٠٧ قصيرة القرون
Papipares	٣٠٨ مولدة الشفيرة
Aphanipteres	٣٠٩ مخفية الجناح
Myriapodes	٣١٠ ذات الارجل الكثيرة
Chiropodes	٣١١ ذات الكلايب المسممه
Chilognathes	٣١٢ ذات الكلايب الغير مسممه

ابراهيم حداد

المقصود — يلاحظ هنا أن الاسماء المكتوبة جميعها باللغة الاصطلاحية او باللسان العلمى كما يقولون . بل قد أتت على المصطلح الفرنسى . وعلى الرغم من أننا لانوافق على الترجمة إلا أننا نحجج اللغة للاستعمال العلمى ، بل بفضل التعريب الصريف ، فسوف نأخذ في البدء ما يعنى لنا من الانتقادات فى عدد قادم



النهضة التركية

تنقسم كل أمة الى فئات ثلاث : فئة مفكرة ، وفئة مقلدة ، وفئة تابعة .
ويتبع أفراد الفئتين الأخيرتين أفراد الفئة الأولى ، اما استحسانا لما يفعلونه .
أو نسجاً على منوالهم ، أو اتباعاً للأغلبية ، أو كرها عنهم .
من الخطأ أن يظن إنسان بأن كل فرد في أية أمة يزن الأمور بميزانه
الخاص . فهذا الأمر لم يحدث ولن يحدث ما دامت الأمزجة متغايرة . والأعمال
متباينة ، والبيئات مختلفة .

فاذن تصدر جماعة الكماليين للقيادة قد أوجد آراء جديدة سارع البعض
لاعتناقها ، وكذلك أوجدوا مستحدثات رام تقليدها غيرهم . كما وان
هناك من سار مع التيار - خصوصاً طبقة التجار من الشعب - وأما المحافظون
على القديم فهو لاء هم الذين يسايرون النهضة كرها عنهم وتحسراً على
ماضيهم الذهبي .

أما الانقسام - ولا بد أن يكون هناك انقسام - فكأن فقط بين
أفراد فئة المفكرين . ولا شك في أن التباين كائن في التفاصيل دون المرمي الذي
تتجه اليه جهود الكماليين .

يحب علينا أيضاً أن لا تتناسى أمراً جديراً بالاهتمام هو تضارب الغايات .
فان الاختلاف بين المفكرين يمكن حسمه بالماقشة أو بترك كل إنسان يفعل
ما يشاء . هذا اذا لم تتدخل الغايات والمآرب ، كحب الظهور والجشع
والانتقام وما إليها . الى آخر ما يدور بخلد الإنسان الاناني بطبيعته ، في الأمر
فاذن لا شك في أن كل تركي مفكر مقتنع تمام الاقتناع بوجوب تغيير
الجهالة التي كانت تظلل أرجاء الامبراطورية العثمانية ، كما وانه يحبذ فكرة
تنظيف عقول مواطنيه من السخافات والخزعبلات التي علق بها منذ العصور
المظلمة ، ولم يزلها مرور الزمن الا سواداً

وكل منهم يسلم أيضاً بوجوب تغيير الحالة السيئة التي وصلت اليها الأمة بفضل نظام الخلافة . ولا يختلفون إلا فيما اذا كان هذا الامر أو ذاك من الامور الواجب القضاء عليها أو المستحسن تعديلها أو التي لا خطر من بقائها في الآن الحاضر

ان مركز تركيا الحالي حرج ، فأى اختلال داخلي فيها ينتج نهاية محزنة . فالكاليون ولاشك غير مقتنعين بأنهم نماذج الانسانية التي لا يتطرق الخطأ الى أفعالها . وهم على ما أظن يلبون بكل طيبة خاطر أية نصيحة تقدم اليهم . ولاشك في أنهم مستعدون لتحويل اتجاههم الى الطريق الأصوب لو كان هناك من يقدم لهم نصيحة خالصة . أما أن يقوم رجل لا حاجة تائدة المستزقة من رجال الدين بحجة أن برنامج الحكومة سيخرج لهم عهد الكسل والاعتماد على ارضاق مواطنيهم البسطاء العاملين ، فأمر لا يحتمل . ولو أغضى الكاليون . ولو بعض الاغضاء ، عن اعتراضات فئة المعارضين التي وان كانت بريئة من جهة ، فأنها مشابهة بالاغراض من جهات ، فان اغضاءهم هذا يؤدي الى الثورة الداخلية . وبمعنى آخر الى اندثار الجمهورية . فهل بعد ذلك يعيبون على الكالين صدمهم لبوارد الثورات قبل أن تتعاضم ؟ واذا كان لاحد المفكرين نظرية ما . فما الداعي لا حاجة الرأي العام حولها بدلا من تقديمها بصيغة اقتراح لآخوانهم المفكرين المسكينين بزمام الحكم لتتاح فرصة بحثها بتدبير ؟ وهل هناك من يسلم بأن آراء مصطفى كمال وعصمت متفقة تماماً ؟ أن هذا ضرب من اللغو . فان الاتفاق مستحيل . اللهم الا اذا لم يفرز أحدهما ولو بمسكة من العقل توصله الى استنتاج بخالف استنتاج الآخر . وبالطبع هناك اختلاف فرعي بين رأيي الزعيمين وبين كل منهما وبين أى من الزعماء ولكن كلهم خاضع — ولو على مضض — لما ترتأيه الاغلبية وذلك اتباعا لمثل « بعض الشر أهون من بعض »

وما الذي ينتقدونه على الاتراك الا أنهم مهتمين بالمظاهر وهذا الجوهر ؟ ومن الغريب أنهم ينكرون الشمس وهي في كبد الدنيا . فهل من المنطق في شيء التغاضي عن نشر المعارف وتنشيط الزراعة والصناعة والتجارة وتنظيم

القوات الحربية واصلاح مركز الدولة الدولى. وغير ذلك مما فعله الكاليون من أجل وطنهم ؟ كل هذا يغدق المعارضون اعينهم عنه جهلا منهم ان للناس حواس توصل لعقولهم الحقيقة على ما هي عليه. اما المظاهر التي ينتقدونها : فان أغلب انتقادهما لما نأتج عن جهل أكثر من انه ناتج عن سوء قصد. فهو لا ينتقدون مجهولون عظم أثر البيئة في تنظيم العقلية. وانى اكتفى بالقول بان الاشياء المألوف النظر اليها تتداعى عند رؤيتها الاشياء التي ألفها الناس من طرق المعيشة والآراء . فاذا شئت ان ننفض عن بربرى غباء اطمحجية : لا يتيسر لك النجاح اذا تركته في وسطه . لان للوسط جاذبية وعادات مأخوذة . بل يجب ان تخرجه من وسطه الى وسط آخر ارق لتتجه أفكاره الى آراء ارق . وبما انه ليس من المعقول نقل كل تركي جامد الى وسط غير وسطه . يجب تغيير هذا الوسط . فنقل عاصمة الجمهورية وتغيير الاحرف . ونس القبعات الى آخر ما هنالك من المظاهر . كان المقصود منه أولا تغيير الوسط . ثم انخبوا البدل على اساس الافيد . واستروا المسع والقاروق يستعملون بالضع الجوس على الارض واضاعة الوقت في ترب (ترجيلة) فاذا بدلت هذا المبدس نأزى الافرنكى . حاول التركي ان يقلد الاوروبى في حركاته . لان رأسه لا تزال ممناة بالنجاح الاقتصادى والاخلاقى ونعمى الذى بزده لافرنكى . وكذلك مسألة العقائد فانها تتفاوت بتفاوت الامزجة . ومن الغريب ان الناس لا يدحضون ان الفرق بين مسلم ومسيحي مصريين لا يزيد عن اختلاف في الاصطلاحات . فالسيدة زينب هي نفس القديسة دميانة . وسيدة الحسين هو هو نفس ماري جرحس . ولكن هناك فرق بين بولس المصرى البروتستانتى وبين مكلىن الاسكندنى البروتستانتى بقدر ما يوجد فرق ما بين عمر مصرى المسلم وامام زاده المسلم المصرى . فانعتاية بين الاجناس تختلف باختلاف الوسط ودرجة الثقافة . والمزاج الى آخر ما هنالك . وبالطبع تختلف العقيدة بالاستماع . فاذا اريد تغيير « اسلوب » العبادة في الوسط التركى عمه كانت عليه قبل ١٣ قرن في الوسط البدوى . فذلك لوجود اختلاف في الوسطين والمزاجين والزمين حقيقة لا يتيسر قلب نظام الجيل الحاضر بسهولة . ولكن الجيل المقبل

سينشأ في وسط مغاير، ويجد تربية مخالفة . فالوقت كفيل بالنجاح التام
واخيرا، هل ما يقوله الناس من ان الترك لن يكونوا صورة طبق الاصل
من اوروبا المتحضرة هو قول عبث . وانهم لا يلبثون ان يرجعوا الى ما
كانوا عليه ؟

اما ان تركيا تكون نسخة من اوروبا فكلام مبعوء بالجهالة . فاوروبا ليست
وحدة متجانسة بل هي وحدات مستقلة تجمعها فكرة عليا ترمي الى تدعيم
اسس المدنية . اما فيما خلا ذلك فهناك فرق كبير بين الالماني والفرنسي . بل هناك
فرق لا يقل اهمية عن سابقه بين السكسوني والبافارى وهما المانيان . فاذا
حاول التركي ان يكون كساكن باريس فهذه عين الغباء . لان اسكل منهما استعداد
يخالف استعداد الاخر . فاذا اخذ التركي باسباب المدنية الحديثة . فهو ينظر
الى ان يكون وحدة مستقلة تعمل مع بقية الامم الراقية للوصول الى الكمال
المدنى . وانه اذا اخذ عن غيره من مختلف الامم الاوروبية . فانه لا يأخذ الا
مادة اولية لاجل تتركبها وصبغها بصبغة مخصوصة ولن تبقى على ما كانت عليه
اما ان الترك يرجعون الى ما كانوا عليه فهو تخبط فى القول . لانه يجوز
ان يرجعوا الى الخلف . اذا افاضت الظروف بالحكم الحالى قبل ان يشمر .
ولكن ليس الى النقطة التى سبق وانتشلوا منها . بل الى مركز آخر يختلف
تماما عن المركز الاول . لان الجديد قد اثر ولو بعض التأثير فى تربية العقل التركي
وما الذى يهيم التركى اذا كان الذى يقتدى به يوسف او القونس ؟ ولكن
يهيمه ان لا يكون المثال الذى يذبح على منواله بدوى جاهل عاش منذ عدة
قرون سابقة . بل رجل متحضر اخذ بارقى الاسباب المفيدة الحاضرة . وما
دام يكتب بحروف لم يخترعها هو . فما الذى يهيمه اذا كانت هذه الحروف
سامية او طورانية او لاتينية الاصل ؟ ان ما يهيمه هو انتقاء ما يفيد اكثر
في الحالة الحاضرة . حقيقة ان نظام الحكم التركي الحالى ليس بالنظام الكامل .
وهو ليس بالنظام الديموقراطى . ولكنه ارقى بكثير من نظام الخلافة بتكايها
وحظاياها وضحايا بسفورها وخزعبلاتها

قالى الامام ياقدوة الشرقيين الى الامام . ونحن مع كافة اخوانكم من

الشرقيين على الاثر

النقد والتأليف

فصة فاب

للدكتور علي الناصر

مجموعة مقطعات شعرية أوحى بنظمها سن الشباب . اعتقد أن أغلب القراء قد مروا على فترة كانت للعواطف فيها كلمة الفصل . فماتوا إلى الجمال ومنهم من سبج في سباته على أجنحة الشعر الذي وإن لم تكن له صلة بشعر البيان وشعر البدع فله رنة مستملحة . بل جذابة محبوبة

« قصة القلب » مثل من سبق في تبيينه وفيه شيء غير قليل من روح الخفيفة الممتلئة بالحب الظاهر واليك نموذج من تحويه هذه المقطعات

جلست أمهها أرنو الحسن الله في البشر

وصوني ناس من وله وكوني منه في حذر
أخاف عليك عاصفة تميل بفصاك لنظر

فلولا مقال الناس جن من الهوى لقات . بشرع الحسن . جل جلالك

أضير في عالم الاحلام مبتهجا مجرداً عن تباريحى وأجزائى
فناضري . وثنى في تعبد يرنو اليك بتقديس وزمانى
ولا يسعنا إلا أن نسدى المناظم نصيحة هي عدم تصنع الشعر فان من

كان مثله جدير بأن لا يكتب الا اذا كان لديه شيء يقوله . وكذلك يجب عليه أن يبعد عن الوحشي من الالفاظ فانها تذهب برونق الشعر الخفيف الروح

الرجل

الذي لا يعرفه أحد

ابروس برن

ترجمه بتصرف انطونيوس بشير

حاول المؤلف أن يعف في كتابه هذا، المسيح كرجل عظيم . فابتدأ يعترض على تصوير رجال الدين للمخاص في صورة شاب في مستقبل العمر ككثيب الوجه ضعيف الجسم حزيناً مغموماً لأن الناس مبالغون بالطبع إلى حب المنتصرين في أعمالهم وكان وصف المسيح بأنه كان وديعاً ضعيفاً وأعرفه للناس كرجل كآبة ومختبر للحزن لما ينفر الناس منه كذلك يحتاج المؤلف من تكريس يوم الأحد لمسيح والاعتقاد بأن من الخطيئة أن يشعر الإنسان بطأ نينة وراحة في يوم الأحد

ثم حاول المؤلف أن يستثير بما كتبه الرجال الذين عرفوا المسيح شخصياً وبالطبع لم يقل من هم هؤلاء الرجال فتاريخ المسيح كثير الغموض وليس هناك من يدعى في الوقت الحاضر بأن هناك أثر باق لأحد الذين عرفوا المسيح شخصياً . هذا اذا سمعنا بوجود شخص اسمه المسيح — ويقول المؤلف أن علماء اللاهوت قد أساءوا إلى جمال حياة المسيح بزعمهم أنه عرف جميع ما جرى له في حياته وذلك منذ ولادته . ثم يتساءل عن قيمة مثل هذه الحياة تلخيص ترجمة المسيح بقوله انه كان صديقاً فقيراً ترعرع في عائلة عامل حقير وقضى معظم وقته في دكان نجارة ثم شعر بدماء القوة تجري في عروقه فبسط تموده على جيرانه واختار له تلامذة من عامة الناس ومحتملاً المقاومة والهزء والسخرية والموت صابراً صبر الرجال

ومع أن المؤلف يعترف بأنه ليس من رجال اللاهوت (ص ١٩) فإن هذا الاعتراف لا يخلية من ارتكاب أخطاء لا ينتظر ممن يحاول أن يكتب تاريخ حياة رجل ارتكابها . فقد قال ما يستفاد منه أن « يوحنا المعمدان والمسيح كانا ولدين وأنه لا يعرف مقدار اختلاطهما معاً في سن الصبا » مع أن المفروض لدى من يقرأ قصص المسيح المختلفة أن يوحنا كان بالأقل في سن الرجولة حين كان المسيح ولداً مراهقاً

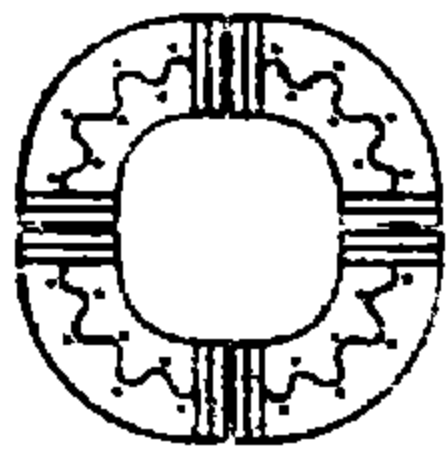
ويحاول تفسير المصطلحات المختلفة بتفسير تكاد تكون مهضومة فمثلاً قرر انه لا يعرف اذا كان يجب علينا ان ننظر الي « الشيطان » كشخص ذي وجود حقيقي أو كمظهر من مظاهر الرغبات الشريرة الجامحة . « والتجربة » في اعتقاده تعني ان يوم الثقة العظيمة بالنفس قد مضى

كذلك يقول ان المسيح بعد ان قضى أربعين يوماً في الصحراء آمن من صميم نفسه بان روحه قد اتصت بروح الله وان الله قد ارسله الى العالم ليقوم بالعمل الكبير الذي لم يكن في العالم رجل غيره يستطيع القيام به .. وما من عمل جليل قام به كبير في العالم من غير ان يجراً على الايمان بان في أعماقه قوة خائفة مستقلة عن جميع الظروف والاصول

ويرى ان سر العظمة منحصر في « المغنطيسية الشخصية » التي حاز المسيح قسطاً وافراً منها وهو يقول عن حواربي المسيح « لم يكن بينهم رجل واحد معروف بالأقل ولا رجل واحد صادق نجاحاً في عمل من الأعمال ... وانهم ظلوا ، رغم تعاليم المسيح الكثيرة ، يعتقدون انه جاء لمزعزع اساسات المملكة الرومانية ويبعد للامة اليهودية احماد داوود وسليمان ويقيم نفسه ملكاً على اورشليم . لذلك كان الجدل حامياً بينهم في من يكون منهم الاول والمتقدم في هذه المملكة . وقد حملت هذه الرغبة يعقوب ويوحنا (تلميذه) الى توسيط امهما لترجوا المسيح ان يجاس ابنهما عن عيّن ويسار مجده ولما سمعت العشرة بما فعلته الام غضبوا وتذمروا فلم ينقد المسيح صبرة على « صفارة عقولهم » ان سمعان « بطرس » كان أكثر التلاميذ مشاغبة وعدواناً »

حاول ان يثبت شجاعة المسيح بما فعله من تهجمه على الصيارفة
وطرده اياهم من الهيكل ولانه صاح بالكهنة الواقفين في صدر الدار صيحة
دوت لهاقبااب الهيكل وهلمت طوها قلوبهم ولانه حرر طيور الهيكل
واطلق المواشى من الزرائب ولانه اعمل سوطه في اكتاف الباعة فنفرقوا
دون ان يجرؤوا على النظر الى وجهه »

وهو يعترف أن ابود سيجل اسمه في الهيكل كابنه الشرعى (ص ٣٨)
وان له اخوة واخوات ركعوا لاستقباله عند رجوعه (ص ١٨٣)
فمن الوجهة اللاهوتية يعد هذا الكتاب خطوة جريئة للامام لان مؤلفه
حاول ان يقارن بين المسيح وبين افذاذ الرجال على اساس انه « يتكلم عن
رجل » وحاول ايضا ان يتخطى شيئاً كثيراً مما نسب الى المسيح وزج في
تاريخه ولكن ما يؤسف له هو ان الكاتب قد اتى بفقرات ليس لها اثر
في الانجيل وحاول الادعاء بأنها منها ويظهر أنه — ان لم يكن متعمداً
المغالطة — لم يقف على سيرة المسيح كما هي مذكورة في الكتب . حقيقة
لانجد اية فائدة للمتعلمين المصريين من الاطلاع على هذا الكتاب والكتبة
نتصح اخواننا المتدينين بالاطلاع عليه فانه يعد فتحة في علم اللاهوت المسيحي



البهائية أيضا

كتب السيد بهنام سلمان للعصود يستفتي . وقد تبرأ حضرته في صدر مقاله من الاعتقاد بالاديان وهذا أمر يؤسفنا جداً وكم أود لو راجع نفسه في الامر لان كتاب « فولاني » ليس « كبر شاهد على أن الاديان قد جلبت للعالم الانساني ويلات وحطمت مدينيات عظيمة » فالاديان كما لا شك يعلم السيد الفاضل أدامه الله مجموعات من الشرائع ومن القوانين الادبية وكتب تاريخية تمثل المدى الذي وصلت اليه العقاية القديمة . فمبها يتيسر لنا قياس مبلغ ترقى في عصر من العصور . هذا من الوجهة الاجتماعية الصرفة . فقول السيد الفاضل أنه لا يعتقد بالاديان أمر يحتاج إلى استغفار . فهل يمتنع - حضرته من « عدم الاعتقاد » نفى وجود اديان في الماضي ؟ أنه لا يوافق على كل ما جاء في تعاليمها أو فقط يخالف بعض هذه التعاليم تبعاً بالتطور وتغير الحال والزمن ؟ وولاني ميل للتأكد من أنه يقصد النقطة الأخيرة دون سواها ولا شك

فالاديان مزيج من الانظمة كما كانت تطبق في عهود بعيدة من القدم وكانت عقاية الناس قبله فخص كل ما جاء فيها من مظهر وزيد فاذا ما تطاعنا الى الخلف يجب أن لا ننسى حقيقة العقاية البشرية في ذلك الحين

هنا يجب علينا أن نبحث فيما سماه حضرته « المبدأ » البهائي ولا ننكأك نفسى من فخر فى وإبراز حدوتى رعباً مندهشاً لسماعى بذلك « المبدأ » البهائى المنعوت « بمبدأ التحارب والتجديد » فهل للبهائية مبدأ ومن أين استقته ؟

من المأسا به أن كل الانظمة الدينية تنشأ من بعضها البعض ويمكن الاستدلال على ذلك من مجرد مشاهدة التشابه الموجود بين النظريات الدينية فهل هناك صلة بين البهائية بصفاتها ديناً وبين غيرها من الاديان ؟ أجل فهى فى أساسها ذات صلة

بالشيخية إحدى أفرع الإمامية وهي بدورها فرقة اسلامية وقد نشأت البائية
(هذا هو اسمها الصحيح) قبل ثلثي قرن فقط في وسط جاهل بعيد عن الثقافة أو
للدنية من السهل اذن الاغضاء عنها وهي في لباسها القديم « أنك لن تهدي
من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء ومن أضله الله فماله من هاد »

ولكن قد أوغلت البهائية المحترمة في الادعاء ، فلبست جسدها البالي ثوباً
عصرياً مرقعاً بقطع غير متناسقة وقد سرقت (ولا أقول استعارت) تلك الرقع
المتنافرة من الغرب وذلك خلال الثلث قرن الاخير ثم ادعت أنها الموجدة لهذه
الرقع من العدم ولجهل السارقين بطريقة تفهم معنى تلك الرقع اكتفوا بالصياح
داعين اليها دون محاولة شرحها ولو على طريقة فطرية بالاقول . وهنا أشعر أن الواجب
ارجاع هذه « الدروس التي الفتها البهائية على العالم » الى أصولها

(١) السلم والصالح العام ومحكمة دولية

(٢) الوحدة العالمية دون نظر الى لون وملة ووطن

(٣) الوطن العمومي للعالم أجمع

(٤) منع الحروب

هذه الفقرات تتف من فكرة يسميها الغربيون « الدولية » واسمها بالانكليزية
Internationalism أو Comopolitanism ويرجعون أصل الدعوة

اليها على وجه التحقيق الى الامبراطور الروماني ماركوس أوريليوس انطونينوس
(حكم الامبراطورية الرومانية من عام ١٦١ - ١٨٠ ق . م) أي وجد قبل ١٧٠٠
سنة من وقتنا الحاضر وبالطبع يجوز أنه استقاها من سبقه . فها يجوز أنه كان
معاصراً لبناء الله ؟ أفلا يجوز لنا الاعتقاد أنه قد اقتبس آراءه من تعاليم
روح البهاء التي وجدت قبل الخليفة مرفقة على النعم ؟ قد يمكن ويجوز أنه قد
يقل عن أنى بعدد بسبعة عشر قرناً تقريباً وفوق كل ذي علم عليم . قال هذا
الامبراطور السارق وكانوا يعدونه فيلسوفاً (خطأ بالطبع) وينسبونه الى المدرسة

الرواقية « ان العالم أب لكافة الناس فغير خليق بنا نحن أبناء أن تتأبد
ونتخاقد بل يجب ان تتحاب وتعاون معاً » فعلى هذه الآراء المسروقة من
البهائية أسست فكرة « الدولية » كذلك أسس القانون الدولي الحالي على قانون قديم للرومان
أوجد لتنظيم العلاقات بين مقاطعات الامبراطورية الرومانية وقد ازداد تنظيم تلك
القوانين الاولوية على مرور الزمن فكانت التنمية إنشاء محكمة لاهاي (التي تنازل بيهاء الله
ووضع حجرها الاساسي ليوطد مبدأه السامي) . أما التطور في التحكم الدولي
فقد لقنه شوقي أفندي زعيم البهائية الحالي للمستتر كيلوج الامريكي خلال
هذا العام .

أما الحرب الأمريكية لتحرير العبيد فقد قامت عام ١٨٦٠ حين كان البهاء
طفلاً ومن يدري فيجوز انه هو الذي أشار بها

(٢) إجبارية التحصيل الابتدائي

(٨) منع الفقر المدقع وتمكين العامل من مشاطرة صاحب المصنع في حصته
من الربح أو في أسهم العمل

خلق الله عام ١٨١٨ ميلادية وأظن أن هذا التاريخ ليسبق تاريخ ولادة
بيهاء الله وأيضاً ميرزا محمد علي (ولا أقول هذا إلا مكابرة مني في الحق) رجلاً
اسمه كارل ماركس وضع أساساً لفكرة الاشتراكية ولا أجزء بأنه لا ينقأها عن سبقه
وهي تطالب من ضمن ما تطالب به هاتين النقطتين . ونولا أني أجهل بيهاء جم
تاريخ الصناعة في بلاد فارس وفي الشرق الأدنى عند ما شرف بيهاء الله العالم
بوجوده لما قدمت الملاحظة الآتية « من أين يعرف بيهاء الله أو من سبقه أو
لحقه شيئاً عن نظام الاشتراكية بمصانعب وعمالها وقد كان الشرق والله الحمد لا يهتم
إلا بالغزل على أنوال اليد الصغيرة داخل المنازل ؟ » كذلك يقولون - والعبرة على
الراوى بالطبع - وليس على شخصي الضعيف - ان أساس نظام المسيحية الاقتصادية
كان تقسيم الاموال بالانصاف وان « بيت مال المسلمين » كان مشيداً على نفس

الفكرة . وأسمع أن المسلمين يدعون — يدعون فقط — بأن نبيهم
 حث على طاب العالم ولو في الصين ومن المهد إلى المهد ومن يدري
 فقد تكون روح البهاء هي التي أوحى إليه بأن يقول ذلك كما أوحى لامراء
 المسلمين ارصاد الاوقف على تعليم الفقراء وعلى بناء المكاتب في كل زاوية أو
 جامع ليأج الفقراء فيها مناهل العلم بلا مقابل . اما تنظيم التعاليم الاجباري فبدأ
 في منتصف القرن التاسع عشر أو عام ١٨٤٣ بالتحقيق وبالطبع كانت الافكار
 قد تهيأت له قبل ان تقوم مطالبة به في البرلمان الانكليزي . وكان بهاء الله
 لم يفكر حتى ذلك الوقت في التجلي لارشاد الناس الى هذا « المبدأ المبتكر »

(٤) مساواة المرأة والرجل

هذه الفكرة بدأ بها بهاء الله وسام يجد ملبيا لدعوته في بلاد فارس — اذ
 لاكرامة لبي في وطنه — املاها على الغرب . وقد استجاب الغرب لدعوته
 العالية فقامت فكرة تحرير المرأة عندهم . ورغبة شاد ايران الخالي في ترضية بهاء
 الله على ما سلف واقترفه لايرانيون من اعمال التعاليم البهائية المتقدمة قد أخذ
 شاد ايران يجمع شمله لنشر السفور في مسكنه . كذلك أخذ محمد بن عبد الله
 بنصيحة بهاء الله قبل ان يخلق البهاء فشدد في وجوب معاملة النساء معاملة
 حسنة لدرجة انه منحهن حق التصرف في اموالهن وحق التهذيب وحق الزواج
 ممن يشئن . فبالمعجزات البهائية كخامن اثر قبل وبعد تشریف بهاء الله لهذا العالم
 (٥) تأسيس لغة عامة لتمامهم

اخذ ان واضع لغة الايرانتموكن احد حوارى بهاء الله ارضى عنهم لانه
 نجح دون غيره في اقامة هذه اللغة الدولية على اساس وطيدة في حين ان من
 سبقه من المحاولين قد خابوا . ويقال . والله اعلم ، ان عبد البهاء هو الذي أوحى
 قبل تجليه ، للدول الاوروبية في العصور المظلمة ، اعتبار اللغة اللاتينية لغة
 دولية (وهذا كذب لانهم كانوا يستعملون اللغة الفارسية وانا شهيد بذلك)

كذلك ممالك الامبراطورية الاسلامية كانت تتكلم رسميا بالعربية للتفاهم تلبية
لنداء بهاء الله الذي تجلّى على الارض فيما بعد . واخيرا — ولكن قبل ان يرى
العالم وجه البهاء بكل تحقيق — اتفقت دول أوروبا الحديثة على اعتماد اللغة
الفرنسية للتفاهم بها دوليا لقربها من اللاتينية اساس اللغة الأوروبية
(٣) يرث إسماعيل تلميذه

وما ادرانا اذا كان بهاء الله قد فكر ايضا في ان يعطى نصيبا لاسماء وخطاهي
والقسيس من ارث انتوفى . اليمس المعلم صاحب فضل على تلميذه لانه يعلمه بأجر
كما يسقيه السقاء بأجر وكما يعطاه القسيس بلا أجر — لننتقيه الى ذلك تماما —
وهنا لا اجرا على بحث ما اذا كان هناك من قد سبق عبد البهاء في هذه السخافة
لرغبتي في ترك ميزة تبقى له اثرا خالداً على سطح الارض . اجل سيدى . فقد
فقد عقل بهاء الله ذاته عن هذه المعجزة الخالدة

ومع كل اعرض عليك بتواضع ان انشاس . حتى العلماء منهم . ما
زالوا بين معزز ومعرض لما « اوجدده » البهاء من « مبادئ العلية »
اريد الآن ان ارشح نفسي لا كون « جمال الله » قائد واضح دروس
المبادئ الآتية : —

(١) الحرب ضرورية تطورية فعلى مظهر لتنازع البقاء من أجل بقاء
الاناسب فعلى الضعيف ان ياتجىء الى الحائط فالحق لنموه والويل للمغلوب
(٢) يجب ان تقصر جهودنا الادبية والمعنوية على تهذيب الصالح لذلك
من الناس فقط . ون تكون درجة هذا التهذيب راقية لدرجة يستطيع معها
الشخص المهذب ان يكون سيدا مهابا قادرا على ادارة غيره من الناس المستعدين
لان يكونوا عبيدا بطبيعتهم

(٣) يجب شق المعلم الذى يسبقه احد تلاميذه في درجة المعرفة وان

يشاطر الصحفيون واصحاب المجلات ومحرروها — امثالى — الورثاء في تركة مورثهم الذى كان يقرأ ما دبحته انا، لمبه مدة حياته

(٤) المساواة امر نسبي وكل له استعداد مخصوص . فمن العبث ان نحاول مساواة الاشخاص ببعضهم لتباين استعدادهم ، وبالاولى يجب ملاحظة تخالف الاستعداد فى الجنسين . كذلك يجب ان تقتصر على بضع نساء صالحات لارضاع كفة الاطفال لان لبنهن اصح ، وبضع نساء صالحات للتربية لانهن ميالات الى هذا الفن اكثر وهكذا

(٥) يجب ان تكون هناك ثلاث لغات . واحدة للامم المتحضرة . واخرى للامم النصف متحضرة . وثالثة للامم الهمجية . لانه من الغبن ان تعلم الاخيرين مثلاً اصطلاحات فنية دقيقة لا يحتاجون اليها فى الغابات والادغال والعكس بالعكس (٦) وجوب ذبح كل سخيف سارق لا يزال يلبس « الطور » فى حين انه يلى على العلم فكرة سخيفة مفادها ان له الحق فى ان يقف مع كل ذكى متمرد على قدم المساواة بدلاً من ان يذهب ليعطى القرود الذين تقرب عقليته من عقليتهم (٧) ارسال الادعياء من الجماعات الى السجون لانهم مثل بقية السارقين اذا ارتكبوا جريمة تملك ما ليس لهم من الاراء

(٨) الحكم على البهائيين بالسردون ثيب وهم حاملين النبيل والاقواس لمينانوا نصيبهم من خيرات الغابات والاحراش بدلاً من استحوار الجميع لخيراتهم وبذلك يفيدون ويستفيدون

(٩) وضع « دعاة السلام » فى صفوف النار لئلا اذا كانوا سيحاربون ام يستسلمون للموت

هذه هى المبادئ الجمايية الراقية اطاب منك بحثها وقدها وستجدها مثبتة كما هي بنصها وفصها فى كل طبقات هذا العدد من مجلة العصور دون تحوير . واذا وسوس لك خناس باننى سارق بعض هذه الآراء عن نيتزشه الذى مات

قبل ان انا بالقراءة والكتابة فقل بل ان نيتزشه هو الذى نقل عن جمال
الله ولا عبرة بتقدم زمنه عن زمن جمال الأجل ، واذا قل لك انى سخيى قل
« اتتوا بمثل ما اتى به قنكم لا شك تعجزون انه ما نثر الا دررا غواليا لا
يزيدها مرور الزمن الا صقلا » واننى قد اعتزمت بعونه ومنه أن اذر الملايس
الاوروبية وارجع الى القناووق وارسل لحيى لتكون مرتعا لاخوانى الحشرات
وذلك عملا بدرس المساواة الذى القيمه على اتباعى المتقين

جمال الاجمل

العصور — اطلعنا أحد أصدقائنا المظالمين على حقيقة البهائية على استفهام
السيد بهنام فكتب لنا هذا المثل الذى نتوسم أن فيه ما يكفى لرد على سؤال
حضرة المستفسر.



المذهب الروحاني

بين أديب وعالم

السير ارثر كونان دويل الكاتب الانجليزى المعروف ، والسير أوليفر لودج العالم الطبيعى الذى جمع بين التفوق فى العلوم الطبيعية والنبوغ الوافر فى الرياضيات ، كلاهما من اكثر الناس اعتقاداً بالمذهب الروحاني ، وبمخاطبة الارواح . ولو أنهما اقتصرتا على الاعتقاد بأن للذوات الفانية أرواح تخلد بعد أن تفارق الابدان الترابية. اذن لجاز لنا أن نحاول التوفيق بين استغراقهما فى المادية حينئذ اعتناقهما للمذهب الروحاني من بعد ذلك . غير انهما كما يعتقدان بالارواح يمتدنان بجوار اتصالها بهذا العالم وبالذوات الحية من طريق المخاطبة والكتابة وغير ذلك .

كان السير ارثر كونان دويل من المغرقين فى المادية المغالين فى الاحاد ، ثم مالبت أن اقلب مؤمناً شديداً بالايمان ، وروحانياً مفرطاً فى الثقة بما بروى عن الوسطاء الذين هم يخاطبون الارواح ويستطيعون استحضارها وبالأقاصيص التى تنقل عنهم . أما السير لودج فعلى الرغم من وقوفه على أسرار الطبيعة واستمراقه فى درس الرياضيات ، قد ألف كثيراً من الكتب التى حاول فيها أن يثبت المذهب الروحاني ، وأن ينشر له الدعوة الواسعة العريضة بكثير من حرارة الايمان واليقين .

على أن الاعجب من هذا أن سير لودج لم يحاول أن يثبت المذهب وينشره لا غير ، بل مضى يحاول أن يطبقه تطبيقاً منطقياً عملياً على حقائق التاريخ الكبرى ، وعلى الخرافات التى ذاعت فى قصة الخلق كما جاءت فى اسفار موسى . على أننا لا نريد أن نتابع البحث باستفاضة فيما ذهب اليه سير لودج ، بل نضرب مثلاً واحداً هو كلامه فى تعليل وجود آدم والتوفيق بين قصة الخلق

وبين ما ثبت من مباحث النشوء والاثربولوجيا . فانه لم يستطع أن ينكر الحقائق التي تقوم عليها مبادئ العلوم الحديثة التي أثبتت اثباتاً قاطعاً بان الانسان متسلسل عن صورة أحط من صورته . وان مباينة الانسان للقرود العليا أقل من مباينة القرود العليا لمرتبة البريمات . كما دل على ذلك الاستاذ هكسلي الكبير بكثير من مباحثه التشريحية . اذن فلا بد من طريقة يعال بها سير لودج هبوط الروح الانسانية على الجسد الحيواني . مدام أنه عاجز عن أن يثبت ان الانسان من طينة غير طينة الحيوانات الاخرى أولاً . وما دام أنه لا يستطيع أن يحمل للحيوانات ارواحاً تشابه ارواح الانسانية ثانياً . لهذا لجأ الى أسلوب في التعليل لا يعرف كيف جاز لمثله أن يتخذ عدة غمية يصح الركون اليها . قال بان الانسان عند ما بلغ حداً خاصاً من التدرج النشوي حلت في فرد منه . هو أرقى افراده ، الروح الانسانية . فافترق بذلك عن أفق الحيوان ، وكان هذا الفرد آدم عليه السلام . وكفى بالسير لودج في تعاليله هذا قد ثار على الدين وعلى العلم ، فلم يبق على أساطير الأديان . ولا على حقائق العلم .

يجنب هذا الرأي نجد رأياً آخر للعلامة وليم مكدوغال عبر عنه أحسن تعبير في كتابه « العقل والجسم » . فبعد أن ساوى بين الرأيين الحيوي والاثربولوجي . أي الروحاني والمادي ، قضى بأنه لا يزال شديد الايمان بنسجة المذهب الاول دون الثاني . غير أنه لم يتطرف تطرف سير لودج ولا خرج عن الاسلوب العلمي البحت . فبعد أن اتى على تاريخ المذهبين منذ أقدم العصور الى أواسط القرن التاسع عشر ، قضى بان البحث العلمي لا يزال يؤيد الفكرة الروحانية . غير أن مثله في هذا كمثل الباحثين في نشوء الحياة . فان الرأي السائد اليوم على أنه الحي لا بد من أن يتولد من حي مثله . وان لاحياة بغير حياة سابقة لها في الزمان والمكان . هذا على الرغم من أنه يعتقد بان الحياة لا بد من أن تكون قد نشأت بداءة من مواد غير حية تحت تأثير ظروف طبيعية خاصة ، وفي دور خاص من أدوار النشوء الكوني . غير أن

البحث العلمي لا يركن الى النظريات وان كانت كل القرائن تدل على صحتها عقلاً ، ما لم تثبت صحتها بالاختبار . فالاختبار يؤيد ان الحى لا يتولد الا من حي مثله . لهذا وجب أن نرفض القول بالتولد الذاتى علمياً ، وإن اقتنعنا به عقلاً . وعلى هذه القاعدة جرى الاستاذ مكندوغال . اذ قضى للرأى الحيوى دون الرأى الفزيولوجى . ذلك لان العلم لم يثبت حتى الآن بالاختبار امكان تركيب آلة مفكرة حساسة ذات سيالات مغنطيسية خفية من طريق فزيولوجى . وهو على الرغم من اقتناعه عقلاً بان ذلك جائز ، فانه علمياً لا يجوز الجزم به على صورة قاطعة



سير اوليفر لودج

ننتقل بعد هذا الى السير آرثر كونان دويل فقد نشر منذ مدة طويلة كثيراً من المقالات فى المجلات الانجليزية الكبرى عدد فيها كثيراً من آراء السابقين عليه فى العلماء والباحثين ، وروى فيها قصصاً عن حوادث وقعت بالفعل ، وعن أشياء لا يزال ينتظر الباحثون استكشافها . ونشر بعد ذلك كتاباً تحت عنوان «الوحى الجديد» - The New Revelation - عقد فى أوله

فصلاً أظهر فيه الانقلاب الذهني الذي تولاه منذ أن حاول البحث وراء حقيقة الأرواح . وهل هي موجودة أولاً ، ثم هل يمكن مخاطبتها ثانياً ، مع ما يتبع ذلك من حالاتها في العالم الثاني وعلاقتها بهذا العالم .

وفي سنة ١٨٩١ اشترك السير دويل في جمعية المباحث الروحانية اشتراكاً فعلياً بعد أن ظل زمناً طويلاً والشكوك تساوره ، وزعته المادية تغالبه . ومن ثم أكب على كل ما أخرجت هذه الجمعية من مطبوعات يقتلها بحثاً وتنقيباً إلى أن بدأ الشك يزول من قلبه ويحل محله إيمان ثابت بصحة النظرية الروحانية وبصحة مخاطبة الأرواح .

ووقع له منه بعد ذلك كتاب أخرجه العلامة « ميرز » - Myres - وسماه « الشخصية الانسانية » - Human Personality - وهو كتاب يعنه سيردويل بأنه كتاب عظيم . غير أنه يقول بأن « ميرز » في كتابه هذا قد عجز عن تكوين نظرية عامة أو وضع فكرة مضئقة تلمل كل مظهر في عالم المباحث الروحانية من المظاهر . غير أنه نجح كل نجاح في بحث تلك الظاهرة العقلية التي نسبين آثارها في نقل مؤثرات عقل إلى عقل وتدعي اصطلاحاً انتقال الأفكار - أو « التيلباثية » - Telepathy - فانه استطاع أن يثبت حقيقة وجودها . وأن يبرهن عليها بكثير من الحوادث الصحيحة . وأن السير دويل لمعتقد اعتقاداً ثابتاً بأن الحقائق التي نفيها « ميرز » لا يمكن أن يتشكك فيها إلا مجادل حياً في الجدل أو أعني لا يبصر الحقائق . وهو فوق ذلك مقتنع بأنه ما أتى به « ميرز » ينزل من المعارف الانسانية منزلة الحقائق العلمية الثابتة . وكان هذا عند سير دويل تقدم كبير في المباحث الروحانية لا يعادله شيء إلا اعتقاده بأن وجود الأرواح حقيقة راهنة . فقد تساءل بعد ذلك - « إذا كان في مستطاع عقل أن يؤثر في عقل آخر عن بعد . إذن فلا بد من أن تكون هناك قوى انسانية تبين مادة الجسد عن ما نعرفها عموماً » . وبذلك اعتقد سير دويل أن الأرض قد تصدعت من تحت قدمي « دويل المادي المتشكك » وأن المركز الذي كان يشغله في عالم الملاحدين قد تبدد ورجته الحقائق فتبدد .

ان الاله لا يمكن أن يظل موجوداً بعد أن تنتهي الشمعة بالاحتراق .
غير أن هذه الحالة تدل على أن الاله قد يؤثر بعيداً عن الشمعة الملهبة ،
وانه يمكن أن يؤثر تأثيراً ذاتياً بعيداً عن أن يستمد من أصل يستند اليه .
على أن هذا التشبيه بعيد عن الواقع . لانه اذا كان في مقدور العقل أو الروح
أو الذكاء الانساني ما شئت فسمه ، أن يؤثر عن بعد وعلى غير اتصال بالبدن ،
إذن فلا بد من أن يكون مبدأ مخالفاً للجسم منفصلاً عنه ؟ وما دام الامر
كذلك فأى عائق يعوقه عن البقاء مستقلاً عن البدن بعد أن يتحلل هذا
بعد الموت ؟

أما الذين ماتوا ورحلوا عن هذه الدنيا فان السردويل لا يرى أى حائل
يحول دون ظهورهم ثمانية في الارض على الصورة الآتية :



سير ارثر كونان دويل

إن التأثير الذي يمكن أن يرسل به الذين ماتوا قريباً لا يقتصر على ارسال
سيال روحي فكري ؟ بل يتعدى هذا الى ظهور الارواح ظهوراً عيانياً لتثبت
للرائين أن التأثير الحادث راجع الى شخصية بقيت بعد الموت وفي استطاعتها
أن تلابس الصورة التي كانت لها في هذه الحياة . وهو يعتقد فوق ذلك أن

التدرج من حالة التليثانية الى حالة التجلي الروحي تمام الحلقات بحيث
لا يمكن التشكك فيه بحال من الاحوال .

هذا آخر ما وصلت اليه الذكر الروحانية، كما يمثلها عالم كبير وأديب عظيم
في انجلترا . أما القول بنسجة هذه النظرية أو صحة هذه الوقائع فمرهون على
متابعة البحث . ولعل العلماء حتى بعد أن يثبتوا وجود الروح - وهذا جائز -
أن يثبتوا مع اثبات وجودها أنها مادة تقنى وتتحول كبقية المواد

لا أقنع إلا ...

إذا قلت في الدنيا السماء وما بها
من الكوكب والألاء ، والشمس والبدر
وأحرزت مدفون الكنوز وفتحت
مغاليقها عما تضم من النضر
فما أنا بالراضى . ولا أنا قانع
بذاك ... ولكن سوف أقنع بالثر
وأرضى بشعر في البسيطة عند ما
أضمك بأروح الحياة الى صدري ...

العاشقانه الصغيرانه

هذا يريك مثال ذاك يشف كل عن نضاره
قلبان ما شربا سوى كأس المحبة والظهاره
سقيهما حلوين لم تدخل مياهما مراره
أعلى مثال للمحبة منك فيها الاماره
حسن كامل الصيرفي

بين العاصفة الفكرية

كتب ابراهيم أفندي حداد الى المصور يسفه فيها بعض أنظمتنا الاجتماعية. وكم تمنيت لو تفضل حضرته بنقد هذه الانظم تقداً هادئاً مع تبين الواجب اتباعه في حالة نبذنا لهذه الانظمة — لو تيسر لنا ذلك — ونحن نوافق حضرته على أن جميع أنظمتنا تحتاج الى تغيير وزيد على ذلك أننا قد أخذنا بالفعل نتحول عنها الى ما نظنه أحسن أو أرقى منها

وكما أنه نتجت عن هذه الانظمة بعض الفظائع ، فقد كانت السبب في دفع الانسانية الى طريق المدنية الحالية . نسلم مع حضرته ان ليس هناك أساس للقداسة في هذه الانظمة، وانما نشأت بنشوء الجمعية البشرية على مقتضيات الحال ومر الزمان . كان نظام الزواج في الاصل نتيجة تلبية الغريزتين الانسانية الشهوانية والاجتماعية الجارية وراء ابقاء النسل ، فكل التقاليد التي استجدت ما هي الا عرضية يقصد منها تنظيم الحياة الزوجية على وجه مخصوص ، يتعلق بالارث والنفقة والطلاق مثلاً . ومنها بعض قد زج لكي يكون مورد رزق للظنمليات الانسانية التي تعيش على حساب غيرها مثل متممة البركة فهذه هي الواجب ازالها

أما اننا تقاوم فكرة الزواج فامر عبث . لأن الزواج اذا نظمناه من الشوائب العالقة به فامر طبيعي يتوقف على دوامه كيان الانسانية . فاذا كان حضرة حداد أفندي يتكلم عن وسائل تنظيم الزوجية فامامه المجال متسع كما هو أمام أي انسان آخر. فلواتبعنا نظام التوريث الانكليزي والارستوقراطي اعترض البعض قائلاً كيف تفضلون الولد البكر دون بقية الاولاد . واذا أعطينا للولد ضعف نصيب الابنة صاح البعض محتجاً على هذا الغبن . واذا سوينابين الابنة والابن أخذنا البعض قائلاً انكم تعطون المال لمن يسلمه الى شخص لم يتعب فيه وهذا الشخص هو زوج الابنة المسؤول عن ادارة حياتها

الاقتصادية. اذا فكرنا في أن نساوي بين الابناء ونعطيهم فرصا متساوية. فمن
 ذا الذي يضمن لنا أنهم سيصلون الى نهاية متشابهة فسيصرف البعض فيما لديه من مال
 بالطبع بينما ينفق البعض الآخر ما يملكه بحساب ليرفه أبناءه المسؤول عنهم أدبيا بعد
 موته. فهل يريد حضرة الكاتب ان يدافع عن النظام الحزلي للزواج؟ وكيف يحدد
 هذا النظام ونظامنا الاقتصادي لا يزال يضع المرأة تحت حكم الرجل؟ ان
 المرأة لا تستقل تمام الاستقلال عن الرجل الا اذا كانت قادرة على تكوين
 كيان اقتصادي لها يجعلها بمعزل عنه. وحتى في ذلك الوقت نواجه كما تفعل
 اليوم موضوع رعاية النسل. فاذا كونت المرأة من ذاتها وحدة اقتصادية
 وكون الرجل وحدة اقتصادية اخرى ونتج عن اختلاطهما الجنسي أطفال فمن
 من الابوين يتبعون؟ ام هل نكل للدولة الاهتمام بهم؟ طالما دافع
 الاشتراكيون Communists عن الفكرة الثانية ولكن الذي ثبت لدينا
 بالبرهان ان نسبة الوفيات في الملاحيين بين الاطفال تزيد عنها بين الاطفال
 المترعرعين في حمى والديهم او احد الوالدين مع فرط اعتناء الملاحيين بهم من
 الوجهة الصحية الامر الذي لا يتاح لهم التمتع به بين اهاليهم متى كانوا من
 بيئة فقيرة غير صحية. ويعززون السبب الى انعدام الحنو الوالدي والاهتمام
 الغريزيين وكم اود لو تفضل حداد افندي وقشع الضباب الملازم لحملاته
 لتقف على رأيه بوضوح

اما القرابة فهي صلة مفردة من عدة صلات، وهم يصورون الانسان كنقطة
 تتقاطع لديها اشكال هندسية. منها المربع والمثلث والدائرة وكل شكل من هذه
 الاشكال يدل على وجود صلة معينة. فهناك الصلة العائلية والوطنية والمهنية
 والمزاجية واللغوية والدينية الخ. فالفرد متصل تمام الاتصال بكل هذه الصلة
 وهي لا أكثر من روابط تحصر منافع الانسان الشخصية في دائرة مخصوصة.
 وهو يجبر على الانضمام الي من تجمعهم للدفاع عن كيان هذه الصلة. لان في
 ذلك تقع له. فعلى فرض اننا لانهتم بالقرابة ولا بالوطنية ولا بالدين، فاننا لا
 شك تجمع حول مراكز اخرى مثل التقارب الذهني او تمائل الامزجة او

اتحاد المصالح . فالتحزب امر لا بد منه ما دام الكون يحوى شيئاً اسمه نعم
 وآخر اسمه لا . وشيء يعد مفيداً في حين يوجد شيء يعد مضرأ . هذا في حين
 ان ما يفيد البعض يكون تنمعه على حساب الاخرين او بمعنى اخر ينتج لهم الاضرار
 هل يمكن ان توجد دنيا بلا فوارق ؟ هل المقصود من هذا ، الادعاء
 باننا كلنا على مستوي عقلي واحد وان امزجتنا متطابقة ورغباتنا متماثلة ؟
 اهل هذا امر ممكن تصوره ؟

اذن ما الذي يريد حداد افندي ان يقول باثارتة هذه العاصفة الفكرية ؟

ابو العينين



أفضع جرائم القرن التاسع عشر

(وقعت في يدنا هذه المجموعة التي تشمل على بيان واف
لتسع جرائم ارتكبت في أوروبا في القرن التاسع عشر
واعتبرت بحق أفضع جرائم ذلك القرن. قرأنا أن نلخصها
للقراء في قالب قصصى يعنى التفاصيل دون إطالة ولا تقصير
وقد نشرنا الأولى في العدد المماضي بعنوان « الواع
بالجريمة » وهذه هي الثانية :)

٢ - مزيف النقود (١)

جاس رئيس البوليس السرى . أو كما يسميه الألمان « القوميسير الجنائى »
كارل ويان غارقا في حجة عميقة من التفكير والتأمل في قاعة عمله القائمة بما
يتدفق على نوافذها من ستائر . كان جانسا يحرق الأرم أو كما يسميه اخواننا
الامريكيون بحس نفسه « صغيرا » من فرط عجزه عن إيجاد حل لما كان
يفكر فيه . ذلك انه وقد اتخذ ككشف عن غواض جنایات القتل والسرقة
وما فيها من جرائم مبهنة خاصة له . قد أدت به الحوادث الى الصراع مع جماعة
أى عصبة من المزورين صانعى اوراق النقود (البنكنوت) المزيفة ، وكانت
كفته في ذلك الصراع حتى تدت اللاحقة هي الكفة الخائبة

مضت تسعة شهور على تلك العصبة وهى نزاول عمالها في مهارة وحذق
وتدبير محكم دون أن يستطيع القوميسير الجنائى المخنك الاستدلال لأحد من
أفرادها على اثر . فكان يتخبط في ابحائه ذات اليمين وذات الشمال وأوراقهم

(١) قد لا تخلو جماعة هذه العصبة من فائدة لرجال البوليس واليهتمين بمتابعة أبحاث
الجنايئة على العموم (العرب)

المزيفة من ذات الخمسة ماركات تغمر أسواق برلين وضواحيها ، ففي السبعة
الشهور الاولى من عام ١٨٧٩ لم يكن يحصى يوم واحد دون ان تتلقى ادارة
الأمن العام (مولكناركت) في برلين ثلاثة بلاغات او اربعة عن العثور
على اوراق مزيفة ، ثم توقفت تلك البلاغات في الشهرين التاليين ، فلم يكن
توقعها هذا ليحمل القوميسير ويان على ان ينخدع ويعتقد ان عصابة المزيفين
قد توقفت نهائيا عن العمل وتركته إما عن خوف او لأن افرادها قد
امتلات جعبتهم وبلغوا حدا من الثراء لا يرغبون عليه من مزيد ، ولكن
القوميسير كان يعلم أنهم انما وقفوا اعمالهم مؤقتا قصد تقوية مراكزهم
وتدعيم عملهم ، أو ليصلحوا بعض العيوب التي بدت في بضائعهم وأولها
وأهمها اللون الازرق الذي كان يستعمل في التظليل حيث كان في الاوراق
الزائفة اكثر حلكة منه في الاوراق الاصلية ، وهذا على الرغم من أن
الاوراق المزيفة كانت متقنة الى مدى بعيد لا يستطيع تمييزها الا خبير ماهر
مدقق ، وهذا أيضا في ضوء شديد ، وقد استطاع مروجو هذه الاوراق
ان يتفادوا خطر اكتشافها بأمرين : الأول أنهم كانوا يختارون ضحاياهم
من بين فئة صغار التجار ، والثاني أنهم كانوا يتحينون لتوزيعها إما وقت
الضحى او قبيل الغروب بقليل او بعده في المتاجر التي كان الضوء فيها ضعيفا
ثم أضف الى ذلك أمرين آخرين : اولهما ان الاوراق المزيفة كانت من
فئة الخمسة الماركات (حوالى خمسة وعشرين قرشا مصريا) وهى قيمة ضئيلة
لا تدعو الى كبير غص وتأمل ، وثانيهما ان فئة الضحايا من جماعة صغار
التجار ومن اليهم لم تكن تتداول في عدد كثير من الاوراق الاصلية حتى
تستطيع التمييز بينها وبين الزائفة

ومع ان السلطات لم تنجح في القبض على فرد واحد من هذه العصابة
وهو متلبس بجريمته ، فإن القوميسير ويان لم يكن خالى الذهن بتاتا من
الاشتباه في شخص رئيس العصابة أي المزيف الأسمى ، على ان اشتباهه لم
يكن في الواقع قائما على أساس غير مجرد الظن والحدس ، فإنه لم يكن لديه
أقل دليل مادي ضد الرجل الذى يشبه فيه رغم ما كان يدعم هذا الاشتباه

من قرائن تنحصر في أن المشتبه فيه قد سبق أن حكم عليه مرات متعددة في جرائم مماثلة ، ولكنه من هذه الوجهة واحد من كثيرين من مجرمي هذا النوع المعروفين لإدارة الأمن العام في برلين ، وإن كان يختلف عنهم في مهنته حيث هو حفار نحاس ماهر ، متفوق على أقرانه بمراحل عدة ، وكان البوليس السري يتتبع خطواته أينما سار ، ولكنه استطاع أكثر من مرة تضليل مراقبيه والافلات من رقابتهم والاختفاء عن انظارهم مدداً تختلف طولا وقصرا كيفما شاء وأنى ما أراد

كان « لومينتز » — وهو اسم ذلك الرجل المشتبه في أنه المزيف الأصلي — يناهز الستين من العمر ، قضى خمسا وعشرين سنة منها في سجون مختلفة في جرائم تزيف اوراق العملة ، وحدث مرة وهو يقضى المدة المحكوم عليه بها في احد السجون أن وضع خريطة حربية مخفورة بمنتهى الدقة وقدمها للسلطات الحربية العليا مع مقياس دقيق لمدفعية تبين نوزارة الحربية البروسية تقعها العظيم فأجازته عليهما — وهو سجين — بمكافأة تسعة جنيهات ، وببجالة فقد كان لومينتز احد اولئك المجرمين الذين يجهد الروائيون انفسهم لاختراع شخصية مثل شخصيته فيصورون ما هو أقل منها خوف اتهامهم بالمغالاة وعدم تصديق قرائنهم لهم فيما يخترعون

ظل لومينتز ستة أشهر تحت رقابة صارمة من أعوان القوميسير ويان الذي — رغم اعتقاده الجازم باشتراك لومينتز في حوادث التزيف الأخيرة — لم يشأ أن يشعره باشتباهه فيه لأسباب كثيرة : فأولا وقبل كل شيء كان ويان يريد أن يصحب قبضه على لومينتز حصوله على جميع أدوات التزيف وآلاته ومواده ، ومما لا يحتاج الى بيان أو تدليل أن الادوات والآلات والمواد لا يمكن أن تكون موجودة في أحد المسكنين اللذين أقام فيهما لومينتز في المدة من يناير الى يونيو سنة ١٨٧٩ ، والسبب هو أنه لا ريب في أن العصابة تتألف من أشخاص عديدين ، ولا مشاحة كذلك أن

لها نظاماً محكماً يتقذ بمهارة فائقة ودقة مشهودة ، ومع ذلك فإنه لم يعرف
عن لومنيتر أنه يجتمع مع أحد سواء في داخل منزله أو خارجه كل مدة
رقابته في الستة الأشهر المشار إليها ، بل لم يعلم عنه أنه تكلم - مجرد كلام !! -
مع أحد ممن يمكن أن يكون موضع شبهة لدى البوليس من أى وجه من
الوجود ، بل أن الذي كان معروفاً للبوليس عن لومنيتر هو أنه كان يعيش
في عزلة هادئة ، يبرئ أسبابها له ولداه وهما من أصحاب المراكز الاجتماعية
المعروفة ، ويتمتعان بثقة واحترام عارفيهما .

ورغماً عن كل هذا فقد كان القوميسير ويان مصراً على رأيه من وجود
لومنيتر على رأس تلك العصابة !!

وبينا هو يضرب أخماساً لاسداس اذ يختفى لومنيتر ولا يعثر
له على أثر

مضت ثلاثة شهور على اختفائه ولما استدل له على أثر ، وكان أعوان
القوميسير ومستاعدوه قد قلبوا برلين رأساً على عقب خلال تلك المدة أكثر
من مرة ، وفتشوا ضواحيها بيتاً بيتاً .

وفي نفس هذا الوقت حدث انقطاع ظهور الاوراق المزيفة ، ولكنى
قد أخبرتك من قبل بما ارتآه « ويان » عن هذا الانتطاع ، فقلت لك
أنه لم يخدع نفسه ويحميها على اعتقاد أن المزييفين قد عدلوا نهائياً عن عملهم
رهبة من نتائج ، أو رغبة عنه بعد امتلاء بطونهم ، وعلى ذلك كان اتفاق
عدم ظهور لومنيتر في تلك المدة مع عدم ظهور الاوراق الزائفة دليلاً قوياً
يدعم نظرية « ويان » في رأيه على الأقل

على أن النشل الذي لازمه كل تلك المدة في تحرياته حرى بأن يدخل
اليأس الى قلبه ، ولو حيناً بعد حين ، حتى أن رأيه قد استقر أخيراً على أنه
ان يسعدده الحظ بصدقة حسنة فان كل اتعابه لا بد ذاهبة أدراج الرياح

قلت لك أن القوميسير ويان كان جالساً يفكر ، فهذا كان بعد

ظهر أحد أيام شهر أكتوبر ، وكان هذا أيضاً في دار إدارة الأمن العام في برلين (وهي تقابل حكمادارية البوليس عندنا) ، وهي عبارة عن أظلم بناية شادها فنان مظلم !! تتألف من عدة طرقات طويلة ، ذات أسقف كثيفة وجدران معتمة ، وغرفها لا يكاد مصباح الغاز يطفأ فيها إلا ليعبأ ، وأرضها من الأسفلت العاري عن غطاء حتى من تيل أو خشب إلا بقدر موطىء القدم من المكاتب ، وهذه الخلكة وتوابعها هي التي طالما أذهبت آمال زوار إدارة الأمن العام ، حتى اذا كانوا من الأبرياء دفعتهم تلك الظواهر الى فقدان الأمل بالخروج أحياء ، بل أنهم اذا خرجوا أحياء فانهم لا بد مجنونون

وأنكى هذه الأمكنة جميعاً هي غرف التحقيقات الجنائية ، التي كان جالساً في احداها القوميسير ويان يندب فشله

وكان في تلك اللحظة « نوبتجيا » ، يحضر الى المكتب من الساعة الثانية بعد الظهر ويبقى فيه الى ظهر اليوم التالي ، وينظر خلال تلك المدة في جميع الحوادث التي تتصل بالأمن العام ، مطلق الحرية في تصريحها على الوجه الذي يراه

نستمح القاريء لحظة نشرح له فيها نظام العمل في « حكمادارية » بوليس برلين حتى يكون على بينة من سير التحقيقات في الحوادث الجنائية ، فنقول ان رئيس فرقة البوليس السرى في برلين حاصل على سلطة اوسع نطاقاً مما هي في جميع الممالك والبلدان ، هو قاض يحكم على المتهمين بقدر ماهو محقق وضابط مباحث ، وفضلاً عن أنه يحقق مع من يتقدم اليه من المتهمين دون أن يحذرهم من ان مايقولونه امامه قد يؤخذ حجة عليهم ويعتبر اعترافاً قضائياً منهم فإنه ينصب من الجبائل للحصول على هذه الاعترافات مالا تبيحه كثير من قوانين تحقيق الجنايات في البلاد الأخرى

وفي برلين ثلاثون قوميسيرا مثل ويان ، يتناوبون العمل في إدارة الأمن العام كل واحد منهم يوماً في الشهر ، ولا يمنع أن يكون أحدهم نوبتجياً ان يكون في الإدارة اكثر من واحد منهم دائماً ، بل أنهم جميعهم قد لا ينقطعون عن

الحضور الاقايلا، وفي الواقع فهم لا ينقطعون الا حيث يكونون في أثر مجرم أو خارق للقانون أو خارج عليه ، وتجد الذين يترددون منهم على ادارة الأمن العام اثناء فراغهم من النوبة تجية وعدم وجود من يلاحقونه من المجرمين تجدهم يعملون على دراسة المجرمين من المحكوم عليهم أو المقبوض عليهم ، لاسيما اولئك الذين يتعدد ارتكابهم لجريمة واحدة ، ويحكم عليهم بسببها اكثر من مرة بمقوبات فلا يزدجرون -

وستري في سير البحث عن المزيين في هذه القضية والتحقيقات التي يقوم بها القوميسير ورجال ادارة الأمن العام طرفا من العمل المباح لهذه الفئة من حفظة الأمن في برلين



قطع على القوميسير حبل تفكيره بدخول ضابط يحمل كومة من الأوراق الخاصة بفئة من المقبوض عليهم في ذلك اليوم من جميع احياء برلين، وقد تلقى الأوراق من الضابط وهو لما يفتق بمد تماماً من لجة تفكيره في عصاة التزييف وأخذ يقلب « المحاضر » فقرأ حوالى نصفها فإذا هي من الحوادث العادية التي يختص بالتصرف فيها من هم دونه ويكفى توقيع منه « بالأطلاع » عليها لتسير سيرها الرادى

وخافة قفز وياز من مقعده ، واعاد قراءة « المحضر » الذي استشاره . وكان هذا نصه .

« يوليوس بارت ، عمره ٢٢ سنة ، بناء ، قبض عليه واحضر الى نقطة بوليس « مجدبرج » لمحاولته صرف ورقة بنكنوت من ذات الخمسة ماركات . زائفة . وما يؤيد احتمال كونه عالما بتزييفها انه حاول الفرار تاركا النقود وراءه . عندما رأى العامل فى محل التجارة الذى قدمت اليه الورقة يفحصها بدقة ، فلاحقه البوليس والتى القبض عليه واحضره الى انا محقه (التوقيع ج . تيمر - ضابط بوليس مجدبرج)

ويؤخذ من التحقيق الذى قابله ضابط البوليس ان المتهم انكر علمه .

بالتزييف بتاتا ، وزعم أنه تاقى الورقة الزائفة من صراف حديقة الحيوانات
الذي « صرف » له « قطعة ذهبية بمشرين ماركا

يسمح لنا القارئ مرة ثانية بخروج عن موضوع القصة ، ذلك أن
هذه الحادثة لو كانت وقعت عندنا نحن في بوليس القاهرة مثلا ، فإن المتهم كان يحجز
في القسم الى الصباح ، ثم تعرض على الأمور ، فأما ان يحضر المتهم أمامه او يحيله على
ضابط من مرؤوسيه ، وحتى اذا عرضت على النيابة فالثابت المؤكد انها ما كانت
تصادف من العناية أن يسار فيها بالتحقيق إلا على سنن مواعيد العمل ،
ولا تكاد تمضي بضع ساعات حتى يذاع الخبر في الصحف ويصل الى آذان
زعماء العصابة فيأخذون حيطتهم . وما ذلك إلا لأنه ليس عندنا ، ولا في
كثير من الممالك الأخرى ، موظفين لهم من السلطة مثما للقوميسير ويان —
لا أرمى بهذا الى النقد . وإنما أنا أقرر الحقيقة الواقعة



وفي الحال أمر القوميسير بأحضار يوليوس بارت أمامه ، وما كاد يلقي عليه نظرة
فاحصة حتى تبين له انه حديث عهد بالأجرام ، وقد كان بارت مرتديا ملابس
عادية ، نظيفة ولكنها تدل على انه من الطبقة الفقيرة . فأدرك ويان انه
لن يصادف صعوبة تذكر مع هذا المجرم الحديث ، ولم تمض برهة قصيرة
حتى جعله يقر له بالحقيقة . فأذا هو قد مضى عليه وقت طويل دون عمل ،
واثناء بحثه عن عمل يتعيش منه . تعرف بزميل له تقاش ، فجعلا يجوبان
الأرض سويا باحثين عن عمل ، ومضت عليهما بضعة اسابيع رأيا شبح
الموت جوعا خلالها مرات متعددة . ويوما شاهد بارت صديقه « مولر »
يبتسم على غير عادته . ثم دعاه الى تناول العشاء وسقاه كأسا من خمر جيدة
أنعشته قليلا . وبالجملة كان « مولر » كأنه وقع على كنز أو ميراث . فسأله
صاحبه وهو يحاوره . « من أين لك هذه الفلوس أيها الصديق ؟ » فلم تكن
من الصديق المحاولة (بسيطة) لم يلبث بعدها ان اعترف لصديقه انه اضطر لاحتراف
تصريف الورق النقدي الزائف . وقال لصديقه انه يحصل على البنكنوت

المزيف من شخص لا يعرف عنه حتى اسمه أو محل اقامته ، وإنما هو يقابله في ساعات معينة ، وجهات وأيام معينة كذلك .
واعترف بارت كذلك على والد صديقه مولر وعلى صاحب المنزل الذي يقيم فيه وقال :

« ولكننا اضطررنا لايقاف العمل منذ عدة شهور لأنه ظهر ان أحد الالوان كان أشد قتامة من اللون الاصلي »
وختم بارت اعترافه بقوله « وذلك الرجل الغريب الذي كنا تلتقي منه الورق لم يكن يحصل عليه من المزيفين الأصليين رأساً . وإنما كان هناك وسيط آخر »

يفحص هذه الأقوال تبين لويان أن حدسه قد صدق في أمرين :
(الاول) أنه حسب - على ما عرف القارىء - أن توقف صدور الورق المزيف كان فقط للعمل على اتحاق المزيف ، (والثاني) أن التاريخ الذي قرر بارت أنه اوقف ابتداء منه صدور الورق المزيف ينطبق تماماً على التاريخ الذي ذكر فيه مراقبو «لومينير» انه اختفى فجأة عن الانظار ولم يعثر له علي أثر ...!!
إذن فهذا دليل قوى - يرتكز عليه ويان على الأقل في تعزيز نظريته عن اشتباهه في لومينير واشتغاله في مدة اختفائه باتقان المزيف

وحيث عرض ويان الامر على مدير إدارة الأمن العام في برلين كما تقتضى التقاليد التي هي بمثابة القانون ، وأقره هذا على مواصلة أبحاثه واتخاذ ما يراه من الاجراءات لاكتشاف رموس العصابة ، لاسيما المزيف الاصلي ، وحثه على أن يولى أبحاثه في دبي السكتان . لم ير ويان بدا من القبض على مولر وأبيه لانه إن لم يفعل هذا فعليه قاضى التحقيق (وهو يقابل النيابة عندنا) وفضلا عن ذلك فإن القبض على هذين الشخصين لن يعرف عند رؤساء العصابة وكل ما في الامر أن الوسيط الذي كان يمد مولر بالنقود الزائفة عندما يتفقد فلا يجدد لا يسمى الظن لاول وهلة بل قد يحسبه وجد عملاً ففضل عدم الاستمرار للتعرض لخطر تصريف النقود الزائفة ، أضف الى هذا أن القبض على مولر قد يؤدي الى القبض على الوسيط ، فوسيط الوسيط ، فالمزيف الأكبر ...!!

ولكن سرعان ما خاب هذا الامل عقب القبض علي المولدين !!...
 صحيح ان انكارهما للجريمة وزعمهما بأن اعتراف بارت عليها إنما هو محض
 اختراع وكذب عليهما لم يدم طويلا حتى اعترفاها الآخران . ووصف مول
 (الابن) الرجل الغريب الذي كان يمدده بالنقود المزيفة . فقال انه « يظاهر
 الاربعين من العمر ، معتدل القامة ، متناسق الاعضاء . لا هو بالطويل ولا
 بالقصير ، ولا بدنة ولا هزيلا . وخط الشيب شعر رأسه وشاربه » ...
 ولكن هذه الاوصاف تنطبق على بضعة آلاف من سكان العاصمة الألمانية....
 فلم يكن امام ويان خيط آخر يمسكه من طرفه الا البيان الذي جاء على لسان
 مول في التحقيق عن المكان الذي كان يقابل فيه ذلك الوسيط . والطريق
 التي اعتاد القدوم منها اليه

أحضر القوميسير ويان جماعة من اعوانه ومساعديه وألقى اليهم بوصف
 الوسيط . ومكان المناقاة . ووقتها . والطريق التي يحضر منها . وأمرهم
 بالحذر والكتمان وعدم إزعاج الوسيط في حالة العثور عليه . فلم تمض بضعة
 أيام حتى عاد أحد أعوان ويان اليه . يقول له ان احدي العجائز « الراويات »
 اخبرته ان هذه الاوصاف تنطبق على شخص يقيم في تلك الناحية يدعى
 « كومان » ولكنها لا تعرف ماذا يشغل . . . وبالرجوع الى دوائر الاجرام
 وسجلات المجرمين عرف ويان أن كومان هذا زبون من زبائن السجون
 وقد حكم عليه عدة مرات في جرائم نصب وأفلاس بالتدليس . وهكذا لم
 يكن كومان من المجرمين الحديثي العهد بالأجرام . وعلى ذلك يجب ان تجرى
 الرقابة عليه بحذر شديد

ورغما من ذلك فقد كان ويان يعتقد تمام الاعتقاد أنه لم يعرف جزءاً
 واحداً من عشرة أجزاء عن هذه العصابة . فقرر القيام بنفسه وبمساعدة اثنين
 من أمهر أعوانه بمراقبة كومان . فتخفوا ثلاثتهم في هيئة أشرار من الفئة
 المتسكعة ، وأمعنوا في هذا التخفي الى حد ان ضلوا البوليس الراكب . فكان

يطاردونهم وهم يفرون أمامه في حذق الاشقياء المعتادي. الأجرام : وجعلوا يلقون بأنفسهم في طريق كومان ويتابعونه ويلحقونه أنى سار وحيثما وجدوا ولكنهم لم يفوزوا منه بطائل إما لأن القبض على مولر قد أثار شكوكه فجعله يقف موقف الحذر ، وإما أن يكون وياض قد أخطأ في أبحاثه واستنتاجاته ولم يكن كومان هو الشخص الذي وصفه له مولر كأن يكون مشابهاً له. وهذا محتمل جداً الاحتمال ، وحينئذ بدأ وياض يسأل نفسه عما إذا كان قد أخطأ في لقائه القبض على شركاء بارت بمثل تلك السرعة الفائقة قبل أن يعرف الوسيط — أو وسيط الوسيط على الأصح — الذى كان يمد لهم بالاوراق الزائفة

ولكن أمراً واحداً هو الذى كان باقياً لاستثارة الشك في كومان: ذلك أنه كان لا يعمل أى لا يشتغل في حرفة أو مهنة ظاهرة يتكسب منها . وهو لم يكن من أهل اليسار والثروة . ومع ذلك فقد كان مظهره يدل على أنه فى سعة من العيش ...

وقد استغرقت أبحاث وياض ومساعديه أسبوعاً كاملاً، ولم تتقدم القضية خطوة واحدة الى الأمام ... فلم يجد القوم يسير بدا من تغيير الخطة التى رسمها لأبحاثه . واستقر رأيه على أن يخطو خطوة جريئة . وهى خطوة جريئة حقاً تلك التى يتقدم فيها رجل البوليس السرى — مهياً كمان ماهرأ فى التخفى — على أن يتصل بشخصه مع المجرم أو المشتبه فيه . لا ياجأ اليها إلا فى الاحوال التى يبدأ اليأس بنخيم على المباحث الأخرى، وقد عهد القوم يسير بهذه المهمة الى رجل من أقدر رجاله ممن يشار اليهم بالبنان فى مهنة البوليس السرى تخلص اسمه فى سجلات بوليس المانيا، ذلك هو الضابط « فيلدو »

قبيل الغروب فى أحد الأيام بعد ثلاثة أيام أو أربعة من الحوادث المتقدمة دخل شاب طويل القامة ممتلىء الجسم تدل هيئته على أنه سباك — دخل الى حانة من أشهر حانات اللصوص وقطاع الطرق فى حي كونيغز ناد ، وهذه الحانة عبارة عن قاعة فسيحة صفت فى أنحائها عدة موائد على نحو ما ترى فى

بعض الخانات التي تؤمها الطبقة الدنيا في القاهرة . بل هي أقرب الى طراز
خانات الريف القريبة من محطات السكة الحديد ومنازل الموظفين لأنه كان
في وسطها طاولة للمعب البلياردو أكل عليها الدهر وشرب . وفي زاوية منها
موضوع بيانو لا يتميز له لون من فرط قدمه ، والمقاعد جميعها خشبية
وبعضها فاقد جزءاً أو أجزاء متعددة حتي ليحسب علي السليم ما كان ذا ثلاثة
أرجل منها . وهي بالجملة قد كانت حانة حقيرة . وكان في آخرها باب تظهر منه
غرفة صغيرة مهجورة غير ذات أثاث

وما كاد هذا الشاب يخفى عتبة الخانة حتى توقف الثمانية زبائن الموجودون
بها عن مواصلة حديثهم كما أنما يفعل السحر . . . وجعل الاربعة منهم الذين
كانوا يلعبون البلياردو ويسندون في لعبتهم فيما يشبه الصمت المطبق ، بينما كان
الاربعة الآخرون الجالسون الى طاولة — وهم عبارة عن رجل قارب
نهاية الخلقة الخامسة من عمره أو تخطاها بقليل . وفناء مظهرها أكبر من
مخبرها ورجلان متوسطي العمر . مهذلا الملباس — كانوا قد خفت صوتهم الى
مادوناهم

ولم يظهر علي « السبائك » أنه أعار ذلك السكوت الفجائي ، أبة التفانة .
بل بالعكس تبين أنه لم يلاحظه . . . وقد جعل ينفض الوحل من نعليه من
أثر الامطار . وكذلك ينفض ملابسه . ثم وضع حزمة « العدد » التي معه
فوق أقرب طاولة الى الباب وجلس عليها . . . وطاب كأس نهر من وطية المانية
تسمي « نورد هوزر شنايس » .. على أنه لم يطاها بهذا الاسم الارستوقراطي .
بل طابها باسمها الهندى الوطنى (البلدى) نورد نخت . . . ولو كان فعل غير ذلك
لأظهر نفسه أنه من غير أهل الطبقة التي تدل عليها ثيابه وهيئته . . . وبالرغم
من هذا الذي ظهر به . . . والدليل الذي قدمه علي أنه من عامة الشعب . . .
الصناع البسطاء . . . فان الشعور الذي أثاره دخوله على تلك الجماعة لم يفارقهم في
مثل السرعة التي لا يسهم بها . . . واستمروا يتبادلون الاشارات والغمزات
والاستفهامات . . . بيد أن النتيجة النهائية لاختبارهم هذا الفتى الغريب

كانت في مصلحته ، حيث حكموا له بما أراد أن يظهر به من بساطة ... بذلك علي ذلك استثنافهم لحديثهم الذي قطعوه عند دخوله ... في ظلمة نيتة وارتياح . ذلك أنهم قد استقر رأيهم على أنه رجل « عامل » ، لا شأن له بالتعرض لشئون الناس ... ولم يدفعه إلى حائهم الا قسوة الطقس ... فلم يعودوا هم إلا آخرون يحذرون منه الا كما يحذرون من الرجل العادي الغريب عنهم

وقد تأيد اطمئنانهم هذا بدخول أحد رفاقهم عليهم بعد وصول الفتى الغريب بعشر دقائق ، والذي ما كاد يدخل حتى استقبلوه بالترحيب والاعتباط . ولو أن القوم ما زالوا على سوء ظنهم بالسباك فخدجوه بنظرة فاحصة في تلك اللحظة لرأوا آثار الانشراح والسرور تضيء وجهه لوصول رفيقهم الجديد فان هذا القادم — الذي كانوا ينادونه « الفارس وليم » — لم يكن سوى « كومان » وبعد قليل من دخوله ظهر السبب في اغتباط رفاقه لمقدمه فقد كان محبوباً لديهم لكرمه الحائمي !!! فخانه ما كاد يحتويه فتعمده حتى طلب « دورا » لأخوانه . . . كل مما يشرب . . . وجعل يحادثهم في بديهة حاضرة ونكتة رائعة ، وهم يتلقون أقاصيصه المسلية في قهقهة عالية تم عن سرور غير معضع . . . كل هذا والسباك يقلب « عدده » بين يديه الفينة بعد الفينة . . . شأن من لا يعرف كيف يقتل وقته

كانت الامطار تهطل في ذلك اليوم سيلا مدرارا ، ولكنها كانت في اللحظة التي تجري فيها الحوادث التي ذكرنا قد أخذت تسكن . . . وكانت كأس السباك قد مضى عليها فارغة اكثر من ربع ساعة ، أليس محتملا أنه لم يكن معه ثمن كأس أخرى ؟ وكانت أنظاره لا تكاد تفارق الطاولة الاخرى حيث كان الاخوان الخمسة مستمرين في الشراب بلا انقطاع . . . فما أن لاحظ « الفارس وليم » ذلك حتى هب من مقعده وتوجه نحو السباك وقال له في صوت العامل الصديق :

— لقد أنسا بك يا فني . . . املك بخير ؟

فرك السباك إحدى أذنيه بيده وقال لصاحبه فيما يحاوره أن « الشغل »
 ليس على ما يرام . . . وانه — أى السباك — سوف « يشطب » عمله في
 الغد ، ولا يدري ماذا يكون بعد . . . فأما لو استمر الطقس الرديء على ما
 هو عليه فإنه لا يأمل أن يجد عملاً لزمه عمله عند علام الغيوب ، وختم
 السباك كلامه بقوله « ومعنى هذا ان أيام العطل السوداء ستعود . . .
 وسبحان المدير . . . »

فكان جواب « كومان » على ذلك أن حماق في السباك بضع ثوان لم ير عليه
 خلاطاً الا آثار الألم الذى يستحوذ على المرء في ساعات اليأس القاتلة . . .
 وفي تودة أخرج السباك ثمن الكأس التى شربها وانتصب واقفا ليذهب . . .
 وحينئذ دعا كومان لشرب نخب تمار فيها . . . معرباً له عن أحسن تمنياته
 فى أن يجد شغلاً حسناً . . . وحين أصبحت إحدى قدمى السباك خارج
 الحانة وما زالت الثانية داخلها صاح به كومان ان لا ينقطع عن زيارته . . .
 فقد يستطيع أن يجد له عملاً يساعده فى معيشته . . . فشكره السباك ومضى
 اتقفت خمسة عشر يوماً وسواك ما يزال قبيل غروب شمس كل
 يوم منها يعتقد مكانه من الطاولة المجاورة لباب الحانة ، وفى كل مرة كان
 يجالسه كومان . . . والظاهر أنه أحبه وأعجبه ما كان يرى غايه من غلام
 البسامة حيث كان الفتى لا يفتأ يتعش تاريخ حياته وما صادفه فيها من حواف
 على كومان . بينما كان هذا بحسب على ذلك السرد البسيط العرى . بتلك
 الأحوال المخفوفة . مثل « هكذا حال الدنيا » و « الذى على الدنيا يقاسى
 همها » و « الحياة كفاح » الى غير ذلك من الالفاظ التى لاتسمن ولا تغنى من
 جوع . . . على أنه — أى كومان — كان يقبل على دراسة الفتى السباك
 دراسة عميقة من خلال كلامه حتى يثق من أنه امام عامل « بسيط » حقيقية
 وليس امام مخادع !!

وكان السباك يبدو مثقلاً بالهموم يوماً عن يوم . . . ولم يخف على
 صديقه الجديد أن أثاث منزله أخذ يتلاشى شيئاً فشيئاً في سبيل علاج زوجه

المريضة وأولاده الأربعة الصغار . . . فكان « كومان » يتظاهر بالتأثر العميق ويتناول السباك حيناً بعد حين خمسة قروش أو ما نحو ذلك مشدداً في عزيمته . . . وذات مساء بينما كان السباك علي وشك الرحيل من الحانة عرض عليه « كومان » أن يرافقه في الطريق قليلاً حيث كانت طريقتهما متحدة في مبدئها . . . وما كادا يخطوان خطوات خارج الحانة حتى سلب « كومان » على رفيقه بطارياته . . . فسأله في صراحة تامة عما اذا كانت له « سوابق » مطلقة ؟ فغمغم السباك بين فكيه بنزع كلمات غير واضحة . . . وحينئذ أعاد عليه « كومان » القول مبتسماً بأنه ليست به حاجة لأن يخفي شيئاً عليه . . . وليس في وجود السوابق لاي شخص كان ما يخط من قدره !! وأنه هو نفسه — أي كومان — قد قضى أكثر من « مدة » بعيداً عن الحرية . . . فشجع هذا الكلام السباك علي الاعتراف بجرائره . فصرح لرفيقه انه قضى مدين في السجن . الاولى خمسة عشر يوماً . والثانية ثلاثة شهور . وكانت إحدى الجريمتين اللتين حكم عليه من أجابتهما أنه تفاض عن سرقة ثمر من زملائه بعض الأدوات من « عمارة » كان يشتغل فيها . والجريمة الثانية من هذا القبيل . . . فضحك كومان للمرة الثانية وسأل السباك عما اذا كان ذلك كل ما في الامر . . . ولم يلبث ان قال له في معرض الاقتراح ان لديه عملاً له يعود عليه بربح زوج ثيلر (١) في اليوم . . . « ثيلران في اليوم !! » صاح العامل المسكين فغراً فاد . . . « ثيلران في اليوم !! كيف يمكنني الحصول على هذا المبلغ ؟ ؟ اني مستعد لتضحية كل شيء . . . اشتغل ليل نهار لا آكل ولا أمل كما تأمرني . . . أجابه كومان انه ليست به حاجة للاشتغال ليل نهار . بل أنه لن يكده مطلقاً للحصول على هذا المبلغ . ثم أخرج كومان من جيبه ورقة نقد من ذات الخمسة الماركات وشرع يشرح له « كيفية الاستعمال » . . . ولم تمنح برهة وجيزة حتي كانا قد اتفقا علي العمل « . ثم افترقا علي أن يلتقيا في مساء اليوم التالي في الحانة المعهودة

(١) الثيلر . هو الريال الألماني ويساوي ١٥ قرشاً مصرياً (ثلثاً)

وبعد ثلاث ساعات من تلك اللحظة كان « فيلدو » ما زال بثياب العامل واقفاً لدى « ويان » في منزله يقص عليه تفاصيل ما دار بينه وبين « كومان » ليس شك في أنه لم يبق على ويان إلا أن يشدد الرقابة على كومان بينما يستمر فيلدو على القيام بدور السباك ، وأن يزعم هذا بدور أنه نجح في تصريف « البضاعة » ويعود الى « المحسن » اليه بثمنها

وبعد ثمانى وأربعين ساعة على دخول فيلدو فى عصابة كومان استطاع ذلك الضابط القدير أن يبلغ رؤساءه انه على موعد لمقابلة الزعيم الاكبر لتلك العصابة فى مساء اليوم التالى

وفى الموعد المحدد ذهب ويان يصحبه أحد ضباط المباحث ممن يصح وصفه بأنه أكثر خبرة وحذكة من فيلدو . وتعباً « الموزع الاكبر » للاوراق الزائفة الى مقر سكنه دون أن يسعدا بمعرفة اسمه ... على أنه لم يمض وقت طويل حتى علم ويان أنه انما ينازل شقيقاً عاتياً ، وأن ذلك الموزع الاكبر لم يكن سوى « هوبرت سبنجبرج »

ثبت لويان انه سيجد فى سبانجبرج خصماً غنيذا لا يستهان بقوته . وكانت آخر جريمة ارتكبها سبانجبرج يرجع تاريخها الى تسع سنوات خلت . أى قبل التجاق ويان بقوة البوليس السري . وقد قضى سبع سنوات من هذه السنين التسع فى سجن سباندو رفيقاً للمومنيتر ولو أنهما لم يكونا محكوماً عليهما فى جريمة واحدة

وكان سبانجبرج فى هذا الوقت يعيش مع زوج اخته الذي كان خبازاً فيما مضى من الأيام وجعل فى آخريات ايامه التى نحن بصدد منها يدير محلاً للقهوة يؤمه الخبازون من جميع أنحاء العاصمة الألمانية

لبث « ويرنر » يراقب سبانجبرج اسابيع عدة ، وكان يتعقب خطواته جميعاً خطوة خطوة متخفياً فى كل خطوة منها بزى مختلف عن سابقها . . . ذلك ان ويرنر هذا كان ماهراً فى التخفى لدرجة انه مازال يضرب بتخفيه المثل حتى هذه اللحظة فى بوليس برلين ، وأخيراً استقر رأى ويرنر على أن الاوراق

التي كان سبامجنبرج يوزعها على الوسطاء كانت تصل اليه على أيدي رسل بواسطة إحدى المنازل العديدة التي كان يزورها

ولكن شهر نوفمبر اتقضى بأسره وتلته بضعة أيام من شهر ديسمبر وويرنر لما يصل الى سحابة تقوده الى واحد من اولئك الرسل ، على أنه تبين له من البحث والاستقصاء ان سبامجنبرج كان يعيل كثيراً إلى الجنس اللطيف ، وإلى جانب هذا كانت غالبية النساء اللاتي يزورهن من الطبقات الراقية في الهيئة الاجتماعية . ولا يمكن أن يشك احد في اتصالهن بأعمال تزيف النقود وما إليها من جرائم هن في غنى عنها وكانت أقربهن اليه وأحبهن عنده — بدليل اكثاره من زيارتها — فتاة حديثة السن تقيم مع أمها في المنزل ويدبر شئونهما معا أحد كبار صيارفة برلين المعروفين ويلة أطال وويرنر رقابته على المنزل الذي تقيم فيه هذه الفتاة مع أمها اثناء زيارة سبامجنبرج ، وهو منزل من تلك المنازل التي تجري العرف بتسميتها « عمارات » لكثرة ما احتوته من مساكن لعائلات متعددة ، وبالرغم من ذلك فإنه لم يدخل أحد في « العمارات » تلك الليلة الا امرأة واحدة عادت فخرجت منها بعد نصف ساعة من دخولها وتابع وويرنر تحرياته فلم يميز منها بدليل أو شبه دليل على اشتراك الفتاة أو أمها في عصابة التزيف بأي وجه من الوجوه بل أن الخطابات التي كانت ترد لسبامجنبرج لم تقلت من رقابة وويرنر ومع ذلك فقد ثبت له أن هذه الخطابات جميعها كانت نسائية

وانتصف ديسمبر ولما يعثر للومنيتر على أثر حتى أولاده ما كانوا يعرفون عنه شيئاً فهل ابتلعت الأرض ؟ أو صعد الى السماء ؟! فعادت ويان شكوكه القديمة في خطئه في توجيه التهمة — أو الاشتباه على الاصح — نحو لومنيتر ولكن كان توافق تاريخ اختفائه مع تاريخ اختفاء الاوراق الزائفة ما يزال قائماً قرينة قوية ضده وتنفس صبح اليوم

اليوم العشرين من ديسمبر عام ١٨٧٩ عن ويان جالس في غرفته التي وصفنا
في مبدأ هذه القصة يفكر ويفكر فيما نحن بصدد... وبينما هو في لجته
أرسل في طلب السجل الخاص بجرائم لومنيتر... فعاد اليه الرسول بعد
برهة قائلًا ان قوميسيرا آخر قد بث في طاب السجل قبله وأعطى له...
فانتفض ويان في مقعده وكأنما صعد لهذا الخبر

قليلا من التفكير

ان اشتغال عدة أشخاص بمسألة واحدة دون اتعال بينهم
حقيق بان يفسد الغاية التي يقصدون اليها بانتهاج كل واحد منهم طريقا
لابد ان تتعارض في عطفة منها مع الطريق التي يسير فيها الآخر.. وفي كلمة
« رئيسان في السفينة يفرقانها »... وفضلا عما هو معلوم لدي القاريء من
أن ويان كان يعتبر « الرجل » الذي يجب ان يتم اكتشاف أمر عصابة التزييف
على يديه ، فان أية خطوة خاطئة قد يتخذها قوميسير غيره من المهتمين بهذه
القضية قد تنبه الطائر فيفلت من الفخ الذي يجب أن يجري نصبه له بأحكام..
فلم يكن بد إذن من وقف مثل تلك الخطوة بأية وسيلة ، وعلى ذلك قرر
ويان الالتجاء الى عمل حاسم... واستقر رأيه على القبض على كومان وسبا
نخبرج في التو والساعة... فاستدعى اليه ويرنر وعهد اليه بالمهمة الخاصة
بالاول بينما يقوم هو باصطياد الثاني... وتم ذلك

على ان تفتيش منزل سبانجنبرج لم يسفر عن العثور على ورقة واحدة من
الاوراق الزائفة ، وكل ما وجد مما يمكن ان يؤيد الاشتباه فيه زجاجة حبر
طبع ازرق ، وبالطبع قد انكر سبانجنبرج التهمة المعزوة اليه انكارا باتنا، ونفى
معرفته بلومنيتر تقياً قاطعاً ، ثم عاد فاعترف انه يتذكر شخصاً بهذا الاسم
عند ما ووجه بسجلات سجن « سباندو »

ورأى ويان انه اذا لم يتم له القبض على لومنيتر في نفس ذلك اليوم فإنه
لابد قار من وجه العدالة ويوكل أمره إلى مجرد الصدفة

ولما كانت منازل كومان وسبانجنبرج وغيرهم من المقبوض عليهم

من تلك العصابة تقع جميعها في الحي الشمالى فى برلين ، فقد استقر رأيه على البحث عن لومينتز فى تلك المنطقة .

فى الساعة السابعة من مساء ذلك اليوم ذهب ويان فى فرقة من عشرين رجلاً من رجال البوليس السرى وقسمهم إلى عشرة أزواج ، وعهد إلى كل زوج منهم بالبحث والتنقيب فى جميع المساكن فى شارع معين .

ودقت الساعة العاشرة دون أن تكمل هذه الابحاث بالنجاح ، ولم يبق أمام ويان وويرنر إلا بضعة منازل فى شارع روجنر ، ثم انتصفت الساعة الحادية عشرة وهما صاعدان درج منزل متاقلان من فرط الأعياء وسألا بوابة المنزل عن شخص بالوصاف التى يعرفانها فأجابتهن بالنفى . . . ولكن ابنتها قفزت من مكانها فقاطعت أمها قائلة « لا بد أنهما يسألان عن الهروندت يأماد . . . نعم أيها السادة . . . إن الهروندت يسكن الشقة الخنثى فى الدور الرابع . . . » فلم ينتظرا حتى تم الفتاة كلامها وكأنما قد جدد كلامها قوتيهما المفقودان فجعلوا يقفزان الدرج مثلثا ورباعا حتى وصلا إلى الدور الرابع . فنقر ويان الباب فى لهفة وأعاد النقر ثانية قبل أن يسمع صوت وقع اقدام من الداخل ، ثم اجابه صوت ناعم سائلا : « من الطارق ؟ » فأجاب « هياهيا . . . افتحوا عاجلا بحق السماء !! »

وما كاد الباب يفتح حتى كانت الرواية قد تمت فصولا ، ذلك ان ويان وويرنر هجما على المزيف الأبلى فطرحاه أرضاً ، على انه لم يحاول مقاومة ولم ينكر جريمته بل اعترف بها فى صراحة ، وان شئت فقل وقاراً اكسبه إعجاب القابض عليه نفسه .

وعند محاكمته كان كل همه ان يبري أصحاب البيت الذى كان يقيم فيه ويحصر النعمة - وقد تم له ذلك - فى نفسه وفى سبائهم بروج . وتبين ان المرأة التى رآها ويرنر ليلة رقابته على منزل الفتاة وأمها كانت واسطة - دون علمها - لنقل الاوراق الزائفة من لومينتز الى سبائهم بروج فى صندوق مقفل .

تفسير التوراة

لمراد فرج

أصدر الأستاذ مراد بك فرج المحامي الجزء الأول من كتابه تفسير التوراة
والأستاذ مشهور بكتاباتة العربية الممتعة عن اليهودية فقد أصدر كتاب « القرائين
والربانيين » وفيه بحث عن أوجه الخلاف بين الطائفتين اليهوديتين . وهو أكثر
اليهود عملاً لأجل توحيد الأمة اليهودية : وأكثر اليهود اجتهاداً للبحث على المزاوجة
بين شقي اليهود . كذلك سبق له إصدار كتاب « شعار الخضر » الحاوي
مختصر الشريعة اليهودية . فيد الأستاذ على المتكلمين بالعربية خصوصاً اليهود
منهم ميثاء يجب أن تقابل بما تستحقه من الشكر من أفراد كلا الامتين الشقيقتين
ومراد بك رجل يجيد اللغتين العبرية والعربية . فلا بدع إذا أقدم اليوم
بمحاولة جريئة هي ترجمة التوراة رأساً من العبرية الى العربية مع شرح المعاني
شرحاً وافياً مستنداً في شرحه الى من سبقه من جهابذة اليهود والمسلمين . وقد راعى
في تفسيره الجديد تفسير الكلمة العبرية بعد ضبطها بالأحرف العربية ولم ينس
أن يبين قواعد الصرف والنحو في اللغتين وكيفية اشتقاقهما من بعضهما البعض
والفوارق الكائنة بينهما . وقد أورد الآيات القرآنية المناسبة لمحوادث المذكورة
في الجزء المنسرف في هذا الكتاب من التوراة . وزيادة في الفائدة صدر كتابه
بالأصل العبري للجزء الذي فسر وهو « سورة انزاس » (الفصل الأول الى
الفصل الخامس من سفر التكوين) وإليك تفسير مبدأ الآية الأولى من الفصل
الأول كما فسر في كتابه القيم : --

« في البدء خلق الله السموات والأرض » (نقلاً عن الترجمة المتداولة التي
وضعها البروتستانت) (ب داش ي د) بكسر الاووين مملاً والشين مشبهاً

والباء حرف جر ظرفيه بمعنى (في) والالف بعد الراء لافعل لها ، والكلمة من
(راش) — بفهم الراء — على وزن يوم باللغة العامة . هو عريبا الرأس بمعنى
الرأس اول الشيء وبدايته . ومنه رأس الحكمة مخافة الله . والبده من بدأ يبدأ
وهو ما في الترجمة عبري أيضا

واختلف العلماء في الكلمة مستقلة بذاتها هي ام مضافة . فقال البعض
انها مستقلة غير مضافة الى شيء بعدها . وقال البعض انها مضافة وهذا هو الاصح
فان حركة الباء ليست حركة فتح بالتمص مما يدل على الاستقلال بل حركة كسر
مما بالكون المتحرك ما يدل على الاضافة . ولا يقال ان الباء زائدة فهي ليست
عيبا في اول التوراة

وليست الاضافة الى ما بعد الكلمة فهو فعل ماض (ب د ا) — بفتح
الاولين — برا بمعنى خلق ولا يضاف الاسم الى الفعل

وذهب بعضهم الى ان الاضافة هي الى الزمان قبل الخليفة ورد البعض على
ذلك ان الزمان من الفلك ، وكيف يوجد الزمان قبل الفلك . ورأى صاحب التاج
ان موسى عليه السلام يوحى الله اليه اراد ان يفهم العباد ان الكون حادث
بامر الله . فقد كانوا ينكرون حدوثه ويقولون انه قديم هكذا . ولا خالق له ، ويبقى
هكذا ولا يتغير . فابتدأ موسى بقوله (ب راش د) ليعلموا ان الحادث هو بامر
الله لا انه طبيعي كما يظنون . ولذا قال من بعد وتم خلق السموات والارض . والافقة
والخال هذ تنصرف الى ما قبل ان بدى الكون يتكون حتى تم تكوينه

وقد غالى بعض المفسرين في التفسير واغرقوا اغراقا اجازوا به لانفسهم
ان يعطوا لكل شيء معنى وسببا ولو كان الشيء لا يحتمل التعليل . فمن ذلك
قولهم ان حروف الأئجدية تمثلت بين يدي الله يطلب كل حرف منها أن يكون
المبدوء به في أول التوراة . فكان الله يرد الحرف بعد الحرف لعله فيه
كحرف الالف فان منه ابرور على وزن صبور هو عريبا مأرور بمعنى الطريد

٦٢١
 الملعين وكحرف الشين الشقر — بضم الشين وفتح القاف — كسر د بمعنى الكذب
 هو عبريا بكسر الاولين مالا ممدود الاول . وكحرف الثاء قن فيه العتبه محرقة
 بمعنى الشيء الكريه . وهو عبريا بتقديم الثاء وهكذا الى ان يبدأ بحرف الباء منه
 البركة والبروك اى المبروك المبارك هذا هو تفسير لكلمتى « فى البدء » ثم يتبع
 تفسير « خلق » (ب د ا) — بفتح الاولين — ثم « الله » (ا ل ه ي م) —
 بضم اللام وكسر الهاء الخ الخ

ولاشك ان المتبحرين فى علوم الدين الاسلامى يجدون فائدة كبيرة من
 درس هذا الكتاب خصوصا وانى اشم ان المفسر يجد فى بعض الترجمات
 العربية للتوراة اخطاء اقدم على اصلاحها . ويفهم من سياق ما كتب ان من السهل
 فهم حقيقة معنى التوراة من الاطلاع على ما يقابله من الآيات القرآنية وهذا ما يدعش
 بولكنه ليس بالامر الغريب

وكذلك سيلفت هذا الكتاب جماعة مهمة من المستشرقين لان المؤلف قد
 لمس فيه ولو عرضا وبدون قصد موضوع علم مقارنة الاديان . وانى نرحب بهذا
 الكتاب وننتظر من حضرة المؤلف العمل على انهاء ترجمة التوراة كلها الا أننا
 نقترح على حضرته اتباع ما يأتى

- (١) كتابة الترجمة المتداولة آية بعد آية
- (٢) كتابة الاصل العبرى باحرف عربية مع ضبطها
- (٣) كتابة الترجمة الصحيحة للاصل العبرى اذا وجد خطأ فى الترجمة الحالية
- (٤) كتابة اصل كل كلمة عبرية مضبوطة مع ذكر ما يقابله من الترجمة العربية
- (٥) يتابع شرحه على نسق الخاتى بعد ذلك

ويحوى الكتات ما يقرب من ٣٥٠ صفحة وثمته مجلداً ثانياً حسناً ١٥٠
 معلماً . وقد اوقف صاحبه دخل الكتاب لاعمال البر بين أبناء طائفته

رسائل الارواح

كتاب يشتمل على أحدث المباحث في مناجاة الارواح وانتقال الافكار وقراءتها وتعليم الاحلام والانبياء بالمستقبل. والشفاء بالاستهواء وما الى ذلك من المباحث التي تتناول نفس الانسان قبل ولادته وبعد الموت وآراء العلماء فيها . يقع في ٢٣٦ صحيفة من القطع الكبير حسن الطبع والورق . اصدرته ادارة المقتطف وقيمته ١٥ قرش مصرياً .

*
*
*

من اعجب الاشياء التي نلاحظها عن كثير من الباحثين الذين يذكر اخبارهم تاريخ العلم انهم يكونون اشد ريبة وشكاً في اوساط أعمارهم . فاذا تقدموا في السن بدؤوا يراجعون ذلك الشك ويعيدون النظر في مواقع الريب التي غشت على قلوبهم في سني الشباب والفتوة . فكثيراً ما نستمع أن ملحداً أسلم وهو مشرف على نهاية العمر ، وغالباً ما يروى التاريخ ان رجلاً عظيماً انكروا اشياء كثيرة مما يعتز به غيرهم حقائق ثم ارتدوا عن شكهم فصاروا من اكبر المؤمنين في أواخر أعمارهم .

هذه ظاهرة بروى التاريخ من امثالها الشيء الكثير . ولعل السبب في ذلك كما قال كثير من علماء النفس أن الانسان يحتاج في حياته العقلية الى كمية خاصة من الأوهام تعزو عقله وتغذي نفسه ارضاء لوراثات خرج بها الانسان في حياته الاولى .

اما المرحوم الدكتور صروف فلم يكن من هذا الصنف . فقد كوز في الارواح ومناجاتها رأياً وظل عليه ثابتاً حتى نهاية عمره . فقد وقف ازاء الارواح ومناجاتها موقفاً يتلخص في أنه لا ينفي وجود الارواح ولا يثبتها مادام الأمر محصوراً في يد العلماء ، وهؤلاء لم يستطيعوا ان يثبتوا وجودها ولم يتمكنوا من البرهنة على انها غير موجودة . ولا جرم أن لهذا الرأي سبباً قوياً عند الدكتور انحصر في وجود بعض مظاهر في الحياة الانسانية كالتلبائية والتنويم المغنطيسي لم يعط العلم اسبابها تعليلاً مادياً

كافيا . اما مناجاة الارواح والاتصال بها فكان ينكرها اشد انكار . فما
ظهر اثر تلاعب الوسطاء فيه تفاه بالدليل المحسوس . وما يمكن تعليقه بالظواهر
النفسية رجع فيه الى العلم يطبق مبادئه على الحوادث الباروية او الحوادث
التي تقع تحت عينه .

ولقد اتخذ بعض الباحثين ظواهر الاحلام دليلا على وجود الروح كمبدأ
يفارق البدن ثم يعود اليه . فراجع الدكتور في تحليل هذه الظواهر الى ما
كتبه الاستاذ « فرويد » والظاهر انه قرأ كتاب هذا الباحث في « تحليل
الاحلام » قراءة مكنته في الوقوف على آخر الآراء في ظواهر الاحلام
فاستطاع ان يطبقها على الحوادث التي تروى له احسن تطبيق بما عهد فيه من
قوة الفكر وحسن الاختيار .

على اني لم اسمع من الدكتور يوما انه يعتقد بمناجاة الارواح ولكني
سمعت منه كثيرا ما يستدل منه على أنه لا ينبغي وجود الروح . غير ان اعتقاده
بوجود الروح . كان اعتقادا مبهما غير مفصل شأن الكثيرين ممن يعتقدون بوجود
الارواح . فلرأى الروحاني على ان الارواح مبادئ مفارقة للابدان وان لها
حياة غير حياتها الارضية ويضعون من دقائق تلك الحياة الموهومة ما لا عين رأت
ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . في حين ان اعتقاده كان قائما على الاسلوب
العلمي الذي عكف عليه كل أيام حياته . كان يفرض وجود الروح فرض
ضرورة ليحل به بعض الظواهر التي نستجدها في الحياة الانسانية . فالروح
عنده من المباحث النفسية كالاثير في المباحث الطبيعية . مع فارق ان الاثير يعلل
من ظواهر الطبيعة اكثر من تعلل الارواح من الظواهر النفسية .

هذا ما وصل اليه عالمي من معتقد الدكتور صروف في الارواح وانت
ان اكبتت على كتاب « رسائل الارواح » وقعت على هذه الآراء مجلوة
في أحسن نوب مصبوبة في اسلوب رائع فخم .

وقد صدر الكتاب بمقدمة من قلم فؤاد افندي صروف محرر المقتطف
سرد فيها كثيرا من الآراء سرد من قرأ وتمعن ووقف على الحقائق . ولعله
لا يبخل على العربية وأهلها بكنوز المقتطف يخرجها في مجلدات متوالية
لتكون أسهل تناولا واعم فائدة .

أسرار السماء

تلسكوب جديد قطر ٢٠٠ قدم - ماذا ينتظر الفلكيون

- عجائب التصوير الفوتوغرافي الفلكي -

حدود الكون

عن مقال الأستاذ ه. ه. ترنر عضو المجمع الملكي البريطاني

١ - بدء المشروع

لقد أعلن منذ عهد قريب أن أموالاً قد جمعت لأقامة تلسكوب كبير وإدارته يكون قطر عدسته ٢٠٠ قدماً، أي مضاعف قطر أكبر تلسكوب موجود الآن فوق سطح الكرة الأرضية وهو المعروف بتلسكوب هوكر الموضوع فوق قمة جبل ويلسون في أمريكا الشمالية. وهذا الخبر أن تلقاه الفلكيون على اعتبار أنه أمر مفروغ منه. فإن التصميم الأول كما اذيع خبره بين المشتغلين بعلم الفلك كان على أن العدسة ستكون باتساع ٣٠٠ قدم. ولقد ظل هذا المشروع موضوع عناية المهتمين به سنوات عديدة. فإن التصميم والنمقات قد وضعت على قاعدة أن يكون التلسكوب بقطر ٣٠٠ في شهر أغسطس سنة ١٩٢٦، وظهر مطبوعاً في أعمال «جمعية المحيط الهادي الفلكية» وقد عبر كاتبو هذا البلاغ عن ثقتهم بأن المشروع يمكن تنفيذه وأنه ليس في حد الاستحالة إذا أمكن جمع المال اللازم لأخراجه من حيز الفكر إلى حيز الوجود الحقيقي. غير أن تقدير الأموال اللازمة للمشروع قد بلغت عدة ملايين من الجنيهات. ولم يظهر فرد أو جماعة أقل استعداداً لأن يمد القائمين بالمشروع بالمال اللازم.

ومنذ عهد قريب راجت اشاعات مقتضاها أن المشروع لن يظل في حيز النظر بل لابد من أن ينفذ قريباً. ويرجع هذا إلى مجهودات رجل عظيم هو

« جورج اليرى هال » بعد انه استرد صحته وكانت قد ضعفت ضعفاً ظاهراً لما بذل من مجهود علمي . فوجه نظره الي العمل على انجاح المشروع فكون « مجلساً رصدياً » تحت رئاسته . وعلى الرغم من ان قطر العدسة قد انقص من ٣٠٠ قدم الى ٢٠٠ قدم فقط لاسباب لا يصعب فهمها . فان لدينا الآن كل امل في ان المشروع سينفذ في خلال عشر سنوات وان هذا التلسكوب العظيم سوف يفتح امام أعيننا عالماً لا تحد مدهشاته .

٢ - تلسكوت لورد روس

اي تقدم في العلوم الفلكية يجب ان تنتظر بعد اتمام هذا المشروع ؟ فاذا حكمنا على النتائج التي نتظرها بالنتائج التي جنيناها من التلسكوب الكبير الذي بنى قبله وقطره ١٠٠ قدم فقط . لم تظهر لنا الفائدة فيه كاملة كما ستكون الحقيقة . ومهما بالغنا في تعديد الفوائد التي سوف نحنيها . فاننا قد نخفي . وقد لا نوفيها حقها من التبيان . غير انها ولا شك سوف تفوق النتائج التي حصلنا عليها من تلسكوب قطر ١٠٠ قدم اضعاف .

لنرجع بالذاكرة الى قرن مضى على التقريب . اي الى سنة ١٨٤٥ عندما اكمل اللورد روس تلسكوبه . الذي بلغ قطر عدسته ستة اقدام . وقد اشار دهشة الناس في عهده . حتى ان كثيراً من الادباء وعلى رأسهم « دد كوينزى » قد افاضوا في وصفه بما وسعهم الخيال . ولا يزال مقالة « دد كوينزى » معتبرة من امع ما كتب الادباء حتى عصرنا هذا .

٣ - الشموس والسدم

على ان النتائج التي وصل اليها لورد روس على عظمها . قد انصرفت اقوى جهات النفع فيها من وجهين اثنين . الوجه الاول انه استطاع انه يري بتلسكوبه نجوماً اقل ضوء من النجوم التي كشفها التلسكوبات الاخرى . والوجه الثاني انه استطاع ان يراها اشد جلاء وأبين صورة . فان كثيراً من السدم التي كشفت عنها التلسكوبات الاخرى ورأيناها كبقع غمامية كفيفة . ظن لأول وحلة انها من طبيعة غازية . قد كشف عنها تلسكوب روس فاذا بها آلاف مؤلفة من النجوم الصغيرة الذائبة الممعان . وهنا قام في العقول فراضان

الفرض الاول أن السدم الاخري التي عجز تلسكوب روس عن ان يكشف حقيقتها قد تكون بدورها نجومًا عديدة، اذا نظر اليها من خلال عدسة اكبر واقوي من عدسة روس . والفرض الثاني ان كل السدم عبارة عن مجاميع كبيرة من النجوم بعيدة عنا بعدا شاسعا . اما بيدها فيصعب على عقولنا أن نتصور مقداره كما يتعذر أن نحصيه بمقاسات الابعاد المعروفة حينذاك . ذلك لان الفلكيين كانوا حتى ذلك الحين لا يستطيعون أن يقيسوا إلا أبعاد بعض النجوم القريبة منا والتي لا تبعد عنا إلا مسافة بضعة سنين نورية لا غير .

ومضى على هذا الحال سنوات تغير فيها وجه المسألة تغييراً تاماً ، اذ وقف الباحثون على ثلاث حقائق هامة .

الاولى — أظهر فيها الحل الطيفي (السبكروسكوب) سنة ١٨٦٤ أن بعض السدم عبارة عن كتل من الغاز المشع ، وليست مجاميع من النجوم كما ظن أولاً

والثانية — أنه على الرغم من أنه لم يتم تلسكوب أقوى من تلسكوب روس إلا في أوائل القرن العشرين ، فان التصوير الفوتوغرافي (سنة ١٨٨٠) قد زود الباحثين بقوة استطاعوا بها أن يخضعوا قوة التلسكوبات بالتعريض الطويل . فانك اذا عرضت لوحة تصويرية في خلال عدسة تلسكوب بضعة دقائق ، فانك تجد أنه لا يتطبع فيها إلا أشباح النجوم التي هي أشد لمعاناً وبراقة من غيرها . فاذا عرضتها ساعة من الزمان انطبعت فيها صور النجوم التي هي أقل لمعاناً من تلك . ولكنك اذا عرضتها ١٠٠ ساعة فان نجومها أضعف لا شعاع جداً تنطبع عليها . وقد يتصور البعض أن قصر الليالي قد تحول دون هذه التجربة ، ولكن العناية الفائقة التي يبذلها الباحثون قد مكنتهم من قفل عدسة التلسكوب نهائياً وفتحها ليلاً ليستمع التعريض اطول زمان ممكن . وبهذا استطاع الفلكيون ان يعرضوا لوحات التصوير الى الاشباح السماوية اكثر من ١٠٠ ساعة واتضح بهذه الطريقة ان أي باحث يملك تلسكوباً صغير الحجم في استطاعه ان ينتفع به كما ينتفع غيره بأقوى التلسكوبات ،

بأن يديم تعريض لوحاته الى الاشباح السماوية . وكما طال زمان التعريض ازداد عدد الاشباح التي تنطبع على لوحاته مهما كانت ضعيفة الضوء ضئيلة الاشعاع . على انه لا يمكن ان يحصل بهذه الطريقة على كل النتائج المرغوب فيها وإن حصل على بعضها .

٤ — ضوء مدى سياحته مليوناً من السنين النورية

الثالثة — والحقيقة الثالثة التي غيرت وجه البحوث الفلكية ان طريقة قدا اكتشفت بها استطاع الفلكيون ان يقيسوا أبعاد النجوم وأبعاد السدم التي تتضمن مجموعات من الاجرام ، حتى ولو لم يصدق الوهم مقدار بعدها . فمن بين ملايين النجوم التي تضيء في السماء يوجد بضغ مثلث تدعى « السفيدية » (Copheids) تتغير أضواؤها على نمط خاص . فبعضها يتغير ضوءه في بضعة ساعات ، وبعضها يتغير ضوءه في خلال أيام . وأهمية هذا الاستكشاف تنحصر في ان النجوم السفيدية التي يكون تغير ضوئها أبطأ هي الأشد لمعاناً . فاذا لاحظنا نجماً من هذه النجوم باستمرار لنعرف بأية سرعة تتكون التغيرات الواقعة فيه . استطعنا أن نعرف مقدار لمعانها . مهن كان ضعف اشعاعها لبعدها عنا بعداً شاسعاً . ومن طريق المقارنة بين ما هو ظاهرى فقط وبين ما هو حقيقى من هذه النجوم . يمكننا أن نحدد أبعادها . وبذلك خطا الفلكيون خطوة عظيمة في سبيل استكشاف أرجاء الكون .

ولقد وجه دكتور « هوبل » تلسكوب هوكر (وقطر عدسته ١٠٠ قدم) الى كوكبة المرأة المسلسلة — Andromeda — مرات عديدة وجوهرها صوراً فوتوغرافية عديدة . ومن بين النجوم الضعيفة الاشعاع التي ظهرت على لوحاته الفوتوغرافية ، ستة نجوم ظهر أنها من ذلك الضرب السفيدى الذي يتغير مقدار اشعاعه بين آت وآخر . وعرف فوق ذلك دورات تغير اشعاعها . وأمكنه أن يغير مقدار لمعانها الحقيقى ، ومقارنة دورات التغير في لمعانها يعرف أنها تبعد عنا بمقدار مليون سنة نورية . وكل ما عرف عن هذه النجوم الستة يدل على أن أنوارها التي تصل إلينا الآن قد ظلت تجوب المسافة الواقعة بين كنها الكونى ومركزنا الارضى مليوناً من السنين النورية

ولم يكن هذا آخر ما وصل اليه العلم الفلكي . فان سدهماً أقل اشعاعاً وأضعف لمعاناً من هذه قد صورت فوتوغرافياً، ووجد أن من نجومها ما هو من الصنف السفيدى، وان بعدها عنا هو بمقدار مائة ضعف بعد نجوم كوكبة المرأة المسلسلة !!! وهنا وقفت قوة تلسكوب هوكر عن أن تمدنا من ذلك عمريد . فانها عند هذه الحدود قد بلغت مداها الاقصى .

لم حدث هذا ؟ لماذا لم يستطيع تلسكوب هوكر أن يكشف عن نجوم أضعف اشعاعاً من هذه ؟ السبب أن تعريض اللوحات الفوتوغرافية يجب أن يكون لزمان أقصر اذا كان تغاير النجوم السفيدية من المستطاع معرفته خلال بضع ساعات . فانك اذا اردت أن تصور سباق الخيل . لم تحتاج الى تعريض طويل ، بل يجب أن يكون تصويرك في أقصر وقت ممكن . لان الخيل في ملك الحال تغير أماكنها بسرعة كبيرة . أما النجوم فعلى الرغم من أنها تتغير ، فانها لا تغير مواقعها الفلكية . بل أضواؤها . فاذا ادمننا تعريض اللوحات الفوتوغرافية زمناً أطول مما يجب . فقدنا النتائج التى نحاول الوصول اليها . إذن فلا بد من أن يكون لدينا تلسكوب أكبر من تلسكوب هوكر لنصل الى النتائج التى نطمح فيها . لهذا فكر الباحثون فى بناء التلسكوب الجديد .

٥ - حدود الكون

إن نجاح دكتور « هوبل » أولاً ، ثم اخفاقه ثانياً . قد حذر اهتم الى تنفيذ هذا المشروع الكبير . غير أن هنالك أمراً جديراً بالاعتبار . فان الأبعاد التى أمكن للوصول اليها بالتلسكوب التقدم قد تمتد الى الحدود التى يكشف عنها تلسكوب قطره ٣٠٠ قدم . فان هذه الأبعاد تصل . لا الى الحدود التى قال انشتين ان الكون ينتهى عندها ، بل تكشف عن جزء منها . فان أبحاث انشتين قد أدت به الى القول بأن الكون لا يمتد الى لا نهاية امتداد تسطح وانبساط . بل إنه محدود كظاهر كرة ما تعود الى ذاتها كلما امتدت فى اللانهاية وعلى الرغم من كل هذا . وعلى الرغم من أن الحدود التى سوف تصل الى كشفها بتنفيذ المشروع الجديد لا تتعدى جزء من فضاء الكون . فان تلسكوباً يرينا ما بعد ١٠٠ مليون سنة نورية من الاجرام السابحة فى جوف الكون . لدليل على العظمة الانسانية لا يدانيه فى نظرنا دليل

نشوء الصحافة

لما خرج الانسان من وحدته التي دامت حقبا حيث لم يزد همومه على الحصول على غذاء وماوى يومه فعقد أواصر الالفه بينه وبين العشائر والقبائل الاخرى . بدت له حاجة جديدة هي دنيا الأخبار . فوصلته أخبار القبيلة التي تقطن ضفة البحيرة الاخرى وتباشير الفيضان أو أنباء الزواجر واقتراب الجليد التي يتنبأ بها عتلاء النوم من الظواهر والعلامات المعروفة عنده . ثم آل بالانسان الامر ان يعرف الأخبار لا لاتقاء شرور واضرار . أو الاستئناس على جلب المنافع . بل تعدى ذلك الى السعى لتعرف الأخبار ذاتها والاستشراف منها على مجريات العلم . وهي غذاء البشر في كل عصر وجيل وقد كانت الحياة منذ القدم قصة ، والأخبار ما هي الا قصة الحياة كما هي . ومهما نوغلنا في البحث من أقدم الازمنة لتعرف حياة الانسان الاولى ومهما قصر ذلك على الآلات والرسوم الغير المبهمة الاولى على الصخور أو أدى بنا البحث الى تفهم سر عادات الاقوام المنعزلين في ركن من اركان الارض حيث ظلوا محافظين على تقاليد الآباء والاجداد في العصر الحجري فلا بد وأن نجد أن توفرت لديهم الوسائل في نقل الاخبار . فقد كان لشبائين وهم بين الشعوب اقربها الى أجدادها في العصر الحجري وسائل وطرق . الا أن تيار المدنية قد جرفهم وأبادهم في القرن الماضي كبعض الحيوانات الاولى المنقرضة كان هؤلاء طريقة نشر الاخبار عبر الجبال والانهيار بغرس عصي قطعت فيها علامات ومصطلحات تنمذ معنى اشاراتهم . وما زال لمسنين من اقوام الاستراليين السود نفس الطريقة ، وقد كانت قبضة من الخبواب او بعض ريش النسور ذات دلالة اخبارية كبرى بين هنود شمال اميركا . وما زال المسافر الذي يجرب بلاد الاثنتى وشاطئ الهند إلى اليوم يتبع صوت الطبول المنذرة بخطر داهم أو دعوة إلى حمل السلاح او الانباء بموت عظيم

وربما كان أول نبأ إخباري هو النار المضرمة في رؤوس التلال . وقد نشرت كندا في العام الماضي نبأ احتفالها بميدها الخمسين وهي مستعمرة مستقلة (دومنيون) عبر القارة بنفس هذه الطريقة القديمة واضرمت سلسلة من عشرة آلاف من النيران على سفوح التلال من رأس بريتون إلى فنكوثر غربا . وإذا كانت الطبول والنيران توصل الانباء إلى العين والأذن ، فاللاسلكي والاشارات العاكسة لضوء الشمس مازالت تقوم بهذه المهمة وسيقوم بها جهاز نقل الصور عن بعد في القريب العاجل . وما زال الانسان شغوفا باستغلال أية طريقة يتمكن بها من نقل الانباء باقرب الطرق وأسرعها . الا أن الانسان لم تنفثه أبداً الرغبة في أن يري الانباء قيد الكتابة والتدوين فما زال في حاجة الى سجل مكتوب وصحيفة تنشر ، تحدود الرغبة الى ذلك يمدد الوثوق بالقول الشفوي كل الوثوق . وكما قال الرومان « القول الشفوي طائر أما المدون المكتوب فباق » وكل من تتبع وهو نقل لعبة هم الأخبار في الأذن من نقل لآخر وهكذا دواليك لا بد واجد من الغرابة بمكان كيف ان نبأ يشوه آشوبها عجيبا عند وصوله الى آخر طرف في الحلقة .

وازدادت عند الحمناء الرغبة في الحصول على الانباء الصادقة لا الأنباء تلقى على عونها لاغير . وما زالت هذه الحاجة ماسة قائمة متزايدة طول القرون . وما زال بسطاء القوم للآن يخبئون أن ليس لهم كبير ثقة بكل ما يكتب في الصحف . وذلك باعث على الاسى اذ هؤلاء القوم هم الذين لا يقرءون شيئا سوي الصحف

وقد كان الانسان طوال العصور يسعى للحصول على الانباء الجديدة الصادقة وسيكون ذلك دأب الصحافة في مستقبل الايام . وسوف تنضى هذه الصحافة على هؤلاء المتشككين . وهنا تتمهل قليلا لاستعرض الخطوات التي بها توصل الانسان في القرن العشرين الى الحصول على الصحف التي نوضع على مائدة إفطاره كل يوم . ومع وجود الكثيرين الذين يدعونك

على مواضع الخطأ والضعف في الصحف فهناك ملايين أنبياء الصحف لهم
 بمثابة الغذاء اليومي كما كانت أنبياء العصر الحجري بالنسبة لانسان
 الكهوف الذي لم يحسن التلفظ الا بخمسين كلمة، وكانت تنقل له خير
 الانباء بصور واشارات موضوعة مصطلحة. فمن أطراف المعمورة ترسل الانباء
 وتنقل الى الصحف بسرعة البرق. ولا تقوت الصحف شيئاً سواء كان ذلك
 فيضان في بلاد الصين او زلزال في البيرو او وصول طيارة ذات سطح واحد
 الى استراليا او لابرادور او مباراة في (الكريكت) في ملبورن او
 حركات السفن أو تقلبات سعر القطع او الانباء والتنبوء بالجو او برنامج
 الاذاعة اليومي باللاسلكي. فهذه الانباء تنقل وتدون بكافة الطرق وتحفر
 على المعدن وتطبع على الآلاف من الصحائف على آلات زأر زأر الاسد
 وتكوم مئات آلاف من النسخ وتوزعها أساطيل من عربات اليد والعربات
 ذات المحركات والسفن التجارية والقطارات والطيارات .

وهناك قبائل واقوام من الصناعات والعمال يعملون ليل ونهار في
 الجمهورية التي يفخر بها رجال الصحف يبلغ عددهم تعداد امة صغيرة. قوام
 عملهم ومعيشتهم ايقاف العالم علي ما يجري حوله من حركات وأنباء. وقد
 يمكننا ان تصور ان بين ما خلقته مطالب المدنية ومتقضياتها وأجداها
 تبعاً السفينة التي تمخر عباب الاقيانوس او قد نختار القطار الحديدي . بيد
 ان بعضنا منا مفكر حتماً ان هذه الآلة الهائلة — وهي الصحيفة العظيمة —
 هي ابداع هذه المنشآت. فقد طرأ عليها من ضروب التطور والتحول
 والتحسين حسب مقتضيات الازمنة والبشر ما يحدونا الى التفكير ان بها
 معدن الخلود وجرثومة البقاء. فهي دائبة السير لا سبيل الى وقف حراكها .
 وليس هناك ما يحل محلها ، ومن المحال ابطالها اذ ستكيف حتماً بطابع القديس
 واحوالها كما تطبعت بطابع الامس . فما حيلتها وما شأنها وكيف نشأت
 الصحيفة عن قصة يمكن الكل قراءتها اذ كانت صورة من الصور ؟ فلا
 ينبغي تبليل الالسنه معنى صورة من الصور اذ هي لغة العالم أجمع ، فالرموز

والصور المنحوتة على حائط كهف من الكهوف بالطلاء الأحمر تشرح قصة
بأكملها وتروى رواية خبر بأكمله — خبر اقتناص غزلان برية وحيوانات
هائلة من الأجناس المنقرضة رغم قوتها وبطشها تلاشت أمام ذهاء الانسان
وخفة حركته . والقصة المنقوشة على الكهف كان يتناقلها القوم فيما بينهم
ولم تكن من الانباء التي قد يتقدم عليها العهد ويذهب البلى بمجدها اذ
قديما كانت تشاهد مثل هذه القصص الا في جلائل الظروف وجلى الحوادث
وقد كان أولى المحررين لهذه الصحف الكهفية من القساوسة أو حفظة السحر
والطلاسم حراس هذه النقوش والصور . وربما كانت تنزع أغشية الجلود التي
تغطي هذه النقوش في مواسم وفصول خاصة كفصل الربيع وقت البذار
وفي الخريف عند جمع المحصول ووقت تخزين لحوم الصياد للشتاء —
وعندئذ تتاح فرصة للقوم ليطلعوا على القصة ثانية .

ثم مضت قرون وبدء النحاتون والبنائون ينحتون على أعمدة الكنائس
والاديرة حقائق الديانات وأسرارها الخفية وقصصها وخرافاتها فصارت هذه
قصص الدهاء المصورة كما كانت مشاهد الصيد والقتل مادة مطالعة العامة
في الكهوف المقدسة . وتلت ذلك مرحلة أخرى اذ بدء الرسامون من قساوسة
الكهوف ينحتون قصصهم على سن الهياكل المنقرضة أو قرون غزال الرنة . فكانت
هذه بمثابة مذكراتهم تتناقل من يد لأخرى كألواح الأنباء . ورغم اختفائها
عن الأعين وقبرها عن الأنظار من ثلاثين ألف سنة الى خمسين ألف ونيّف . فما
زالت تعتبر من أخبار الأزمنة الغابرة . ثم انتقلت هذه الصناعة من أيدي
رجال السحر إلى عامة الشعب ولو الى حين . وبقي المحررون طبقة مميزة من
القساوسة ثم تناثرت النقوش الصخرية والرموز في كل ضوْب فكان
الاسكيمايون بدو نون وقائع الصيد على عظام غزال الرنة كلما توغّلوا وأمعنوا
شمالا في صيدهم وقنصهم . وكانت الأجناس النازحة الى أفريقية جنوبا تنقش
النقوش على الصخر تمثل الانسان والحيوان ، تشبه بعض الشبه النقوش التي
ما زال يعثر الانسان عليها في كهوف فرنسا واسبانيا ومازلنا نعثر على هذه

النقوش من الصين الى جنوب أمريكا ومن جنوب روديسيا الى الصين. وهذه النقوش تسترعى منا اهتماماً خاصاً. اذ كانت في بدايتها باللون الكامل ثم تدرج الأمر الى ان أصبحت رسوم خطية تمثل الشكل العام، تبسط القوم فيها على كره الدهور واصطالحوا على نقوش ورموز مختصرة حتى تدرجت الصور والنقوش الى علامات. ومن الصدف التي مازالت غامضة، نجد أن الرموز المصطلح عليها لتمثيل الرجل والمرأة في أفريقية هي بعينها مثيلاً في الصين. وهذه العلامات التصويرية هي بداية اللفظ المكتوب أو حروف الهجاء. ثم ارتقى تدوين الانباء واذاعها خلال القرون بسرعة هائلة. فتحولت الرموز السحرية في فرنسا ومصر والمكسيك والبرازيل الى كتابة - كتابات على ألواح في القصور والمعابد في بابل وقيل ملوك شمر وعقاد. والأول شهدوا مدينة أور عند الكلدانيين - مدينة موغلة في القدم اذ لم يخط الكشف الدائب عنها انشام الا قليلاً ووشيكاً. وكان الكتابة يكتبون بحروف المسارية مدونين أعمال الملوك كي يراها الجميع ويحفظونها وينذاكرونها. ومن الأنواح ارتقت الكتابة الى قوالب من الطوب واسطوانات دائرية يمكن صنع نسخ منها وبمكنا أن نعتبر بحق ان اسطوانة نقوش البابلية هي جد آلات الطباعة الدائرة التي تطبع عليها صحفنا في فريت ستريت (حيث ادارات معظم الصحف في لندرد) .

ومن ألواح الطوب أصبحت الكتابات تنقش على ألواح الخشب وذات في مصر. ووثبة أخرى في لنهوض أنتجت لنا ورق البردي المعروف في مصر من قديم الزمان. وما زالت الانباء هي التي يذيعها القساوسة ولو أن أعمالهم الجليلة ومفاخرهم الباهرة كانت تدون على قبور الملوك كما في حجر رشيد الا أنه لا بد أن لا يعزب عن البال أن فرعون نفسه كان قسيساً. وكان روحاته وغدواته وشاراته ورموز سلطته كانت تصدر عن القساوسة من مهدد الى لحدد وعند الاغريق تحررت الانباء من حقيقتها وقالها التقليدي فقد كان كتيبة الاغريق ينتقون خطابات الخطباء على ورق البردي قبل المسيح بقرن. في الوقت الذي كان

للاوائل المستعمرين منهم يخطون الحروف الاثروسكية (اللاتينية القديمة) على الواح الخزف في ايطاليا . وفي نفس الوقت كانت تنشر في بلاد الصين اول صحيفة اخبارية تنشر في اوقات منتظمة . وكانت هذه الانباء مصبوغة بالصبغة الرسمية اذ كانت تصدر القرارات الامبراطورية والاوامر بهذه الطريقة . وربما يجدر بنا في هذا المعرض ان نشير الى القصص الهندية القديمة المنقوشة على جدران المعابد او الكتابات بلغة المايا على المعابد في يوكاتان (امريكا الوسطى) اذ بحلول روما محل اليونان انتشر نوع آخر من الاذاعة في انحاء العالم . فاكسبت الانباء الديمقراطية اهمية اذ اصبح كثير من العلماء من اقوام ليسوا بالقساوسة او من بين الارستوقراطية بحيث كانا الكتبة احيانا من الارقاء وكان تحريرهم بمثابة تحرير الصحافة . لذا نجد ان الاكتاديورنا Acta Diurna التي كانت تنشر في روما اول صحيفة انباءية تنشر اخبار الجيوش وحركاتها والانباء ذات الاهمية العامة . ثم امر يوليوس قيصر بنشر محاضر السناتو (او مجلس اشراف روما) ودون المخبرون نص خطاب كاتو (Cato) بخصوص المؤامرة الكاتيلينية ثم ما بين الانباء الهامة كانت تنشر اخبار اقل الاهمية عن هذه فقد دون نبأ كهذا مثلاً :

« قصفت الرعود واصاب البرق شجرة بلوط عتيقة عصر اليوم في جهة سمنا فيليا على جبل بلاتين »

والنبأ الآتي : « اصدر الحاكم تريتيوس القضاين لبيع لحوم لم تعرض لمحص مفتش الاسواق وسوف تخصص الغرامة لتشييد معبد »
حقاً ان المحرر الذي نشر هذه الانباء لحديث النزعة !! ثم نشطت وسائل اذاعة الاخبار ونشرها باختراع آلة الطباعة وذبوع استخدامها بيد ان المرحلة ما بين المدونات القديمة كالقصص الانجلوسكسونية وقصص فرواسار التي كانت تكتب باليد وتخط بعناء وبين الكتب التي كان يطبعها غوتبرج في المانيا وكاكتون في انجلترا ، كانت أبعد من التي اقتضاها الامر لاصدار أول جريدة مذاعة من النوع الحديث وهي القرانكفور ترجورنال

التي أصدرت عام ١٦١٥ ولم يحجب ضوء الصحافة الباهر بعد أن ذاعت
 أنصاؤه وانتشر سناد من يد إلى يد حول نطاق العالم . فسرعان
 ما كان للوندرا صحيفة « الويكلي نيوز » بعد ذلك بسبع سنين ولباريس
 « جازيت دي فرانس » بعد عدد من السنين يقرب من ذلك . ويغلب على
 الظن أن أيدياً عديدة تداولت هذه الصحف الأولى . وكان مقدوراً عليها
 ككل وليد أن تكافح للبقاء إذ لو كان من الصعب أن تكتب صحيفة
 فلا شق والاضعب أن نجد من يشتريها ولم يتح للندرا أن تصدر صحيفة
 يومية قبل سنة ١٦٩٥ حين صدرت صحيفة بوستبوي (The Postboy) ثم
 أصدرت جريدة المورننج بوست بعد ذلك بثمانين سنة وهي الصحيفة الوحيدة
 التي قويت على أمزجة قراء الصحف المختلفة منذ ذلك الحين إلى يومنا هذا .
 بيد أن عدد قراء الصحيفة الواحدة في القرن التاسع عشر كان لا يزيد على
 الآلاف فأصبح عددهم الآن بربو على عشرات الآلاف . وإذا الصحف نفسها
 لتفسر لنا هذا الانتشار الواسع المتزايد الدائم وذلك ببذل الجهود والعناية
 بالأخبار التي قد تكون أخباراً صغيرة تشأن بيد أنها مما يهم كل إنسان
 الاطلاع عليه إذ لا محالة نافذة إلى ناحية من نواحي فكره واهتمامه ونزاعته
 وبمكتسبنا أو نذكر على سبيل الاستدلال على نفوذ الصحافة الهائل وأنها
 ملقى أصوات العالم المتجاوبة عن كل صغيرة وكبيرة تحدث في العالم كل ساعة
 ودقيقة أن مامن اختراع ذاع وشاع لم يستعن به الصحافة في نشر الأنباء
 فتجمع الأنباء لديها بالأسلاك البحرية والجوية والتلفون واللاسلكي ونوزع
 الأنباء بكافة طرق النقل واستخدمت كل الوسائل الآلية وكل المخترعات
 التي اتخذت مهمتها الانبائية سواء كان ذلك في الطباعة كآلات المونوتيب
 والمينوتيب وآلة التصوير الشمسي أو في الإذاعة .

ومن ثلاثين سنة قبل رمى الصحف واتساعها لتوزيع الملايين كان
 المخترعون يسمون ويكدون لنقل الصور كما ينقلون الرسائل البرقية . والآن
 قد أصبح هذا الاختراع حقيقة ملموسة فنتج جهاز التصوير الكهربائي الذي

سيصبح بعد قليل مألوفاً عند كل صبح كجهاز الاذاعة الصغير . وباستخدام هذا الجهاز ستقل ملامح الانسان المتكلم في نيويورك على لوحة مضيئة في لندن وما هذا الا بداية لها ما بعدها قابلة لكل احتمالات الرقى كما كانت الجملة التي يلقيها الخطيب في امريكا وتنقل باللاسلكى عبر الاطلسنطيق . ويتناقلها جهاز مركب على برج ايفل ويلتقطها جهاز آخر في كوخ من أكواخ هونولولو منذ اثنتى عشر عاماً .

وقد ينقضى زمن قبل أن نتمكن من نقل الصور عبر الاطلسنطيق الانا الآن فى وسعنا أن ننقل بالاسلاك صور الحوادث الجارية فى لندن أو مانشستر . ويمكن للقارىء ان يحكم على وضوح هذه الصور فى صحفنا اليومية الآن . وسوف تشغل هذه الصور مكاناً هاماً فى أعمدة الصحف فى المستقبل بحيث يمكن اعداد مادة صحيفة بمقالاتها واعلاناتها وكل محتوياتها فى إحدى بلاد إنجلترا بينما تكون الصور الشمسية لحوادث آخر ساعة ودقيقة قد نقلت إلى إدارتها من كافة الانحاء . وسوف تكون لوحة جهاز الرؤيا البعيدة إحدى متعات الحياة اليومية العادية وأهم وسائل التسلية فى بيوت الكافة جنباً بجانب أى جهاز الاذاعة وبذلك تسكن الصور المنقولة على الشريط المنقى والاصوات المذاعة من كافة المحطات بحيث نسمع اصوات الفنانين والمحاضرين والخطباء ونرى صورهم وحركاتهم . وستكون مهمة محطات الاذاعة مزدوجة . أى تقوم فى آن واحد باذاعة الاصوات وعكس الصور الشمسية لمجريات العالم اليومية مما حصلت عليه إدارات الصحف اليومية . بيد أن ذلك لن يؤثر على سلطان الصحف والحاجة التى لاغنى لنا عنها فلن يكتفى القارىء بالصور لاغير يوماً ما إذ به سيس حاجة إلى شرح الاخبار والتعليق عليها وتقد شؤون العالم إذ الصحيفة يجب أن تكون دائماً رفيق الانسان ومرشده وهاديه

فهرست

ص

- ٤٨١ — أثر المناخ في مستقبل الامم
- ٤٩٤ — وحي الطبيعة — قطعة شعرية الحاجري
- ٤٩٥ — علم النفس وتطبيقه في التجارة حسين محمود
- ٥٠٠ — لكم عقاكم ولي عقلي » »
- ٥٠٢ — لما قرأت نيتشه . عن اميل فاجيه عبد الحميد سالم
- ٥١٢ — عاصمة فكرية ابراهيم حداد
- ٥١٤ — حول المبدأ الالهي — سؤال وجواب بهنام سامان
- ٥١٧ — الفلسفة حبيب الياس
- ٥١٩ — بين الصحف والمجلات
- ١٥٩ — السياسة الاسبوعية — مات البطل العظيم ثروت
- ٥٢١ — السياسة الاسبوعية — شاعر النيل
- ٥٢٢ — السياسة الاسبوعية — ليتني كنت غفريداً
- ٥٢٢ — ثروت باشا — بقلم فريد رفاعي
- ٥٢٧ — ملوك العالم من سلالة الفراغنة
- ٥٣١ — الاشياء الاساسية ع
- ٥٣٤ — الاقتصاد المنزلي
- ٥٤١ — ثروت باشا
- ٥٤٣ — كلمة صاحب المعالي وزير المعارف
- ٥٥٢ — قصيدة شوقي بك
- ٥٥٦ — قصيدة حافظ بك ابراهيم
- ٥٦٠ — اخشى عليك — قطعة شعرية الشريف
- ٥٦١ — رباعيات الخيام لنزهاوي
- ٥٦٤ — تقسيم الحيوانات حداد

تابع الفهرست

ص	
٥٧٧	— النهضة التركية ع .٠ ع
٥٨١	— النقد والتأليف
٥٨١	— قصة قلب - للدكتور الناصر
٥٨٢	— الرجل الذي لا يعرفه احد - لبروس برن
٥٨٥	— البهائية أيضاً جمال الاجل
٥٩٣	— المذهب الروحاني بين اديب وعالم
٥٩٧	— لا اقنع الا - قصة شعرية الصيرفي
٥٩٨	— بين العاصفة الفكرية أبو العينين
٦٠١	— افظع جرائم القرن التاسع عشر احمد مختار
٦١٩	— تفسير التوراة - لمрад فرج
٦٢٢	— رسائل الارواح
٦٢٤	— أسرار السماء
٦٢٩	— نشوء الصحافة

فهرست الصور

ص	
٥٥٢	— ثروت باشا
٥٥٣	— شوقي بك
٥٥٦	— حافظ بك ابراهيم
٥٩٤	— سير أوليفر لودج
٥٩٦	— سير آرثر كونان دويل

أصل الأنواع

وَنُشُونَهَا بِالِانْتِخَابِ الطَّبِيعِيِّ وَحِفْظِ الصُّفُوفِ الْغَالِبَةِ فِي الشَّيْءِ جُرْعًا عَلَى الْبَقَاءِ

خمسة مجلدات

١٠٠ بعد الطبع

٧٥ قبل الطبع

أشترك في أصل الأنواع

ترجمة : اسماعيل مطهر

تأليف : داروين

صاحب مجلة العصور ومحررها

معلم القرن التاسع عشر

١٥ قرشا فقط

إذا دفعتموها اليوم اعتبرت مشتركا في نسخة كاملة من كتاب «أصل الأنواع» واقعاً في خمسة مجلدات ضخام. اطعم على شروط الاشتراك في أية مكتبة أو خاير في ذلك إدارة مجلة العصور رقم ٣٠ شارع السكاكيني بمصر وبأدب بالاشتراك توفر ٢٥ في المائة من الثمن الأصلي وستنجز دار العصور للطبع والنشر طبع هذا الكتاب في أقرب حين ، فلا يفوتك أن تفوز بهذا الكنز الثمين .
اقتن كتاب «أصل الأنواع» الذي يعتبر أساس العلم الحديث على اختلاف فروع ، تحرر عقلك وتنظم معلوماتك وتغني أسلوب تفكيرك بما يطابق حاجات العصر الحاضر .

١٥ قرشا فقط

مَعْضَا الْمَلِكِ الْحَيَّ شَهْرًا

ومقالات أخرى

عامة وفلسفية وانتقادية

بقلم

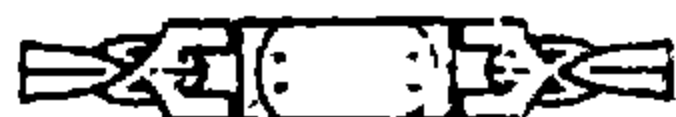
اسماعيل مظفر

صاحب مجلة "العصور" ومحررها

جميع الحقوق محفوظة

١٩٢٨

الجزء ١٥٠ ملما

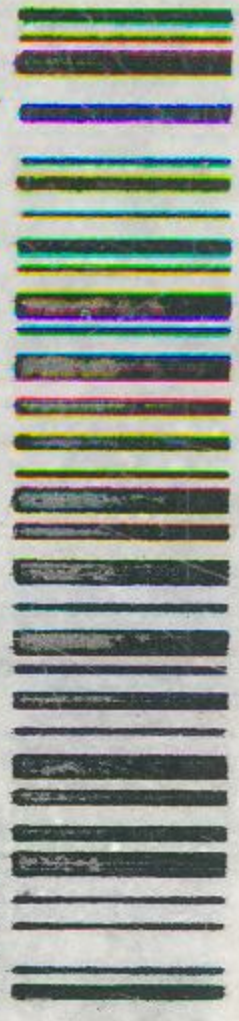


يُطْبَعُ مِنْ دَارِ الْعُصُورِ لِلطَّبْعِ وَالنَّشْرِ

بِشَارِعِ إِسْمَاعِيلِ الْفَنَّاكِيِّ بِالْقَاهِرَةِ بِمِصْرَ



Bibliotheca Alexandrina



0531829